

## ديوان السلیمان بن ابي

(الجزء الثلاثون)



ولمّا يَعدُّ يُجدي قليل التوهم  
وأبصرَ بالعينين ياناسُ من عمي  
وأمسك في يَمناه أشرسَ أسهم  
وفي كل فن دقّ أو متردم!  
فتى مفصّحاً كم وصّفوه بأبكم  
وفيم التدسّي بالكلام المُنمّم؟!  
بلهجة أوس ، أو زياد بن جرهم!

هداديكُم الحقُّ استبانَ بمعلم  
تفطنَ مخدوعٌ ، وأيقنَ واهمّ  
غدا شاعراً من كان بالأمس طالباً  
وكل الذي يُروى يُغربل نصّهُ  
وأضحى خطيباً مُصلحاً في خطابه  
ففيم التجني ، والحقائقُ أفصحَتْ؟!  
قصائدُ (زيد) تلك بالضاد دُونت

الطبعة الأولى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديوان السّليمانيّات  
(الجزء الثالثون)

يا عِبَادَ اللَّهِ ، فاحْكُمُوا!

شِعْرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجع معظمه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

مُجمّعة من المجلات والصحف والدوريات والجرائد

ومراجعة ومصحّحة ومُحقّقة ومُنقّحة ومزيدة

الطبعة الأولى



## الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي لم يزل قديماً دائماً وخبيراً بالأسرار عالماً ، قَرَبَ من شاء فجعله موخّداً صائماً قائماً ، وطرّد من شاء فصار - في بیداء الضلال - هائماً ، يفعل ما يريد وإن يأبى العبد راغماً ، ويقبل توبة التائب إذا أمسى نادماً ، أحمده حمداً - من التقصير - سالماً ، وأصلي على رسوله محمد الذي سافر إلى قاب قوسين ثم عاد غانماً ، وعلى صاحبه أبي بكر الذي لم يزل رفيقاً ملائماً ، وعلى عمر الذي يعبد ربه مُسِراً كاتماً ، وعلى عثمان الذي قتل مظلوماً ولم يكن ظالماً ، وفيه أنزل (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقانماً) ، وعلى عليّ الذي كان في العلوم بحراً وفي الحروب صارماً ، وعلى عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يزل حول نصرته حائماً ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وأصحاب محمد والتابعين لمحمد ، واجعل ذكر الآخرة لقلوبنا ملازماً ، ووفقتا للتوبة توفيقاً جازماً ، وذكرنا رحيلنا قبل أن نرى الموت هاجماً ، واقبل صالحنا واغفر لمن كان آثماً! يا قليل النظر في أمره يا غافلاً عن ذكر قبره أما نقل الموت واحداً واحداً ، وها هو قد أضحي نحوك قاصداً ، كم سلب ولدًا وأخذ والداً ، إلى متى تصبح جاهلاً وتُمسي مارداً ، وتحث على النهوض وما تبرح قاعداً ، متى يذوب دمغ ما يزال جامداً؟ متى ينقص جهلّ ما يفتأ زائداً؟ يا من إذا قاربه النصح أضحي متباعداً ، لقد نظرت لنفسك نظراً فاسداً ، كم أشمت بك عدواً وأفرحت حاسداً ، يا نائماً عن خلاصه راقداً ، يا مريضاً ما نرى له عائداً ، كم نوضح الأمثال ونضرب حديداً بارداً! أترضى لنفسك أيها الإنسان هذا الحال؟ أن يكون زاداً لارتحال تذكر عبث اليمين والشمال ، إذا خابت جميع الآمال ، ورأيت حسرة ما جمعت من مال ، وتيفقت فراق الأيتام والأطفال ، وحملت همّاً خفت عنده الجبال ، وبان لك أن حديث المُنَى محال! يا مؤثر الغي تأمل رشدك ، يا راحلاً عن قليل تعرف قصدك ، أصلح بالتقى يومك ، قبل أن تلقى غدك إياك والهوى ودع متعودك. كان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور ، واطرقوا هذه الأنفس فإنها طلعة ، وإنها تنازع إلى شر غاية ، فتبصروا وتشددوا. فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم ، يا هذا زاحم باجتهادك المتقين ، وسرفي سرب أهل اليقين ، هل القوم إلا رجال طرّقوا باب التوفيق ، ففتح لهم وما نياس لك من ذلك! يا مقيمين سترحلون ، يا مستقرين ما تتركون! يا غافلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطنين تأمنون المنون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، طول نهاركم تلعبون ، وطول ليالكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدون ، وقد رضيتم عن الغالي بالدون ، لا تفعلوا ما تفعلون (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أما الأموال فتجمعون ، والحق فيها ما تخرجون ، وأما الصلاة فتُضيعون ، وإذا صليتم تنقرون ، أترى هذا إلى كم يكون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أين العتاة المتجبرون؟ أين الفراعنة المتسلطون؟ أين أهل الخيلاء المتعجرفون المتكبرون؟ قدّروا أنكم صرتم مثلهم أما تسمعون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، ما نفعتهم الحصون ، ولا رد المال المصون ، هبّت زعازع الموت فكسرتِ الغصون ، قدروا أنكم تريدون عليهم ولا تنقصون (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، تقلبوا من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون ، فاتاهم ما هم عنه غافلون ، (كم تركوا من جنات وعيون) (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، لو حصل لكم كل ما تحبون ، ونما جميع ما تؤتون ، ونلتم من الأماني ما تشتهون ، أينفكم حين ترحلون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، إلى متى؟ وحتى متى تنصحون وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون؟ أأنتم وأنتم تسرحون إذ نزل هلاكٌ فلا تبرحون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون)! الموت مُسرّع مُجد غير لايبث ، والأموال عن قليل تمضي للوارث ، وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد

الحارث ، يا طويل الأمل هل قلبك لابت ، لا تسمعن المحال فلست بماكث ، يا مطالباً بالجد وهو لاعب عابث ، يا معاهداً باللسان والعزم ناكث ، يا من أعماله إذا فتشت خبائث! صرح الشيب وطال ما مجمع ووضح فجره وما كان قد تبلج ، أوضح طريق الحذر وبين المنهج ، أين الشباب رحل مسرعاً وهملج؟ إن نار الفراق في القلب تتأجج ، إن فؤاد المتفكر يكاد أن ينضج ، هذه خيول الرحيل قد أقيمت تسرج ، والشكوك قد أزيلت والحق أبلج ، هذا وأنت بالمعاصي مغرى وتلهج ، لك كأس من المنون صرف لا يمزج ، يا من هو في الكفن عن قليل مدرج ، يا لابساً حلة من البلاء لم تنسج ، يا من بضاعته إذا نقدت كلها بهرج ، يا سالكاً طريق الهوى عوسج ، كيف الطمع في المرتجى والباب مرتج؟ يا من ضيقت الذنوب خناقه أين المخرج؟ يا عظيم فقرك في القبر من منك أحوج! اغتتم القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن رديء الكلام ، وصموا عن استماع الحرام فكأنهم لا يسمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون)! كفوا الأكف عن الفساد ، وهجرت الرؤوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم في سكر الرقاد ، وهم يركعون ويسجدون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما أوفى تلك الأحوال ، ما أصفى تلك الخصال ، ما أزكى تلك الأعمال ، جمعوا الهموم فأما الأموال فلا يجمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نقوا بالرياضة وهذبوا ، وابتلوا بفراق المحبوب وجربوا ، وأديروا في فنون التكليف وقلبوا ، فإذا بعدتم يوم الحضور وقربوا ، فماذا تصنعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما ضر النفوس ما نكا فيها ، حين نكافئها ، نعفو عنها يوم اللقاء ونعافئها ، وندخلها جنة يروق فيها صافئها ، ولهم فيها ما يدعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نزلوا والله المقام الأمين وكتبوا في أصحاب اليمين ، ونالوا كل مثنى مثنى ، وأسكنوا القصور وأعطوا الحور العين ، كلهن أكار ليس فيها عون ، قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق ، وأبدلوا عن بريق السيوف الأباريق ، وقوبلت رياضتهم بالروض الأنيق ، فهم يرتعون فيما يربعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، إخواني توانيتم وسير القوم حثيث ، وصفت أعمالهم ، وفعلكم كدر خبيث ، ونصحناكم ولكن قد ضاع الحديث ، وما أراكم تسمعون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، يا ربنا وفقنا لما وفققت القوم وأيقظنا ، يا مولانا من سنة الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم الذي يريح فيه العاملون (الذين هم في صلاتهم)! خاشعون)! أهدي ديوان: (يا عباد الله فاحكموا!) الذي هو بعض عمري لأسرتي فرداً فرداً ، كما أهديه لأمتي المسلمة ، وأهديه للمغرمين والمحبين لشعر الشاعر (نزار قباني): (من العرب ومن غير العرب!) ، وأخيراً أهديه لكل متذوق وهاو ودارس ومحب للشعر العربي الأصيل! وأنوّه إلى أن ديوان: (يا عباد الله فاحكموا!) على طوله وامتداده ليس يحوي من أشعار المجون والسخف والنزق شيئاً. والله لو أجاز الله مثل هذه الأشعار وحاشا وكلا ، لما أحببت أن أكتب منها كلمة ولو بكنوز الأرض. ذلك أن شعر المجون والسخف لا تُعجب به إلا النفوس العقيمة المريضة والقلوب السقيمة البغيضة! وأعتقد أن الأرض خمت من مثل هذا العفن! وإنما لنبصر بمآت الشعراء وهذا سمتهم! يُنعم الله عليهم بنعمة الشعر ويُلين لهم فنونه وعويصاته ، فإذا بهم يجعلون شكر الله الإفساد والإغواء لعباده! بل الأمر في ديوان: (يا عباد الله فاحكموا!) على عكس هذا الانحراف ، فهو يُعنى بالقيم والأخلاق والمثل والفضائل فينميها ويدعو إليها ، كما يُنفر من السقوط والرذائل! وأسميته هكذا لما احتوى من قصيدة تحمل العنوان ذاته! وجهتها للمنصفين ليحكموا هم على الرجل (نزار قباني) ، وعلى أشعاره!

## المقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا بالإسلام من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات ، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً وشرع الإسلام وجعل له منهجاً ، وأعز أركانه على من غالبه ، فجعله أمناً لمن تمسك به ، وسلاماً لمن دخله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، وفهماً لمن عقل ، ولباً لمن تدبر ، وآية لمن توسم ، وتبصرة لمن عزم ، وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوض ، وجنة لمن صبر. اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة. اللهم ذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله حجة لنا لا علينا ، اللهم زيننا بزينة القرآن ، وأكرمنا بكرامة القرآن ، وشرّفنا بشرف القرآن. اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا قريناً ، وفي القبر مؤنساً ، وفي القيامة شفيعاً ، وعلى الصراط نوراً ، وفي الجنة رفيقاً ، ومن النار سترأ ، اللهم ارزقنا أن نتلوه حق تلاوته ، كما تحب وترضى ، وأن نعمل به كما ينبغي وتريد ، وأن نتعلمه ونعلمه كما أمرنا نبيك الحبيب. اللهم اغفر وارحم لكل من يُعلم تلاوته ، وتفسيره ، وحكمه ، وأحكامه ، ونظمه ، وبيانه وإعجازه ، وإحكامه ، وزدنا من فضلك العظيم فإنك ذو الفضل والإكرام. إلهنا وسيدنا واسواته إذا شاهدتنا وهمتنا تسبق إلى سواك ، واسواته ، إن رأيتنا ونحن نتسارع إلى معصيتك بُعداً عنك واسواته إن تكاسلنا عن طلب رضاك ، يا من أقام لنا ذكرنا وأجرى لنا أنهاراً تجري ، اللهم إنا نسألك أن تجري علينا رزقنا من الخير كله: من الطاعات حتى ترضى ، إنك ولي ذلك والقادر عليه! اللهم إن الطواغيت يتفننون بشتى أساليبهم وقوانينهم وتعليماتهم القدرة العفنة ليصرفونا عنك وعن دينك وعن نبيك وعن كتابك! حيث يضيّقون علينا سبل العيش الكريم لكي ننزلق إلى الحرام ويضعون من العراقيل والعقابيل ما يصرفنا صرفاً عن اتباع الحق ولزوم الاستقامة ، فاللهم إنا نستعين بك عليهم فاكفناهم بما شئت إنك لما تشاء قدير وبالإجابة جدير! اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وآماننا وأهلنا وأولادنا. اللهم افتح لنا من خزان رحمتك رحمة لا تُعذبنا بعدها أبداً في الدنيا والآخرة ، اللهم وافتح لنا من فضلك الواسع رزقاً حلالاً طيباً ، لا تفقرنا بعده لأحد سواك أبداً ، تزيدنا بها لك شكراً ، وإليك فاقة وفقراً ، وبك عمن سواك غنىً وتعففاً. إلهنا لا يدرك جودك وحنانك ورفقك وتيسيرك إلا المؤمنون بك. آمنا بك وصدقنا نبيك – صلى الله عليه وسلم – فيما جاء به! وعبدناك ربنا بالحب والخوف والرجاء! فتقبل منا! ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم! إلهنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك أو نخالف عن أمرك ، ولكن غلبتنا شهواتنا وأهوائنا فاغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين! ما حيلتنا يا رب في دنيا تجري وهي تجري وراءنا وتلاحقنا؟ ما حيلتنا يا رب في العادات والتقاليد والأعراف والسلوم التي أصبحت ديناً في الأرض اليوم يدين له وبه أغلب أهل الأرض؟ ما حيلتنا في الشياطين الجنية والأخرى الإنسية التي تصل ليلها بنهارها في الصد عن سبيل الله تعالى؟ ما حيلتنا يا رب في الشهوات والأمزجة والأهواء التي تصرفنا عنك؟ اللهم انفع بهذا الشعر من قرأه ولا تحرمنا أجره في الدنيا ولا في الآخرة! وحدك تعلم نيتي منه! يا رب أنا قصدت بشعري هذا إعلاء كلمتك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى! أقسم عليك باسمك الأعظم أن لا أكون من الثلاثة الذين أخبرنا عنهم نبيك – صلى الله عليه وسلم – والذين أول من تسعّر بهم النار: (قارئ ومتصدق وشهيد) أولئك المرأون بأعمالهم ليقال عن أحدهم: فلان كذا وكذا! اللهم لا أنادي يوم القيامة: كتبت يا أحمد ليقال شاعر وقد قيل! يا رب وحدك تعلم أي بعدت عن الأضواء

والشهرة والفضائيات والظهور ابتغاء وجهك! فاللهم أجزني عليه الآن وفي الآخرة! اللهم كان سيراً عليّ كتابة الأشعار في القوام النحيل والنهد الجميل والقد الممشوق والعين الساحرة والرمش الطويل والخذ الممتلئ والساق المستوية واليد البضة ، على حساب العقيدة والتوحيد! ولكنني أثرت الكتابة وفقاً لشريعتك ولسنة نبيك – صلى الله عليه وسلم – وابتليت في شعري وصبرت واحتسبت! وما هذا كله إلا بتوفيق منك ومعونة ، فاللهم كما جعلتني لا أكتب في ظني إلا ما يرضيك ، فاللهم انشره في العالمين وضاعف الأجر لمن أعانني على ذلك ، واجعل هذا الشعر في طاعتك يا جواد يا كريم! اللهم إنني جعلت جنة المأوى عن يميني وأنا أكتب شعري فطلبتها منك بالشعر! وتخيلت نار جهنم عن شمالي وأنا أكتب شعري ، فاستعدت بك منها بالشعر! اللهم قنا من أهوال القيامة!

وأنا إذ أقدم لديوان: (يا عباد الله فاحكموا!) فكلي أمل أن يحوز على إعجاب من قرأه! وأعتذر عن بعض المقدمات الطويلة تلك التي عمدت إليها كلما احتاجت القصيدة إلى إيضاح مبهمات حوتها وأعجزت القارئ وعدم من يسأله! وربما يسأل سائل: لماذا هذا العنوان: (يا عباد الله فاحكموا!)؟ والجواب أنني فكرت فيه من زمن بعيد! وعندما بلغ السيل الزبي ، واطلعت بنفسي على ديوان (نزار قباني) غلا الدم في عروقي غيرة على الإسلام ، فكانت قصيدة (يا عباد الله فاحكموا!) وترددت في أن أجعله: (حسابي مع نزار!) ولكنني لا أشخصن الموضوع ، ولا أجعله ثاراً بيني وبينه! لأن قضيته مع الإسلام والمسلمين عامة! والشاعر الذي لا يفكر إلا في نفسه وفي شعره فقط اعتبره شاعراً أنانياً يعيش لنفسه ولقضايا الشخصية! لقد طغى شأن الأنانية والأثرة اليوم ، وذلك لأن أمر الجاهلية قد تفاقم خطره ، وعلت نبرته في زماننا! وأصبحت الجاهلية تقدم على الإسلام والإيمان! نعم ، ولا أكون مبالغاً إن قلت بأن الجاهلية عادت لنا اليوم في ثوب عفن من أثوابها العفنة الدنسة. ولعلي من خلال الاستشهاد بالأحاديث والقصائد أكون قد بينت ما للجاهلية من خطر على أمتنا! وأظن أنه قد آن الأوان لأن يوقف هذه الجاهلية نص مؤمن موحد متوضئ طاهر ، يعيد الأمر إلى نصابه والقوس إلى باربيها! ورحم الله الشاعر الباكستاني محمد أفندي إقبال الذي اختصر المدى ، وشخص المرض ، ووصف الدواء فقال:

يا موكبَ النور بدّد حالك الظلم	فأمة الحق لم تهدأ ، ولم تنم
هذي الزحوف أبو الزهراء قائدها	صرخ الجهالة ، باسم الله فانهدم
قم يا بلال ، وأعلنها مدوية	إن الحقود عن الإيمان جدّ عم
الله أكبرُ قد دوت بكعبتنا	يا راية الله ، خفقا في سمائمهم
العين بالعين ، واصفع كل طاغية	واثأز لحقك ، لا بهتان وانتقم!
دخلت مكة ، والرايات خافقة	لو شئت أسلمتها للحرق والعدم
عفوت لمارأيت العين دامعة	أخ كريم ، وأذروا عبرة الندم

يا منقذ الكون من جهل أحاط به  
اليوم جنث إلى التاريخ أسأله  
فما وجدت لكم يا سيدي شَبهاً  
هذي مبادئهم في شرعنا عدم  
عارٍ على أمةٍ دان الوجود لها  
كنا أساتذة الدنيا و ساداتها  
لا لست أرضى من التاريخ ملحمة  
ها ألمح الليل قد حانت نهايته  
لولا الهداية ما ثرنا على صنم  
ما كان منه حديثاً أو بذى قدم  
هُم في السفوح وأنتم في ذرى القمم  
شتان شتان بين النور والظلم!  
أن يستبيح جماها خائنو الذمم  
ما بالنا اليوم أصبحنا من الخدم؟  
إن كان فيها مداداً من زهيد دم  
لا يُشرق الفجر إلا في دجى الألم!

وأرجو أن أكون قد وُفقت في اختيار العنوان لديوان: (يا عباد الله فاحكموا!) لأوقف الجاهلية والجاهليين عند حد! وأسأل الله تعالى أن تكون القصائد برمتها قد عبرت عن هذا المطمح ، وحقت المطلوب والمرجو ووفت بالغرض! إنني فخور كل الفخر بهذا الديوان! وإن أتى متأخراً! ذلك أنني أردت أن أستوثق أكثر ، وأضع يدي على الحقائق المرة أكثر! والأمر كما يقول الشعب الإنجليزي الذي تخصصت في لغته الإنجليزية: (لأن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي)! وأعلم أنه سيكون على هذا الديوان كلامٌ كثير ، وسيكثر عنه اللغظ ، وسيدور عليه جدلٌ كبير! ولكنني أردت به وجه الله تعالى ، وهذا يكفي! وقصيدتي: (يا عباد الله فاحكموا!) والتي أخذ منها الديوان اسمه احتوت على مقدمةٍ طويلةٍ فيها استشهادات كثيرة جداً من ديوان (نزار قباني) حرفياً ، بهدف بيان الحق للراغبين في معرفته! والحقيقة أنني عندما طالعتُ كتب النقاد العلمانيين وجدتهم يغلقون أعينهم عن هذه الكفریات وتلك الزندقات وهاتيك الإلحاديات! بينما وجدت النقاد المنصفين أصحاب العقيدة السليمة يضعون الأمر في نصابه ويرجعون القوس إلى باريها! فإدليتُ دلوي في آبارهم ، وأخذتُ عنهم بحيدة وموضوعية! وتركتُ الحكم للقراء بصفة عامة ، ولعباد الله المتقين المسلمين المؤمنين الموحدین بصفة خاصة! ويشهد الله تعالى أنني ما أردتُ الوصول على أكتاف أحد ، بل إظهار الحق والحقيقة هو الهدف ، والله تعالى من وراء القصد! ونزار ذو شهرةٍ واسعة أكثر من أي شاعر في عصره! ولست أدري لماذا لم يعطه أصحاب جائزة نوبل جائزتهم؟! لقد أعطاهم الرجل ما لم يعطهم كاتبٌ ولا شاعرٌ مما يريدون! وما نجيب محفوظ برواياته ، وما إحسان عبد القدوس بقصصه ، وما نوال السعداوي بهرطقاتها وما إيناس الدغدي بأفلامها! إن كل هؤلاء مجتمعين أبلوا في الجاهلية بلاءً لا مثيل له! ومع كل هذا فليس يُقارن مُطلقاً بما جاد به نزار من بضاعة الجاهلية المزجاة! لماذا تأخرتُ (نوبل) عنه؟! وديواني هذا يبين للناس الحقيقة ، ويترك لهم الحكم الفصل وفق أدلة وقناعات وبراهين وحجج هي أوضح من الشمس في رابعة النهار! لنزار قباني قصائد قوية في النيل من الطواغيت وفي تعريتهم وفي بيان حكمهم وضلالهم وجبروتهم ، كما أن له قصائد في تعرية الظلم والطغيان اللذين يمارسهما سدنة الطغاة والظالمين وأذنانهم في الشرق والغرب! وله قصائد في البكاء على الأخلاق والقيم التي كان سبباً

مباشراً في ضياعها! فليتها ما تصدقت ولا احترفت البغاء كما يقولون! ليته ما كتب القصائد  
الماجنة الفاحشة التي تحض على ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن! وأعتقد أنني عارضته  
في أربعة قصائد في ديوان: (السليمانيات) في مواقف مختلفة! فليس لي منه ولا من غيره موقف  
عدائي شخصي! ولم يتزوج الرجل أمة بعد وفاة أبي لأثار لمجد أبي! كما أن الرجل لم تكن بيني  
وبينه معاملات مالية لأثار لمال نهبه بغير حق! ولم أكن جاراً للرجل وكان قد أهدر جبرتي  
وحقوقها لأنتصر لحقوقي المهذرة! ولم أسافر مع الرجل سفرة وتعاملت معه في السفر ولم يصن  
حقوقاً لي في سفرنا معاً لأنتصر لنفسي! بل انتقادي له قام في الله تعالى! وغيره على دين الله  
ليس إلا! وإن كنت مصيباً فيما ذهب إليه ، فمن الله تعالى وحده ، وعلى بينة منه ، وبتوفيق منه  
سبحانه! وإن كنت قد أخطأت وتجاوزت ، فمن نفسي وهواي وشيطاني! وبإمكان الشعراء  
والكتاب والنقاد الرد على ما ذهب إليه! وكلامي ليس قرآناً أنزله الله تعالى مع الأمين جبريل  
عليه السلام فلا سبيل إلى الطعن فيه والاستدراك عليه! بل هو كلام بشر واجتهاد بشر! وإذا كان  
ذلك كذلك فهو ككل كلام! كلام خاضع للتخطئة وخاضع للاستدراك وخاضع للنقد! ولكن بالدليل  
ووفق قواعد وأسس وضوابط وأدلة وبراهين! والمراجع التي ذهب إليها وعلى رأسها: (ديوان  
نزار قباني – الأعمال الكاملة) لا يزال بين أيدينا! والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل!

## الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم المرسلين ورحمة الله للعالمين. اللهم ارزقنا الهجر الجميل لعبادك المذنبين ، وارزقنا الصبح الجميل عن عبادك الذين تجاوزوا في حقوقنا وأعراضنا ، وارزقنا الصبح الجميل عن عبادك المقصرين في حقوقنا ، والهجر الجميل: هجر بلا أذى ، والصبح الجميل: صبح بلا عتاب ، والصبر الجميل: صبر بلا شكوى. أيها الداعي إلى المعروف بشعره وأيها الناهي عن المنكر بشعره ، ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر بغير منكر. من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم. ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين ، وشر الشريرين. الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وبستان العارفين. (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين). فيها اعتراف بحقيقة الحال ، وليس لأحد من العباد أن يبرئ نفسه عن هذا الوصف لا سيما في مقام مناجاته لربه. السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم الله ، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله ، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله ، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا مكافأتهم ، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم. إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً ، ينسى حسنات الطوائف والأجناس ويذكر مثالبهم ، مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة ويقع على الجرح والأذى ، وهذا من رداءة النفوس وفساد الأمزجة. والعامّة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن ، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب بشرط كمال التوحيد والعقيدة. إن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرّم مطلقاً لا يباح بحال. إن الله قد ينصر الدولة الكافرة بعدلها على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم! سبحانك ربي خلقت ورزقت ، وبعض الناس عبدوا غيرك! (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ). ومكنت لقوم في الأرض وآتيتهم الملك ، ونزعت الملك من آخرين! (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). اللهم انصرنا على من عادانا! إلهنا وخالقنا اقتضت حكمتك أن لا يراك أحدٌ في الدنيا! وإنما نرى آثار حكمتك وقدرتك وعظمتك! (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَلِهَكَ فَقَالَ لَنْ تَرَئِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَئِي تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ). إلهنا اقتضت حكمتك أن يزول كل شيء وتبقى وحدك بعد فناء خلقك! (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ، يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكُم مِّنْ أُمَّةٍ نَّسِيَتْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). إلهنا رضيت لنا الإسلام ديناً ، وهديتنا صراطاً مستقيماً ، وعلمتنا ما لم نكن نعلم تعليماً ، وكان فضلك علينا جليلاً وعظيماً! فاللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك! إلهنا عجز الشعراء والأدباء عن قصائد مديحك والثناء عليك! أنت كما أثبتت على نفسك تباركت ربنا وتعاليت! كثيرة هي المدائح النبوية ، وكم هي قليلة ونادرة تلك المدائح الربانية! مع أنه لا أحد المدحة أحب إليه من الله تبارك وتعالى! ولقد أفاض الزهراني في تانيته العذبة التي أنشدها في مدح رب البرية – سبحانه وتعالى

– وأراها من عيون المدائح الربانية التي قل أن نري مثلها في القديم والحديث ، إذ ركزت على التوحيد والعقيدة ، ومنها قوله:

قربوا ريشتي وهاتوا دواتي      واتركوني من التي واللواتي  
لم يعد في فؤاد مثلي مكان      للتغني بالحسب والغايات  
تاه لبي وذاب قلبي لربي      فهو حبي وسلوتي في حياتي  
ولله كل ذرة في كياني      ومماتي ومنسكي وصلاتي  
يا مرادي هذي ترانيم حب      من فيوض المشاعر الخاشعات  
أنت أهل الثناء والمجد فامنن      بجميل من الثناء المواتي

اللهم إنا نشهدك أننا لا نملك إلا حبك وحب نبيك – صلى الله عليه وسلم -! فاللهم ارزقنا بهذا الحب العمل بكتابك وسنة نبيك – صلى الله عليه وسلم -!

هذا رسول الله هذا المصطفى      هذا لرب العالمين رسول  
هذا الذي رد العيون بكفه      لمأبدت فوق الخدود تسيل  
هذا الغمامة ظللته إذا مشى      كانت تقيّل إذا الحبيب يقيّل

اللهم أقمني اليوم كما أقمت حسان بالأمس! واجعل لشعري من القبول والأجر ما ادخرت لشعر حسان بالأمس! رباه إن لم أبلغ شأو حسان ، فلي شرف محاولة السير على خطاه! والحقيقة أنني اعتدت أن أزود كل قصيدة بمقدمة تستفتح على القراء ما تحويه القصيدة! كما أنها تكون بمثابة الجو النفسي للقصيدة وشيئ عن سبب كتابتها وإنشادها! وأوردت كثيراً من آيات الذكر الحكيم وأحاديث رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم! ناهيك عن التضمين الذي تتضمنه الأبيات الشعرية! وعزوت كل كلمة أخذتها من فلان أو علان إلى صاحبها أو صاحبها ودعوت له وأعطيته حقه من الإطراء والمدح في غير مبالغة! والذي لا أعرفه كتبت نصه ودعوت لصاحبه وإن كان عندي مجهولاً فليس عند الله بمجهول! وأحياناً كنت أكتفي ببعض سطور من مقالته أو من كتابه ، وأراها لا تكفي ولذا اعتدت أن أحيل إلى المقالة في كتابها أو إلى الكتاب في سلسلته! ولزمت الأدب مع المخالف وأوردت دليله وإن كنت غير مقتنع به! ولكنني فعلت ذلك ليكون القارئ على بينة من أمره! وما غلبت رأيي إلا إذا كان الدليل معه! وأسأل الله العزيز الحكيم أن ينشر هذا الشعر في العالمين! كما أسأله أن يكون لشعري اليوم ما كان لكلمة نبيه الخليل بالأمس: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً)! فأذن إبراهيم وأتى الناس ولا يزالون يأتون! فاللهم إني أشهدك أنني كتبت أريد بما كتبت وجهه تعالى والدار الآخرة! فاللهم إن يكن ذلك كذلك وتعلمه من نيتي فانشره! اللهم انشره في العالمين بعز عزيز أو بذل ذليل! اللهم إني أستودعك هذا الشعر يا من لا تضيع عنده الودائع!

## اخدمي أم زوجك!

(دار جدل كبير هنا وهناك عن مسألة خدمة أم المرأة لأم زوجها! وشطت فيها أفهام ، وزلت فيها أقدام! وهذه زوجة تسأل الشيخ محمد الراوي رحمه الله رحمة واسعة: السؤال: هل شرعاً عليّ خدمة أم زوجي؟ أم لا؟ وعندها يبدع الشيخ في الجواب ، وهو الفاهم للمقاصد ولا شك! والجواب: لا يجب عليك خدمة أمه ، بل خدمة أمه واجبة عليه هو ، وليس له أن يلزمك بذلك ، وأنصح بثلاثة حلول: الأول: أن يأتي بأمه إلى بيته ، ليتمكن من خدمتها بنفسه هو وأولاده الذين هم أبناؤها كذلك ، فخدمتها واجبة على أحفادها ، كما هي واجبة على ولدها! الثاني: إن لم يتيسر هذا الحل ، فيلزمه أن يذهب هو إليها لخدمتها في مكانها ، ولو تطلب الأمر أن يبني عندها الأيام والليالي إن كانت تحتاج إلى ذلك. الثالث: إن لم يتيسر له ذلك ، فيجب عليه أن يستأجر لها من تخدمها وتمرضها ، وهذه النفقة واجبة عليه ، فيلزمه أن يقتصد في معيشتكم على القدر الواجب في النفقة ليوفر ما يدفعه للممرضة! وإن كان في دخوله على أمه والممرضة عندها ما يؤثر الحرج أو الشبهة أو الفتنة ، فأنصحه بأن يتزوجها ، فيجمع بين المصالح ، (خدمة أمه ودفع الفتنة والشبهة عن نفسه! وطبعاً هذا من حقه ، لأن نفس الشرع الذي تتمسكين بحكمه في عدم وجوب خدمة أمه عليك ، هو الذي حكم له بجواز التعدد! وكوني أنت في بيتك مُعززة مُكرّمة ، لأنه لا يجب عليك خدمة أمه طبعاً!). هـ. رحم الله تعالى الشيخ الراوي ، وأسكنه فسيح جناته!

اخدميها ، وجنبي البيت نارا	إن برأ بها يُزيل الشجارا
صنعك المعروف احتساب وجود	فاصنع المعروف الذي لا يبارى!
أمه يا أخت الهدى لك أم	وادرسني فيما قلته الآثارا
صحّ قولي! جاءت به أخبار	والليب من يتبع الأخبارا
كم لأجل العريس ضحّت زماناً!	أنت أم ، فاستذكري الآثارا!
كم دهنتها الخطوب سراً وجهراً!	والحياة كم تشتكي الأغيارا!
كم رمتها الأهوال شرقاً وغرباً	وهي وجعى تسترحم الجبارا!
كم ليال مرتت بدون رقاد	كابدتها تستعجل الأسحارا!
كم بلاعات كالجحيم استشاطت	ثم صبت - فوق العجوز - النارا!
لم تضق بالأحوال تُوهي قواها	بل تحدت في عيشها الأخطارا
فاعذريها إن جنّ دلثها الرزايا	مثل هذي تستجوب الأعدارا
اخدميها ، قد يستدير زمان	إن للدهر - في الورى - أطوارا

لم تعد بعدُ تفتت الأنظارا  
لم يُراعوا - رغم الإخاء - الجوارا  
منه كلُّ الأهلين فروا فرارا  
ليأهم - في إرصادهم - والنهارا  
والعجوزُ كم خلفت تذكارا  
وهنَّ العظمُ ، والشبابُ توارى!  
جودك اليومُ يذهب الأكارا!  
هل رأيت بحرًا يقرُّ قرارا؟!  
أوى يرى في إعدامه الأمَّ عارا!  
حملة شَعوا ترفعُ الأشرارا  
يجلبُ الفوضى في الدُّنا والعارا  
هل ركوبُ الأهواء يهدي الحيارى؟  
فاجعليه في ذي الحياة شعارا!

تصبحين من بعد سَلاوكِ ثكالى  
قد قلاكِ الجميعُ في كلِّ وادٍ  
صرتِ عينا مُستثقالاً لا يُدانى  
يرقبون ترحالِ عبءٍ ثقیل  
ليت شعري ، لم يذكروا من جميل  
تأخذ اليوم ليس تُعطي بتاتاً  
أخذيها ، فالعيشُ أخذ وردّ  
عيشنا مثل البحر مَدًا وجَزراً  
لا تُبالي بمن يُروِّج زوراً  
بالتجني هم أهـدروا حق أم!  
وارتزاق الجهال بالذنين مُخز  
إنما بالبرهان تسمو القضايا  
شيخنا (الراوي) ساق أهدى دليل

## ارجعن فقد آديتن! (للقارئات والمنشدات)

(في الآونة الأخيرة ارتفعت وتيرة نشر بعض النساء لصورهن ولمقاطعهن صوتاً وصورة على وسائل التواصل الاجتماعي: سواء كن محجبات حشيمات يسترن وجوههن ، أو متبرجات بزينة أو غير زينة سافرات كاشفات لوجوههن! فمن قارئة للقرآن ، ومن مفتية تفتي وتبين الحلال من الحرام ، ومن مُنشدة بالمقامات والألحان ، ناهيك عن سواقط الروتين اليومي بانعائ الأعراض وعارضات اللحوم الرخيصة! فكان لا بد من قصيدة عصماء تُعيد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها! ولست أوجه قصيدي للسوافر والسواقط المتبذلات الرخيصات ، إنما أوجهه للأخوات المسلمات المؤمنات المحتشمات اللاتي سقطن في جُب الترخص وبئر الشبهة! فإلى هؤلاء أقول بصدق: ارجعن فقد آديتن! فأما بخصوص قراءة المرأة للقرآن وإنشادها للأناشيد الإسلامية ، فقد جاء في (إسلام ويب) ما نصه: (لا يخفى أن قراءة المرأة القرآن ، وتحسين الصوت به مراعاة لأحكام التجويد ، ونحو ذلك لا يخلو من تمطيط وتلين للصوت ، وقد يترتب على ذلك ما هو منهي عنه من الخضوع بالقول ، كما في قوله تعالى: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا). قال ابن كثير في تفسيره: (ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها). اهـ. وقال ابن نجيم الحنفي: (فإننا نجيز الكلام مع النساء الأجانب ومحاورتهن عند الحاجة إلى ذلك ، ولا نجيز لهن رفع أصواتهن ، ولا تمطيطها ، ولا تليينها ، وتقطيعها ، لما في ذلك من استمالة الرجال إليهن ، وتحريك الشهوات منهم ، ومن هذا لم يجوز أن تؤذن المرأة). اهـ. فعلم بهذا أنه لا يجوز للمرأة قراءة القرآن بحيث يتمكن الرجال الأجانب من سماعه ؛ سواء عبر اليوتيوب ، أو عبر التلفاز ، أو غير ذلك من الوسائط كالفيس بك أو التيك توك أو انستجرام! وكذا بالنسبة لتسجيل المصحف كاملاً ، إلا إذا كان بإمكانها نشره بين أخواتها الصالحات اللاتي يؤمن عليه ، ويؤمن نشرهن إياه بين الرجال! وما ذكرناه في أمر قراءة القرآن نقوله هنا فيما يتعلق بالأناشيد الإسلامية ، فإنها لا تخلو في الغالب من دواعي الفتنة ، وكما أشرنا سابقاً فإن مما يؤيد ما ذهبنا إليه ما قاله الجمهور من منع المرأة من الأذان! وما جاء في الحديث من مشروعية التسبيح في الصلاة في حق الرجال ، والتصفيق للنساء ، وذلك في الاستفتاح على الإمام! قال العراقي في طرح التثريب عند شرح هذا الحديث: (فالتعليل بخوف الافتتان أولى كما فعله ابن عبد البر ، فقال في الاستذكار: وقال بعضهم إنما كره التسبيح للنساء ؛ لأن صوت المرأة فتنة ، ولهذا منعت من الأذان والإقامة والجهر بالقراءة في صلاتها). اهـ. قاله تعقيباً على القول بأن حكمة المنع كون صوت المرأة عورة!). اهـ. وجاء كذلك في (إسلام ويب) سؤال وجوابه: فالسؤال: (أنا فتاة أملك صوتاً جميلاً ، وأريد أن أستخدمه في ما يرضي الله كقراءة القرآن والأناشيد ، ولكن أخاف أن يكون حراماً ، فهل يجوز أن أقوم بتسجيلات وأنشرها؟ وجزاكم الله خيراً! والإجابة: (نسأل الله لك التوفيق والسداد ، وأن يزيدك حرصاً على فعل الخير وتحريه. وننبهك إلى أن الصوت الحسن نعمة من نعم الله إن استخدم فيما يرضيه ، ونقمة إن استعمله صاحبه في سخطه سبحانه. فعليك أن تشكري تلك النعمة باستعمالها فيما يرضي الله تعالى ، وعدم استخدامها فيما يسخطه ، ولا حرج عليك في قراءة القرآن أو الإنشاد بين النساء خاصة ، وأما تسجيل ذلك أو فعله في حضور الأجانب فهو مما لا يجوز لما فيه من الميوعة وترقيق الصوت وترخيمه فيؤدي إلى الافتتان بك وهذا باب شر يجب سده! جاء في نهاية المحتاج: (فقد صرّحوا (يعني علماء الشافعية) بکراهة جهرها (أي المرأة) في الصلاة بحضرة أجنبي ، وعلوه بخوف الافتتان بها! وفي كشف القناع:

وتسر بالقراءة إن كان يسمعها أجنبي. وقال في رواية مهنا عن أحمد: ينبغي للمرأة أن تخفض من صوتها في قراءتها إذا قرأت بالليل). اهـ، وكل ذلك خشية الافتتان بصوتها ، وما كان فيه تمطيط وترجيع من قراءة أو إنشاد فهو أولى بالمنع).هـ. ولأتني من غير أهل الفتوى ، فلست متخصصاً فيها ولا في العلوم الشرعية ، فأكثر من النقل عن أهل العلم وأصحاب الفضيلة الفقهاء! جاء في موقع: (القرآن والتفسير) سؤال وجوابه كذلك: السؤال: (هل يجوز للمرأة أن تنشر صوتها وهي تقرأ القرآن على مواقع التواصل الاجتماعي؟! والإجابة: الأصل في صوت المرأة أنه ليس بعورة ، ويتضح ذلك من قوله تعالى: (وقلن قولاً معروفاً) ، وليس هناك تحديد أمام من يكون هذا القول ؛ هل يكون أمام المحارم أم الأجانب؟ بمعنى أن إباحة القول والكلام تبقى على إطلاقها وتشمل الطرفين ، كما أن الحاجة تدعو من خلال البيع والشراء في الأسواق أو العمل أو العلاقات الاجتماعية أن يكون هناك مخالطة وكلام بين المرأة والرجال الأجانب عنها. ولكن الله سبحانه وتعالى أباح للنساء الكلام أمام الرجال بضابط مهم حدده في قوله سبحانه: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) أي أن جواز الكلام وإباحته أمام الرجال الاجانب مرتبط بعدم الخضوع في القول ، وهو تنعيم الكلام وتحسينه وتليينه أو التثني فيه مما يترتب عليه إيجاد جو من الفتنة لبعض السامعين. وبناءً عليه فإذا كانت قراءة المرأة للقرآن الكريم على الملأ فيها تنعيم وتجويد وتليين للصوت فلا يجوز ذلك ، كونها عندما تنشر مقاطع من صوتها لا تتحكم بمن يستمع ، وسوف يسمعه الرجال والنساء على حد سواء ، الأجنبي منهم وغير الأجنبي ، أما إذا كانت قراءة عادية بدون تجويد ولا تنعيم فلا بأس بذلك! (وطبعاً هذا غير وارد ، بل يزيده أهل الهندسة الصوتية جمالاً وذنوباً وتحسيناً!). هـ. وجاء سؤال آخر في الموقع ذاته: ما حكم قراءة الفتاة للقرآن الكريم بصوتٍ وتجويدٍ في محاضرة فيها من الطلاب والطالبات؟! والإجابة: الأصل في صوت المرأة أنه ليس بعورة ما دام ذلك بعيداً عن التثني والتليين والتنعيم ، وقد كانت النساء يسألن رسول الله عليه الصلاة والسلام ويكلمنه إذا احتجن ذلك ، وكذلك صحابته دون نكير من أحد ، وبناءً عليه ، فإذا كانت القراءة مع التجويد فلا شك أن هناك تنغيماً سيقع في الصوت وتحسيناً وتطريباً له ، وهذا الأمر قد يكون له محاذيره خاصة أمام الشباب ، وأما إن كانت القراءة عادية فلا حرج في ذلك! وجملة القول بأن الأفضل والأصح أن يقرأ الطلاب أو الشباب وحدهم ، وتقرأ الطالبات أو الفتيات وحدهن ، فذلك أقرب للتقوى وأفضل لرفع الحرج عن الطرفين ، وإن لم يكن بد من القراءة معاً فقراءة عادية دون تنعيم أو تحسين للصوت من الفتيات كما أسلفنا!). هـ. وجاء سؤال ثالث في الموقع ذاته: ما حكم رفع المرأة لصوتها بالضحك بشكل ملفت للنظر في الأماكن العامة؟! والإجابة: ما يميز المسلم عن غيره ، هو تحليه بالأدب في أقواله وأفعاله وتصرفاته ، بصرف النظر عن أماكن تواجده ، فإن تكلم لم يرفع صوته لغير حاجة ، وإن ضحك كان صوته خفيضاً غير لافت للنظر ، وهذا أدب قرآني تجلى بوضوح في وصايا الرجل الصالح لقمان لابنه ، حيث قال: (واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لاحظ التشبيه المنفر لمن يرفعون أصواتهم لغير حاجة ، وقد تعارف الناس منذ القدم بأن رفع الصوت لغير حاجة رعونة وإيذاء للسامع ، هذا الحال بالنسبة للرجال وهم عادة من يملأون المجالس العامة والخاصة صخباً وكلاماً ، فكيف بالنسبة للنساء وهن المطلوب منهن بطبيعتهن أن يكن أكثر خجلاً وحياءً وغطاً للأصوات والضحكات؟! لا شك بأن رفع الصوت والضحك منهن سيكون أكثر سوءاً وأشد قبحاً! وزينة المرأة حياؤها ، واحتشامها بالصوت والضحك علامة تدل على مدى أدبها وحسن خلقها ، ورفع الصوت يشير إلى خفة الفتاة ورعونتها ، وهو ما لا يليق بالفتاة المسلمة

بحال من الأحوال). هـ. والشيخ المنجد في موقعه الرائع: (الإسلام سؤال وجواب) يورد السؤال ذاته: هل يجوز تنشيد الفتيات من سن 14 فما فوق أناشيد للأطفال؟! والجواب: (لا حرج على الفتاة البالغة وغيرها الغناء أو النشيد للأطفال الصغار ، لأن الأصل في العادات الإباحة ، ولم يرد نهي عن ذلك ، ولوجود المصلحة والمنفعة حين يكون لأناشيد الأطفال الأثر البالغ في الرعاية والعتاية والتربية ، حيث تمنحه دفاء المحبة والحنان الذي يحتاجه الطفل في صغره ، كما يكون لكلماتها الطيبة اللطيفة أثر في شخصيته ونفسيته ، إذ يمكن أن تزرع في نفسه قوة الشجاعة والثقة بالنفس والتشجيع ، وتدفع في قلبه الأمل والإقبال على النجاح والعمل ، وتنمي فيه خصال الصلاح والخير. وذلك كله إذا أحسنت المرأة اختيار الكلمات التي تغنيها للأطفال! ولا مفسدة في هذا الغناء - من حيث الأصل - ، وإذا كان للمرأة أن تبدي ما يظهر من زينتها للطفل الذي لا يدرك معنى "عورات النساء" ، فمن باب أولى أن يجوز لها بذل صوتها بالغناء والنشيد للأطفال! وفي نصوص الفقهاء شيء قريب من هذا التقرير: يقول الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" في معرض تعداد أنواع من الغناء المباح: "ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهدي" انتهى ويقول الأذرعي - من فقهاء الشافعية -: "وأما ما اعتيد عند محاولة عمل وحمل ثقيل ، كدعاء الأعراب لإبلهم ، وغناء النساء لتسكين صغارهم ، فلا شك في جوازه ، بل ربما يندب إذا نشط على سير أو رغب في خير ، كالدعاء في الحج والغزو ، وعلى نحو هذا يحمل ما جاء عن بعض الصحابة." انتهى . نقلاً عن "تحفة المحتاج". ولكن لا بد من الانتباه إلى بعض الضوابط والشروط التي تقيد ما سبق تقريره! أولاً: يجب أن تخلو هذه الأناشيد من أدوات العزف ، فالمعازف من المحرمات ، ولا يجوز استباحة سماعها وتربية الأطفال على نغماتها وأحانها! ولا يجوز أن تغني الفتاة البالغة أو تتشد للأطفال بحضرة الرجال الأجانب ؛ فضلاً عن تسجيل ذلك وحفظه بالوسائل المعروفة حديثاً ، ونشره بين الناس ، لأنه إن جاز للطفل استماع غناء المرأة ، فلا يجوز للرجل الأجنبي استماعه ، ولا يجوز للمرأة أن تتساهل في ذلك ، فقد حذر الله سبحانه وتعالى أظهر النساء وأعف الزوجات زوجات النبي صلى الله عليه وسلم عن الخضوع في القول فقال: (يا نساء النبي لسنن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) ، وإذا تذكرنا أن هذا النهي عن الخضوع بالقول كان في زمن خير البشر بعد الرسل والأنبياء وهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، فكيف هو الحكم في زماننا الذي كثر فيه الفساد والانحراف. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: (أي: لا تلتن القول. أمرهن الله أن يكون قولهن جزلاً وكلامهن فصلاً ، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين ، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه ، مثل كلام المربيات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا. قوله تعالى: (وقلن قولاً معروفاً) قال ابن عباس: (أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة في القول ، من غير رفع صوت ، فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام ، وعلى الجملة فالقول المعروف: هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس." انتهى. وبهذا يتبين خطأ ما ينتشر اليوم في بعض الفضائيات من غناء ونشيد تقوم به بعض الفتيات البالغات بزعم أنه موجة للأطفال ، فإن عرض مثل ذلك على الملأ دعوة لاستماعه والفتنة بجمال الصوت والحنن. وفي ذلك خروج عن الضوابط التي سبق ذكرها ، فلا يجوز لمن يعمل في هذه الجهات أن ينشر أو يبيع أو يصدر تسجيلاً لفتاة بالغة تشد وتغني - ولو كانت كلمات نشيدها صالحة طيبة - ، إذ في ذلك مخالفة لما أمر الله تعالى به النساء من عدم الخضوع في القول ، وأي خضوع

أعظم من خضوع النشيد والغناء ، وما فيه من التلحين والتمطيط والترقيق كافٍ في التأثير في قلب كل مستمع ، وغالباً ما يؤدي مثل هذا التساهل إلى تساهل أخطر ، فينتقل الأمر إلى النشيد والغناء للرجال البالغين وبحضورهم! على أننا نشير هنا أيضاً إلى أن ما ذكرناه من التخفيف في التستر على الأطفال ، إنما هو في حق الطفل الصغير الذي لا يميز مفاتن المرأة ، ولا ينتبه إلى ذلك منها كما قال الله تعالى في وصفهم: (أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ). قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله - في تفسيره: (أي: الأطفال الذين دون التمييز ، فإنه يجوز نظرهم للنساء الأجانب ، وعلل تعالى ذلك ، بأنهم لم يظهروا على عورات النساء ، أي: ليس لهم علم بذلك ، ولا وجدت فيهم الشهوة بعد ودل هذا ، أن المميز تستتر منه المرأة ، لأنه يظهر على عورات النساء". انتهى. وقال ابن العربي رحمه الله - في أحكام القرآن: (وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي وُجُوبِ سِتْرِ مَا سِوَى الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ مِنْهُ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: لَا يَلْزَمُ ؛ لِأَنَّهُ لَا تَكْلِيفَ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ الصَّحِيحُ! وَالْآخَرُ: يَلْزَمُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَشْتَهِي ، وَقَدْ تَشْتَهِي هِيَ أَيْضًا ؛ فَإِنَّ رَاهِقَ فَحْكُمَهُ حُكْمُ الْبَالِغِ فِي وُجُوبِ السِّتْرِ وَلِزُومِ الْحِجْبَةِ". انتهى. ولن يعدم من يقوم بمثل ذلك من حجج موهومة وأعداء واهنة ، فيقول بعضهم: ألم تغن الجوارى في منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد؟ وقد أقرهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبا بكر بالسماح لهما في الغناء؟ فالجواب أن يقال: إن الحق أحق أن يتبع ، وليس في شريعتنا إلا التحذير من إظهار الفتيات البالغات مفاتنهن على الملأ ، ومن ذلك الصوت الجميل المرقق ، أما هذا الحديث الذي ذكرتم ، فهو حديث صحيح يرويه البخاري ومسلم عن عائشة قالت: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنَ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلْتُ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ ، قَالَتْ وَلَيْسَتَا بِمُعْنِيَتَيْنِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبْمَرْمُورِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا! إِنْ أَنْ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ فِي تَفْسِيرِهِ إِنَّهُنِ جَارِيَتَانِ صَغِيرَتَانِ لَمْ تَبْلُغَا سِنَ الْبُلُوغِ ، فَهُمَا غَيْرُ مَكْلُفَتَيْنِ! يَقُولُ الْقُرْطُبِيُّ فِي "المفهم لما أشكل من صحيح مسلم": الجارية في النساء كالغلام في الرجال ، وهما يقلان على من دون البلوغ منهما" انتهى. ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان": "فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسمية الغناء مزار الشيطان ، وأقرهما لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل في يوم حرب بعثت من الشجاعة والحرب ، وكان اليوم يوم عيد! فتوسع حزب الشيطان في ذلك : إلى صوت امرأة جميلة أجنبية ، أو صبي أمرد صوته فتنة ، وصورته فتنة ، يُعني بما يدعو إلى الزنى والفجور وشرب الخمر ، مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث ، مع التصفيق والرقص ، وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأديان ، فضلاً عن أهل العلم والإيمان ، ويحتجون بغناء جويريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوه ، في الشجاعة ونحوها ، في يوم عيد ، بغير شجاعة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق ، ويدعون المحكم الصريح لهذا المتشابه ، وهذا شأن كل مبطل. نعم نحن لا نحرّم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الوجه ، وإنما نحرّم - نحن وسائر أهل العلم والإيمان - السماع المخالف لذلك". انتهى. وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "صوت المرأة نفسه ليس بعورة ، لا يحرم سماعه إلا إذا كان فيه تكسر في الحديث ، وخضوع في القول ، فيحرم منها ذلك لغير زوجها ، ويحرم على الرجال سوى زوجها استماعه لقوله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنِ قَوْلًا مَعْرُوفًا)". انتهى. ويمكن الاستغناء عن نشيد الفتيات البالغات إذا بقيت

الحاجة لنشر النشيد على القنوات الفضائية - بنشيد الأطفال أنفسهم ، ينشد بعضهم لبعض ، فيؤخذ من أصواتهم الجميلة ما يقوم مقام نشيد النساء ، فيتحقق المقصود وينتفي المحذور إن شاء الله تعالى! والخلاصة أنه لا حرج على الفتاة البالغة من الغناء والنشيد للأطفال بثلاثة شروط: أولاً: أن تكون كلمات الغناء والنشيد كلمات مباحة أو كلمات خير وصالح! وثانياً: ألا يصحب ذلك شيء من أدوات العزف إلا الدفوف! وثالثاً وأخيراً: ألا يكون ذلك بحضرة الرجال الأجانب ، ولا يُنشر شيء من ذلك نشرًا عاماً ، من خلال الفضائيات ونحوها! هـ. ومسك الختام في هذه المسألة للفقيه المتبحر الشيخ خالد عبد المنعم الرفاعي ونورد السؤال من صاحبه بنصه ، ونورد الجواب بغير تصرف! (السؤال: أنا منشدة فلسطينية ، أنشد أناشيداً وطنيةً عن وطني حبيبي الذي لم أره يوماً. فهل النشيد بزيّ مُلتزمٍ أمام جمهور الرجال والنساء حرام؟ علماً بأنّي لا أنشد أمام الرجال إلا ما ندر. ولكني أشعر بتأثرهم. الإجابة: إن الأصل أن صوت المرأة ليس بعورة ، ولا يَحْرُمُ سَمَاعُهُ ما لم يصاحبه تليين وترقيق وتمطيط وتكسير وأمن الافتتان به ؛ لقوله تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} ، ولا شك أن ترقيق الصوت وتنغيمه بالأناشيد وترجييعها أبلغ في إثارة الفتنة وإيقاظ الغرائز من مجرد الخضوع في القول. قال أبو حامد الغزالي في "الإحياء": "وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة ، فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ، ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة. وللأستاذ سيد قطب كلام ممتع ذكره في الظلال - عند قوله تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} يقول: "ينهاهن حين يخاطبن الأعراب من الرجال أن يكون في نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال ، ويُحرِّكُ غرائزهم ويُطمع مرضى القلوب ، ويُهيج رَغَائِبَهُمْ! وَمَنْ هُنَّ اللواتي يُحذَرهن الله هذا التحذير؟ إنهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأمّهات المؤمنين اللواتي لا يطمع فيهن طامع ، ولا يرفأ عليهن خاطرٌ مريضٌ ، فيما يبدو للعقل أول مرة ، وفي أي عهد يكون هذا التحذير؟ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصفة المختارة من البشرية في جميع الأعصار. ولكن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول ، وتترقق في اللفظ ، ما يُثيرُ الطَّمَعُ في قلوب ، ويُهيجُ الفتنة في قلوب ، وأن القلوب المريضة التي تُثارُ وتطمع موجودة في كل عهد وفي كل بيئة ، وتجاه كل امرأة ، ولو كانت هي زوج النبي الكريم ، وأم المؤمنين. وأنه لا طهارة من الدنَس ، ولا تَخْلُصُ من الرَّجَسِ حتى تَمْتَنعَ الأسباب المثيرة من الأساس. فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش اليوم فيه ، في عصرنا المريض الدنَسِ الهابِطِ ، الذي تهيج فيه الفتن وتثور فيه الشهوات ، وترَفُ فيه الأطماع؟ كيف بنا في هذا الجو الذي كل شيء فيه يُثيرُ الفتنة ، ويُهيجُ الشهوة وينبه الغريزة ، ويوقظ السُّعَارَ الجِنْسِيَّ المحموم؟ كيف بنا في هذا المجتمع في هذا العصر في هذا الجو ، ونساء يَتَخَنَّنْنَ في نَبْرَاتِهِنَّ ، وَيَتَمَيَّعْنَ في أصواتهن ، ويجمعن كل فتنة الأنثى ، وكل هِتَافِ الجنس ، وكل سُّعَارِ الشَّهْوَةِ ثم يطلقته في نبراتٍ وندماتٍ! وأين هن من الطهارة؟ وكيف يمكن أن يَرفَأَ الطُّهرُ في هذا الجو الملوَّثِ ، وَهُنَّ بذواتهن وحركاتهن وأصواتهن ذلك الرجس الذي يريد الله أن يذُهبَهُ عن عِبَادِهِ المُخْتَارِينَ؟ {وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}. نهاهن من قبل عن النَّبْرَةِ اللينة واللهجة الخاضعة ، وَأَمْرَهُنَّ في هذه أن يكون حديثهن في أمور معروفة غير مُنْكَرَةٍ فإن موضوع الحديث قد يُطمع مثل لهجة الحديث. فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحنٌ ولا إيماءً ، ولا هَدْرٌ ولا هزل ، ولا دُعَابَةٌ ولا مزاح ؛ كي لا يكون مدخلاً إلى شيءٍ آخر وراءه من قريب ولا بعيد". انتهى. لذلك ؛ فإننا نرى أنه لا يجوز للمرأة أن تُنْشِدَ أمام الرجال

الأجانب ، ولا يجوز لهم هم الاستماع إلى إنشادها ، سواء كانت الأناشيد وطنية أو غيرها ؛ لأن  
علة التحريم موجودة في أصل الإنشاد).هـ. وإذن فمن أراد الرد على هذه الاستشهادات وتلكم  
البراهين وهاتيكم الأدلة ، فليكن رده على العلماء والفقهاء الذين أوردت كلامهم! أما النسوة  
اللاتي انتقدت تصرفاتهن وقراءتهن للقرآن على هذا النحو ، فأقول بصدق: ارجعن فقد أدبتن!

ارجعن عن هذا السبيل الدون  
فاطرحن يا أخوات كل ذنبة  
كم زين الشيطان ألوان الهوى  
كم زخرف التغريب أسباب الخنا!  
والجاهلية كم أزاحت مبدأ  
وكم استجابت للتحليل أنفوس!  
وكم استهانت بالشريعة عادة  
جهلت نصوصاً ما أجل وضوحها  
وترخصت حتى ثبرر ما أتت  
وتبتلت حتى تُشرعن خزيها  
تعس النقاب إذا بدت قسامتها!  
ما الستر إن غدت المحاسن فتنة  
ما قيمة الجلباب يُظهر ما اختفى  
قالت: أعلم أمّة قرآنها  
أوما كفاك فطاحل كم علموا  
وأراك مططت الحروف تكلفاً  
وأراك أشبعت المودود تصنعاً  
وأثارت القفشات أحقر شهوة  
الضرب بالخالخال بات محرماً

هو درب أهواء ، ودرب فتون  
إن السقوط ممهّد لمنون  
ودهي اليقين مروجاً لظنون!  
وله لضرب الدين شرّ فنون!  
ليسود بين الناس كل مجنون!  
فغدا تخلها كما (الأفيون)!  
باعث مقاطعها لكل خؤون!  
وتذرعت بالباطل الملعون!  
بالشكل ما انتصرت ولا المضمون!  
وتبخترت صافاً بكل جنون  
والحسن في الشاشات غير مصون  
خضعت لكل وسائل التزيين!؟  
من رؤس وذوائب وبطون!؟  
فكتاب رب الناس خير معين!  
وتفنونوا في الحبك والتحسين!؟  
وأجذت كل طرائق التلحين!  
كلميتها والفرق بعد اللين  
وأثار من يهواه كل سُكون  
هل فيه يا عقلاء أي رنين!؟

لكن يُفصّل ما اختفى من زينة  
وبريء القرآن من هذا الصدى  
وتقول أخرى بانفعال باهت:  
آسى على أمجاد أمتنا التي  
ودموع إنشادي تُخفف صدمتي  
يا هذه ، الغايات ذي ما بررت  
وتقول ثالثة: أنصح من غوث  
وأسوق نصحي في صراحة نبرة  
ونقول: يا هذي الشريعة خذت  
ما النصح في سر كنصح في الملا  
وتقول رابعة: أطبّب حسبة  
دكتورة يبدو مَحَيّاها الدوا  
والطبّ محراب الضراعة والهدى  
وكتبت في العنوان (خاص بالنساء)  
ما للرجال يطالعون بضاعتي  
ونقول: يا هذي كفاك تحايلاً  
أوما قرأت رذيل تعليقاتهم  
فمراهق يحزيك ألقاب الهوى  
وشويعر أبياتّه تُزجي الصدى  
ولقد كُفيت ، فأقصري واسترشيدي  
وتقول خامسة: أوصّف طبخة

ما بالنا بترنم ملحون؟!  
ذي فتنة مزجت ببعض لحون  
إني أنشد في جوى وشجون!  
ضاعت من الإفراط والتوهين!  
والخزن مرتصداً يلفّ جيني  
ما تصنعين بحرقاة وأنين!  
حتى تُفَيّق من العذاب الهون!  
تأوي إلى التوضيح والتبيين!  
من أن تكوني سلعة لعيون  
فتنبهي ، ما الشيخ مثل التين!  
ما الشأن بالمفروض والمسنون؟!  
ويثير مرآها جميل حنين  
هذي المقولة حُجّتي ويقيني  
وأخذت عهدي ، ثم سقت يميني  
بخفي إرب في القلوب دفين؟!  
فالحكم لا للطب ، بل للدين!  
ما بين مُفتتن الحجا وحرون!  
ومغازل شجواه كالمسكين!  
متستراً بقصيده الملسون!  
لا تجهري بجسدالك المسكين  
وأشير كيف صناعة (الفزلين)!

وأبِينُ التَّصْنِيعِ رَاجِثٌ سُوقَهُ  
وأوضَحُ التَّغْسِيلِ يُتَحِيفُ بَيْتَنَا  
والعُذْرُ مُلْتَمَسٌ لِلْبَسِّ فَاضِحٌ  
ونَقْوَلُ: وإيْمُ اللَّهِ هَذَا خِسَّةٌ  
يا هؤلاءِ ارْجِعْ عَنِ هَذَا الْبَلَا  
أوليسِ مِنْ زَوْجِ يَغَارٍ تَعْبِداً  
أوليسِ مِنْ شَيْخِ كَبِيرٍ قَبِيلَةٍ  
أوليسِ مِنْ أَبٍّ يُرَاجِعُ بِنْتَهُ  
أوليسِ مِنْ أَخٍّ يَهَيِّبُ بِأَخْتِهِ  
أوليسِ مِنْ أُمَّ تُنَاصِحُ بِنْتَهَا  
أوليسِ مِنْ ابْنِ يُوعِي أُمَّه  
لِلْهَمِّ فَاشْهَدْ أَنْ هَذَا غَضَبِي  
تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمَ قِيَامَةٍ  
وَتُؤَمِّلُ التَّغْيِيرَ يُدْرِكُ نَسْوَةَ  
أنا شاعرٌ أدعو إلى دينِ الهدى  
فأقبلْ إلهَ النَّاسِ زَفْرَةَ شَاعِرٍ  
أجري عليك ، ونصُّ شِعْرِي شاهدي  
فانفعْ به مَنْ طَالَعُوهُ لِيَهْتَدُوا

هَذَا أَخْصُ مَعَارِفِي وَشَوْئُونِي  
وأشِيرُ لِلتَّنْظِيفِ وَالتَّصْبِيبِ!  
أنالي على هَذَاكَ بضعِ سنين!  
تتدُّ الحيا بالمنطق المأبون!  
واطرحن طوعاً خدعة التلويين  
ويخافُ سُؤْلَ اللَّهِ يَوْمَ الدينِ؟!  
مُتَدَيِّنَ عَفِّ الْفَوَادِ رَزِينِ؟!  
ذي صَوْلَةٍ - تحمي الذمار - مكين؟  
أن لا تُرَاحَ فِي السَّبِيلِ الدُّونِ؟!  
وتسوقُ وعظ سِنِيَّهَا السَّتِينِ؟!  
بمصيرِ فعلِ هَازِلٍ ومُشِينِ  
صِيعَتْ بِشَعْرٍ صَادِقٍ مَوزُونِ  
وتُقِيمُ حُجَّةَ حَائِرِ مَحْزُونِ  
كي يَنْتَفِعَ بِسِرِّهِ المَكْنُونِ!  
أرجو الحياة بشِعره الميمون!  
يبكي الرشادَ بِشِعره المَغْبُونِ!  
والمحتوى مُتَوَشِّحٌ بِالسَّلِينِ!  
بالكاف أمرك - سَيِّدِي - والنون!

## إقبال شاعر الزهد!

(كان لي ولغ كبير بشاعر الباكستان محمد إقبال! وكان لي شرف قراءة أغلب ديوانه ، وقمت بدراسة الكثير من كتبه وآرائه! فألفيته بحق شاعر الزهد والحكمة! وكأني به يُعيد لنا أشعار أبي العتاهية والمعرّي بنفس حضاري معاصر! ورأيت أن أحصه - قبل موتي - بقصيدة هي من بعض حقه علينا! ذلك الشاعر المحترم الذي لم تصرفه عُجمته عن أن يطلع على تراث العرب ومآثرهم! حتى خرجت أشعاره ترجمة لما يُعانيه العرب! ففي بعض القضايا كان عربياً أكثر من العرب أنفسهم! الشاعر محمد إقبال (9 نوفمبر 1877 م - 21 أبريل 1938م) ، شاعر وفيلسوف باكستاني بارز ، أما والده فهو إقبال بن الشيخ نور محمد (يكنى بالشيخ تنهو ، أي: الشيخ ذي الحلقة). ولد في سيالكوت - إحدى مدن البنجاب الغربية! يعود نسب إقبال إلى أسرة برهمية الديانية ؛ إذ كان أسلافه ينتمون إلى جماعة من اليانديت في كشمير ، إلا أن أحد أجداده اعتنق الإسلام في عهد السلطان زين العابدين بادشاه (1421 - 1473م) قبل حكم الملك المغولي الشهير (أكبر) ، ونزح هذا الجد إلى سيالكوت التي نشأ فيها إقبال ودرس اللغة الفارسية والعربية إلى جانب لغته الأردية. سافر إقبال إلى أوروبا ، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ في ألمانيا! وعاد إلى وطنه ولم يشعر إلا بأنه خلق للأدب الرفيع ، وكان وثيق الصلة بأحداث المجتمع الهندي ، حتى أصبح رئيساً لحزب العصبة الإسلامية في الهند ، ثم العضو البارز في مؤتمر الله أباد التاريخي ، حيث نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس ، ورأى تأسيس دولة إسلامية اقترح لها اسم باكستان ، توفي في 1938 م بعد أن اشتهر بشعره وفلسفته وزهده ، غنت له أم كلثوم إحدى قصائده وهي (حديث الروح). بدأ محمد إقبال تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه ، ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت وفي السنة الرابعة من تعليمه ، رأى أبوه أنه يجب عليه يتفرغ للعلم الديني ، ولكن أحد أصدقاء والده وهو الأستاذ مير حسن لم يوافق ، وقال: " هذا الصبي ليس لتعليم المساجد وسيبقي في المدرسة وانتقل إقبال إلى الثانوية ؛ حيث كان أستاذه مير حسن يدرس الآداب العربية والفارسية ، وكان قد كرس حياته للدراسات الإسلامية. بدأ إقبال في كتابة الشعر في هذه المرحلة المبكرة ، وشجّعه على ذلك أستاذه مير حسن ، فكان ينظم الشعر في بداية حياته بالبنجابية ، ولكن السيد مير حسن وجهه إلى النظم بلغة الأردو ، وكان إقبال يرسل قصائده إلى ميرزا داغ دهلوي الشاعر البارز في الشعر الأردو - حتى يبدي رأيه فيها ، وينصحه بشأنها وينقحها ، ولم يمضِ إلا فترة بسيطة حتى قرر داغ دهلوي أن أشعار إقبال في غنى تام عن التنقيح ، وأتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت ، ثم بدأ دراسته الجامعية باجتياز الامتحان العام الأول بالكلية الحكومية 1891م ، التي تخرج العبقرى فيها وحصل منها على إجازة الآداب 1897م ، ثم حصل على درجة الماجستير 1899 م ، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في الكلية الحكومية. وتلقى إقبال دراساته الفلسفية في هذه الكلية على يد الأستاذ توماس أنولد ، وكان أستاذاً في الفلسفة الحديثة وفي الآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة لندن. وبعد أن حصل إقبال على الماجستير عُين عميداً للعربية في الكلية الشرقية لجامعة البنجاب ، وحاضر حوالي أربع سنوات في التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد والسياسة ، وصنف كتاباً في «علم الاقتصاد» ولم يصرف التدريس محمد إقبال عن الشعر ، بل ظل يشارك في محافل الأدب وجلسات الشعر، والتي يسمونها في شبه القارة (مشاعرة). غادر إقبال لندن إلى القارة الأوروبية وزار عدداً من بلدانها ، وكان في كل أسفاره يعمل على نشر الإسلام ، وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين ومنهم موسوليني حيث

وجه له دعوة عقب مشاركته في مؤتمرات المائدة المستديرة في لندن عامي (1930 - 1931م) وكان منظم الزيارة الدكتور سكاربا حيث كان معجباً بفكر إقبال وإيمانه بالإنسان وقدراته ، وذهب بالفعل إلى إيطاليا والتقى بموسوليني ، وألقى محاضرة في روما يبين فيها الفرق بين مذهب كل من الحضارة الغربية والشيوعية والحضارة الإسلامية. ووضح فيها رأيه حول أسباب تخلف المسلمين ، وأن من أهم أسباب هذا التخلف هو البعد عن دينهم ، وذكر الناس بماضي المسلمين وحضارتهم ، ثم زار إقبال إسبانيا في عام 1932م بعد أن حضر مؤتمر الدائرة المستديرة الثالث وحرص على مشاهدة المعالم الإسلامية هناك ، فزار بعض المدن الأندلسية السليبية ، وها هو يقف أمام جامع قرطبة ، وقفة مسلم مؤمن موحد ، أنشد قصيدة طويلة ، قال في مطلعها:-

لحورية الغرب وجه جميل      وجناتها آذنت بالريحيل  
على العين والقلب كن ذا حذر      سماؤك فيها جمال القمر

ويقصد بحورية الغرب هنا قرطبة. كتب إقبال أشعاراً كثيرة يحث المسلمين منذ أول نشوئه الفكري والشعري ، وجاء في ديوانه (صلصلة الجرس) قصيدة ترجمها الشاعر المصري الصاوي شعلان تحت عنوان: (شكوى وجواب) شكوى ، وتبدأ الشكوى بكلمة حديث الروح ، ولذلك سميت أغنية أم كلثوم لأبيات مختارة من القصيدتين باسم (حديث الروح) للشاعر المحترم الكبير محمد إقبال:-

نسيمك عذب رقيق الهبوب      أيا جامعاً فيك جمع القلوب  
أيا جامعي خصني بالنظر      أنا المؤمن الحق فيمن كفر

وقصيدة شكوى وجواب شكوى يضعها بعض الباحثين بين روائع الأدب العالمي ، وألقى شاعر الإسلام في مدريد محاضرة بعنوان: (العالم الفكري للإسلام وأسبانيا) ، ومما قاله في قصيدة شكوى التي ذاع سيطها في الشرق والغرب ، وأنشدها منشدون كثيرون. وترجمت للغات شتى:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسد      مك فوق هامات النجوم منارا  
كنا جبلاً في الجبال ، وربما      سرنا على موج البحار بحارا  
بمعابد الإفرنج كان أذاننا      قبل الكتائب يفتح الأمصارا

إلى أن ختم قصيدته الجميلة الرائعة هذي ، بقوله مفتخراً بإسلامه ، ومعتزلاً بإيمانه بالله تعالى:

أنا أعجمي الدنّ لكن خمرتي      صنغ الحجاز وكرمها الفينان  
إن كان لي نغم الهنود ولحنهم      لكن هذا الصوت من عدنان

زار إقبال أفغانستان على إثر دعوة وجهها له نادر شاه ملك أفغانستان ومر في إحدى رحلاته على مصر ، وقابل بعض شبابها وأعجب بشاب مصري ، ويقول: إن الشاب فرح جداً عندما علم أن إقبال مسلم ويقرأ القرآن ، وقيل: إن إقبال لبس الطربوش بسبب المحادثة التي دارت بينه وبين هذا الشاب ، ويذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي أنه زار فلسطين في سنة 1931م ، وكان مما قاله وهو في فلسطين وهو العاشق لها وللمسجد الأقصى ، رغم كونه مسلماً عجمياً:

ولما نزلنا منزلاً ظلّه الندى أنيقاً وبستاناً من النور حالياً

أجد لنا طيب المكان وحسنه مني فتمنينا فكنتم الأمانيا

ونجده هنا يتمنى أن يحط الرحال ويظل في بلد القدس وأرض مهبط الرسالات ، ومن أقواله في افتتاح المؤتمر الإسلامي العام عام 1931 م «على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله ، أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى». في ألمانيا نال الدكتوراه على بحث له بعنوان: «تطور الغيبيات في فارس». عقب عودته من ألمانيا التحق بمدرسة لندن للعلوم السياسية ، وحصل منها على إجازة الحقوق بامتياز. عاد إقبال إلى شبه القارة في شهر يوليو 1908م ، بعد أن قضى مدة في أوروبا ما بين دراسات علمية وزيارات لدول عربية وإسلامية ، وأفادته هذه المدة في التدريب على منهج البحث والإلمام بالفلسفة الغربية - ومكث في لاهور ، وقدم طلب لتسجيله محامياً لدى القضاء الرئيسي ، وتم تسجيله بالفعل ، ولكن في مايو 1909م عُيّن أستاذاً في الفلسفة في كلية لاهور ، ولم توافق المحكمة في أول الأمر على أن يتولى منصبين في الحكومة ، ولكنها في نوفمبر 1909م وافقت على تعيينه ، وصدر قرار تحت عنوان: "الموافقة على تعيين محامٍ في المحكمة كأستاذ مؤقت في كلية الحكومة ، وكان ذلك استثناءً لإقبال ، وهذا يصور لنا مدى أهمية إقبال ومكانته في البلاد. استمرت هذه الثنائية حوالي عامين ونصف استقال بعدها من العمل بالتدريس ؛ ليكون أكثر تفرغاً للمحاماة وممارسة القانون ؛ وذلك نتيجة لحبه لمهنة المحاماة والحقوق ، وكان يتابع المؤتمرات والاجتماعات التي كانت تعقدتها الجامعة ؛ حيث كان له دور واضح في إصلاح حالة التعليم في بلده في هذا الوقت. اجتمع المرض على إقبال في السنوات الأخيرة من عمره ، فقد ضعف بصره لدرجة أنه لم يستطع التعرف على أصدقائه بسهولة وكان يعاني من آلام وأزمات شديدة في الحلق ؛ مما أدى إلى التهاب حلقه ، وأدى بالتالي إلى خفوت صوته ، مما اضطره إلى اعتزال مهنة المحاماة ، وفكر في أن يقصد فيينا طلباً للعلاج إلا أن حالاته المادية لم تسمح بذلك ، وتدخل صديقه رأس مسعود ؛ حيث اقترح على يهوبال الإسلامية أن تمنحه راتباً شهرياً من أجل أطفاله الذين ما زالوا صغاراً وحدث ذلك بالفعل واستمر الراتب حتى بعد وفاة إقبال. كان من أولاده: ابنه آفتاب إقبال المحامي ورزق به من زواجه الأول وابنه أجاويد - القاضي بمحكمة لاهور العليا ، وابنته منيرة باتو وتزوجت في باكستان ، وهما من زوجته الثالثة ؛ حيث تزوج إقبال ثلاث زوجات ماتت إحداهن هي وابنتها بعد الولادة. وفي أثناء مرضه هذا واعتزاله المحاماة ماتت زوجته الثالثة في شهر مايو 1935م ، ثم مات صديقه رأس مسعود ، ولم يتوقف عن ممارسة نشاطه السياسي وعن التأليف وكتابة الشعر. في 21 أبريل 1938م وفي تمام الساعة الخامسة صباحاً توفي محمد إقبال ، فتأثرت بلاده بذلك فعطلت المصالح الحكومية ، وأغلقت المتاجر أبوابها واندفع الناس إلى بيته ، ونعاه قادة الهند وأدباؤها من المسلمين والهندوس على السواء ، ويقول عنه طاغور - شاعر الهند: "لقد خلفت وفاة إقبال في أدبنا فراغاً أشبه بالجرح المثخن الذي لا يندمل إلا بعد أمد طويل ، إن موت شاعر عالمي كإقبال مصيبة تفوق احتمال الهند التي لم ترتفع مكانتها في العالم". ترك إقبال ثروة ضخمة من علمه ، فمن آثاره: عشرون كتاباً في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والفكر وترك أيضاً بعض الكتابات المتفرقة وبعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه أو أمراء الدول ، ذلك إلى جانب روائعه من الشعر والتي كني بسببها (شاعر الإسلام) ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «ومن دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة ، وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين

عامًا من عمره». ومن مؤلفاته: تجديد التفكير الديني في الإسلام (ترجمه للعربية: عباس محمود). تجديد الفكر الديني في الإسلام (ترجمة ثانية للعربية: يوسف عدس). رسالة المشرق (بيام مشرق). زبور العجم (زبور عجم) والآن ماذا ينبغي ان نفعل يا أمم الشرق. الفتوحات الحجازية (أرمغان حجاز). صلصة الجرس (بانك درا). أسرار معرفة الذات (أسرار خودي). رموز بيخودي (أسرار فناء الذات). مسافر. جناح جبريل (بال جبريل). ضرب كليم (الكليم موسى عليه السلام). وكان قد تأثر بمدرسته في الأدب العربي عدد من الأدباء العرب الذين مزجوا بين الإسلامية والفلسفة وهم: مصطفى المنفلوطي ، أحمد أمين ، مصطفى صادق الرافعي ، عمر بهاء الدين الأميري وآخرون). ودخل على نادر شاه في كابل ، ونادر شاه كان ملك أفغانستان آنذاك ، وكتب رسالة إلى محمد إقبال يقول: أقدم إلينا أقدم إلينا ، فدخل محمد إقبال فخرج الأفغان أوفياً مؤلفاً في الشوارع يستقبلونه ، فأخذ - قبل أن يقابل الرئيس أو الملك - نسخة من المصحف وأعطاه وقال: يا نادر شاه! والله لن تلعو بشعب الأفغان حتى تأخذ هذه الوثيقة مأخذ الجد ، إنني أتيت بها لك من الله رب العالمين. يعني: أن هذا القرآن من الله تعالى! ويقول إقبال في مقام آخر: (أتيت إلى العرب فوجدتهم يتقاتلون ، وأتيت إلى الأتراك فوجدتهم يصبغون بالبويات أطراف الزجاج. أي: أصبحوا نجارين وخشابين ، وأتيت إلى الهنود وهم يبحثون على الخبز في الأسواق. ولكن ما وجدت من الأصناف من يحمل لا إله إلا الله للعالم ، فكل مشغول بخبزه وسيارته ووظيفته لكن ما وجد محمد إقبال جيلاً يحمل لا إله إلا الله ، على حد تعبيره! يقول إقبال: "رأيت في مدينة دلس عمارة طولها مائة وستة وخمسون دوراً. وهو مثلج الصدر متعجب ، ويقولون: في أمريكا أكثر من ألف مطار ، وفي أمريكا شوارع تحت الأرض لا يدري بها الذين فوق الأرض ، لقد فعل الغرب كل هذا ، ثم غفل عن الروح ، نعم ترك جانب الروح والإيمان. قال تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) ويقول: (بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ). وهذا حق مشهود ملموس! أما تركوا منهج الله؟ أما قلبوا في الحياة لما انحرفوا عن لا إله إلا الله؟ أما انتحر الكثير منهم؟ أما تفصمت عرى الأسر عندهم؟ أما فشا الربا؟ وأصبحت المرأة سلعة رخيصة في المنتديات والمسرحيات؟ أما أصبح الشعب هائجاً مانحاً فارغاً؟ أما أصبحت الآلة عندهم أعلى من الإنسان؟ أما أصبح الإنسان عندهم من العجلة يأكل وهو واقف كالآلة؟ أما أصبح عندهم العبد مبرمجاً يذهب ويأتي؟ أما أصبح الرخيص عندهم يعمل ولكن عليه الجنابة سنة كاملة لا يغتسل؟ أما أصبح الإنسان يبول واقفاً كالكلب أمام الملايين من الناس في الشارع؟ أما أصبح الكلب مقدساً معظماً؟ يقول إقبال الشاب المسلم المتمسك بإسلامه المعتز بإيمانه: "دخلت ألمانيا فأظلم قلبي ، وانطقت معالم الروح في نفسي ، ونسيت حلوة القرآن التي كنت أجدها في البنجاب ، لماذا؟ يقول متسائلاً لماذا؟! ثم يجيب على نفسه: لأن الفتاة العاهرة تجلس بجانبني على كرسي الدراسة ، وكأس الخمر على ماستي ، يعني: زميله يجعله على ماسة محمد إقبال ، وإلا فمحمد إقبال مؤمن ، فلذلك أتى وهو ثائر كالمصدوع ، متفجر الرأس ، وينذر الناس من هذه الحضارة الجاهلية ويقول: أيقظوا العالم أيقظوا الناس ، وجهوهم إلى الله رب العالمين". رحم الله الشاعر الكبير محمد إقبال ، وأسكنه فسيح جناته! وبارك الله في شعره وكتبه وأقواله ، ونفع بها من قرأ ونشر ونقد وترجم ، وقبض الله لإرث إقبال الفكري والثقافي والشعري من يهتم به ويسعى في نشره على أوسع نطاق ، ويترجمه بعدة لغات ليدرك غير الناطقين بالعربية من هو الشاعر الباكستاني محمد أحمد إقبال. وما دوره في إثراء الفكر الإسلامي في زمانه؟! إن شاعرنا الكبير محمد إقبال غني عن تعريفنا ومدحنا إياه بالشعر! ويكاد

المرء يقطع بأن شاعرية إقبال عالمية ، فليست مقصورة أو محصورة في شبه القارة الآسيوية.  
ولا في عالمنا العربي ، بل هو معروف عند الغرب كذلك بشعره الجميل وحكمته الصائبة العذبة!

مَن ذا يُضارِعُ في التنظير (إقبالا)؟!  
لم يُحَن هَامَتِه يَوْمًا لِمُجْتَرَم  
لم يرتض اللين والتطويغ عن رغب  
ففي (سيالكوت) كانت نشأة ظهرت  
مِن أن شِبلًا له مستقبلٌ غردٌ  
وإن رأيت قرى (البنجاب) سامرة  
وحلَّ ضيفاً على (الإفرنج) ملتمساً  
وناول الشَّعرَ إحساساً وعطفة  
وصاغ حِكمته شِعراً يذودُ به  
ولم يكن يرتجى بالشعر سفسطة  
ولو رأيت به الآداب مزهرة  
وشق درباً إلى عميق فلسفة  
وكان في (لندن) في العلم مدرسة  
وزارَ (قرطبة) ، وخصَّ مسجدها  
وخط عشرين من أسفاره شغفاً  
وعنه ألفَ أقوامٌ تراجمهم  
يا فارسَ الهند والبنجاب تهنة  
عليك من ربِّك الرحمن رحمة

أَمَّن يُبارِزُ - في الميدان - أبطالاً؟!  
لِذاك لاقى عذاباتٍ وأهوالاً  
حتى يُحققَ - في دنياه - آمالاً!  
فيها الأماراتُ كانت تُسعدُ الآلاً!  
يوماً يقودُ لنصر الحق أشبالاً!  
وإنَّ فيها له فخرٌ وإدلالاً!  
علومهم ، لم يكن يلقي لها بالاً!  
وبعدُ ناول أفكاراً وأقوالاً!  
وحوّل الشعرَ تطبيقاً وأفعالاً!  
بل ارتجى بالذي أملاه أعمالاً  
تثيله شرفاً يُرجى وإجلالاً!  
مُفنداً نصّها جلاً وترحالاً!  
وخرَجَ الفذ للإسلام أجيالاً!  
بالشعر فيه بكى عزاً وأطلالاً!  
بأن تُترجمَ تفصيلاً وإجمالاً!  
ووصَّفوا عنه عاداتٍ وأحوالاً  
على القبول أحبَّ الكلُّ (إقبالا)!  
سيُكملُ الجيلُ ما خطت إكمالاً!

## التيسُ المحظوظ!

(ناقشتُ من قبل مسألة الزواج بنية تحليل المطلقة لزوجها! وذلك في قصيدة: (التيس المستعار) وفي مقدمتها ذكرنا تحريم ذلك في الإسلام! واستطلنا في الأمر ، وانتصرنا لمبدأ تسمية هذا المحلل الملعون بالتيس المستعار! كما سماه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم! والتيس لا ينكح إلا نعجة! ولا نريد أن نكرر كلاماً طويلاً مسهباً ذكرناه هناك ونعيد كتابته هنا! ولكن أكتفي بقصة كانت سبب كتابة هذه القصيدة! والقصة حقيقية جاءت في الجرائد والمجلات! وذكرت الجرائد والمجلات المكان والزمان! ولكنني هنا ليس يعينني المكان ولا الزمان! وإنما يعينني فحوى القصة! وهي كما أسلفت قصة حقيقية حدثت في ديار عربية للأسف! يقول صاحب القصة: كنتُ مع ابنتي ذات الـ 13 سنة ، في أسواق مدينتنا ، وكنت أدفع عربة التسوق أمامي ، وفجأة ظهرت أمامي امرأة فارعة الطول قد بان جمالها من فتحات النقاب ، ووضعت رقم هاتفها على العربة أمامي ، واستغربتُ منها جداً ، لأن ملامحي ليست ملامح مراهق ، كما أنني متزوج وابنتي برفقتي! المهم أخذت الرقم ووضعت في جيبي! وبعد يومين وأنا أبحث عن فاتورة ما وجدت الرقم وتذكرت تلك المرأة ، فقادني الفضول لأعرف ماذا تريد مني! فلعلها تريد خدمة ما عجز عنها غيري ، وأستطيع أن أؤديها لها حسبة الله تعالى! فاتصلت بها فوراً – والنية عند الله تعالى - ، وردت علي وسألتنني (من أنت)؟ فقلت لها: أنا الرجل الذي التقيته في السوق برفقة ابنته! فتذكرتني وقالت: أنا معجبة بك! فقلت لها: أنا لست مراهق ، وأبلغ من العمر 42 سنة ، ومتزوج وعندي ولد وثلاثة بنات! قالت باختصار: أريد منك أن تتزوجني! قلت: لا أستطيع! فقالت: بل أريد منك موعداً في مطعم ، كي أراك وأتحدث معك في موضوع الزواج بتفصيل أكثر. فرفضت طلبها على الفور! فقاطعتني وقالت: أنا لست مرافقة وأريدك بالحلال والشرع ، على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم! قلت لها: دعيني أفكر وأتصل بك لاحقاً! قالت لي: كم رقم حسابك في البنك؟ ثم فكر في الموضوع على راحتك. استغربت منها تطلب رقم حسابي. فقلت لها لماذا؟! قالت لي: أرسل الرقم ولا تزيد ثم أغلقت الهاتف! فقامت بإرسال الرقم ولم أكن أدري مطلقاً ماذا تريد مني! فوصلتني بعد ذلك رسالة منها تقول: أنا حولت في حسابك مائة ألف ريال عبارة عن مهري! إذا وافقت أن تتزوجني. فطلعت من البيت على الصراف الآلي المجاور للبيت! وذلك لأتأكد هل هي صادقة بأنها حولت لي في حسابي هذا المبلغ الكبير أم لا. فكانت المفاجأة أنها فعلاً حولت المبلغ في حسابي. فاتصلت بها وقلت لها: أنا فكرت واستخرت وأريد أن أتزوجك. قالت لي: يوم الخميس القادم ، تفضل عند أبوي واخطبني منه. ووصفت لي الحي الذي تسكن فيه ومكان منزلهم ، وفي يوم الخميس تشيكت ورحت حسب الوصف ، فوجدت أهلها في استقبالي ورحبوا بي وطلبت يد ابنتهم ، وطلبت منهم النظرة الشرعية ، فأدخلوني في (الملحق) التابع للمنزل ، وكانت البنت جالسة مع والدتها ، فرأيت امرأة هي أجمل مما تخيلت. المهم تكلمت معها وقلت لها: أريد وقتاً لكي أمهد لزوجتي ، وأخبرها بأنني عازمت على أن أتزوج عليها ، فاعترضت على كلامي بشدة وقالت: لا تخبرها بتاتاً بأمر زواجك ، ولا تحمل هم هذا الموضوع. وقامت بتحديد يوم الزفاف ، وهو بعد أسبوعين. وطلبت مني أن أطلب إجازة من عملي لمدة شهر ، وأقول لزوجتي بأن العمل انتدبني لمدة شهر في مدينة أعينها ، وقالت لي: جدد جواز سفرك ، قم بعمل تأشيرة كذلك ، لأن شهر العسل سوف يكون في سويسرا. وتم الأمر على مرادها وعلى ما خططت! وصار حفل الزواج ، وكان مختصراً جداً في بيت أهلها ، ثم سافرنا في نفس الليلة ، وجلسنا في سويسرا 16 يوماً فقط ، وطلبت مني بأن نعود إلى ديارنا! فقلت لها: أنا أخبرت

زوجتي بأني منتدب شهراً كاملاً ، وليس 16 يوماً يا بنت الحلال. قالت لي: ابحث عن عذر ، وقل لها: انتهى الانتداب قبل الوقت المحدد. وصلنا الديار. وأنزلتها في بيت أهلها. وقالت لي: اذهب لزوجتك وأبنائك ، واجلس معهم بالبيت ، وسوف أتصل بك لاحقاً. وبعد 3 أيام اتصلت بي بعد صلاة الظهر وقالت: إذا خرجت من البيت بعد صلاة العصر اتصل بي ، فإنني أريدك في أمر ضروري. قلت لها: هل أجيبك الآن حالاً؟! فقالت: لا ، وإنما بعد العصر أخبرك بالموضوع! والمهم جلست 3 ساعات على أعصابي حتى حانت صلاة العصر. وبعد خروجي من المسجد اتصلت بها فوراً. فردت علي وهي تضحك وقالت: شيك على حسابك في البنك ، لقد حولت لك (100) ألف ريال أخرى ، فرحت فوراً على للبنك ، ووجدت المبلغ فعلاً في حسابي. فاتصلت بها وشكرتها على كرمها معي. فقاطعتني وقالت: أريد منك طلباً بسيطاً. فقلت لها: تفضلي. قالت: (أريدك أن تطلقني)! فتفاجأت وقلت لها: هل تمزحين؟ أم أنك صادقة في طلبك؟ قالت: لا والله صادقة. فقلت لها: هل جاء مني تقصير أو إخلال! إن الأمور تسير كما تشتهين ووفق ما تريدين وتخططين! والأمور كلها غموض في غموض ، وأنا أسير فيها على هواك لا إرادة لي في قليلها ولا كثيرها! هل بدر مني معصية لله أو مخالفة لأوامرك أو شيء من هذا القبيل؟ فقالت: لا والله ، نعم الرجل أنت! ولكن أنت استلمت قيمة زواجك ، واستلمت قيمة طلاقك ، وأنا أريد منك أن أنت تطلقني ، ليعود لي زوجي السابق! وعقبت: أرجو الله تعالى أن تكون الرسالة قد وصلت والدرس قد فهم! ودعت لي قائلة: دمت في حفظ الله وأمنه! جاء في (إسلام ويب) سؤال وجوابه: (السؤال: ما معنى كلمة أو وصف الرجل بالتيس في الإسلام؟ الإجابة: جاء في الشرع وصف الرجل الذي يتزوج المرأة المطلقة ثلاثاً ليحلها لزوجها الأول جاء وصفه بأنه تيس مستعار كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم وغيرهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال هو المحلل. ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: لعن المحل والمحلل له. فإن كان السائل يعني الحديث ، فإن التيس في اللغة هو الذكر من الطيأ والمعر والوعول إذا أتى عليه سنة ووجه الشبه بين التيس وبين المحلل ما ذكره شيخ الإسلام حيث قال: فإن صاحب الماشية يستعير التيس لا لأجل الملك والقتية ، ولكن لينزيهه على غنمه فكذلك المحلل لا رغبة للمرأة ووليها في مصاهرته ومناكحته واتخاذه ختناً وإنما يستعيرونه لينزوه على فتاتهم. انتهى. ووجه التشبيه بالتيس على وجه التحديد دون سائر الحيوانات كما جاء في شرح سنن الترمذي: أن الشهوة في التيس كثيرة فلما يفتر عن الجماع. انتهى. وأنا شيخنا المبارك ابن باز فقال عنه: نكاح التحليل ، يفعله من حرمت عليه زوجته بالطلاق المطلقة بعض الناس لضعف إيمانه وقلة خوفه من الله يتفق مع شخص آخر ليتزوجها ، الأخيرة الثالثة فإذا دخل بها ووطنها فارقها حتى يعود إليها زوجها الأول. وهذا هو النكاح الذي يسمى نكاح التحليل ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه لعن المحلل والمحلل له ، فالمحلل هو التيس المستعار هو الزوج الذي يطلب لتحليلها ، والمحلل له هو الزوج الأول المطلق ، فهذا نكاح باطل وحرام إذا اتفقا عليه بالتواطؤ وبالشرط اللفظي أو بالكتابة ، كل ذلك محرم للأحاديث التي جاءت في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له ، جاء في ذلك عدة أحاديث من وفي لفظ يروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ألا حديث ابن مسعود وأبي هريرة وغيرهما أتبنكم بالتيس المستعار؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: هو المحلل. لعن الله المحلل والمحلل له سمي تيساً مستعاراً ؛ لأنه جيء به للضراب ليس زوجاً ، وإنما جيء به ليدخل بها مرة يجامعها قال: فَإِنْ طَلَّقَهَا آخِرَ الثَّلَاثِ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكَحَ زَوْجًا مَرَّةً ثُمَّ يَفَارِقَهَا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

غَيْرُهُ ، فهذا المطلق الطلقة الثالثة لما رأى أنه لا حيلة له إلا بزواج وهو يريد لها وتريده زين لهما الشيطان هذا العمل السيء ، وهو الاتفاق مع شخص يسمى المحلل ، ويعطونه ما شاء الله من المال. فترضى به الزوجة رضاء مؤقتاً ليحلها لزوجها ، ولا تنظر في حاله ولا نسبه ولا أهليته في الغالب لأنه لا يهمهم إلا أن يدخل عليها مرة ثم يخرج وينتهي الأمر ؛ ليحلها للزوج الأول ، وهذا من أقبح الباطل ، ومن أعظم الفساد ، وهو زنا في المعنى؛ لأنه ما تزوجها لتكون زوجة لتعفه لتبقى لديه لتحصنه ليرجو منها وجود الذرية لا ، إنما جاء تيساً مستعاراً ليحلها لمن قبله بوطء مرة واحدة ، ثم يفارقها وينتهي منها ، هذا هو المحلل ، ونكاحه باطل ، ولا يحلها للزوج الأول).هـ. ويقطع النظر عن جواز ذلك أم لا ، هو تيس محظوظ على كل حال! وإذا كان لا يعلم بنية زوجته فهل يأتهم أو لا يأتهم ليس هذا مجال مقدمة القصيدة ، وإنما يُبحث في مظانه الفقهية! إنما كانت القصيدة عن المحلل للمرأة لتعود إلى زوجها الأول وأولادها. هو تيس محظوظ. ربح 200 ألف ريال ، وشهر عسل!

تَحْيَرُ فِكْرِي ، وَاسْتَبَدَّ بِي الْخَدْسُ وَشَطَبِي الظَّنُّ اشْتَكْتُ هَوْلَهُ النَّفْسُ  
 وَمَرَّتْ عَلَيَّ التَّفَكِيرُ أَعْتَى هَوَاجِسُ كَأَنِّي بِنَفْسِي قَدْ تَعَقَّبَهَا الْمَسْ  
 وَكَمْ فَاجَأْتَنِي قِصَّةٌ بَعْدَ قِصَّةٍ وَلَكِنَّ هَذَا خَطَّ حَبْكَيْهَا الْهُوسُ  
 وَدَقَّقْتُ إِسْنَادًا ، وَحَقَّقْتُ مَصْدَرًا أَسْأَلُ هَلْ أَبْطَلَهَا يَا تُرَى إِنْ س؟!  
 كَأَنِّي بَلِيلِي تَشْتَكِي الْحَالَ لَمْ يَطِبْ تَضَيَّقُ بِمَا تَلْقَى ، وَيَقْتَلُهَا الْبُؤْسُ  
 وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ سَوْرَةِ النَّفْسِ مَبْلَغًا وَتَشْكُو ضَرَانَهَا حَيْثُ طَلَقَهَا (قَيْس)!  
 وَدَاعَبَهَا طَيْفُ الرَّجْوِ لِقَيْسِهَا وَكَيْفَ وَقَدْ بَانَتْ ، وَسَرَبَلَهَا اللَّبْسُ؟  
 فَقِيلَ اقْصِدِي تَيْسًا ، وَضَحِّي وَأَحْسِنِي وَلَا تَعْجَبِي ، كَمْ حَلَّ مَشْكَلَةَ تَيْسٍ!  
 فَفَتَتْ وَدَارَتْ فِي مَحِيْطِ دِيَارِهَا تُفْتَشُ عَنْ تَيْسٍ ، فَأَلَمَهَا الْعَسْ  
 تُرِيدُ افْتِدَا (قَيْس) بِتَيْسٍ مُوَجَّرٍ وَجَدَّتْ سِرَاعًا لَا يُرَاوِدُهَا يَأْسُ  
 وَلَكِنَّ تَيْسَ الْحَيِّ لَيْسَ يَرُوقُهَا لَقَدْ يَفْضُخُ الْعَجَلَى وَيُودِي بِهَا الْوَكْسُ  
 فَقَالَتْ: أُرِيدُ التَّيْسَ مِنْ غَيْرِ دَارِنَا يَجُودُ بِهِ الرُّومَانُ إِنْ رَامُوا أَوْ الْفَرَسُ!  
 لَتَضْمَنُ أَنْ يَرْضَى وَيُنْفِذَ أَمْرَهَا فَلَا يَنْتَوِي خُبًّا يُرَافِقُهُ الْأَنْسُ  
 وَلَكِنَّ بَلَا جَهْرٍ يُودِي مُهْمَةً لَهُ فِي (سُوَيْسِرَا) الْحَبِّ وَالْوَدِّ وَالْمَسْ  
 وَمُدَّتْهَا شَهْرًا ، وَلَيْسَ يَزِيدُهَا وَمَكْفُولٌ الْإِجَارُ لَيْسَ بِهِ بَخْسُ

ريالاته قد أمّنت في حسابيه نعم خدّدت فيم التخرّص والحَدَس؟!  
وآلافها إن عَدّها مائة ، فهل يُراهن بعد الحصر ما خانها فلس؟  
وجاء العريسُ الشهم للأهل خاطباً وقال: ليلاكم أتى خلسة (قيس)!  
وزاد: ألا هل نظرة أكتفي بها لأدرك من (ليلى) ويبتشر الحُسن؟!  
رأنتي وما أبصرت يا ناسُ وجهها وما أدركت نفساه ما يحتوي الرأس  
فقالوا: أتت ليلاك في صحن ملحق فعابن لتلقاك اليراعة والطرس  
فعابنت (ليلى) والجمال يلفها وإما مشئت دف التبخُّر والميس!  
فوافقت محبوراً ، وتم زواجنا وقضيت أسبوعين يغبطني العرس  
غدا في (سويسرا) السعد والوعد والهناء وما حلّ بي كرب ، ولا زارني تعس!  
وعُدت لأهلي ، ثم عادت لأهلها وما بي ارتياب يُوغر الصدر أو وجس  
وفوجئت بالعصما تريدُ طلاقها وتُعطي كما أعطت فساورني الحيس  
فقلت: معاذ الله هل جئت منكراً هل انجرت نفسي ، وخامرها رجس؟  
فقالَت: يمينَ الله أنت مبرؤٌ ولمّا يُعكّر صيت زوجي أنا بخس  
تساميت صيتاً وانتساباً وسُمعة ولكنّه دورٌ يُؤديه مُنَدَس!  
جعلتُك بيني والحليل مُحالاً وبالعكس للأشياء يتضح العكس  
يقولون: تيسن مستعارٌ لعجبة وكيف يطيبُ الزرعُ إن خُبث العرس؟  
فكنتُ بكل الصدق أجودَ نعجةً وأنت لها يا صاحبي زوجها التيس  
وأعطيتُ أجرَ الدّور ، والبنكُ شاهدٌ كأنّي بهذا المال في بذله المكس!  
ومحظوظ التيسن المُحال زوجة تصدّق بعشر المال كي يذهب الهلس  
وأما أنا فالعودُ للزوج مَطمحي عسى أبصرتُ عيناك ، واتضح الدرس

## الرجولة لها معانئها!

(كان أحد الرجال يستعد للاحتفال بزواج ابنه الوحيد الذي وُلد بعد عشرين عاماً من زواجه كل الجيران يعلمون جيداً مدى حب الرجل لابنه وكيف. وكان مشغولاً للتحضير لهذا اليوم وهو يرى ولده عريساً! دعا جميع جيرانه لوليمة الغداء ، لكن جاره الملاصق لبيته لم يحضر ، ولم يشارك أحد منهم إلا الابن الأصغر ، حضر وبسرعة خرج من الوليمة بعد أن أكل منها القليل جداً! كان والد العريس يراقب المشهد ويتساءل: ما هذا الجار الذي لا يقف مع جاره في هذا الموقف؟ وما هذا الجار الذي لم يحضر أبوهم أو الولد الأكبر على الأقل؟ ولماذا أكل الولد الأصغر بهذه السرعة وغادر وترك الفرحة على الفور؟! ولهذا فالرجل أصابه الإنزعاج ، وخواطر كثيرة مرت على أفكاره! وبعد إكمال الوليمة بدأ المدعوون بالتأهب بإحضار السيارات لجلب العروس من بيت أبيها كما تجري عاداتهم! وفي تلك الأثناء جاء الابن الأصغر للجار بسيارته للمساهمة بزفاف العروسين! لكن والد العريس رفض بانزعاج شديد وقال له: لا نريد مشاركتكم ، عندنا سيارات كثيرة ، فسكت الولد ولم ينطق بحرف واحد! وفي تلك الأثناء لمح الأب حركة غير عادية وغريبة في بيت الجار! فأثناء فتح الباب عندما ركن الابن سيارته عند بيتهم ، وأراد أن يسأله ، ولكن تذكر موقفهم السلبي فتركه بعد العشاء وإكمال مراسيم الفرح! وبعد أن غادر جميع الحضور ، وإذ بجنائز تخرج من باب جاره من غير عويل ولا بكاء ولا ضجيج ، فسأل والد العريس من المتوفي؟ فرد عليه الابن الأكبر: إنه والدي توفي ظهر اليوم ، وعند شعوره بالوفاة ، وأوصانا بالحفاظ على الهدوء وعدم إظهار الحزن إذا وافاه الأجل لتكتمل فرحتكم بولدكم! وذلك لأنه يعرف مدى حبه لولدك الوحيد ، وأوصانا أن تخرج الجنائز بعد انتهاء الفرح حتى لا تتعكر فرحتكم! هنا وقعت الحادثة كالمصاعقة على والد العريس عندما ظن السوء بجيرانه ، وقال: والله لو كنت أنا ما فعلتها ، ولكن الرجولة لها معانئها ولا يفعلها إلا الرجال! وإذن فكان على هذا الجار صاحب العرس أن يستوتق ويتثبت ويتبين ، قيل إصدار الأحكام على الناس! يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)! يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له ، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر - كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه ، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين ، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر ، وقبلها آخرون لأننا أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال. وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري ، والله الحمد والمنة وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صدقات بني المصطلق. وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن ضرار ، والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها ، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا عيسى بن دينار ، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي يقول: قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاني إلى الإسلام ، فدخلت فيه وأقررت به ، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت: يا رسول الله ، أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته ، ويرسل إلي رسول الله رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبعث إليه ، احتبس عليه الرسول فلم يأت ، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله

فدعا بسروات قومه ، فقال لهم: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت ، فانطلقوا فنأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق - أي: خاف - فرجع فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ، إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي. فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البعث إلى الحارث . وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله. قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟". قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) إلى قوله: (حكيم). هـ. فلما طالعت هذه القصة المضحكة المبكية ، تأثرت بها فقمْتُ بصياغتها شعراً عنوانه جزء من كلام هذا الرجل! مبيناً أن الرجولة ليست ادعاءً بالقول أجوف ، بل هي أعمال وأفعال ، تنبئ عن صاحبها!

وصفوا الرجولة بالكلام الجافي	هي عندهم حكرٌ على الأرياف
لا والذي رفع السما لم يَعدلوا	فيما ارتأوا ، ونأوا عن الإنصاف
في كل صُقع نجدة ورجولة	لم يَخُلْ عالمناً من الأشراف
في كل قوم سادة وحثالة	وأخط ذلك دونما استتكاف
شتان بين الطلّ يَغشى أسطحاً	في بُقعةٍ ، والوابل الذرّاف!
كلا ، وما استويا ضياءً والدجى	يوماً ، وما استويت قرىً وفيافي!
سيظل فرقٌ بين رُشدٍ والهوى	كالفرق بين قوادم وخوافي!
جهزت عرسك ، والضيوف لقد أتوا	ومنأتهم ظهروا كما الآلاف!
كلُّ يُبارك ، والجُموعُ غفيرة	ونفوسُهم تُزجي سنا الإيلاف
والعرسُ زانثه الزخارفُ نسقت	تغشى السُّرادقَ بالجلال الضافي
والمعصياتُ نأتُ بكل صُنوفها	فناى الغنَاءُ بشرّه المتلاف
ونأتُ معازفُ تجتني أزكى الهنا	وتُصيّبُ بالأحزان خيرَ زفاف

والرقصُ زایلٌ عرسكم ، فإذا به  
ونأى اختلاط شانة مستهترّ  
وأبو العريس يلومُ جاراً ما أتى  
والعذرُ مُلتمسٌ لجارٍ مخلص  
حتى إذا جاء الصغيرُ نهرته  
وزجرته والناسُ تسألُ: ما أتى؟!  
وطردته طرداً يُشِينك في الورى  
لم تكثرُ بالحزن يلفح قلبه  
والعرسُ تمّ ، وأطفئت أنواره  
ومددت طرفك في الدجى مستعلماً  
فأريت قوماً يحملون جنازة  
فسألت: ما هذا؟ فقيّل: جنازة  
فسألت: من هذا؟ فقالوا: ميتٌ  
حضرتُ منيئُهُ ، فقال لأهله  
ليتم عرس ابنٍ وحيدٍ أوحدي!  
الحيُّ أولى من جنازة ميتٍ  
قولي الذي أشهرتُ خيرُ وصية  
والأهل قد صانوا وصية والدي  
وحضرتُ معتبراً بخير جنازة  
إن الرجولة لو علمت معادنُ

يؤوي الورى في سُوددٍ وطِراف  
ونأتُ نساءً جنن في الأفواف!  
ويُسائلُ الأقوامَ في استشراف  
والقومُ بين مُوافقٍ ومُنافي  
وكوى خواطره المقال الجافي  
ماذا هنالك من عتاب خافي؟!  
ولقد يُشِينُ أصاغرُ الأحلاف  
لم تعتبرُ بالمدمع الذراف  
والسعدُ غردَ في صميم شغاف  
وأزحت بعضَ السّرو والصّفصاف!  
والنعشُ يُرسلُ عُذره ، ويصافي  
تأوي إلى الأجداث في الأفياف  
هو جارك المسكين يا متجافي!  
لا تُخبروا أحداً من الأضياف!  
والدفنُ عبّرَ الليل في الإسداف  
هذا هدى الرنبالة الأسلاف  
ألقى بهاربي المليك الكافي  
صان الجوار ، وكان خيرَ مُكافي  
سُبحان من يُبلي الورى ، ويُعافي!  
والنصُّ خصّك بالدليل الوافي

## اللّقة تزيج النّمة!

(تقول إحدى السيدات: عشت وأنا صغيرة لفترةٍ مع جدتي التي لم تنل قسطاً كافياً من التعليم ولكن رزقها الله بدلاً من ذلك حكماً فطرية عجيبة وإيماناً عميقاً. كانت تمر بالبيت أحياناً ظروف اقتصادية صعبة مثلما يحدث في كثير من بيوت الناس لأي سبب (مثل ألا يستطيع خالي إرسال مال إليها). ولا أدري كيف كانت تدبر أمر البيت أثناء ذلك إلى أن تمر الأزمة بسلام. لكن في يوم من الأيام لا أنساه أبداً. مرت جدتي بأزمة طاحنة مفاجئة لم تكن في الحسبان. حيث نزلت إلى السوق لتشتري بعض الحاجيات فضاع منها كيس نقودها أو سرقه أحدهم. المهم أنه ضاع. فعادت إلى البيت ودخلت فوراً وهي شاردة نحو دولايب الملابس لتخرج آخر ما تبقى من نقود. ولا أنساها حين تسمرت وهي تنظر إلى الخمسين الباقية في البيت كله. وأمسكت بها لدقيقة كاملة تنظر إليها وكأن نهرًا من الأفكار والحسابات المعقدة يمر بعقلها. وظهرت لأول مرة في عيني المرأة القوية دموع الحيرة والعجز. ثم كأنها قررت حلاً مفاجئاً ، فالتفتت إليّ بحماس وتصميم تطلب مني أن أساعدها فيما ستفعله. لكن الذي طلبته كاد يصيبني بالجنون. لقد طلبت مني أن أنزل لشراء عشر بيضات وربع كيلو عدس. فظننت أنها ستطبخه لنا. ولكنها أخذت تطبخ العدس في استغراق وإتقان. وتصاعدت رائحته الجميلة لتغمر البيت. وسلقت البيض ، وسخننت بعض أرغفة الخبز. ووضعت بعض الملح والفلفل في ورقة صغيرة ، ثم أخذت كل هذا. ونزلت إلى الشارع. وأعطته لبعض الفقراء في الحي. فكدت أجن ، فقد نفذ ما عندنا من مال. وكدت أصرخ فيها: "على الأقل كنت تعطيني بيضة منها" وكأنها قرأت ذلك في عيني المذهولتين. فقالت في إيجاز وثقة كلمتين فقط: اصبري وسترين! فرجعنا إلى البيت قبيل العصر. ولم يكن أمامنا إلا أن ننام لبعض الوقت. لكننا استيقظنا على صوت طرق مزعج لباب البيت. فإذا بولدٍ ممن يبيعون في السوق يسألها: (كيس الفلوس هذا لك يا حاجة)؟ وكان سقط منها أمام محله ، ولما حاول اللحاق بها تاهت منه في زحمة السوق. ولأنه أمين فقد سأل الباعة حوله بعد نهاية السوق عن يعرف بيت السيدة التي مواصفاتها كذا وكذا والتي تأتينا كل أسبوع فأرشدته إحدى البائعات. ولم تمض ساعة. حتى ارتفع صوت طارق آخر. وإذا بصديق لخالي عاد من سفر ليعطينا ديناً عليه لخالي اقترضه منه قبل السفر مع هدايا وحلويات. يومها قالت جدتي: يا بنتي ، "اللّمة تزيج النّمة". كلما تضيق بك وتلاقي روحك متضايقاً. أطعمي فقيراً أو محروماً! فقلت لها ضاحكة: (كنا نطلع حاجة ثانية أحسن من العدس). قالت: العدس من الأكل الذي ربنا ذكره في القرآن الكريم. وكمان أنا أعطيه للناس لأنني أحبه. قدمي للناس من اللّمة التي تحبينها ، فإذا فعلت زادك الله من نعمه وفك كربك. وكبرت فيما بعد وعرفت وأدركت: (أنفق يا ابن آدم أنفق عليك!) ، وتعلمت قول الله تعالى: (وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خير الرازقين). وتعلمت أن صنائع المعروف تقي مطارق السوء.)

عطاؤك يا بُنية من كمالك  
وَجُودُكَ لَيْسَ يُنْقِصُ بَعْضَ مَالِكَ  
وظنك بالعطاء يجرُّ فقراً  
تَمَخُّضَ فِي الْحَقِيقَةِ عَنْ ضَلَالِكَ!  
فجودي عن رضاً وخبور قلب  
لَيْسَ فَرَّ جُودُكَ كَفَّكَ عَنْ دَلَالِكَ!  
رأيتُ الجُودَ يُتَحِفُّ كُلَّ فَضْلِي  
فجودي كي يُعبّرَ عن كمالك

وإن الجُود بـدُرّ ، فاسـتتيري  
وعِفي عن حرام ليس يُغني  
يُحبُّ الناسُ من يحنو عليهم  
فِعالكِ بالعطاء مَشَرَّفَاتِ  
ومَن تبذلُ تُصِيبُ بالبذل صِيتاً  
ولا تستتكي عن نفع قوم  
ومالي قد فقدتُ فقالتُ: أعطي  
وقلتُ: أجدُّ عِلَّ المالِ يأتي  
وأعددتُ الطعامَ أسُدَّ جوعاً  
فلَمَّا جُدتُ جاء المالُ يسعي  
وأعطينا المناتِ بدون كَدِ  
وبتَّ اليومَ تختالين زهواً  
ألا اعتدلي إذا ما السعدُ وافى  
خلالكِ زانهار ربِّ البرايا  
وحُبِّكِ للعطاء بشيرُ خير  
به شَرَّفَتِ نفساً بعد أهل  
ومَن نذرتُ لنجدتها عيالاً  
أراني بعد هذا العَرَضِ نشوى  
ومَن يُمسِكُ عن الفقراء مالاً

أليس البدرُ أكبرَ من هلاكك؟!  
لكي تستمتعي بسنا خلالك  
فرقي يُصبجون على مثالك!  
كأن الجود يُشرقُ في فعالك!  
أم أن البذل لم يخطرُ ببالك؟!  
ولا عن نصحهم دوماً كذلك!  
وفقدُ المالِ دَرَبٌ للمهالك!  
ألا يا نفسُ جِدِّي في نوالك  
لجوعى حالهم بالفقر حالك!  
أما أبصرتِ أموالي هنالك؟!  
فهل مرَّ الثراءُ على خيالك؟!  
أليس الجود يدأبُ في اختيالك؟!  
فإن الخيرَ يُقدِّمُ في اعتدالك!  
وجودُ النفسِ من أرجى خلالك!  
وعزُ النفسِ ينبُعُ من جمالك  
وعزك في الدنا من عز آلِكَ  
تَسُدُّ ، فاستكثري حُسني عيالك  
لأنني قد أجبتُ على سُؤالك  
فهذا صدَّقني بالحرص هالك!

## المقابر تتكلم 9 ميت يعزي نفسه! (محاكاة لنص ليس الغريب لزين العابدين بن علي بن الحسين)

(كل شاعر يقرأ قصيدة: (ليس الغريب غريب الشام واليمن) لزين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رحمه الله - ، لا بد من أن يتأثر ، وقد يشرع في محاكاتها! وقد حاكاه فيها شعراء كثيرون في القديم وفي الحديث! ولعل هذه لها نفس النفس وذات البحر وعين القافية! وما ذلك إلا لغزوبة وجمال ونقاء وحبابة وسبك نص: (ليس الغريب غريب الشام واليمن)! ولقد سبق هذه القصيدة ثمانى قصائد تحمل العنوان ذاته: (المقابر تتكلم)! واليوم هذا هو الجزء التاسع من السلسلة ، وقصيدته بعنوان: (ميت يعزي نفسه) ، وأعني به الكاتب الكويتي المحترم عبد الله الجار الله صاحب مقالة: (عند موتي لن أقلق!) ولن أهتم بجسدي البالي فأخواني من المسلمين المؤمنين الموحدين سيقومون باللازم ، سيجردونني من ملابسني وسيغسلونني وسيكفنونني وسوف يخرجونني من بيتي! وسوف يذهبون بي إلى مسكني الجديد: (القبر) ، وسيأتي الكثيرون لتشييع جنازتي! بل سيلغي الكثير منهم أعماله ومواعيده ؛ لأجل دفني ، وقد يكون الكثير منهم ، لم يفكر في نصيحتي يوماً من الأيام! أشيائي سيتم التخلص منها: (مفاتيحي - كتيبي - حقيبيتي - أحذيتي - ملابسني)! وإن كان أهلي موفقين فسوف يتصدقون بملابسي لتنفعني! ياقوم: تأكدوا بأن الدنيا لن تحزن علي ، ولن تتوقف حركة العالم ، والاقتصاد سيستمر ، ووظيفتي سيأتي غيري ليقوم بها ، وأموالي ستذهب حلالاً للورثة بينما أنا الذي سأحاسب عليها: القليل والكثير ، النقيير والقطمير ، وإن أول ما يسقط مني عند موتي هو اسمي. لذلك عندما أموت سيقولون عني: أين الجثة؟ ولن ينادوني باسمي. وعندما يريدون الصلاة علي ، سيقولون: احضروا الجثة. "الجنازة ولن ينادوني باسمي ، وعندما يشرعون في دفني سيقولون: قربوا الميت. ولن يذكروا اسمي. لذلك ما غرني نسبي. ولا قبيلتي يوماً. وما غرني منصبني ساعة من نهار. ولا شهرتي فما أتفه هذه الدنيا. وما أعظم ما نحن مقبلون عليه فيا أيها الحي الآن والميت غداً ، اعلم أن الحزن عليك سيكون على ثلاثة أنواع: الناس الذين يعرفونك سطحياً سيقولون: مسكين. أصدقاؤك سيحزنون ساعات أو أياماً ، ثم يعودون إلى حديثهم ، بل وضحكهم. الحزن العميق إنما هو في البيت! سيحزن أهلك أسبوعاً أو أسبوعين ، شهراً ... شهرين... أو حتى سنة ، وبعدها سيضعونك في أرشيف الذكريات! انتهت قصتك بين الناس وبدأت قصتك الحقيقية. وهي التي لا هروب من مواجهتها! لقد زال عنك كل شيء وكل شخص! زال عنك المال والجمال ، والصحة والعافية ، والأهل والولد! فارقت الدور والقصور ، والزوج والأبناء والأقارب! والأصدقاء والأصحاب والزملاء! ولم يبق معك إلا عملك ، وبدأت الحياة الحقيقية! والسؤال هنا: ماذا أعددت لقبرك وأخرتك من الآن؟ هذه حقيقة تحتاج إلى تأمل. لذلك احرص على الفرائض والنوافل وصدقة السر والعمل الصالح وصلاة الليل! إن ساعدت على تذكير الناس بهذه المقالة وأنت حي الآن فسوف تجد أثر تذكيرك في ميزانك يوم القيامة بإذن الله ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين. لماذا يختار الميت الصدقة لو رجع للدنيا ، كما قال تعالى: (رب لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق) ، ولم يقل: فأعتمر ، أو فأصلي ، أو فأصوم! ما ذكر الميت الصدقة إلا لعظيم ما رأى من أثرها بعد موته. فأكثرها من الصدقة!). هـ. عموماً من مات فقد قامت قيامته! قال المغيرة بن شعبه رضي الله عنه: "أيها الناس ، إنكم تقولون: القيامة القيامة ، وإنه من مات فقد قامت قيامته! قال عبد الواحد بن الخطاب: سمعت زياداً النميري ، ونحن في جنازة وذكروا القيامة ، فقال زياد: "من مات فقد قامت قيامته". قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "كانت جماعة تقول: قيامة كل

نفس موتها". قال العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: "أنت لا تدري متى تقوم قيامتك فكل من مات فقد قامت قيامته! والأصل أن المؤمن يرحبُ بالموت في أي وقت! ولسان حاله يقول: (مرحباً بالموت)! عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، لما أن حضره الموت ، قال: "مرحباً بالموت مرحباً ، زائر مغرب ، حبيب جاء على فاقة ، اللهم إني كنت أخافك ، فأنا اليوم أرجوك". والموت خيرٌ للمؤمن من الفتنة ، ولا يرتاح حتى يموت. قال الربيع بن خيثم رحمه الله: "ما غائب ينتظره المؤمن خيراً له من الموت". قال الشيخ صالح آل الشيخ: "المؤمن لا يرتاح حتى يموت ؛ لأن قلوب العباد عُرضةٌ للتقلب والتنقل ، واليوم كثرت المغريات والشهوات والشبهات ، فقد يصبح العبد مؤمناً ويمسى غير ذلك ، فإذا جاءه الأجل وهو ثابت على الإيمان يحصل له الراحة والاطمئنان ، فلا يطمئن المؤمن حتى يلقي الله عز وجل وهو ثابت على إيمانه. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-: الموعظة عند القبر جائزة ، على حسب ما جاء في السنة ، وليست أن يخطب الإنسان قائماً يعظ الناس ؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خصوصاً إذا اتخذت راتبة ، كلما خرج شخص مع جنازة قام ووعظ الناس ، لكن الموعظة عند القبر تكون كما فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعظهم وهو واقف على القبر ، وقال: "ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعده من الجنة والنار" ، وأتى مرة وهم في البقيع في جنازة ولما يلحد القبر ، فجلس وجلس الناس حوله ، وجعل ينكت بعود معه على الأرض ، ثم ذكر حال الإنسان عند احتضاره ، وعند دفنه ، وتكلم بكلام هو موعظة في حقيقته فمثل هذا لا بأس به ، أما أن يقوم خطيباً يعظ الناس ، فهذا لم يرد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ. وقال أيضاً: أما الخطبة عند الدفن في المقبرة ، فلم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قام خطيباً يخطب الناس ، إنما ورد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى إلى المقبرة والقبر لم يلحد بعد ، فجلس وحوله أصحابه ، فجعل يحدثهم عن الإنسان حين احتضاره ، وبعد دفنه ، وكذلك كان قائماً على قبر إحدى بناته وهي تدفن ، فحدثهم عليه الصلاة والسلام ، ولكن ليس بحديث قام فيه خطيباً ، أو واعظاً. اهـ. ومن المهم أن ننبهكم إلى أن مثل هذه المسائل لا ينبغي أن تكون سبباً في تفريق الكلمة ، وحصول مناوشات - كما ذكرت - ، أو شجار وخصام بين الإخوة ؛ فإن هذا منكر ، لا يقل ضرره عن مفسدة ما يريدون إنكاره من الموعظة عند القبر. وقد دل الشرع على أن سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، كما صح الخبر بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. واجتماع القلوب ، والتآلف بين المؤمنين ، مطلب شرعي عظيم ، فلا يُعطل بسبب مسألة تحتل الأخذ والرد. وفي كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 321 من الجزء الأول ما نصه بتصريف: (وينبغي معرفة فضل ذكر الموت! فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات". وعنه صلوات الله عليه: "أكثرُوا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا". وعنه عليه الصلاة والسلام: "كفى بالموت واعظاً". وعنه: "أكيس الناس أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له ، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة". وعن مطرف بن عبد الله قال: "إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه". واعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذكر به كرهه ونفر منه ، أولئك هم الذين قال الله فيهم: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون). ثم الناس إما منهمك وإما تائب مبتدئ وإما عارف منته! أما المنهمك فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشغل بمذمته

وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعداً! وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة! وأما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعده للقاءه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب. ثم إن أنجع طريق في ذكر الموت أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم ، وأنه مثلهم وستكون عاقبته كعاقبتهم. فملازمة هذه الأفكار مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب فيستعد له ويتجافى عن دار الغرور ، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقتة. نظر "ابن مطيع" ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: "والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا" ، ثم بكى رحمه الله تعالى!). هـ. كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإننا رائحون ، وروحوا فإننا غادون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظاً ، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له. وقال رضي الله عنه: "كفى بالموت واعظاً ، وكفى بالدهر مفرقاً ، اليوم في الدور ، وغداً في القبور". قال الحسن بن عبد العزيز بن ضابط رحمه الله: "من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع". ما أشد غفلة الإنسان عن الموت. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "غفلة الإنسان عن الموت مع أنه لا بد له من العجب ، والموجب لها طول الأمل". وكل من همك في الدنيا غافل عن ذكر الموت. قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن المنهك في الدنيا ، المكب على غرورها ، المحب لشواتها ، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذكر به كرهه ، ونفر منه ؛ قال الله: (قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، وأما التائب فيكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية ، فيفي بتمام التوبة. ومن هنا يأتي الاستعداد للموت. قال سلمة بن دينار رحمه الله: "كل عمل تكره الموت من أجله ، فاتركه ، ثم لا يضرک متى متت". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "الواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك". قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة) ، له فوائد: منها: أن يبيت على طهارة ؛ لنلا يبعثه الموت ، فيكون على هيئة كاملة ، ويؤخذ منه الندب إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب ؛ لأنه أولى من طهارة البدن". قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن الموت هائل ، وخطره عظيم ، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم فيه ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فلا ينجح ذكر الموت في قلبه ، وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ، ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم". ومهما تذكر رجل رجلاً ، وفصل في قلبه حاله ، وكيفية موته ، وتذكر نشاطه ، وتردده وتأمله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخداه بمواتاة الأسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ، وميله إلى الضحك واللهو ، وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع ، والهالك السريع ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه في وقت إليه ، حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، فأنكشفت له صورة الملك ، وقرع سمعه النداء ، إما: الجنة وإما: النار، فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم ،

وغفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "السعيد من وعظ بغيره". فملازمة هذه الأفكار وأمثالها ، مع دخول المقابر ، ومشاهدة المرضى ، هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب ، بحيث يصير نُصَبَ عينيه. ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ، ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتة ، نظر ابن مطيع إلى داره فأعجبه حسنهما ، ثم قال: والله لولا الموت لكنت بك مسرورًا ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور ، لقرت بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديدًا. وإذا ذكر الموتى فعدَّ نفسك كأحدهم. أبصر أبو الدرداء رضي الله عنه رجلاً في جنازة ، وهو يقول: من هذا؟ فقال أبو الدرداء: هذا أنت ، يقول الله عز وجل: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال رضي الله عنه: "إذا ذكرت الموتى فعدَّ نفسك كأحدهم". عن سعيد بن عامر عن جده عن الحسن رحمهم الله: "كان رجل من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه ، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف ، فيزيده بذلك جدًّا واجتهادًا ، فيلبث بذلك ما شاء الله ، ثم يبلغه موت الأخ من إخوانه ، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف ، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهادًا ، قال: فردد الحسن هذا الكلام غير مرة ، فوالله ما زال كذلك حتى مات موتًا كيسًا". قال الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: "إذا ذكرت الموتى ، فاجعل نفسك كأحدهم: فلان رحمه الله ، فلان مات ، صلينا على جنازة ، حضرت عزاء ، أين حركة القلوب بالموت؟ لو صحت القلوب ، لَمَا جاء ذكر الموت إلا وقد اضطربت القلوب من خشية الله عز وجل". وهناك نذرٌ كثيرة للموت نغفل عنها. عن وهب رحمه الله قال: "ينادي مناد: أبناء الستين: عدوا أنفسكم في الموتى". قال سفيان الثوري رحمه الله: "من بلغ سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتخذ نفسه كفنًا". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "من لم يندره باقتراب أجله وحي ، أنذره الشيب وسلب أقرانه بالموت". قال الربيع بن خثيم رحمه الله: "أكثرُوا ذكر هذا الموت ؛ فإنكم لم تدوقوا قبله مثله". علي بن الحسين بن المبارك ، ما كان لسانه يفتر عن ذكر الموت. قال ابن اللباد: "إذا حدث لك فرح بالدنيا ، فاذكر الموت ، وسرعة الزوال. وإذا اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينيك". قال الإمام ابن حبان رحمه الله: "الواجب على العاقل لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها ؛ إذ الموت رحي دَوَّارة بين الخلق ، وكأس يُدار بها عليهم ، لا بد لكل ذي روح أن يشربها ، ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ، ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات. العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومنتظر وقوعه ، من قدم إلى قدم ، فكم من مكرم في أهله ، معظم في قومه ، مبجل في جبرته ، لا يخاف الضيق في المعيشة ولا الضنك في المصيبة إذ ورد عليه مذل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعًا بين الأحبة ، مفارقًا لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعًا ، ولا يستطيعون له دفعًا! فالعاقل لا يغتر بحالة نهايتها تؤدي إلى ما قلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته ما ذكرنا ، ولا ينسى حالة لا محالة هو واقعها ، وما لا شك يأتيه ؛ إذ الموت طالب لا يُعجزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب". قال الإمام الغزالي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا من ذكر هازم اللذات) ؛ ومعناه: نغصوا بذكره اللذات ؛ حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة ذكر الموت ، فقال: (أكثرُوا ذكر هادم اللذات) ؛ يعني: الموت". والإنسان يبصر بالموت ما لا يبصره في حال الحياة. قال الشيخ صالح بن عبد العزيز محمد آل الشيخ: "الظاهر من قوله سبحانه وتعالى: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أن الإنسان يبصر بالموت ما لا يبصره في حال الحياة ، كأن ترى مثلًا: السماء في الليل ظلماء سوداء ، وذلك

بالحجاب الحاجز على العين ، مثلما تدخل غرفة مظلمة ، ولا تنظر فيها شيئاً بينما يكون فيها كتاب ، ويكون فيها فراش ، وفيها كذا وكذا ، ولكن العين لا تبصر ما في هذه الغرفة المظلمة ؛ لأن حاستها محدودة ، لكن لو كُشف ذلك الغطاء ، لأبصرت كل ما في الظلام ، وهذا هو الذي يحصل بالموت ، فإن الإنسان يبصر بالموت الملائكة ، ويبصر العذاب ، ويبصر النعيم ونحو ذلك مما يكون بعد الممات ، نسأل الله عز وجل لنا ولكم العفو والعافية". وأجمل أنواع النعيم نعيم لا موت فيه. قال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير رحمه الله: "أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه". لقد فضح الموت الدنيا وبين لنا عوارها وفناءها وتفاهتها! قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الموت فضح الدنيا ، فلم يترك لذي لُبِّ فرحًا". قال إبراهيم بن الأدهم: "إن للموت كأسًا لا يقوى على تجرعه إلا خائف وجلّ طائع كان يتوقعه". قال حاتم الأصم: "أردت أن أتخذ صديقًا لي بعد الموت ، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب ، ويجوز معي إلى الصراط ، ويثبتني بين يدي الله عز وجل". قال جماعة ، يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت؟ فقال: "عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، ففكرهون الخروج من العمران إلى الخراب". ومن هنا لا يجوز الدعاء على النفس بالموت. قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "لا يحل لأحد أن يدعو على نفسه بالموت ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يتمنَّ أحد منكم الموت لِضُرِّ نزل به ، فإن كان لا بد متمنِّيًا للموت فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي) ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتمنى الإنسان الموت ، فكيف بالذي يدعو على نفسه بالموت؟ والواجب على من أصيب بأمرٍ يضيق به صدره ، ويزداد به غمه أن يصبر ، ويحتسب الأجر من الله ، وينتظر الفرج ، فهذه ثلاثة أمور: الصبر ، واحتساب الأجر ، وانتظار الفرج من الله عز وجل". ومن هنا ينبغي تنبيه المحتضر على إحسان الظن بالله تعالى. قال الإمام مسلم رحمه الله: "فيه استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله سبحانه وتعالى ، وذكر آيات الرجاء ، وأحاديث العفو ، وتبشيريه بما أعده الله تعالى للمسلمين ، وذكر حسن أعماله عنده ، لِيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ تَعَالَى ، ويموت عليه". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "مفارقة الجسد للروح لا تقع إلا بعد ألم عظيم تذوقه الروح والجسد جميعًا ، فإن الروح قد تعلقت بهذا الجسد وألفته ، واشتدت ألفتها له وامتزاجها به ودخوله فيه ، حتى صارا كالشيء الواحد ، فلا يتفارقان إلا بجهد شديد وألم عظيم ، ولم يذُق ابن آدم في حياته ألمًا مثله ، وإلى ذلك الإشارة بقول الله عز وجل: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)". قال العلامة السعدي رحمه الله: "قوله تعالى: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا) ؛ وهم: الملائكة ، التي تنزع الأرواح بقوة وتغرق في نزعها ، حتى تخرج الروح ، فتجأزي بعملها ، (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) ، وهي الملائكة أيضًا تجتذب الأرواح بقوة ونشاط أو النشاط يكون لأرواح المؤمنين ، والنزع لأرواح الكفار". المحتضر إن رأى ما يسره أحب لقاء الله، وإن رأى ما يكره لم يحب الخروج من الدنيا. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "المرء عند حضور أجله إذا رأى ما يكره ، لم يحبَّ الخروج من الدنيا ، ولا لقاء الله ، لسوء ما عاينَ مما يصير له ، وإذا رأى ما يحب ، أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته ، لحسن ما عاينَ وبُشِّرَ به". واستبشار المؤمن عند موته ، ونشاط روحه للخروج أمران واردان ملحوظان! قال الإمام القرطبي رحمه الله: "عن ابن عباس قال: أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج ، وذلك أنه ما مؤمن يحضره الموت إلا وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت ، فيرى فيها ما أعدَّ الله له من أزواجه وأهله من الحور العين ، فهم يدعونه ، فنفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم". قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ، قال: "يبشر بذلك عند موته وفي

قبره ويوم يُبعث ، فإنه لفي الجنة ، وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه". قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "ما يحصل للمؤمن من البشرى ، ومسرة الملائكة بقلبه ، ورفقهم به ، وفرحه بلقاء ربه ، يهون عليه كل ما يحصل من ألم الموت ، حتى يصير كأنه لا يحس بشيء من ذلك". وتأسف بكى معاذ رضي الله عنه عند موته وقال إنما أبكى على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر". والسلف عند موتهم على انقطاع أعمالهم أمرت به آثار كثيرة. بكى عبدالرحمن بن الأسود رحمه الله عند موته وقال: "وا أسفاه على الصوم والصلاة ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات". بكى يزيد الرقاشي رحمه الله عند موته ، وقال: "أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار" ، ثم بكى". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة ، فكيف يكون حال المسيء". فماذا عن شهوات الصالحين عند موتهم؟! الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، مرض مرضاً شديداً منعه الكلام والقيام ، فكان ابنه كثيراً ما يسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتي الجنة ، رحمه الله ، ولا يزيد على ذلك ، وأجابه مرة: أشتي النظر إلى وجه الله سبحانه". إسماعيل بن محمد بن يوسف البرزالي ، مرض بالسل ستة أشهر ، وحصل له في المرض إقبال على الطاعة وملازمة الفرائض ، حتى كان يصلي إيماء ، قال له والده قبل موته بيوم: إيش تريد؟ قال: أشتي أن يغفر الله لي". لما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولاً ، يبشرني بالجنة ، أو بالنار ، ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة ، بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر ، وعلى قيام الليل". لما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: وا حزناه ، فقال: بل واطرباه غداً نلقى محمداً وحزبه ، وقال المأمون: يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه". لما حضرت معاوية بن سفيان الوفاة ، قال: "اللهم أقل العثرة ، واغفر الزلّة ، وعُدْ بحلمك على من لا يرجو غيرك ، ولم يثق بأحد سواك". لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني ، فقام مسلمة وفاطمة على الباب ، فسمعوه يقول: "مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جانٍ ؛ ثم قال: (تلك الدار الآخرة) ، ثم هدأ الصوت ، فقال مسلمة لفاطمة: قد قبض صاحبك ، فدخلوا فوجدوه قد قبض". قال العلامة العثيمين رحمه الله: "قد سمع بعض المحترمين وهو يحتضر عند الموت يقول: روح وريحان ، وجنة نعيم ، مما يدل على أنه بُشِّرَ بذلك ، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم". قال الحافظ ابن رجب: "ويتزايد الألم بمعرفة المحتضر بأن جسده إذا فارقت الروح صار جيفة مستقررة ، يأكله الهوام ، ويبليه التراب ، حتى يعود تراباً ، وأن الروح المفارقة له لا تدري أين مستقرها ، هل هو في الجنة أو النار؟ فإن كان مُصِراً على المعصية إلى الموت ، فربما غلب على ظنه أن روحه تصير إلى النار ، فتتضاعف بذلك حسرته وألمه ، وربما كُشف له مع ذلك عن مقعده من النار فيراه ، أو يبشر بذلك فيجتمع له مع كرب الموت وألمه العظيم معرفته بسوء مصيره ؛ وهذا هو المراد بقول الله عز وجل: (وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) ، على ما فسر به كثير من السلف ، فيجتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت ، فلا تسأل عن سوء حاله ، وقد سمي الله تعالى ذلك سكرة ؛ لأن ألم الموت مع ما ينضم إليه يسكر صاحبه ، فيغيب عقله غالباً ؛ قال الله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). قال العلامة السعدي رحمه الله: قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) ، يخبر تعالى عن حال من حضره الموتى من المفرطين الظالمين أنه يندم في تلك الحال ، إذا رأى مآله ، وشاهد قبيح أعماله ، فيطلب الرجعة إلى الدنيا لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها ، وإنما ذلك ليقول: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) من العمل

وفرطت في جنب الله ، (كَلًّا) ؛ أي: لا رجعة له ولا إمهال ، قد قضى الله أنهم لا يرجعون". وشدة الموت للمؤمن إما أن تكون زيادة في حسناته أو تكفيراً لسيئاته. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة. فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ، ويقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) ؛ في الحديث أن شدة الموت لا تدل على نقص المرتبة ، بل هي للمؤمن ، إما زيادة في حسناته ، وإما تكفيراً لسيئاته". قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كربٌ ولا هول ولا عذاب ، سوى سكرات الموت بمجرد ما ، لكان جديرًا بأن يفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعداده. وشدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ، والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح ، فاستغرق جميع أجزائه ، حتى لم يبقَ جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن ، إلا وقد حلَّ به الألم ، فلا تسَلَّ عن بدن يُجذب من كل عرق من عروقه ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًا ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها الحلقوم. فلا تسأل عن طعم مرارة الموت ، وكربه عند ترادف سكراته". ورؤي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده في الماء ، ثم يمسح به وجهه ، ويقول: (اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت). فهذه سكرات الموت على أولياء الله فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي؟ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "لا شدة يلقاها المؤمن في الدنيا أعظم من شدة الموت ، وهي أهون مما بعدها إن لم يكن مصير العبد إلى خير ، وإن كان مصيره إلى خير فهي آخر شدة يلقاها". وفي كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 322 من الجزء الأول ما نصه حول قضية فضيلة قصر الأمل بتصرف: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك". قلت: والأصل أن الجزء الأول من كلام ابن عمر رضي الله عنه) وعن علي رضي الله عنه رفعه: "إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا". وسبب طول الأمل: حب الدنيا والأنس بها والجهل باستبعاد الموت فجأة ، ولا يدري أن ذلك غير بعيد ، فإن الموت لا وقت له من شباب وشيب وكهولة ، ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ، ومن ليل ونهار ، فلا يقدر نزول الموت به مع رؤياه من مات بين يديه ، ولا يقدر أن تشيع جنازته وهو لا يزال يشيع الجنائز ، فما أغفله وما أجهله ، فسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره ، ولا علاج لذلك إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ، فمهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا ، فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير). هـ. فليُنظر العبد لنفسه وقت الإمكان ، وليتدارك الممكن قبل ألا يمكن. والخليفة المأمون ، قال وهو يُحتضر: "يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه. يا من لا يموت ارحم من يموت ، ثم قضى ومات". والخليفة المعتصم قال في مرض موته: (حتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) ، وجعل يقول: "ذهبت الحيلة فليس حيلة" ، حتى صمت". ولما احتضر الواثق ، أمر بالبسط فطويت ، وألصق خده بالأرض وجعل يقول: "يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه". قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "فما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلصه قبل الفوت ، وأشغل نفسه بخدمة مولاه ، وقدم من دنياه لأخراه ، ورغب في دار لا يزول نعيمها ، ولا يُهان كريمها! عباد الله ، اسعوا في فكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم

وبين الندم ، والعلم بأنه زلت به القدم ، إلا أن يحوم عُقاب المنيّة عليه ، ويفوق سهامها إليه ، فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يُسمع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الذي فات لا يُسترجع". وختاماً ، يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: "يا من تمر عليه سنة بعد سنة وهو مستنقل في نوم الغفلة والسنة ، يا من يأتي عليه عام بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا ، يا من يشاهد الآيات والعبر كلما توالى عليه الأعوام والشهور ، ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظام الأمور". وتحت عنوان: (أول ليلة في القبر) يقول الدكتور عائض القرني ما نصه بتصريفٍ يسير: (إن ذكر الموت والقبر وما فيهما من الأهوال العظام ، والأحوال الجسام ، قد أقض مضاجع الصلحاء ، وأبكى الأتقياء والعلماء ، سيما تذكرهم أول ليلة في القبر وما فيها من الوحشة وتغير الحال ، وهول المطلع وخوف سوء المنقلب ؛ ولذلك سارعوا بالأعمال الصالحة رجاء حسن المنقلب والعاقبة. ليلتان اثنتان يجعلهما كل مسلم في مخيلته: ليلة وهو في بيته مع أطفاله وأهله ، منعماً سعيداً. في عيشٍ رغيد ، وعافيةٍ وصحة ، يضحك أطفاله ويضاحكونه ، مع زوجته وأقاربه ، واللييلة التي تليها مباشرة ليلة أتاه الموت فوضع في القبر لأول مرة. ونسأل: كيف تكون اللييلة الأولى في القبر حين يوضع الإنسان فريداً وحيداً إلا من العمل؟ لا زوجة ولا أطفال ولا أنيس: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ). أول ليلة في القبر ؛ بكى منها العلماء ، وشكا منها الحكماء ، ورثى فيها الشعراء ، وصنفت فيها المصنفات! أتى بأحد الصالحين وهو في سكرات الموت ، قد لدغته حية ، وكان في سفرٍ فنسى أن يودّع أمه وأباه ، وأطفاله وإخوانه ، فقال قصيدةً يلفظها مع أنفاسه وتعتبر حقاً أم المرآثي العربية ، وذلك لجمالها ورونقها. وهذا الكلام قاله النقاد الغابرون والحاضرون بكل حيدة وصدق! يقول وهو يزحف إلى القبر:-

فله درِّي يوم أترك طائعاً

بنى بأعلى الرقمتين وماليا!

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني

وأين مكان البعد إلا مكانيا؟!

يقول: كيف أفارق أطفالي في لحظة؟ لماذا لم أستاذن أبوي؟ أهكذا تختلف الحياة؟ أهكذا أذهب؟ أهكذا أفقد كل ممتلكاتي ومقدراتي في لحظة؟ ويقول عن نفسه: يقول لي أصحابي والذين يتولون دفني: لا تبعد ، أي: لا أبعدك الله ، وأين مكان البعد إلا هذا المكان؟ وأين الوحشة إلا هذا المنقلب؟ وأين المكان المظلم إلا هذا المكان؟ فهل تصور متصور هذا؟ قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) كلا! الآن تراجع حسابك؟ الآن تتوب؟! الآن تنتهي عن المعاصي؟ يا مديراً عن المساجد ما عرف الصلاة! يا معرضاً عن القرآن! يا منتهكاً لحدود الله! يا ناشئاً في معاصي الله! يا مقتحماً لأسوار حرمها الله! الآن تتوب؟ أين أنت قبل ذلك؟ قال مؤرخو الإسلام: مات الحسن بن الحسن من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ، وكان عنده زوجة وأطفال وكان في سن الشباب ، والموت لا يستأذن شاباً ولا غنياً ، ولا أميراً ولا ملكاً ، ولا وزيراً ولا سلطاناً ، الموت يقصم الظهر ، ويخرج الناس من الدور ، وينزلهم من القصور ، ويسكنهم القبور بلا استئذان. مات الحسن بن الحسن مات فجأة ، ونقلوه إلى المقبرة ، فحزنت عليه امرأته حزناً لا يعلمه إلا الله ، وأخذت أطفالها وضربت خيمةً حول القبر - وهذا ليس من عمل الإسلام ، ولولا أن مؤرخي الإسلام ذكروه ما ذكرته - وأقسمت بالله لتبكين هي وأطفالها على زوجها سنة كاملة. هلغ عظيم ، وحزن بانس ، وبقيت تبكي ، فلما انتهت السنة أخذت أطناب الخيمة وحملتها



آخر المخيم في طرف المعسكر ، فذهبت إلى ذلك النور ، فإذا قبرٌ محفور ، والرسول عليه الصلاة والسلام قد نزل في القبر ، وإذا جنازةٌ معروضة ، وإذا ميتٌ قد سجي في الأكفان ، وأبو بكر وعمر حول الجنازة ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول لأبي بكر وعمر: دليا لي صاحبكما؟ فلما أنزلاه ، أنزله عليه الصلاة والسلام في القبر ، ثم دمعت عيناه عليه الصلاة والسلام ، ثم التفت إلى القبلة ورفع يديه ، وقال: اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارضَ عنه ، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أخوك عبد الله ذو البجادين مات في أول الليل ، قال ابن مسعود: فوددت والله أنني أنا الميت}. حين سمع قوله صلى الله عليه وسلم {اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارضَ عنه} وإذا رضي الله عن العبد أسعده. وإنما هي مسألة لمن نسي الله وأوامره وانتهك حدوده ، نقول له: هل تذكرت يا أخي أول ليلة في القبر؟! كان عمر بن عبد العزيز أميراً من أمراء الدولة الأموية يُغَيَّرُ ثوب من ديباج في اليوم أكثر من مرة ، الذهب والفضة عنده ، والخدم ، والقصور ، والمطاعم ، والمشارب ، وعنده كل ما اشتهى وطلب وتمنى ، ولما تولى الخلافة ، وملك الأمة الإسلامية ، انسلخ من ذلك كله ؛ لأنه تذكر أول ليلة في القبر ، وقف على المنبر - يوم الجمعة - فبكى وقد بايعته الأمة ، وكان حوله الأمراء والوزراء ، والشعراء والعلماء ، وقواد الجيش ، قال: [خذوا بيعتكم ، قالوا: لا نريد إلا أنت] فتولاها ، فما مر عليه أسبوعٌ أو أقل إلا وقد هزل وضعف وتغيَّرَ لونه ، وما عنده إلا ثوبٌ واحد قالوا لزوجته: ما لعمر قد تغير؟ قالت: والله لا ينام الليل ، والله إنه يأوي إلى فراشي فينقلب كأنه ينام على الجمر ، ويقول: آه! توليت أمر أمة محمد؛ يسألني يوم القيامة الفقير والمسكين والطفل والأرملة. يقول له أحد العلماء: يا أمير المؤمنين! رأيناك قبل أن تتولى الملك وأنت في مكة في نعمةٍ وصحةٍ وعافيةٍ ، فما لك تغيرت؟ فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف ، ثم قال للعالم وهو ابن زياد: كيف يا ابن زياد لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام ؛ يوم أجرد عن الثياب ، وأوسد التراب ، وأفارق الأحباب ، وأترك الأصحاب كيف لو رأيتني بعد ثلاث ، والله لرأيت منظرًا يسوءك. فנסأل الله حسن العمل. إن أول ليلة في القبر جديرة بأن تُنسى الإنسان كل هذا! والسعيد الحق من أسعده الله تعالى يوم لقائه به سبحانه!

والله لو عاش الفتى في عمره	ألفاً من الأعوام مالك أمره
متلذذاً فيها بكل لذيذة	متنعماً فيها بسكنى قصره
لا يعتريه الهم طول حياته	كلا ولا ترد الهموم بصدرة
ما كان ذلك كله في أن يفي	فيها بأول ليلة في قبره

والله لو عاش ألف سنة وما طرقه هم ولا غم ولا حزن ، والله لا يفي بأول ليلة في القبر ، والله لننزلنَّها جميعاً! كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه إذا شيع جنازة بكى حتى يُغْمى عليه ؛ فيحملونه كالجنازة إلى بيته ، قالوا: ما لك؟ قال: سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: {القبر أول منازل الآخرة ، فإذا نجا العبد فيه أفلح وسعد ، وإذا خسر - والعياذ بالله - خسر آخرته كلها}. هـ. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه وقل حسده". قال كعب الأحبار رضي الله عنه: "من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها". قالت صفية رضي الله عنها: "إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها ، فقالت: أكثرني من ذكر الموت يرقَّ قلبك ، فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة. قال عمر بن

عبد العزيز رحمه الله: "من أكثر ذكر الموت اجترأ من الدنيا باليسير ، إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك ، بَعْضُ إِيكَ كُلِّ فَاِنْ ، وَحُبُّ إِيكَ كُلِّ بَاقٍ. أكثر ذكر الموت ، فإن كنت في ضيق من العيش وسَعَهُ عَلَيْكَ ، وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك. قال أحمد بن حنبل: "إذا ذكرت الموت هان عليّ كل شيء من أمر الدنيا ، وإنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلانل". قال الحسن رحمه الله: "ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رُوِيَ ذلك في عمله ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل" ، وقال: "فُضِحَ الموت الدنيا فلم يترك لذي لبّ فرحاً". قال ابن عجلان رحمه الله: "من جعل الموت نصب عينيه لم يبالي بضيق الدنيا ولا بسعتها". قال سفیان الثوري رحمه الله: "كفى بكثرة الموت زهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة". قال الأوزاعي رحمه الله: "من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير". قال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: "إذا اهتممت لغلاء السعر فأذكر الموت ، فإنه يذهب عنك هم الغلاء". قال يحيى بن معاذ رحمه الله: "من أكثر ذكر الموت لم يمّت قبل أجله ، ويدخل عليه ثلاث خصال من الخير ؛ أولها: المبادرة إلى التوبة. الثاني: القناعة برزق يسير. الثالث: النشاط في العبادة". قال الإمام الغزالي رحمه الله: "في ذكر الموت ثواب وفضل ، فإن المنهمك يستفيد بذكر الموت ، التجافي عن الدنيا ، إذ ينغص عليه نعيمه ، ويكدر عليه صفو لذته". وذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ، ويتقاضى الاستعداد للآخرة ، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "في الإكثار من ذكر الموت فوائد؛ منها: أنه يحث على الاستعداد له قبل نزوله ، ويقصر الأمل ، ويرضى بالقليل من الرزق ، ويزهد في الدنيا ، ويرغب في الآخرة ، ويهون مصائب الدنيا ، ويمنع من الأثر والبطر ، والتوسع في لذات الدنيا". في كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 324 من الجزء الأول ما نصه: (اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجرد ما ، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداد ، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: "كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك!" واعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة ، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قسوة ؛ لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ، أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدر ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا يحسبون ، فبطل حسابهم ، وانقرض على القرب زمانهم. فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ، ولعله في غد أو بعد غد ، قال "ثابت البناني": "كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً ، فهكذا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ، ولا يتفكر واحد منهم إلى ما شاء الله في جنازة نفسه في حاله إذا حمل عليها. ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يغنينا". هـ. ولذلك كان من آداب حضور الجنازة: التفكير والتنبيه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع ، ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخرطة لا يدرى حقيقتها! والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً لوجه الميت ، وأن يسلم ولا يمسخ القبر ولا يمسه

ولا يقبله ، فإن ذلك من عادة النصارى. قال "نافع": "كان" ابن عمر" رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي. السلام على أبي بكر. السلام على أبي وينصرف. وكان بعض السلف إذا وقف على باب المقابر يقول: "آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم ، وتجاوز عن سيئاتكم ، وقبل الله حسناتكم". فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها ، وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به ، وإنما يحصل له الاعتبار به بأن يتصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه ، وكيف يبعث من قبره ، وأنه على القرب سيلحق به. ويستحب الثناء على الميت وأن لا يذكر إلا بالجميل قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا". قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الموت يأتي بغتة ، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثلاً زرعه! قال العلامة العثيمين رحمه الله: "لو قال قائل: هل فناء الجسم أو بقاؤه دليل على الصلاح؟ فالظاهر أن بقاءه يدل على الصلاح ؛ لأنه ما يبقى إلا كرامة لأن الأصل أن الأجسام تأكلها الأرض إلا الأنبياء ، فإنهم لا تأكلهم الأرض ، وفناؤه لا يدل على أن الإنسان ليس من أهل الخير ، لكن بقاء الجسم قد يقع كرامة لبعض أهل الخير". والتقوى تنجي من كرب الموت! قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) ، قال: "من الكرب عند الموت". قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية: "ننجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "من أطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته ، تولاه الله عند وفاته ، وتوفاه على الإيمان". قال بعضهم: "كانوا يستحبون أن يكون للمرء خبيثة من عمل صالح ، ليكون أهون عليه عند نزول الموت ، أو كما قال". وفي خطبة له بعنوان: (أحداث الموت والقبر) يقول الأستاذ سالم بن محمد الغيلي ما نصه بتصريف زهيد: (الحديث عن لحظات وساعات وأوقات ما عشناها وما جربناها وما أتت علينا ، لحظات عاشها من مات وعاصرها من فات ، وذاقها من أصبح رفات ، نذكرها اليوم للذكرى: (وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) ، نرى في كل يوم وفي كل صباح وفي كل مساء ، من يذهب إليها من تأتية تلك اللحظات ، إنها لحظات الموت ، إنها ساعات النهاية وساعات البداية ، مواقف ولحظات وأمور أتت على غيرنا أتت على الأقارب والأباعد ، والأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء ، والملوك والوزراء ، ولن يسلم منها أحدٌ ، ولن ينجو منها هارب ، ولن يختفي منها شارد. نريد أن نعلم ماذا يحدث لهم ، هل هو موت وانتهى الأمر؟ هل هي لحظات خروج الروح ولا شيء بعدها؟ أم ماذا؟ وذكر الموت لن يقرببه ولن يبعده ، إن الموت حتم لازم لن ينجو منه أحد. حتى الموت نفسه سيموت ويذبح بين الجنة والنار ، فيقال: يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت ؛ قال الله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وقال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ، وقال سبحانه: (كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ الْمَوْتِ...) ، وما نجا منه حتى خيراً من خلق الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله له: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ، وقال الله له: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ). لكن أيها الناس ، إنه لن يأتي هكذا كيفما اتفق ، له مواعيد وله أوقات ، وله لحظات وله ساعات لا يأتي إلا فيها وهي نهاية الأعمار نهاية الأنفاس نهاية الحياة الدنيا ، إن الله تعالى قد جعل لكل مخلوق أجل ، قد جعل لكل مخلوق عمر لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وقد كتب الله الآجال عنده في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، فإذا جاء الموعد وجاءت ساعة النهاية ، فلن يفلت منه أحدٌ مهما فعل من أسباب البقاء ، فلن يستطيع



مشفق ، فيدعوه إلى اليهودية أو النصرانية ، وقد حدث عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: (حضرت وفاة أبي أحمد ، وببدي خرقة لأشد لحيبه ، فكان يغرق ، ثم يفيق ويقول بيده: لا بعد ، لا بعد ، فعل هذا مرارًا ، فقلت له: يا أبت أي شيء يبدو منك؟ قال: إن الشيطان قائم بحذائي عاضاً على أنامله ، يقول: يا أحمد فتني ، وأنا أقول: لا بعد ، لا بعد ، حتى أموت) ؛ (الحجة في بيان المحجة 1 / 499) ، هكذا المؤمن يختم له بخير ويصير إلى خير ويثبت بإذن الله على إيمانه وعلى دينه وعلى استقامته ، وعلى صلته بربه وهو في سكرات الموت ، (يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..) ، المؤمن في تلك اللحظات يتشهد يذكر الله ، أو يسجد ، أو يقرأ القرآن ، أو في المساجد ، وفي تلك اللحظات العصبية من يختم له بسوء الخاتمة أجارنا الله وإياكم منها...كم في الناس من يُختم له بسوء الخاتمة نعوذ بالله ، لذلك يجب أن نحذر من عدة أمور ، الأمر ليس بالسهل ، المسألة جنة أو نار ، نعيم أو جحيم ، يجب أن نحذر كل الحذر ؛ حتى لا تسوء خاتمنا عند موتنا! أولاً: نحذر من فساد العقيدة: احذر أن يفسد اعتقادك في أمر من أمور الدين ، أو تؤمن به على غير مراد الله ، وعلى غير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة ، لا تعتقد أن الإسلام يبيح الأغاني أو الموسيقى ، أو النظر إلى العاريات ، أو كشف الوجه للمرأة ، أو زواج المتعة ، أو سب الصحابة ، أو أن الدين تخلف ورجعية وإرهاب ، ولا يصلح لهذا الزمن ، وأنه ضد التطور والرقى. لا تعتقد أن المجوس والنصارى واليهود حياتهم أسعد من المسلمين ، أو أنهم على حق ، أو أنهم على دين عيسى عليه السلام ، أو أنهم يعذرون بكفرهم لأنهم لا يعلمون الإسلام ، احذر من هذه العقائد ، فإنها من أسباب سوء الخاتمة. ومن أسباب سوء الخاتمة: الإصرار على المعصية ، نعلم أنها حرام وأنها سيئة ، وأنها مخالفة ، ومع ذلك نُصر عليها ، وفي كل يوم نقترفها ونمارسها ، فإن ذلك من أسباب سوء الخاتمة والموت مع الإصرار على المعصية! ومن الأسباب: العدول عن الاستقامة يعلم أن الاستقامة حق ، وأنها ترضي الله ، وتقرب إليه ، وفيها سعادة الدنيا والأخرى ، ثم لا يهتم ولا يهتم ، ولا يهتمه أن يستقيم ويقبل على الرب الرحيم ، فيبقى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ولكنه عند الموت يغلب عليه ما كان مصرّاً عليه. ومن الأسباب: ضعف الإيمان ، وهذا منزلق خطير ؛ لأن ضعف الإيمان يفشل عند السكرات ويندهش عند الممات ، فلا إيمان قوي ولا عمل خالص يثبتته في تلك اللحظات ، نقل عن الغزالي في الإحياء أن سوء الخاتمة على رتبتين: أحدهما أعظم من الأخرى ، فأما الرتبة الأولى العظيمة أن يغلب عند الموت الشك أو جحود ، فتقبض الروح على ذلك ، فيكون حائلاً عظيماً بينها وبين الله ، والثانية دونها أن يغلب على قلب الميت شيء من أمور الدنيا كان متعلقاً فيه من شهوة أو شبهة ، فتقبض روحه في حالة غلبة الدنيا).هـ.

عن يحيى بن أبي كثير قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجاً ، فقال: هل بها رجل أدرك عدّة من الصحابة؟ قالوا: نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني ، قال: والله ما عرفتنى قبل هذا ، ولا أنا رأيتك فأبي جفاء رأيت مني؟ فالتفت سليمان إلى الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا، فقال: يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، ففكروهم الخروج من العمران إلى الخراب ، قال: صدقت ، فقال: يا أبا حازم ليت شعري ، ما لنا عند الله تعالى غداً؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله عز وجل ، قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) ، قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم: قريب من المحسنين ، قال سليمان: ليت شعري كيف العرض على الله



يراه أحد سواه ، وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه ، فبيدأ سبحانه بالأنبياء: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب). فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء من شدة الهيبة ، ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره عن سره وعلانيته ، وعن جميع جوارحه وأعضائه. فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك ، وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك وأنت بقلب خافق وطرف خاشع وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فكم من فاحشة نسيتهها فتذكرها ، وكم من طاعة غفلت عن آفاتنا فانكشف لك عن مساويها ، فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه. وبأي لسان تجيب ، وبأي قلب تعقل ما تقول ، وفي الخبر: "لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم". فأعظم يا مسكين بحياتك عند ذلك وبخطرك. ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب إلى الشمال والأيمان: (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية). هـ. ومهما تكلمنا عن المقابر والموت والأموات والمواعظ المتعلقة بهم لانقضي الزمان الطويل وما انقضت مواعظنا! ويكفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كفى بالموت واعظاً! أي كفى بالموت مذكراً ، بما قبله وما بعده ، من أهوال! نسأل الله العافية والسلامة! وأعتذر عن طول مقدمة هذه القصيدة ، ولكنه مقصود ومتعمد ، لعلنا نتعظ من الموت وكرباته ، والقبر وأهواله ، والآخرة وما بعدها من أحداث ، والمصائر للجميع إما إلى جنة نسأل الله من فضله وإحسانه ، وإما إلى نار ، نعوذ بالله تعالى من النار ، ومن سوء الخاتمة ومن عذاب القبر! نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتوفانا وهو راض عنا ، ونسأله أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها!)

زواني الموت عن أهلي وعن وطني	وزج بي الوجود في مريثة الوهن
واشحوحب الجسد البالي على عجل	فرداً يواسي زوال المنظر الحسن
يبكي على نضرة الأحوال جندلها	حتف مبير دهي محاسن البدن
ينعي رحيلي وحيداً عن بلهنية	ما كان قلبي بها يوماً بمفتتن!
يأسى أسيفاً لما أودى بعزمته	يشكو أسى عاثر البلواء والمحن
ما قصر الأهل في تغسيل ميتهم	بالدمع قبل طهور الماء ينظفني
حتى إذا فرغوا جاؤوا بمنشفة	فجففوا الماء مشفوعاً به درني
ومددوا الجسم لذناً لا جراك به	وبعد لفوه في لفائف الكفن
وأخرجوني من الدار التي احتفلت	بالمكث في أمها ردها من الزمن
والأهل قد حملوا الجثمان عن رغب	ما عاد للميت من أهل ولا وطن

والجنازة معناها ومحفلها  
وجُلُّ مَنْ حضروا حقاً ذوو عمل  
ألغوا مواعدهم ، وأقبلوا قداماً  
الناصحون أتوا ، والهازلون أتوا  
وعند قبوري انتهت آثار محنتهم  
والبعض أعلن في الشجوى تكلفه  
حتى إذا غيَّب اللخاد جثته  
حلا الدعاء لقوم كنت رائدهم  
والبعض صافح من جاؤوا يشاطرهم  
وعاد كل إلى أهليه ملتهياً  
وعشت وحدي بقبري مؤنسي عملي  
كم اشتريت ، وما باليت عاقبة!  
وكم تجرأت معتبراً بمغفرة!  
وكم بذلت خيوراً لست أعلمها!  
وكم تحملت أعباءً متلاتة  
واليوم أمتعتي حيزت لمن ورثوا  
أين المفاتيح لم تفتح لصاحبها  
أين الحقائق لم تحمل ملابسه  
أين الديار نأى بالموت ساكنها  
فلن يعود لها ، ولن تعود له  
وأين أحذية تزهو بلبسها!؟

إذا أقيمت على شرائط السنن  
من البوادي أتوا ، أو شاطن المدن  
وفي الوجوه تعابير من الحزن  
وشارك البعض من شام ومن يمن!  
فلم يخذ أحد منهم بممتحن  
ونالني منه أطياف من الشجن  
ورد (كوفرتة) والشال ذا الشطن  
دعوا لعبد بلطف الله مرتهن  
بمنطق لبق من مفتح لسن!  
كأنه لم يعيش شيئاً من الإحن!  
ما كنت أصنعه في السر والعلن  
واليوم أدفع جبراً غالي الثمن  
وكم عصيت ، ورب الناس يرقبني!  
وكم رحمت لعل الله يرحمني!  
كالبحر لم تُضنه حمولة السفن!  
يقول كل: هدى الإسلام ورثني  
باباً فعنها نأى في مدفن شطن!؟  
لها عليه كبير الفضل والمن!؟  
لما تُغذ للذي قدمات بالسكن!؟  
ذي سنة ، كنا نحيا على السنن!  
اليوم لما يُعد للبس بالقمن

اليوم ذا كَفَنِي بالطَّوع يلبسني  
عليَّ لَمَّا يَكُنْ فَرْدٌ بمرتكب!  
وعنه ربُّ الوري في الحشر يسألني  
فَمَنْ مِنَ الأهل بعد اليوم يذكُرني؟!  
كالطير غَرَّدَ محبوباً على فنن  
لأنني لم أعشُ فيها على دَخَن  
لن تستفيدوا من الفوضى ولا الفتن  
كالقول أطلقه بنصه المرن  
والموتُ في غربةٍ كالموت في الوطن

أين الملايسُ؟! مَنْ بعدي سيلبسُها؟!  
وعيشة الناس من بعدي فما وقفت!  
والمالُ أضحى حلالاً للألى خلفوا  
وسوف أنسى كما نسيثُ مَنْ سبقوا!  
عزيتُ نفسي بنفسي غيرَ مكترثٍ  
لم تُنسني متعُ الدنيا نهايتها  
إنني أصارحُ أقواماً بها ففتوا  
والقول أطلقه بلا مواربةٍ  
عودوا إلى الله واحتاطوا لميتكم

## انتهت صلاحيتك يا زيد!

(حكمة قالها الشاعر الجاهلي عبدة بن الطبيب شهيرة جهيرة تلخص طبيعة أغلب النساء اليوم ، وأمس ، وغداً! فطالما مع الزوج المال والشباب والصبا فنعماً هو زوجاً وإلا فلا:

فإن تسألوني بالنساء فإنني      خبيرٌ بأدواء النساء طبيبٌ  
إذا شابَ شعر المرء ، أو قلَّ ماله      فليس له في وُدِّهن نصيب  
يُرْدن ثراءَ المال حيثَ علمنه      وشرخ شباب المرء عندهن عجيب

ونسأل الغالبية العظمى من نساء هذا العصر الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره فنقول: متى تنتهي صلاحية الرجل عند المرأة منهن؟ والجواب باستقراء الواقع ، عندما يتحول الخوف عليه إلى الخوف منه. وعندما لا تعتمد الواحدة منهن إثارة انتباهه بغيابها المتعمد عن أماكن تواجده. وعندما لا تحرص أبداً على أن تكون أمامه في أفضل حالاتها. وعندما لا تتظاهر بالحزن كي تثير قلقه عليها. وعندما لا تتفنن في إثارة غيرته بكيد الأنثى. وعندما لا تنتظره بقلق وترقب وظنون نسائية كما كانت في أول زواجها منه. وعندما لا تحصى عدد أيام غيابه. وتحصي عدد الايام المتبقية لعودته. وعندما لا تتبع خطواته نحو نساء أخريات. وعندما لا تشرح كلماته وتلميحاته وما يقصد وما لا يقصد. وعندما لا تهتم بوجود أخريات في محيط اهتمامه. وعندما لا تنهرب بعد الفراق من رؤية بقاياها. وعندما لا تمتلىء عيناها بالدموع إذا باغتها بعد الفراق ذكرى منه. وعندما لا تتجنب الحديث عنه مع الأخريات. وعندما لا تنتظر اتصاله كهدية السماء في ليل الحنين. وعندما لا تهتم كثيراً بالصادر إليه والوارد منه. وعندما تتوقف عن تكرار النظر إلى هاتفها الجوال كلما دخلت أو خرجت. وعندما لا تتلقت حولها قبل الاتصال به. وعندما لا تغلق الأبواب عندما تحدثه هاتفياً. وعندما لا يخفق قلبها بشدة وهي تسمع صوته. أو تشم في المكان عطره. وعندما لا تتغير نبرة صوتها وألوان وجهها في وجوده. وعندما لا يفجر برد المطر في قلبها دفء حنينها إليه ، ولا تتمنى أن تكون بصحبته في المطر. وعندما تتوقف عن الشعور بالروع والخوف من سؤالها. ماذا فعلت الأيام بقلبه. وعندما يتوقف لسانها عن الدعاء له أو عليه. وعندما يطاوعها قلبها على التخلص من بقاياها. وعندما لا تتردد كثيراً في ما يجب أن تكتب إليه. وما لا يجب أن تكتب عنه. وعندما تشعر أن الحياة لم تتوقف برحيله. وعندما تضحك بسخرية من نفسها حين تتذكر حبها له. وعندما تشعر بأن حجمه في قلبها كان أكبر من حجمه الحقيقي. وتكتشف مساحات مازالت خالية في قلبها لتسع غيره. وعندما يداخلها الشك في أن إحساسها تجاهه كان شيئاً آخر غير الحب. وعندما تنهمر من عيونها دموع الندم على كل تفاصيلها وطقوسها معه. وعندما تشعر بالخجل من نفسها حين تتذكر أن مثله كان يوماً حبيبها. وطبعاً لم يعد مالٌ لزيد ، وكان قد داهمه شيبه ، وغزا ذلك الشيبُ مفرقه ، واحدودب ظهره ، ووهن عظمه! وبناءً على هذه الحياتيات ، لم يعد له عند هند ود ولا حب. وكانت هند لواقحتها وقلة أدبها وسوء خلقها قد قالتها له صراحة: لقد انتهت صلاحيتك يا زيد كما تنتهي صلاحيات المربات وعلب التونة والجبن والحلوى والزبيب والنشا والدقيق! باختصار القبر أولى بك من هذه الحياة! ويأمر زيد فلا تطيعه هند! ويغار زيد فلا تهتم لغيرته هند! ويبكي زيد فلا تجفف دموعه هند! ويجوع زيد فلا تعد طعامه هند! ويعطش زيد فلا تقدم له الماء البارد أو الحار هند!

ويمرض زيد فلا تطبِّبه هند! ويبقى زيد في غرفته حبيساً بالأيام والليالي لا يخرج إلا للصلاة فلا تزوره هند! من أجل ذلك كله وغيره الكثير مما في جعبتي وتمتليء به قريحتي ويسكن قلبي ويعشعش في ضميري – كانت هذه القصيدة التهكمية الساخرة من الزوجة (هند) وسلوكياتها وتصرفاتها الدنيئة! لعلها وكل (هند) الله تعالى من السيئة المسيئة وممارساتها المنحطة السافلة الله تعالى من هذه الرُّعونة وذلك النشوز الفظ! إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه!

يا (زيدُ) خَلَاكَ الصبَا ، وتمرَّقَا  
لا موتٌ يُنهي ما تُصارعُ من أدَى  
لا خِلٌّ يدفعُ عنكَ طارقَةَ النوى  
خَلَى النقاءُ العذبُ أفنِدةَ الورى!  
ومكارمُ الأخلاقِ مات حُماتها  
ورفاقُ دربك في المقابر ، فابكهم!  
والعيشُ جَنَدَتِ الدغاولُ سَمَمتهُ  
والحالُ عَكَرَتِ المصائبُ صَفوهُ!  
وَضَعَّ ورب الناسِ يُزري بالذي  
وتقولها (هندُ) بكلِّ تَبَجُّحٍ  
والمالُ ولى ، والمواردُ أقفرتُ  
واحدودبُ الظهرُ الضعيفُ و(دسكُه)  
والجسمُ قد وَهنتُ قواه جميعُها  
ماذا يُقدِّمُ من دواءٍ يَجْتَنِي  
والعظمُ هَشٌّ ، وغاص في نكباته  
وكانما زمنُ الصلاحيةِ انتهى  
وإلى المهيمن في الحياة المُشتكى  
البأسُ زایلٌ ، والنقودُ ، وهيبتي

وأسى فوَأُذُكَ مِنْ تكاليفِ البقا  
أو عيشَ يخلو مِنْ تصاريفِ الشقا  
أو صاحباً يُزجي المودَّةَ في اللقا  
ما قيمة الإنسان عاش بلا نقا؟!  
وسرى التدني كيف عنه المرتقى؟  
كم عشت في الدنيا عليهم مشفقا!  
لَمَّا يَعُدُّ لِمَنْ اشتهاه مُشوقاً  
والعقلُ مِنْ أثرِ الشتاتِ استغلقا  
قد شافه نَسَقاً ، فَجَدَّ ونَسَقا  
أكدى صِباك - كما ترى - وتمرَّقَا!  
والجمعُ عنكَ وعن جِواك تفرَّقَا!  
منعَ المرونةَ أن تشيعَ وتورقا  
والطبُّ فَكَّرَ في العلاجِ ، وأطرقا  
أسقامه مِنْ أجل أن يتألَّقَا؟!  
والشَّعْرُ عانى في المشيبِ المفرقا  
والعُمُرُ ودَّعَ بعد لأي رَونقَا!  
ويكاد حالي بالأسى أن ينطقا  
لكنَّ لي حقاً ، وإن هو أزهقَا!

والعهدُ أين؟ وساءَ عُذْرُكَ منطقاً!  
لَمْ تصمْتينَ اليومَ صَمْتاً مُطْبِقاً؟!  
أنا لستُ - واللهِ العزيز - مُصَدِّقاً!  
شريعة ، والعهدُ كانَ مُوثِقاً  
ويقولُ أهلكِ: فارقني مُتملقاً!  
نطقوا خز عبلة وإفكاً أخرقاً!  
هل أستحقُّ بخذلكم أن أهرقاً؟!  
والحق يَنشُدُ باحثاً متحققاً  
أنا لن أحكّم جاهلاً متفهِقاً  
وبغير رب الناس لن أتعلقاً  
وبقبح أخلاق اليهود تخلقاً  
أنا لن أحابي من يخونُ الموثقاً  
سيظلُّ صبري في الدياتر مُشرقاً!  
وصريخُ أخذي للدليل مُدققاً  
عُدّ بها ربي يهَيئُ مرفقاً  
وأهّاجُ خندمة ، وقاد الفيلقاً  
والقلبُ لليوم العظيم تشوّقاً!

يا (هندُ) أين وعودُ أمسكِ والوفا؟!  
أين اتباعكِ للدليل ومنهج؟!  
أوهكذا تقضي المروءة والإخا؟!  
قد كنتُ أنشدُ من زواجك عيشة  
لم أصبحتُ حُلماً يُداعِبُه الكرى؟!  
قالوا: تمسكنَ كي يخورَ تمكناً!  
أنا لم أزلُ أكوى بنار صراحتي  
تالله ما قصّرتُ في إكرامكم  
اليوم هنتُ ، وقبل هانت عشتري  
أنا من يُحدّدُ دربه مستبصراً  
قولي لمن غال الوعود مغالطاً  
قولي لمن نقضَ العهدَ ماجحاً  
أنا لم يزل سَمتي الوفا متصبراً  
ديني وتوحيدي ونور عبادتي  
وقويُّ أخذي للكتاب وآيه  
وإذا اعتدى غيري ، وزيفَ وادّعى  
فالله يحكم بيننا يوم الجزا!



















































وجهرتُ بالحق المبين ، ونبضُ قلبي في المعامع يزفرُ  
وجوارحي مدفوعة ، ونتائجُ التنظيم عيني تنظر  
وأقول: يا بدعي ما أوتيت قلباً للحقيقة طيعاً  
حتى تعود إلي معين الحق تستفتي الهدى والمنبعها  
لما عرفت عن الكتاب وسنة ، ألفت دربك في الدجى  
وأنا كشفت الحق لم أكنتم ، ولم أكن حاذراً متحرجاً  
جئت طاقاتي ، وصغت أدلتي ، وشأحت كل خواطري  
وصقلت نية ثائر مُستعقب ، فصفت جميع سرائري  
لا ينصرُ الحق الشريف إذا أهين مُخذلاً أو صامت  
بل عدة النصر المُوزر في معاركه اليقين الثابت  
ماذا يُقدّم في مواجهة العدا أهل النفس الخائرة؟!  
وكم انرى الأعداء لأدوا في الوقائع بالحكايا الساحرة  
قالوا: سِنطعمُ في المواليد جئنا ، فنارنا لا تخمدُ  
وسنسهرُ الليل الطويل نقتوهم ، فجموعنا لا ترقد  
والأرض تشهد والمساجد والمواليد والأزقة والرمان  
في محفل تهوى العيونُ بهاءه ، ويُذيع ألوان الجمال  
بالرقص نُخيمي مولداً ، وبكل أصناف الغناء المؤتلق  
وبكل أطياف الغلو وبكل لفظ في الموشح مختلق  
نصفُ الرسول بما به اتصف المهيمُن ربنا البر الرحيم  
نطري ونمدحُ بالقريض المصطفى وبكل ترنيم رخيم  
وهناك قومٌ يلعبون قمارهم ، مما منهم متحرج

والفـانز الـدهقان منتصـر ، ويُعلـنـها ولا يـتـالجـج  
وهناك العبابُ بـدت نارياً نيرانها مثل الشـواظ  
أصـحـابها في لـعبـهم قـوم جـلاوذة دهاقـة غـلاظ  
وتضـيـع في أعبابهم صـلواتهم ، وكذا أساطين المـلا  
إن الموالـد صـارفات عـن مـرابـعنا المصـائب والـبلا  
وتـرى النـسـا متبرجات مـعنات مـيلهن إلى الهـوى  
جـئن اختلاطاً لا سـبيل لوصـفه ، والجـيل بالفوضـى اكتـوى  
بـدع تـرؤج وتـشـتهى وتضـم أـلوان التـبـذل والغـلو  
كم أطمعت فينا بما تحوي من الجهـل الأبالـس والعدو!  
كم أخـرت جـيلاً بما ألقى بها ، فإذا به يتـوقـع!  
لم ينتصـر يوماً على شهواته ، بل تانهاً يتـأرجـح  
يا أيها البـدعي أقصـر إذ رأيتك من ضلالك لا تـفـيق  
السـنة الغـراء مـدت كفهـا دوماً لتنتـشـل الغـريق!  
وأراك تمـعن يا مـغالـط في التـذبـذب أعجبـتـك الفـذالكـة  
وأجـدت أـلوان الخـداع بلا اكتـراث ، واحتوتـك الصـعـلكـة  
أبلغتـك الحق المـبين فـما ارعويت مـفضلاً رأيتـي السـديـد  
ولعبت دورك لا هيأ مـترنحاً تـأوي إلى هـزل العبيـد  
ونصحتـك لم أتركـك دون نصـيحة ، فقرعت للنصـح الطـبول  
ونصـحتي لم تـلق في قلب المـغالـط والمـناويء من قبـول  
أجـري على ربي العـليم بنيتي ، وإليه عاقبة الأمـور  
أبصرت رُشـدي ، والجهـول على عـمى يحيـا فأنى يسـتـنير!؟



ونأى بها صوبَ المفازة ميلا  
متأملاً فيما ارتأه طويلا!  
لتقاد قسراً بكرة وأصيلا  
تجبى على زوج يعيش رديلا  
أحكامها ، وتكلف التبجيلا  
فإذا تآبى أن يعيش ذليلا  
أمسى الخلاص من البلاء رحىلا  
منحي حماراً طيباً وذولاً!  
ترجولها بين الرجال حليلا  
حتى تبدل حاله تبديلا  
حتى تُرجع بأسسه المأمولا  
بين الأنعام مفضلاً تفضيلا  
والوجه يُمسي في الورى القديلا  
من صوتك اغضض لا تكن مخبولا  
كي لا أكون بُعدها مسؤولا  
وعلى عُقوبته يُقيم دليلا  
لك ذلت هذي الدنا تذيلا  
والحكم صوِدِرَ غنوة ، وأديلا!  
وحبا الفراسة عبده (البهولا)!

فإذا ببها قول يقد حميـره  
ورأى (الرشيد) جموعها مستغرباً  
متسائلاً عن أمرها ، ماذا جنت  
فأجاب (بهاول): جعلت ضريبة  
بالجبر تحكمه الحلياة ، فارتضى  
فالأمر ما أمرت ، ويُذعن طائعاً  
فليرتحل عن داره مستغنياً  
فإذا استكان لحكمها ، فضريبتى  
ورأيت في دربي فتاة غضة  
فجهرت هذي لـ (لرشيد) عروسة  
لتعيد فوراً ما تمزق من صبا  
فترى (أمير المؤمنين) بقصرها  
يسعى وقد منحتّه نورَ جمالها  
فإذا بـ (هارون) يقول مُبكتاً:  
أخشى استماع (زبيدة) لحديثنا  
فإذا ببها قول يُضاعف أخذه  
ويقول: إنك حاكم متأمراً  
أد الحمارين ، العقوبة ضوعفت  
سبحان من منح الرشاد عباده











خليفة ناصحاً بالخير داعياً إلى الصلاح ، رافضاً كل أشكال الظلم والاستعباد ، لم ينبض قلبه الطاهر إلا بمحبة شعبه ووطنه ، وبقي ثابتاً على العهد إلى أن توفي بمستشفى مدينة باتنة يوم الأربعاء 7 رمضان 1399هـ ، الموافق لـ 31 يولية 1979م ، ونقل جثمانه الطاهر إلى بسكرة حيث دفن بمقبرة (العزليات) بعد يومين من وفاته! وترك محمد العيد آل خليفة مكتبة عامرة بأعمال جليلة ، بينها ديوان شعري ضخم يفوق عدد صفحاته 600 صفحة ، من القطع الكبير ، طبع أول مرة عام 1967م ، وصدرت منه طبعات كثيرة مختلفة بينها طبعة دار الهدى التي اشتغلنا عليها ، وهي مطبوعة في 2010م ، وفي مكتبة محمد العيد مسرحية شعرية بعنوان: "بلال بن رباح" ، طبعت بالمطبعة العربية الجزائرية سنة 1938م ؛ ولديه من المقالات والقصائد المنتورة عبر الصحف الوطنية كثير لم يكتب لها أن تجمع بعد ، وإن كان محمد بن سميحة أنقذ "العديدات المجهولة" ، وهي مجموعة كبيرة من قصائد مجهولة لمحمد العيد ، وذكر ابراهيم لقان أن المادة الشعرية التي جمعها بن سميحة تغطي جميع مراحل حياة الشاعر ما بين 1920 م إلى 1974م! رحم الله محمد العيد آل خليفة ولقاه نظرة وسروراً ، وجزاه بمنه وفضله خير الجزاء عن الجزائر. والآن ها أنذا أرد له جميله على مصر وأهلها وشاعرها بنص مماثل! عساه يؤدي الغرض!

يا قَبْرُ أَرْسِلْ دَمَوْعَ الْوَجْدِ أَنْهَارًا      أما بَصُرْتَ بدمع الصَّيْدِ مِدْرَارًا؟!  
(محمدُ العِيْدِ) خَلَانَا ، وَوَدَّعْنَا      وَكَمْ بِكَيْنَا أَجَاوِيْدًا وَأَخِيَارًا!  
لو كان يُرْجِعُ دَمْعَ الْعَيْنِ مَنْ رَحَلُوا      بَكَتْ عَيُونٌ عَلَى الْمَاضِيْنَ أَدْهَارًا!  
تَهْمِي الْعَيُونُ عَلَى الْأَحْبَابِ غِيَّبَهُمْ      مَوْتُ يُوَافِقُ أَجَالًا وَأَقْدَارًا!  
إِذَا انْقَضَى أَجَلٌ أَلْفَيْتَ صَاحِبَهُ      مُوَدَّعًا أَهْلَهُ وَالصَّحْبَ وَالِدَارًا  
يَبْقَى الْمَلِيكُ ، وَيَفْنَى الْخَلْقُ قَاطِبَةً      وَلَيْسَ يُبْقِي لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارًا  
وَتَلْكَ سُنَّةُ رَبِّ النَّاسِ مَاضِيَةً      بِهَا يُقَرَّرُ جَمِيعُ الْخَلْقِ إِقْرَارًا  
مَنْ غَيَّبُوا الْيَوْمَ عَن مَشْهُودِ عَالَمِنَا      بِالْأَمْسِ كَانُوا بِهِ بِالطَّبَعِ حُضَارًا  
لو حَيَّرَ الْمَوْتُ لَمْ يَجْرَحْ مَشَاعِرَنَا      بَلْ يَسْتَجِيبُ لِمَا نَزَجِيهِ أَعْدَارًا  
وَإِنَ لِلْمَوْتِ فِي يَوْمِ الْجَزَا أَجْلًا      كَبْشًا سَيُوتِي بِهِ يَشُدُّ أَنْظَارًا!  
أَهْلُ الْجَنَانِ ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي شُغْلٍ      وَيُسْأَلُونَ فَلَا يُخْفُونَ أَخْبَارًا  
هَلْ تَعْرِفُونَ الَّذِي الْعَيُونُ تَنْظُرُهُ؟      يَقُولُ كُلُّ: (نَعَمْ) ، يَسُوقُ إِشْهَارًا  
وَبَعْدُ يُذْبِحُ ، وَالْخَلْوُودُ يَخْلَفُهُ      وَلَيْسَ تَجْرِي دَمَوْعٌ بَعْدُ أَنْهَارًا



هو الذي جاهد الفجار منتظراً نصراً أصراً على جدواه إصراراً  
حتى استقلت ، فحياها وبجأها وأسفر الصبح بعد الليل إسفارا  
وعاد للبيت في زهدٍ ومسكنةٍ للذنب يسْتَغْفِرُ التقى غفارا  
ما بين (بسكرة) وافى و(باتنة) مناولاً غيرَه درباً وأدوارا  
حتى إذا خلت الرجعى بباتنةٍ وأعدر الموت للرحمن إعدارا  
طوى الحمام بأمر الله صفحته وأقبر الجسم بعد الموت إقبارا  
وفي (العزيلات) بات الجسم مُجدلاً يشكو إلى الله تقصيراً وأوزارا  
أكرمهُ يا ربنا ، وارحمْ تذللهُ وكنْ له المونسَ الكريمَ والجارا!  
واخلفه في شعره ، أنت العليمُ به! انشُرْ قصائدَ أملاها ، وأفكارا  
واسترْ عليه ذنوباً أنت تعلمُها! لا ذنبَ إمّا دعا ذو الذنب ستارا!  
واجبُرْ كسوراً عتتْ عن أن يُعالجها! ما الكسرُ إمّا التقى ذو الكسر جبارا؟















مَن أجازوا هل عندهم أي رُشد؟!  
واستساغواها في القرى والبلد!  
واستقرت ما بين (هند) و(سند)!  
كيف؟ قالت: هذا هو الشأن عندي!  
بل وسمت عمي وخالي وجدي  
وعلى هذا كل شوها وخود!  
واقتردي الكل دون أخذ ورد!  
والأراضي تُصان من أي فقد  
لاتباع الإسلام دين (الفردي)!  
ليس زوجاً ، هذا - وربي - تعدي!  
واستجيبوا لي تُدركوا ما قصدي!

هم أشقاء تحتوي الكل دار  
ثم راجت هذي البليّة فيهم  
ما استُبيحت في الجاهلية يوماً  
عددت (راجو) أزواجها باجتراء  
سمت قومي في (دهرادون) وسمتي  
الأشقاء أزواج أنثى لزاماً  
إذ (دروبادي) بنت (بانشاء) سنت  
هكذا الأملاك الكثيرة تُحمي  
نحمد المولى أن هدانا جميعاً  
إنما الحمؤ الموت هذا رشاد  
واسألوا العلم تُدركوا صدق قولي



ورضيت بالتركيع يكسر خاطري  
وانصعت للمحتل يدحض همتي  
سلب الديار ، ولست أنكر سلبه  
وعجبت من سقف المطالب لم يدع  
وغدوت مسخاً في الأنام مشوهاً  
لما أعدأبدأ (جميلاً) ، صدقي  
لما أبيت الخوخ يتجف دارنا  
أرغمت أن أرضى بما هم قدموا  
أسلمتهم نفسي وداري والحمى  
ورأيت سقف شهامتي متصدعاً  
أهديت للغازي الكنوز ، فحازها  
والدور جاعك يا (هنا) ، فحاذري  
لا يثارون لما أحل بدارهم  
بالذل جندت الرجولة غنوة  
نعتان قد وجد بقهر من اعتدوا  
و(جميل) هناهم ، وبارك غزوهم  
بل صار نعمة من يناوله الكلا  
لما يعد بين الفوارس عنتراً  
(شم النسيم) اليوم من أعياده  
وإذا غلا ثمن الفسيخ ، فهل له  
وإذا اشتكى نقص النقود ، فهل له

حتى أرسخ ما أتى ترسيخا  
وخشيت منه مقالباً وفخوخا  
وتعمد التدنيس والتوسيخا  
سهلاً ، ولا وعراً يلف سيوخا  
من ذا يقدر يا (هنا) مسيخا؟!  
أنا أستحق الزجر والتوبيخا!  
هل عاقل يابى الهنا والخوخا؟!  
حتى وإن هم قدموا الزريخا!  
كم كنت مفقدا الرشاد فصيخا!  
وأنا الذي صيرته مشروخا  
واليوم أطلب خاتماً وفتوخا!  
أمسى الرجال كما رأيت فروخا!  
هل ثائر من يقبل التبريخا؟!  
وبعاريها قد ضمخت تضميخا  
والحق ألا يقهرا ويزيخا  
لما يعد بين الضحايا الذيخا!  
والعشب والبرسيم والبطيخا!  
حمل الحسام وقبليه الشمروخا  
وله أعد زخارفاً وفسيخا  
أن يشترى إما اشتهى (البطروخا)؟  
أن يشترى بقليله الطريخا!؟





فحاز ما حاز بالأموال يُنفقها      وصانَ ما حاز لم يقبل له بدلا  
وبعد لأي خبثتْ نجومُ فرحته      وبات كلُّ الذي يسعى له ظللا  
فراح يسألُ مَنْ غابوا وَمَنْ حضروا      أين السعادة لا أبغي لها حولا؟  
قيل: السعادة في استثمار كل غنى      فاستثمر المالَ خَلَّ الخوفَ والكسلا  
فقال: أفعَلْ دُلوني ، فبي شَغَفْ      إن المشاريع كم تستقطبُ البطلا!  
وبعد عام نمتُ أموالُ ذي شُغْل      إذ أتقنَ الباذلُ المستثمرُ الشُّغْلا  
وما جنى مِنْ سَنَا الأفراح خردلة      فمَدَّ كفاً إلى الرحمن مُبتهلا  
يقول: يا رب أسعدني صباحَ مسا      مِنْ قبل أن أدرك الرحيلَ والأجلا  
فَقيل: أكرم ذوي العاهاتِ ، أنت لهم      أبُّ شَفِيقٌ ، فكنْ بالأمر مشغلا!  
مُعَوَّقون ، وَمَنْ يُصغِي لنكبتهم      هذي مشاكلهم نرجو لها رجلا  
في الدار مَنْ بترَ الطبيبُ أرجلهم      أو الكفوفَ ، لكي يُعالجَ الخلا!  
وبعضهم لم يكن يوماً بهم سَقَم      وفجأة كابدتْ جُسومهم شللا  
لو اشتريت لهم مقاعداً صُنِعَتْ      حتى تكون لهم في عيشهم وُسْلا  
تكونُ أهديتهم أكسيرَ فرحتهم      حتى ترى جرحهم ببَذلك اندملا  
فوفَّق الله للحسنى أخا كرم      فخصَّ أهلَ البلا بالجود مكملا  
لَمَّا اشترى لذوي البلوى مقاعدهم      ساق الحياة لهم والحبَّ والغزلا  
وجاء منهم غلامٌ طيبٌ دَمِغٌ      يقول: يا سيدي قد جنُّكم عَجلا  
أرجو تذكَّرَ وجهِ جادِ صاحبه      بالخير يُذهلُ مَنْ يفكره اعتملا  
شكرتُك اليوم ، فالجميلُ سربلني      وسوف نضربُ بالتفضُّل المَثلا  
أردتُ شُكرَكَ يوم البعثِ في مَلا      والله مُكرمٌ معطاءً بما عملا!



ولم تحقِرْ سِماتك أو فِعالك  
فشجَّ الحقُّ مُنتقماً نِعالك  
ألم تشغِلْ بسُكنى القبرِ بالك؟!  
وسُكنى القبرِ ما زارتْ خيالك  
فهل أنقذتْ من بلواك حالك؟!  
أراك تُديمُ في الفوضى احتيالك  
ألسنتُ مُكافئاً ترجو اعتدالك  
ألسنتُ تُكفُّ مكرَك واحتيالك  
وهل عوجُ تُقيمُ به ظلالك؟!  
أحبَّ الناسُ في شغفِ جمالك  
ووقرَ كلَّ خلقِ الله ألك!  
وبجَّلَ قومك الكرمَ ما عيالك  
فحسُنُ الصَّيتِ كم يُشجِي مآلك!  
ألسنتُ تريذُ في الشَّرِّفاً جلالك؟!  
ألسنتُ تخافُ يا هُزءاً سؤالك؟!  
ويقتحمُ الخنا جبراً شِمالك  
وليس يُفيدُ قولُ الناسِ: (مالك)؟!!

وفقت الكُلَّ في أخزى فِعال  
وضعت الحقُّ تحت ثرى نِعال  
ألم تحسِبْ حساباً للتناي؟!  
وذكرُ الموتِ يَدَحْضُ كلَّ سُوأى  
وحالك مُؤدِّنٌ بضِياعِ عز  
وليس يَدومُ عيشُ التيهه هذا  
فَعِشْ ما عِشْتَ مُعتدلاً تقياً  
قضيت العُمَرَ في أخزى احتيال  
وظلك ما استقام لعيبِ عُودِ  
أتيت إلى الدنا طفلاً جميلاً  
ووسط الخلق كنت سليلَ أهل  
وكنيت الشهمَ ذا زوج وطفل  
فغمَرَ في مآلك بعد حين  
تزيدُك طاعة المولى جلالاً  
وسؤلُ القبرِ مُرتصدِّ وشيكُ  
ستأتيك الكبانرُ عن يمين  
فأقصِرُ عن معاصِ ليس تُحصي!

## عروسٌ في غير زمانها!

(عروسٌ مصريةٌ اشترطت على العريس شرطاً من أغرب الشروط في الدنيا! ما هو الشرط؟ الشرط أن يتزوجها هي وصديقتها بمهر واحد ، وفي بيت واحد. وذلك بمبادرة منها لمساعدة صديقتها العانس - التي جاوزت الثلاثين - على الزواج ، حيث إنها اشترطت على العريس الذي تقدم لها أن يتزوجها هي وصديقتها. وبحسب المعلومات الواردة من المصدر الموثوق أن العريس وافق على ذلك شريطة أن يجمعها في منزل واحد! ودفع مهراً واحداً لأن ظرفه المالي لا يسمح بأن يدفع مهريين ويفتح بيتين وقد دعت الفتاة المصريه إلى الاعتماد على مبادرتها ومحاكاتها وتقليدها لما في ذلك من فائدة في تخفيف العبء في العالم، على حد تعبيرها والعجيب أن تكون المفاجأة في نجاح الفكرة ، وقام البيت على الزوجتين الصديقتين والزوج القيم عليهما ، وتحقق مبدأ (طعام الاثنين) يكفي الثلاثة! وانفتحت على الزوج أبواب الرزق ، وبارك الله له وبارك عليه! وقامت خلافات عالجها الشرع والحب والصدقة معا! فما أغربها من قصة! ولا في الخيال كما يقولون! من أجل ذلك كتبت مُشيداً بها ومُطرباً لأخلاقها هذه القصيدة! وأسأل الله تعالى أن نرى مثل هذا الجود ، ومثل هذه الشهامة ، في قابلات الأيام! ولها بحق حكم النادر في زماننا هذا!)

تُمِيتُ الصداقة رُوحَ جَفَتْ	وتُحيي الصداقة رُوحَ صَفَتْ
عَجِبْتُ لأمر العَروسِ التي	بأعجب شرطِ غريبٍ أتت
وهل شَهْدَ الدهرِ أعجوبة	كمثل التي هذه أحدثت!؟
سَمَتَ بالصداقة عن أوجها	فأنعم وأكرم بما قد سمت!
خبرنا الكثيرَ بأهل الوفا	وعنهم سمعنا عَظِيمَ النكت
وكم ذا قرأنا ، وكم ذا كتبنا!	ولسنا على غيرنا نفتت!
وقد تقسّمُ النفسُ مطعمَها	ومشروبها ، ثم لا تلتفت
وتُهدي اللباسَ وما تشتهي	وليسنَّ لمن أنكروا تنتصت
وتؤثرُ بين الوري غيرها	وتكـرمهم دون أدنى عنـت
وفي قسمة الزوج حار النهي	وكناد من الدهش أن ينكبت
عروسٌ تُبالغ في شرطها	فهل شرطها المستحيل وعَت!؟
وهل يا تُرى أدركتُ كُنْهه!؟	وهل في عواقبه فكـرت!؟
لقد تخسرَ الزوجُ شادته به	وكم في مناقبه أنشدت!

وتبأى الصديقة عن قربها  
مخاطرة هذه مُرة  
أتأتى بضرتها تجتني  
كأني بها جهزت نعشها!  
وهل تأمن الحال بعد البناء؟  
لقد يأكل الدود محصولها  
وتحصد ضرتها أرزها  
وقلنا: ستندم أن أحسننت  
ولكن رعى الله إحسانها  
ودار على الخير ضمتها  
حديث المجالس في أنسها  
وباتت مثالاً سما وارتقى  
يميناً تحيرت في وضعها  
فأله في خلقه شأنه

وتبأى بما نالها بالشمت  
وشرط من الرشد كان انفلت  
مُصفاة جهرة ما اشتهت  
يقيناً ، فأبسن بما جهزت!  
فأما تغير قد خطمت!  
ويذهب كل الذي أمّلت!  
ويبقى لمن أشركتها الغلت!  
إيها ، وتوَجَّرُ أن أحسننت!  
وبارك فيها وفيمن أوت  
وزوج رأى ما العروس ارتأت!  
فأكهة القول قد أصبحت  
وسيرتها في الأنعام ارتقت  
وغال القصيدة بعض الغلت  
فبارك لمن أخلصت!























تقليد الكفار أيضاً ؛ لأن هذه العادة سرت إلى المسلمين من النصارى ، ويرجع ذلك إلى عادة قديمة لهم عندما كان العريس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول: باسم الرب ثم ينقله واطعاً له على رأس السبابة ويقول: باسم الابن ، ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: باسم روح القدس ، وعندما يقول: أمين ، يضعه أخيراً في البنصر حتى يستقر!! ومن منكرات الأعراس كذلك: التشريعة عند الزواج! وهي أن تلبس المرأة ثوباً أبيض كبيراً لا تستطيع المشي به حتى يحمله معها عدد من النساء أو الأولاد ، وتلبس معه شراباً أبيض وقفازين أبيضين كذلك ثم توضع في مكان فسيح وعلى ملاء من الناس ، ثم يدخل عليها الزوج ويسلم عليها أمامهم ويعطيها التحف والهدايا ويتبادل معها أطراف الحديث ، وربما شاركه في هذا أقرباؤه كما هو حاصل في بعض البلاد! وهذه العادة هي امتداد لعادات بعض الكافرين، وفيها من السرف ما لا يخفى! ومن منكرات الأعراس كذلك: المنصة: وهو دخول العريس والعروس وجلسهما في مكان عال بمراى من جميع الحاضرين. وفي هذا يقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: "ومن الأمور المنكرة التي استحدثها الناس في هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء ويجلس إليها زوجها بحضرة النساء السافرات المتبرجات ، وربما حضر معه غيره من أقاربه وأقاربها من الرجال ، ولا يخفى على ذوي الفطرة السليمة والغيرة الدينية ما في هذا العمل من الفساد الكبير ، وتمكن الرجال الأجانب من مشاهدة الفاتنات المتبرجات ، وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة. فالواجب منع ذلك والقضاء عليه حسماً لأسباب الفتنة وصيانة للمجتمعات النسائية مما يخالف الشرع المطهر". ومن منكرات الأفراس خروج النساء من بيوتهن متطيبات وهن في طريقهن إلى العرس يتعرضن للمرور على الرجال ، وهذا بلا شك حرام. فمن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أيما امرأة استعطرت ، فمرت على قوم ، ليجدوا ريحها ، فهي زانية) ! وحققة فليتب أهل الجاهلية من معاصيهم!!

على عرسكم بكت الباكية	وجادت بأدمعها الغالية
وتنعي التقاليد أين مضت	وتأسى على القيم السامية
وتسنتطق الدور عن مجدها	وهمة أقوامها العالية
وتسألها أين أهل الحجا؟!	وأين الحواضر والبادية؟!
وأين الغطاريفُ بين الورى؟!	وأين المحاريبُ والزواوية؟!
وأين الأشساوسُ إن زمجروا	أزالوا لظى المحنة الجاسية؟!
لماذا استكانوا لأعدائهم	وأزتهم الهجمة الضارية؟!
لماذا ارتأوا في الضلال الهدى؟!	ألم يذكروا الأعصر الخالية؟!
لماذا استباح العدا دارهم	فعاشوا بها عيشة الماشية؟!

وفوضى تقوُد إلى الهاوية؟!  
على الفتنة الفجأة العاتية؟!  
لتستأصل الشرعة الهادية  
فهل تُفْلح الأُنفسُ العاصية؟!  
وتأتي برقاصدةٍ غاوية  
بألفاظها الغثة الصادية!  
وترقص فتانة عارية!  
وكم فيه من خيبة بالية!  
قلوباً تُحبُّ الهوى لاهية!  
بانغامها العذبة الشادية  
مع الهزل والفرقة الهادية!  
ليجلس في (الكوشة) الضاوية!  
إلى الهُزء بين الوري داعية  
وفستتان ساقطةٍ عارية  
على العرض ، أو غضبةٍ واعية؟!  
يُجاهدُ في الحفلة البالية؟!  
وقد أحرزا الضربة القاضية!  
تزيدُ حنا الطغمة الغافية  
فجادَ بقبَلتِه الحانية!  
وأشبع شهوته الحامية!  
وأسلمتِ الرأسَ والناصية

وهل يُصلح الدارَ عيشُ الخنا  
لماذا تُراهنُ أعراسَهُم  
فتشهرُ في الناس أسيافها  
وتجهُرُ بالمعصيات استمتت  
تُذيعُ الأغاني ، وتزهو بها  
تُعني وتُبدعُ آهاتِها  
تُجاهرُ بالفسق ديانهَا  
تري الاختلاط قرينَ الهنا  
وتسسمو المهازلُ إن أنستت  
وتعلو الزغاريدُ ملءَ الفضاء  
كأن النساءَ على موعدٍ  
ويأتي (العريسُ) له ضجّة  
جوار (العروس) حلت جلسة  
بمكياجها كي تُرى سلعة  
أليس هنالك من غيرةٍ  
أليس هنالك من مُنكر  
لَعاءَ للعروسين قد عربدا  
أمام الجميع حلت رقصه  
وزاد العريسُ شقاً عرسه  
يميناً تمرغ في وحاه  
لَعاءَ للعروس له استسلمت

وأختاً تُطَّأوعُ كالجارية  
كمثل البعير اشتهى راغية؟!  
كمثل الخروف ارتأى ثاغية!  
من الرِّجس والسَّكرة النابية  
مهازلله في الغثا بادية!  
محارم ربك يا طاغية!  
وماذا تؤمِّل في الباقية؟!  
والا تثب فارتقب داهية!

وقبَّل من فجره أمها  
فمن ذا أجاز له ما أتى  
يوسُ ويحضُنُ بعضَ النسا  
عديم الحياء كفى ، واسنَّفِقُ  
وأبئس بغرسك من مرتع  
وصورت نفسك مُسـتمراً  
ألم تسأل النفس ماذا جنّت؟  
هداديك أقصر ، وتُـب ، واعتبر

## لا تعرفني ولكني أعرفها!

(طبيبة سعودية تقول: دخل على رجل يسمى محمد في الثلاثين من عمره ، ومعه أمه يحضنها لأنها تريد أن تهرب منه ، وترمي خمارها فيعده وتعض يده وتخدشها وتبصق في وجهه وهو يتبسم ، أدخل أمه العيادة ، فرمت خمارها وبدأت تضحك ضحك المجنون الذي لا عقل له ، وتدور على طاولة الطبيبة! سألته من هذه: قال أمي. قلت: ما بالها؟! قال: ولدت بلا عقل ، قلت: وكيف أنجبتك؟ قال: زوجها جدي لأبي عسى أن تُرزق بولد ، فتزوجها أبي ، ولكنه طلقها في العام الأول وقد حملت بي وأنجبتني ، ومنذ أن كنت في العاشرة من عمري و أنا الذي أخدمها وأطبخ لها ، وإذا أردت أن انام اربط قدمي في قدمها ، أخشى أن تهرب ولا أجدها. قلت: لماذا أتيت بها. قال: تُعاني من السكر والضغط. والأم تضحك وتقول: أعطني بطاطس؟ فيعطيها. تبصق في وجهه فيضحك ويمسح بصفتها. ثم قلت له: هذه أمك لا تعرفك؟ قال: لا والله ما تعرف أني ابنها ، لكني أنا أعرف أنها أمي ، والذي خلقتني يعرف أنها أمي وأني ولدها! ثم تناديه أمه وتقول: أنت كذاب لم ما تسفرني إلى مكة؟ قال: الخميس القادم يا أمي ، أما قلت أني سأذهب بك الخميس؟ فقلت: أتذهب بها وقد زال التكليف عنها؟ قال: كلما أرادت مكة أذهب بها لا أريد أن تتمنى شيئاً وأنا قادر على تحقيقه ولا أعمله لها! ثم خرج مع أمه. وأغلقت الباب وبكيت بكاءً مريراً! فقد سمعت عن البر ، لكن أن أرى شاباً لا تعرفه أمه ، وحياته تحت قدمي أمه ، يخدمها حتى يقضي الله بينه وبينها صفحة بر جميلة ، غيره كان قد رماها في مصحة الأمراض العقلية ، لكنه أراد رفقتها ليبقى باب الجنة مفتوحاً في حياته! والعبرة أن هذا بر رجل بأمر لا تعرفه ، ونرى العقوق من أبناء تعذبت أمهاتهم تحت أقدامهم حتي يكبروا. كل واحد يعد زاده الذى يحتاج إليه يوم القيامة أمام ربه. وصدق الله العظيم إذ يقول: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) رزقنا الله وإياكم حسن البر والطاعة لوالدينا وجعلهم لنا باب الجنة المضمون بحول الله تعالى. كم كتبت عن البر كما كتبت عن العقوق! ولكن هذه القصيدة في البر لها طابع خاص وتدوق سام راق ، ولولا كونها حدثت لقلت إنها من نسج الخيال! فليبشر كل بار بأمه!)

أراني بها أرقى الذرى والمعالي      وأهزم بألبر الأذى والدواها  
وأسمو إلى المجد المنيف موقراً      وإن لم أكن يوماً لذا المجد بانياً!  
يُبلغني حُبي لذى الأم عزتي      فأمسي إلى البرِّ المضاعف ساعيا  
تقولين: هذي الأم لا تعرف الفتى      ومعرفتي تكفي ، كفى بي مواسيا!  
ومهما تعدت في التلاحي حدودها      فلست لها فيما تجنت مُعاديها  
كفاني بها أمّاً بلّيت بحملها      فبث لها إفاً وخلاً وراعياً  
تغذيني حيناً ، وحيناً تُريحني      وأبقى رهينَ الحاليتين مُواخياً!

فأمسي بهذا اللطم للوجه راضيا!  
فأدلكه ذاكاً ، وأضحى مُصافيا!  
لكل جراحاتي الطيبب المُداويا  
بأيّ ، فأبقى منه رِداً مُعانيا  
فيشغني بذلي ، وإن بتّ طاويا  
وأسأل رباً للعليلين شافيا  
أقاسي ، وأبقى طيلة الليل داعيا  
وأحيا رهين الكرب والحزن ثاويا  
لفضلي قلت أقوامها والمواليا  
ثريدين أن أحيا مدى الدهر خاليا!  
وما كنت بالتوصيف للطبّ واعيا  
كفى باعتلال القلب داءً وأديا!  
ووفى لها مثلي ، فكم عشتُ وافيًا!  
وبري لها يُزجي الرضا والمعاليا  
فليس رباطي قط بالألمّ واهيا  
وأفنى وتفنى ، والعطا بات باقيا

وكم لطمت وجهي ، ولم تذر ما أتت  
وكم ناولتني من عطير بصاقها  
وما أعذب السبّ البذيء أخاله  
وأجمّل ساعاتي إذا عنفت يدي  
وتطلبُ مني ما تمنى فؤادها  
وجئتُ بها المشفى ليبراً سُقمها  
بأن يشفي الأمّ التي لاعتلالها  
وآسى لما عانت ، ويخفّتي الجوى  
ألا سجّلي أجدى العقاقير حسبة  
تقولين: خذها للمصحة ، واسترخ  
أنا قلت ما عندي ، وللطبّ قوله  
فقيسي لها ضغطاً ونبضاً وسُكراً  
وكوني لها بنتاً تُداوي سِقامها  
ألا إنني أحيا ببسمة ثغرها  
علمتِ لماذا قلت: يكفي تعرفي  
وأطمعُ في جناتِ عدن بوُدّها



وما حَلَّتْ عَيْشَةٌ مِنْ بَعْدِ فِرْقَتِهِ  
 لَوْلَا نَسَائِمٌ مِنْ ذِكْرِهِ بَاقِيَةٌ  
 (أسماء) مِنْ بَعْدِكُمْ يَا سَيِّدِي عَدَمٌ  
 مُزْرَكْشُ الثَّوْبِ جَافَانِي الظَّهْوَرُ بِهِ  
 وَالْعَيْنُ مِنْ كَثْرَةِ الْبِكَاةِ قَدْ ذَبَلَتْ  
 وَالْعَطَرُ زَائِلُهُ شَذَاهُ مَعْتَذَرًا  
 لِمَنْ أَعْطَرُ جِسْمًا رُوْحَهُ سَأَلِبْتُ؟!  
 (لا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسِ) يَجْتَنِّي شَجْنِي  
 قَيْنِيَةَ الْعَطْرِ ذِي عَلِيٍّ قَدْ حَرَمَتْ  
 تَرَكْنَاهَا فَوْقَ قَبْرِ الزَّوْجِ عَنِ رِغْبِ  
 أَعِيْشُ تَجْرَحْنِي الذِّكْرَى صَبَاحَ مَسَا  
 وَالطَّيْفُ يَقْتَلْنِي بِدُونِ مَرَحْمَةٍ  
 وَلِلْأَحَاسِيْسِ وَجْدٌ لَا يُفَارِقُنِي  
 وَلِلْعَوَاطِفِ تَرْجِيْعُ أَذُوْبٍ لِيهِ  
 وَكَمْ أَرْدُدُ مِنْ أَقْوَالِهِ زُبْدًا!  
 (عروس) مِنْ عَلَى الْوَجْعِي وَرِقِّ لَهَا  
 مَا كُنْتَ يَوْمًا عَلَى (أسماء) بِمُفْتِنْتِ  
 عَلَيْكَ رَحْمَةَ رَبِّ النَّاسِ مَا يَنْعَثُ

وَالْقَلْبُ مِنْ شَوْقِهِ لِإِلْفِ مَفْوُودِ!  
 لِهَذَا نِي الْمَى كُوي ، وَتَنْهِيْد  
 يَبْكِ عَلَى ضَنْكهَا الْعِلْمَانُ وَالْغِيْد  
 وَالْقَلْبُ مِنْ أَثَرِ الْمَأْسَاةِ جُلْمُودِ  
 وَلَنْ يُعِيْدَ لَهَا الْيُنُوعَ تَثْمِيْدِ!  
 أَوْلَى بِهِ بِأَنْعَاثُ الْحُسْنِ ، وَالْخُودِ!  
 وَلَنْ يَعْوْدَ ، فَأَمْرُ الْفَقْدِ مَشْهُودِ  
 كَمْ بِالْثَّفُولِ زَهَتْ أَيَّامِي السُّوْدِ!  
 وَلِي عَلَى تَرْكِهَا عَزْمٌ وَتَأْكِيدِ!  
 حَتَّى تُذَكِّرَهُ ، فَالْأَمْرُ مَقْصُودِ  
 وَلِلْجِرَاحِ دَمٌ ، وَلَيْسَ تَضْمِيْدِ  
 فَهَلْ يُخَفِّفُهُ شِعْرٌ وَتَقْصِيْدِ؟!  
 وَكَمْ يُثِيْرُ هَوَى الْمَحْبُوبِ تَوْجِيْدِ!  
 عِشْقًا ، وَيُطْرِبُنِي طَوْلٌ وَتَمْدِيْدِ  
 أَوَاهُ كَمْ يُلْهَبُ الشِّعُورَ تَرْيِيْدِ!  
 فَكَمْ يُعْذِبُهَا شَوْقٌ وَتَسْهِيْدِ!  
 كَمَا يُعْنَفُهَا فِي الْعَيْشِ رِغْذِيْدِ!  
 زَهْوَرُ رَوْضِ تَمَلَى عِطْرَهَا الصَّيْدِ!

## لقد استرجلت النساء!

(إن استرجال النساء في عصرنا قد بلغ منتهاه! وصرنا نرى النسوة تزاحم الرجال حتى فيما اختص الله به الرجال! فلأغلب النساء ثياب ومشية وطريقة ووظيفة وعمل الرجال للأسف! وتحت عنوان: (ثم استرجلت الإناث) يقول الأستاذ مشاري بن عيسى المبلغ ما نصه بتصرف يسير: (خلق الله الخلق من الإنس ، فجعلهم على نوعين: ذكر وأنثى ، وأعطى كل صنف خصائص وصفات يتميز بها عن الآخر ، وجعل كل واحد منهما مكملًا للآخر ، فلا يستغني نوعٌ عن نوع. وبقي الناس راض كل منهم بخلق الله له ، حتى وردت علينا من سموم الغرب وآفاتهم ما ورد بلاد المسلمين ، فصار المنهزمون فينا يتلقفون ما يأتهم من سيء ما عندهم ، تلقف الظمان للغيث حين ينزل عليه ، فيقبّله ويطبقه على نفسه ، ويظن أنه قد أتى الحضارة من أعظم أبوابها وأن لا أحد يعلوه رتبة إلا أولئك الذين زادوا عليه في استهلاك قاذورات ذلك العالم المنحل. واليوم -أيها الكرام- قد أطلت علينا بلية حادثة ، وموضة نابذة ، ابتليت بها فئات عريضة من فتياتنا ، وعدد من فتياننا ، ولولا أن المنبر رسالته المهمة بعد المواعظ هي معالجة ما يقع في المجتمعات من المشكلات ، لما تطرقت للموضوع ؛ لأن المساجد مهمتها الأولى: (أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ). لما ذكرت ذلك هنا، ولكنها بلية عمت ، وامتلأت بها الجامعات والمدارس والملتقيات وطمت ، فكان لا بد لنوي الجهل من التبصير ، ولأصحاب البصائر من التذكير! تلکم - أيها المؤمنون - بلية الجنس الرابع تشبه النساء بالرجال ، وعكسه موجود ، لكنه بصفة أقل بكثير ، وهي التي تسمى شهرة: "البويات" ويعنون بها الفتيات المسترجلات ؛ لأن أصل هذه الكلمة مأخوذ من تسمية الأولاد باللغة الإنجليزية. كما أن هذه التقليدية وردت إلينا منهم جنبنا الله قبائحهم ، ومن جهل هذا الأمر ؛ فليسأل بنته ، أو زوجه أو أخته ، وستخبره بما يجعل الحليم حيراناً! وهذه الظاهرة هي انعكاس لتمرّد أنثوي على الفطرة السليمة التي خلق الله عليها الفتاة، فتحاول: "البوية" كل ما تستطيع أن تبذو بخلاف كونها أنثى ؛ حتى تقنع من حولها بأنها ليست كذلك ، فترتدي الملابس الرجالية ، وتقص شعر رأسها ، وتخشن من صوتها ، حتى إن بعضهن يحلقن لحاهن بالموس ، حتى تبرز شواربهن أو لحيتهن ؛ بل وتطلق أخريات على أنفسهن أسماء ذكورية ، وغير ذلك مما يحسب على سلوكيات الرجال والشباب ، ثم لا تسلب بعد ذلك عن توابع هذه التصرفات ، إذ يصل بهن الأمر إلى أمور لا تغيب عن أذهان الكثيرين ، وبروز هذه الظاهرة ليس وليد اليوم ، بل هو نتيجة لتراكم أسباب كثيرة ، منشؤها عوامل أسرية ، ونفسية ، وغيرها ، ففيما يخص الأسرة. فإن من أهم ما يدفع الفتاة إلى التحول إلى كونها مسترجلة: انشغال الأسرة عن متابعتها ومراقبتها ، والذي ربما يؤدي إلى إحساس الكثير من الفتيات بالحرمان من العاطفة والحنان ، وهو ما يكون له رد فعل سلبي على سلوك الفتاة الضعيفة التي تسعى إلى تقمص دور الرجل بما له من صفات قويّة ، وقدرة على الصبر والتحمل. ومن ذلك أيضاً: انعدام التربية السليمة ، والتفكك الأسري الذي يكون له آثاره الخطيرة والمدمرة على الأبناء ذكوراً وإناتاً ، حيث يفقد الأبناء القدوة الصالحة ، وصوت النصيح والإرشاد ، ويُضاف إلى ذلك بعض الأخطاء التي يرتكبها الوالدان فيما يخص تعاملهما مع ابنتهما ، خاصة إذا كان كل إخوتها من الذكور ؛ إذ هي تستشعر أي تمييز في هذه المعاملة ، وهو ما يكون له دوره في تنشئة هذه الفتاة وتشبّعها بالصفات الذكورية. كذلك ، فإن الصداقات وصحبة السوء يمكن أن تكون من العوامل المؤثرة لتحول الفتاة إلى "البوية". كما أن البعد عن الدين والقيم الإسلامية ، والتعرض للإثارة الجنسية الدائمة - كل ذلك - كفيل بأن يدفع بعض أطراف هذه الصداقات إلى الوقوع في



فرخص الله للرجل في تأديب امرأته وضربها ضرباً غير مبرح ، إن هي خرجت عن الطاعة وتعننت على القوامه ، وليس معنى هذا أنها قوامه سَطوة واستبداد وسلطة قوة واستعباد ، وإنما هي قوامه التزامات ومسؤوليات وهيبه! هكذا يريد الله وبهذا أمر الله! ولكن ما هو الواقع؟ وكيف أصبح الحال؟ وما الذي حصل حين تنازل بعض الرجال عن قوامته التي أعطيت له فقام بتسليمها إلى امرأته وتركها لها؟ وأنزل نفسه منزلة غير المنزلة التي أعطاه الله إياها! وماذا نتوقع النتيجة؟ إن الذي حصل هو أن المرأة أصبحت هي كل شيء! فهي من تأمر وتنهاى وهي من تحاسب زوجها ، وليس هو من يحاسبها وتتجراً على قول أقوال عظيمة وفعل أفعال شنيعة في حقه! فلا يتجراً على الرد عليها فضلاً عن معاتبته أو محاسبتها ، وتقوم بالتسلط وزرع الفتنة وخلق المشاكل بين زوجها وبين أهله ، لأنها عرفت ضعفه وانحيازه الكامل لها وخضوعه وسكوته عنها ، وكلما زادت في السيطرة عليه والتحكم فيه كلما ألزمته بتقديم التنازلات حتى يخضع لها ، لتكون هي المسيطرة على البيت بأكمله وتفرض سلطتها على كل من في البيت بمن فيهم الزوج نفسه فيصبح الزوج المسكين فرداً عادياً وشخصاً هشاً داخل البيت لا يقدم ولا يؤخر! إنها مشكلة كبيرة حين تصبح كلمة الرجل في المنزل ثانوية ، وليست أساسية ، فالكلمة الأولى والأخيرة للمرأة ، والقول قولها والرأي رأيها! فهي بهذا الأمر النهائي الذي لا يرد أمره ولا نهيها!

وإذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

بل ربما تتدخل حتى في شؤون الزوج الخاصة ، فتلزمه بكذا أو تخيره بين كذا أو كذا أو تطلب منه أموراً غير منطقية ولا معقولة ، فلا يجرو على أن يقول لها لا! وإن قال لها لا أظهرت له الشراسة والنشر! وأظهرت له صعوبة التفاهم معها وصعوبة رضاها ، وربما رفعت صوتها وأسمنت الآخرين قوة حنجرتها لتذيب زوجها أمامهم ، لكي يخجل مرة أخرى من مصادمتها أو معارضتها خوفاً من تصرفاتها ، وفي النهاية يصير العوية بيدها لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً إلا بأمرها وإذنها ، ولو أنه تدرج معها بما أمر الله به في الآية المذكورة أنفاً لما تجرأت على شيء من هذا ، ولما وصلت الجراة والبذاءة ببعضهن إلى أن تقاطع حديثه ، أو تمد يدها عليه ، أو تشهر به عند الناس ، أو تؤلب عليه أولاده ليقوموا بتنغيصه والتضييق عليه ، ويكتمل العجب حين يكون الرجل شخصية قوية خارج البيت سواء كان في العمل أو بين أصحابه ، لكنه داخل البيت تتلاشى شخصيته وتذهب عقليته وتضعف نفسيته أمام زوجته. إن من أعظم الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة السينة هو أن كثيراً من هؤلاء الرجال قد سقطت هيبه الله في قلبه فأسقط الله هيبته عند أهله وتجراً على الله بالمعاصي والذنوب وإدخال المنكرات والفواحش إلى البيت واستخف بها ، فسלט الله عليه من يستخف به وأبى أن يكون عبداً خاضعاً لله ، فجعله الله عبداً لفلان أو لفلانة تسخره كما تشاء. يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ: فَيَجِبُّهُ جِبْرِيْلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيَجِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ" يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: "إنما يهابك الخلق على قدر هيبتك لله عز وجل". إن فعل المعاصي وممارسة المنكرات من قبل الأزواج داخل البيوت أو خارجها أسقطت هيبتهم في قلوب زوجاتهم وأولادهم ، فاستخفوا بهم واستهانوا بهم ، ومن يهن أمر الله ودينه وشرعه يهينه الله ويذله

ويخزيه: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ). فإذا أراد الرجل أن تكون له الهيبة في البيت والقبول خارج البيت ، فليعظم الله في نفسه وليقم بتأسيس بيته على تقوى الله ورضوانه وليزل كل منكر داخل البيت ، فهنا سيعظمه أهل بيته ويجلونه ويكنون له الإجلال والتقدير لأن من عظم الله أعزه الله ورفع قدره وأعلى منزلته وكتب له الهيبة والاحترام ، ومن تعدى على حدود الله وانتهك حرمات الله كتب الله عليه المذلة والمهانة والبغض في قلوب الخلق! يقول الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَخْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) ، فلنعد إلى ظلال الشرع الحنيف حتى نحمي أسرنا من هذه الظواهر والعواصف التي عصفت بمجتمعاتنا ، وأوجدت فيها التمرد على القوامة والقيم والفضائل. ومن الأسباب التي تجعل المرأة تتسلط على الرجل أن يخل الرجل بأمر القوامة كأن يقصر عليها في النفقة اللازمة أو يخل معها في الشهوة أو يفرط في الاتيان بلوازم البيت واحتياجاته الضرورية ، فتقوم المرأة بجلبها والمجيء بها ، وتكثر من الخروج إلى الأسواق لشراء احتياجات بيتها ، فتتعلم الجرأة والتسلط وتستغل المرأة هذه الثغرة ، وتعصر الرجل من هذا المدخل الذي قصر فيه فتتسلط عليه ، (وما المرء إلا حيث يجعل نفسه \*\*\* فإن شاء أعلاها وإن شاء أسفلها) ومن قصر في واجب فقد فتح على نفسه باباً للوم والعتاب. فإذا أراد أن يغلق هذا الباب وينهيه فليقم بواجباته وليحرص على أداء التزاماته حتى لا يجعل لزوجته مدخلاً عليه وحنة لها تحتج بها ضده. ولا يترك لها نقطة ضعف تستغلها لمصلحتها بشكل أكبر وأعظم مما يتوقعه ، لأن نشوز المرأة وتسلطها غالباً ما يكون سببه عدم قيام الرجل بحق القوامة ، ولو أنه قام بحق القوامة لقل تسلط المرأة وعنجهيتها. ولما وجدت ثغرات تدخل منها ، ومن ابتلاه الله بالضعف الجنسي فليبادر إلى علاج نفسه وإصلاحها حتى لا تستغل الزوجة هذا الضعف فتسيطر عليه من هذا الباب. ومن الأسباب التي أدت ببعض النساء إلى التسلط على أزواجهن مشاهدة المسلسلات ورؤية الأفلام التي تحرض على قوامة الرجل ضد المرأة ، وتدعو المرأة إلى التمرد على الزوج وتصور المرأة العربية والمسلمة بأنها نكرة مجهولة داخل الأسرة أو أمة ذليلة مهينة تابعة للزوج. فيقومون عبر هذه القنوات والأفلام بالهباب عواطف النساء على الرجال ، وتحريضهن على تحطيم تلك القوامة ، وإظهارها بأنها قيد من قيود الرق والاستعباد ، فتأثرت بعض النساء بتلك القنوات ، وطبقن ما فيها في واقعهن على أزواجهن ، فتحطمت قواعد الأسرة وأسسها الثابتة بهذه الدعوات العوجاء ، وتقوضت الدعائم الاجتماعية والترابطات الأسرية ، من جراء هذه المسلسلات والأفلام البلهاء ، فيجب قطع مثل هذه القنوات والأفلام عن النساء ، وإبدالهن بقنوات إسلامية هادفة بدلاً من تلك القنوات المخزية والمشفرة ، خاصة لمن يكثرن من رؤية الأفلام ومتابعة المسلسلات كما هو حال بعض النساء ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن أسباب التسلط أيضاً: أن يختار الرجل زوجة أعلى منه شأناً أو أرفع منه منزلة أو أعظم منه جاهاً أو أكثر منه مالاً ، فتقوم باستغلال جاهها أو وجاهتها أو مالها أو وظيفتها أو حسبها أو غلاء مهرها في إذلال زوجها والترفع عليه والتكبر بما لديها ضده ، ويشعر الرجل بضعفه أمامها فيستضعف نفسه ، ويقتنع معها بما تفرضه عليه ، ولهذا لم يرغب النبي - صلى الله عليه وسلم - في الزواج بذات المال والجمال والحسب وأمر بالزواج من ذات الدين ، حتى تقوم بحقوقه وواجباته وتعرف قدر نفسها وقدر زوجها ، يقول صلى الله عليه وسلم: "تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ". إن بعض النساء تستغل ضعف زوجها وطيبته وكراهيته للمشاكل ، فتقوم بالغانه وتحاول في كل مرة إرغامه على التنازل عن رأيه ، وإذا عرفت المرأة نقطة الضعف عند زوجها سيطرت عليه من خلالها ، فإذا وجدت جمالها هو المسيطر عليه

تدلت ، حتى تتسلط وإذا كان زوجها محتاجاً ولديها المال تسلطت بمالها ، وجعلته هدفاً لتحقيق مآربها ، وأحياناً يكون التسلط موروثاً تأخذه الفتاة عن والدتها وأهلها ، فلهذا أُرشدنا نبينا - صلى الله عليه وسلم - أن لا نتزوج المرأة لجمالها أو مالها أو حسبها وإنما نتزوجها لدينها ، يقول الله جل وعلا: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَلَيْسَتَغْفِبَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ). إن القوامة مسألة خطيرة أكلها الله للرجل نظراً لما يحمله من قوة وشجاعة ورباطة جأش وتحمل للمشاق والمصاعب ، مما يجعله الأقدر على تحمل القوامة وإدارة الأسرة والسير بها إلى بر الأمان! فلا يجوز له بعد هذا أن يهين نفسه ويهدر حقه ويتسامح في قوامته ويضعف أمام المرأة وإغراءتها ، فإن هذا ليس من الرجولة في شيء ، وما جعل الله القوامة للمرأة على الرجل ، وإنما جعل القوامة للرجل على المرأة ، فإذا انعكس الأمر وفسد القوام فسدت الأسرة ويفسد المجتمع وتضيع القيادة ، إذا أصبح الرجل مطيعاً وليس مطاعاً وتابعاً وليس متبوعاً ، وقد أخبر نبينا - صلى الله عليه وسلم - أن من علامات الساعة أن تلد الأمة ربتها أي يقود الأمور من ليس أهلاً لها! فيجب على الزوج أن يكون قدوة حسنة ، ومحضاً آمناً ومستقراً لأهله ، عدلاً وسطاً بين اللين والشدّة تجاه أسرته ، ليناً في المواقف التي تتطلب اللين ، وحازماً في المواقف التي تتطلب الحزم ، يعرف متى يستشير المرأة ومتى يمضي في أمره دون إذنها واستشارتها ، عارفاً بشخصيتها وحالتها والمفاتيح التي يدخل إليها عبرها ، ليعالج الأمور بينه وبينها بالحكمة والاستعانة بالله سبحانه وتعالى يقول الله سبحانه وتعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا). يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ".هـ. ولقد يكون العيب هو خطأ الاختيار ، فيختار لأبنائه أمّاً لم تأخذ القسط الكافي من التربية الشرعية التي تعلمها حقوقها وحدودها وحقوق زوجها وحدوده! وعموماً النساء عندما يحكمن البيوت بالحديد والنار وسلطة القرار يُخربن البيوت. وهن بذلك مهددات لأزواجهن بالويل والثبور وعظائم الأمور! والأمر كما يقول الباحث الأستاذ جعفر الديري: (إنه أمر متوقع أن ترفض مجمل النساء الإفصاح عن أسمائهن الحقيقية وهن يلدن بدلوهن في هذا الموضوع الشانك ، وهو "سلطة المرأة في بيتها" ، والتعليقات التي يسقنها للاستبداد بالزوج والأبناء. إن حديثاً مثل هذا ، تجده بعض النساء وليس كلهن ، أمراً محرماً ، لا يمكن الوقوف حتى عند عتباته ، فكيف بالدخول إلى أجوائه؟! ذلك أنه يمسّ أخصّ خصوصيات الحياة الزوجية. إن الزوجات يخشين من سوء الفهم ، فلكل منهن أسبابها التي تدفعها للإيمان بقدرتها على إدارة دفة البيت ، وتهميش الزوج تماماً ، دون أن تعنى بتحذيرات أصحاب الخبرة والمختصين ، وبما يكتب ويثبت يومياً من قضايا كبيرة تتسبب بها المرأة المتسلطة. وإذا لم يكن من حق كاتب هذه السطور أن يبدي رأيه بهذا الخصوص ، فلا يعني ذلك أن لا نذكر بديهيات يدركها جميع الناس ، وهي أن البيت أشبه بالسفينة ، متى أدارها رباتان غرقت ، وأن العقل والدين والعرف تحكموا بأن القوامة للرجل في بيته وعلى زوجته وأبنائه ، وأن الزوجة يمكن لها القيام بدور المستشار على أكمل وجه ، وهو دور لا يمكن للرجل أن يتخطاه على كل حال).هـ. وإذن فلكل من الرجال والنساء دورهم في إدارة المنازل! وما المجتمعات سوى مجموعة من المنازل والمؤسسات! جاء في موقع: (طريق الإسلام) ما نصه بتصريف يسير: (تحكم الزوج في زوجته هو الأصل الذي شرعه الله تعالى! وكل امرأة متزوجة تحب زوجها

ويحبها ، ولا غبار عليه في شيء لولا أنه يتحكّم بها في كل أمورها ، فلا تخرج إلى أي مكان - حتى عند أمها - إلا معه ، فبعض الرجال تربى في بيئة رأى والده يتحكّم بأمه ، ويمنعها من الممارسات الطبيعية بحجة الخوف عليها ، أو لديه اعتقاد أن المرأة يجب أن تظلّ خاضعة للزوج لا تتحرك ولا تتصرف إلا بإذنه ، ويجد لذلك عذراً شرعياً ، ويُقوّلبُ النصوص الدينية حسب ما يوافق هواه. وفي الحقيقة طاعة الزوج واجبة على الزوجة ما لم يأمرها بمعصية ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلّت المرأة حَمْسَهَا ، وصامت شهرها ، وحفظت فَرْجَهَا ، وأطاعت زوجها ، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الطاعة في المعروف» ، والمعروف ألا يأمرها بمعصية ، ولا ينهاها عن شيء مباح. ولا يسلبها حقّها الطبيعي في أن تحيا حياة كريمة هنيئة أحلها الله). هـ. والله المستعان على هذا!

كم يُظلمُ العيشُ إن قادتُ خطاه نِسا وَيَسْتَبْدُ بِهِ مَهْمَا اسْتَشِيغَ أَسَى!  
وكم يُعاني الوري في عيشهم محناً وَيَشْتَكُون مَرَارَ الْعَيْشِ وَالْغَلَسَا!  
أمرُ النساء طغى ، وازدادَ مَهْزَلَةً وَكَلَّ قَلْبٌ إِذَا مَا عَايَنَ ابْتِئَاسَا  
يبتن في السوق ما استحيين عن رغب وَيَشْتَرِينَ ، وَنُورُ الْفِطْرَةِ انطَمَسَا  
يلبسن ما شئن ، والموضات قد عبّدتْ وَالْدِينُ هَلْ يَأْتُرِي فِي الْوَأَقِعِ انْدِرَسَا؟!  
يضحكن دون حيا بلا مناسبةٍ وَالشَّارِعُ الْيَوْمَ يَشْكُو الْعُرِيَّ وَالْهَوَسَا  
ويشتكي لعنة (المكياج) تخنقه وَالْعَطْرُ يَحْرُمُهُ التَّرْوِيحُ وَالنَّفْسَا  
يُعْجُ بِالْغَيْدِ مِنْ رِيْفٍ وَمِنْ حَضْرٍ وَالْفِرْقُ ذَابَ ، فَكَلَّ السَّالِكَاتِ نِيسَا!  
وبالعبايات أهلُ الفسق قد عبثوا وَعَوْدَةُ السِّتْرِ مِنْهَا الْخَاطِرُ اعْتَبَسَا  
واسترجلت في الحياة البائعات تُقَيُّ ثُمَّ اسْتَسْغَنَ الْخَنَا وَالْدُعْرَ وَالذَّنْسَا  
لم يتبعن الهدى ، وما احترمن حيا فَهَلْ عَلِيهِنَّ دِينُ الْخَالِقِ التَّبَسَا؟!  
وكم تساعلت في سر وفي علن! وَالْقَلْبُ مِنْ أَمَلٍ فِي اللَّهِ مَا يَنْسَا!  
إلى متى هذه الفوضى وتابغها؟! وَالْجِيلُ مِنْ لَجَجِ التَّغْرِيبِ مَا احْتَرَسَا  
ومعظمُ الناس للأخطار ما فطنوا حَتَّى وَإِنْ فَطِنُوا تَكَلَّفُوا الْخَرَسَا  
كانت لهم عيشة بالشرع طيبة وَالشَّرْعُ كَانَ إِذَا عَمَّ الدُّجَى الْقَبَسَا  
ما العودُ أخضرَ مزهواً بينعته كَالْعُودِ أَصْفَرَ مَعْقُوفاً وَقَدْ يَبَسَا!

هل الحياة ودينُ الله يُتَجَفَّها مثلُ الحياة أعارتُ قومَها النجسا؟!  
تتوقُ نفسي إلى الإسلامِ يحكُمنا وإنه خاطرٌ في الروحِ كم هجسا!  
هل ترجعُ الدارُ عن غيِّ يُجندلها؟! أم أنه حظها مُذ صار مُنتحسا؟!  
وهل تُغطي نساءَ الحي أحجبةً وهل نرى الثوبَ تربَ الأرضِ قد كنسا؟  
وهل تَقَرُّ النسا في الدُّورِ عن رَغمِ حتى نودَّعَ حالاً سَيناً تَعسا؟!  
كم أحسنُ الظنَّ بالمولى ، ولي أملٌ وكم لهجتُ بقولي للمليك: عسى!

## وداعاً عبد المنعم العزي!

(أذكر أنني يوم مات الشاعر العراقي الكبير (كريم العراقي) عام 2023م عزيت الشعراء عامة والشعب العراقي خاصة فيه وأبنته بقصيدة! وقد توفي في دولة ماليزيا أحد أعلام الدعوة الإسلامية في التاريخ المعاصر الشيخ العراقي عبد المنعم صالح العلي العزي المعروف باسم محمد أحمد الراشد رحمه الله ، عن عمر ناهز الـ 86 عاماً ، وكان أحد كبار رجالات الإصلاح والفكر الإسلامي. نُعزي الشعب العراقي والأمة الإسلامية بوفاة الشيخ الداعية والمفكر محمد أحمد الراشد (رحمه الله) ، التقى الورع ، والصادق المخلص ، صاحب السبق والفضل ، والعمل والهمة ، والجد والسعي ، وقد كان لي أن قرأتُ كتبه ، وأخذتُ عنه ، والرجل ذو علم وأدب وفهم وفقه وذوق ، وفكر وعمق ، يمتلك رؤية واضحة ويمتاز بها في طرحه ونظرته ووعيه! (رحمه الله تعالى وأكرم نزله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. إن الله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بمقدار ، ولا نقول إلا ما يرضي الله تعالى عظم الله تعالى أجرنا وغفر لفقيدنا ، وجعله في عِلِّيِّين ، وصَبَّرْ قُلُوبَ أَحِبَّابِهِ وَأَهْلِهِ). فمن هو العزي الراشد؟! هو عبد المنعم صالح العلي العزي (مواليد بغداد ، 8 يوليو 1938 م ، واسمه الحركي: محمد أحمد الراشد) وهو داعية إسلامي ، هاجر بعد حرب الخليج الثانية إلى أوروبا ، ويعتبر الراشد من أهم منظري ومؤلفي الحركة الإسلامية ، فهو مؤلف العديد من الكتب التي تحاول أن تجمع روح الحركة مع العلم الإسلامي ونوع من الروحانيات والتأكيد على الأخلاق الإسلامية. وترجمت كتبه للكثير من اللغات الأجنبية ، يعتبر الراشد من أهم منظري ومؤلفي الحركة الإسلامية فهو مؤلف العديد من الكتب التي تحاول أن تجمع روح الحركة مع العلم الإسلامي ونوع من الروحانيات والتأكيد على الأخلاق الإسلامية ، وترجمت كتبه للكثير من اللغات الأجنبية! ومن يقرأ كتب الراشد يرى بوضوح وجلاء تام أن كاتبها ليس مجرد داعية قضى عمره في الدعوة إلى الله ، ونشر العلم فحسب ، وإنما يرى فيه أديباً يجري كثيراً من الأدباء في بلاغته ، وهذا الأسلوب إنما جاء مع كثرة الاطلاع الأدبي وقراءة كتب الأدباء والشعراء ؛ يقول الشيخ عن نفسه: ولما كنت في أول شبابي وقع في يدي كتاب وحي القلم للرافعي فقرأته مراراً ؛ الجزء الأول من وحي القلم قرأته عشرين مرة ؛ أما إذا أردت المبالغة أقول أكثر من ذلك لكن عشرين مرة أجزم بها! وقرأ لأدباء كثر من العصر العباسي حتى العصر الحاضر ، كالرافعي ومحمود شاكر وعبد الوهاب عزام ، وهو أكثر من تأثر به الشيخ بعد الرافعي ، وعشرات الدواوين والمجلات الأدبية ناهيك عن كتب الفقهاء المتقدمين الذين تمتاز كتبهم بقوة عباراتها ورصانة جملها. لذلك جاءت كتبه مزيجاً عجباً من الأدب والفقه والعقيدة والاستشهاد بأقوال السلف ، والخلف ، مع إحياءات ثقافية عامة لا تكاد تنفك عن كل كتاباته. والشيخ كان قد درس الابتدائية في مدرسة تطبيقات دار المعلمين ، وهي أرقى مدرسة في العراق وكان وهو ابن ثماني سنوات يقرأ المجلات الأدبية كمجلة الأنصار وغيرها بتشجيع من أخيه الأكبر. وتميز عبد المنعم في صباه بالوقار والجدية وعفة اللسان والصدق والطاعة والالتزام والاحترام لمعلميه ، كما كان واسع النشاط متعدد المواهب ، فكان يلعب كرة القدم ويجيد الركض والسباحة ، فقد عبر نهر دجلة وعمره 8 سنوات ودون الاستعانة بأحد ، كما كان لا يفتر عن التجوال على الدراجة الهوائية ، تفتحت نفسه منذ الطفولة المبكرة على العلم والقراءة والمطالعة فقد كان شقيقه الأكبر يضع مجلة الرسالة في يده فيأتي عليها من الغلاف إلى الغلاف دون أن يفهم منها إلا قليلاً ، ولكن ترسبت منها في اللاشعور بعض معانيها ، مما ضاعف لديه سمة الجد الذي فطره الله تعالى عليه. درس الراشد في كلية الحقوق في جامعة بغداد فتلقى فيها أصول الفقه

والمواريث ومسائل الطلاق ، وأبواباً من المعاملات عبر الفقه المقارن ، مما أدى إلى توسيع مداركه في العلوم الشرعية ، وتخرج فيها عام 1962م. وهكذا ، بدأ رحلته الدعوية من العراق بغرس شرعي ودعوي ونشاط دعوي كبير منذ صغره ، ثم انتقل إلى الكويت ، وأسهم في الكتابة بمجلة "المجتمع" الكويتية الشهيرة ، وأسس محاضن تربية ، وشرعية ، فتعلم ، وتأسس فيها العديد من الشباب ، ثم انتقل إلى الإمارات ، وكتب في مجلة "الإصلاح" هناك ، وعمل في الدعوة والتربية كذلك ، وبعدها انتقل إلى أكثر من دولة ختامها في ماليزيا حيث عاش بقية حياته هناك! تتلمذ على أيدي العلماء والدعاة ، ومن أبرزهم نذكر الشيخ عبد الكريم الشيكلي ، وهو من علماء السلف ، وقد قاتل مع الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله في كثير من معاركه ، وقد تتلمذ على يديه في الحديث. الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي: عالم معروف نال الدكتوراه من ألمانيا ، أخذ عنه علوم الحديث ، والشيخ محمد القزلي الكردي: وهو من أوائل الطلاب الذين درسوا في الأزهر ، لازمه 3 سنوات منذ عام 1956م ، وقرأ عليه مقدمات في علم الفقه ، وكتاب الهداية في الفقه الحنفي ، ومسائل لغوية أخرى ، وقد حضر عنده الراشد يومياً من صلاة العصر إلى المغرب! والشيخ أمجد الزهاوي - رحمه الله - رئيس علماء العراق ، من خلال دروسه في المساجد. ثم الشيخ محمد بن حمد العسافي: وهو صاحب توجه سلفي ، ومن أهل نجد الذين سكنوا مدينة الزبير ، ثم انتقل إلى بغداد ، وغيرهم من العلماء الذين كانت تزخر بهم العراق! كما تأثر الراشد بفكر محمد محمود الصواف ، وبقصائد شاعر الدعوة وليد الأعظمي ، وتميز بسعة اطلاعه على كتب الأدب والشعر بدءاً من العصر العباسي حتى العصر الحديث إذ تأثر بالرافعي ومحمود شاكر وعبد الوهاب عزام وغيرهم كثير وكتب عنه. ساهم الشيخ محمد أحمد الراشد في العديد من المؤلفات في مجال الدعوة والتربية وتقديم النصائح للدعاة ، ومنها: (إحياء الإحياء وهو تهذيب إحياء علوم الدين. - إحياء فقه الدعوة - رواية الجانب الشرعي من فقه الدعوة ، تتناول رواية الجانب المعرفي العام استلاماً من الفلسفات والآداب والتاريخ والفن ، من أجل إحاطة شاملة وموازية النمط العصري ، وقد تم ترجمته إلى اللغة التركية. - أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية في أربعة أجزاء تتناول منهجية الاجتهاد وسياسات الدعوة الداخلية والخارجية. - الرقائق. - الظاهرة القيادية. - العوائق. - الفقه اللاهبي ، وهو تهذيب لكتاب الغياثي للجويني. - المسار ، ترجم إلى الملاوية. - المنطلق ، ترجم إلى الملاوية. - النفس في تحريكها الحياة. - تهذيب العقيدة الطحاوية. - تهذيب مدارج السالكين لابن القيم. نشره باسم عبد المنعم صالح العلي العزى ، دار البشير للثقافة والعلوم ، طنطا ، 1997م. - تنظير التغيير ، ويتناول ما يتعلق بنظرية التغيير السياسي الإسلامي ، محاضرة ألقاها على القيادات الدعوية. - حركة الحياة. - دفاع عن أبي هريرة. وأقباس من مناقب أبي هريرة (وهو مختصر الدفاع. - رؤى تخطيطية. - سلسلة رسائل بعنوان: (مواظب داعية)، وهي سلسلة جديدة تمزج المواعظ بفقه الدعوة، الرسالة الأولى منها: (صراطنا المستقيم) ، والرسالة الثانية: (آفاق الجمال. - صحوة العراق. - صناعة الحياة ، دار الفكر ، دمشق ، 2004 م ، وترجم إلى الانجليزية). - عبير الوعي. - عودة الفجر. - رسائل حركة الحياة. - رسائل العين. - سبائك السبكي ، تهذيب لكتاب تاج الدين السبكي (معيد النعم ومبيد النقم) - صناعة الحياة. - مواظب داعية - موسوعة معالم تطور الدعوة والجهاد ، في خمسة أجزاء. - منهجية التربية الدعوية ، في مجلد واحد ، وترجمت بعض كتبه إلى التركية والملاوية والتاميلية والفارسية والروسية والصينية الإنجليزية والفرنسية! ونشرت دار الغرب بعض مؤلفاته ، وله مقالات في مجلة المجتمع ، ومحاضرات في

المؤتمرات. ومقالات في مجلة المجتمع ، ومحاضرات في المؤتمرات ، وقد توجه بعض الدارسين لكتابة منهج الشيخ في الدعوة والتربية العلاجية وفي الموضوعات الحركية! وهناك موضوعات في فكره ومنهجه تستحق الدراسة منها:- التربية السياسية في ضوء كتابات محمد أحمد الراشد. - أثر التربية الروحية في بناء الداعية من خلال كتابات الراشد. - التربية النوعية في ضوء كتابات محمد أحمد الراشد). قال عنه الشيخ الدكتور علي محيي الدين القره داغي (رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين): كان أحد أبرز القيادات الإسلامية التي تركت بصمة واضحة في تاريخ الدعوة. تتلمذ على يد كبار الشيوخ والعلماء في بغداد ، مثل الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ العلامة محمد القزلي حيث جسّد روح العلم والإيمان. هاجر بعد حرب الخليج الثانية إلى أوروبا ، لكنه أصر على أن يكون له دور فعال في نشر رسالة الإسلام. ألف العديد من الكتب التي مزجت بين الفكر الإسلامي والأدب الرفيع والأخلاق. ما زلت أذكر كيف كانت كلماته تعبر عن روحه الحقيقية ، إذ قال: "يريدون تصفية العدو ، ونفوسهم أحق بالتصفيّة"، مما يعكس عمق تفكيره ووضوح رؤيته". وسأل الشيخ الكويتي الدكتور محمد عبد الله مطر (أحد طلابه) بعد نبأ وفاته سؤالاً ، وهو السؤال: لماذا تميز محمد أحمد الراشد في إضافة بصمته الكبيرة؟ كانت كتبه ومقالاته فيها من العمق التأصيلي الشرعي والثقافي، فدراسته الشرعية العميقة في مختلف فنون الشريعة سخرها ووظفها بشكل رائع للتنظير الدعوي والحركي، فعند قراءة كتاب "المنطلق" مثلاً تجد التأصيل الرائع لمفاهيم الدعوة ومنطلقاتها بالأدلة الشرعية ، وأقوال العلماء ، والتجارب المعاصرة، واستخدام الأدوات الأصولية والتقعيدية. قارئ نهم للتجارب السياسية والتاريخية وتعددية في المشارب الثقافية ووظفها في كتاباته. صاحب ذوق مميز في الأدب والشعر خاصة، فعمل به بشكل مميز في كتاباته فأخذت لونها جمالياً رائعاً، وأضاف أيضاً تأملاته ورسماته التي يضعها على أغلفة كتبه تعبر عن أفكاره وتصوراتها للكتب. قدرته الشرعية التأصيلية تجسدت في كتابيه: "الدفاع عن أبي هريرة" و"مناقب أبي هريرة" ثم تهذيبه "لشرح العقيدة الطحاوية" و"أصول الاجتهاد التطبيقي" في أربع مجلدات تطبق فيه نظريات أصول الفقه وقواعد بطريقة محترفة ، وتهذيبه "لمدراج السالكين لابن القيم" ووضع عناوين الكتب بصورة جمالية تظهر عمقه الثقافي والشرعي! لديه تدبر عميق في السياسة والتخطيط ، والعمل الحركي الجماعي وظروفه الواقعية والنفسية وتجد تأملاته الجميلة في "المسار" و"صناعة الحياة" و"بوراق العراق" و"سلسلة رسائل العين" و"منهجية التربية الدعوية" و"مقدمات في العمل التطوري" وغير ذلك. فكتاباته كانت لوحة جمالية من تأصيل منحوت بأسلوب أدبي ، ولمسات فنية ، وعمق وتدبر. وأضاف: تشرفت بالجلوس معه عام 2006م في قطر لمدة ثلاث ساعات كانت غير مملة ، ومليئة بالفائدة ، وغزارة التجربة. وختم بقوله: رحمك الله كم أسهمت في تربية أجيال الدعوة. وكما أسهمت في تأصيل مفاهيمها الدعوية والحركية ، وكما كتبت منتقداً الانحرافات الفكرية والبدع ، وكما تدارس الشباب كتبك وتعلموا منها. وعلى الحركة الإسلامية الوفا لهذا الرمز بنشر سيرته ، وتدريب كتبه وتطبيق مقترحاته وتأملاته. (فهو الوفاء الحقيقي). أتعبت من بعدك يا أستاذنا أبو عمار! وقال محمد أحمد الكندري: رحم الله فقيه الأمة الإسلامية الشيخ المصلح ، والمفكر الكبير والمربي القدير ، والكاتب المتمكن. وقال عنه الدكتور محمد الأحمرى: الكاتب الموهوب والعالم واسع الاطلاع. كنا في زمن التكوين ننتظر مقالاته وكتبه الرائدة بكل شوق ، مثل: المنطلق والعوائق والرقائق ، ومقالاته الخالدة مثل: سهر ليلة شتاء طويلة مع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، في مجلة المجتمع الكويتية ، وقد كتب كتاباً من أهم ما كتب في علم الحديث عن الشبه المثارة حول الصحابي أبي هريرة سماه: (دفاع عن أبي هريرة) نشره باسمه الحقيقي ، وصمم غلافه في طبعته الأولى تصميمًا ذكياً رائعاً ، حصلت عليه حين كنت مسافراً في مكتبة بالباحة. وقد أثنى على الكتاب كثيراً الشيخ المحدث عبد الرحيم الطحان ، وقد كتب كتاباً دعوية وحكيمة كثيرة وكانت له محاضرات

قيمة).هـ. كانت هذه حقاً مقتطفات من مقالة للدكتور علي الصلابي: (الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين)! فرحم الله تعالى عالمنا الجليل الفذ عبد المنعم العزي ، وأسكنه فسيح جناته!)

عَلِمَ قُضِيَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ زَمَانِهِ  
وَمُشَىَّعُوهُ بَكَوْا عَلَي تَوْدِيْعِهِ  
كَمْ خَصَّاهُمْ بِالتَّضَحِيَّاتِ يَسْوِقُهَا  
كَمْ بَثَّ فِيهِمْ كُلَّ نَصْحٍ صَادِقٍ  
كَمْ قَالُوا فِيهِمْ وَعَظَّهُ وَرَشَّادَهُ  
كَمْ جَنَّبَ الشُّبَّانَ غَائِلَةَ الْبَلَا  
كَمْ خَطَّ بِالْقَلَمِ النَّزِيْهَةَ مَرَّجِعاً  
كَمْ نَاطَرَ الْأَعْدَاءَ ، وَاقْتَحَمَ الْمَلَا  
كَمْ فَتَدَّ الشُّبُهَاتِ دُونَ تَخَبُّطٍ  
يَا أَيُّهَا (العِزِّيُّ) جِيَاكَ صَامِداً  
إِنْ مَدَّ صَرْفُ الدَّهْرِ مَا يُزْرِي بِهِ  
عَلِمَتْهُمْ شَرَفَ الْجِهَادِ تَعَبُداً  
لَقَتْنَاهُمْ دَوْرَانَ أَيَّامِ الْفِتْنَى  
وَكشَفْتَ أَوْثَاناً تُجَنِّدُ عَالِماً  
وَالْيَوْمَ تَرَحَّلْ بَعْدَ طَوْلِ مَسِيرَةٍ  
يَبْكِي (العِرَاقُ) عَلَيْكَ مُرَّ بُكَائِهِ  
لِلَّهِمْ فَارْحَمْنَاهُ ، وَأَكْرِمْ شَأْنَهُ!

وتلا الوداع على سنا جثمانه  
فطالما لمسوا لطيف حنانه!  
حتى يُشيع الحُبَّ في أقدانه!  
وعلى النصيحة رشَّ من ریحانه!  
كالدَّرِّ يُعربُّ عن يتيم جمانه!  
تجنِّبَ مَنْ يَخشى على شُبَّانه!  
لتكون نوراً في دُنا فتیانه!  
بخطاب مُتبع خطا (سَحْبانه)!  
ليذوقَ مَنْ تبعوه طعمَ أمانه!  
مهما الزمانُ اشتدَّ في حدَّانه  
صمدوا له ليروا مدى تحنانه  
يهفو وشُجاعُ جهادهم لجنانه  
حتى يُعجِّلَ في خطا دورانه  
ليبييت مُنكباً على أوثانه  
فيها نشرت النورَ ، يا لبيانه!  
ويقول: بات الليثُ في أكفانه!  
وأثبَّه يا ربي على تبياناه!



الخالق ، نزار الاستهزاء بكل فضيلةٍ وعفةٍ وبؤرة كل فسادٍ وعفونةٍ ورعونةٍ ، نزار الزندقة والإلحاد ، ووجه الحداثة الكالح ، ومستنقع الوثنية الآسن. قولوا للناس: ما تعلمون من شعر نزار ، قولوا لمن كان عنده مثقال ذرةٍ من إيمان: ماذا تقول في نزار؟! وسوف نقيم الأدلة من أشعاره الكفرية ، ونترك الحكم لكم أنتم يا عباد الله! وابتداءً نشير إلى التهم والجرائم في الجملة ثم نقيم الدليل والبرهان على كل قضية واتهام! نزار الشاعر العربي الوحيد الذي قال بموت الله (تعالى الله عما يقول علواً كبيراً)! والشاعر الذي يسخر من الأحكام الشرعية. والشاعر الذي يعتقد أن الله تعالى في كل مكان بذاته وصرح بذلك مرات ومرات! والشاعر الذي يؤمن بجميع الآلهة! والشاعر الذي اعتقد أن بلاده اغتالت الرب! وكان قد رأى الله مذبحاً أو مشنوقاً على باب المدينة! الشاعر الذي يقول عن نفسه بأنه تذوق نكهة الكفر! والشاعر الذي كان يريد رباً لا يطارده! والشاعر الذي قال عن نفسه أنه (باس) أي قبَل يد الله! والشاعر الذي كان يرى الملائكة أحراراً في ممارسة الحب! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله تزوج حبيبته في السماء! والشاعر الذي له أله في معابده حين يجوع يأكله! والشاعر الذي كان يعتقد أن هناك إلهاً اسمه الرجل! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله يفتش عن خارطة الجنة في لبنان! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله لا يعلم ما في القلب! والشاعر الذي كان يعتقد أن الجنس دين من الأديان! والشاعر الذي كان يعتقد أن وجه حبيبته يشبه إلى حد كبير سجادة الصلاة! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله سعيدٌ في حجرته القمرية! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله كان قد خالف الكتب السماوية! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله كان قد أعطاه النبيذ ليشربه! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله يستلم رسائل الحب! والشاعر الذي كان يعتقد أن عمر حزنه مثل عمر الله! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله كان قد دخل في نوبة بكاء عصبيةٍ هستيرية! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله أضرب عن الطعام! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله كان قد نسي الكلام العربي! والشاعر الذي كان يعتقد في نفسه أن يكون رباً أو رسولاً! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله يسقط كما تسقط الجبال والشيطان والإنسان! والشاعر الذي كان قد شجّع نهدي محبوبته فاستكبراً على الله خالقهما! والشاعر الذي كان يقرأ في وجه عشيقته شكل الإله الجميل! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله فر مذعوراً ، وفر جميع الأنبياء كفرار إلهم! والشاعر الذي كان يعتقد أن الهوى هو الملك القدوس! والشاعر الذي كان يشك في أن الله إلهٌ حقيقي! والشاعر الذي كان يعتقد أن حب عشيقته له حار فيه الأنبياء! والشاعر الذي كان يعتقد أن شعره مثل كلام الله في التوراة! والشاعر الذي كان يعتقد أن ثغر محبوبته كان ربه ، وأصبح ذلك الرب فيما بعد خادمه! والشاعر الذي كان يعتقد أنه مارس ألف عبادةٍ وعبادة ، ووجد أفضل هذه العبادات عبادة ذاته لذاته! والشاعر الذي كان يعتقد أن غروره أعظم من غرور الله! والشاعر الذي كان يعتقد أن الله يغني ويسمعه الناس! ففي قصيدته: (عزف منفرداً على الطبله) يقول: (هل صار غناء الحاكم قدسياً كغناء الله؟! ) ويزعم كذلك أن النبوة والرسالة يمكن أن تكون لامرأة! ففي قصيدته: (بلقيس) يصف قوماً قتلوا بلقيس زوجته بقوله: (إنهم قتلوا رسولة)! ناهيك عن الرموز الجنسية المكشوفة الصريحة التي تستحيي من ذكرها المومسات والقحاب! فأين لغة الشعر السامية من هذا الإسفاف؟! ولقد تناول الإسفاف والإباحية والمجون في شعر نزار نقاداً وأدباءً ومحللون كثيرون! ولذا سأضرب عنها الذكر صفحاً خشية السامة والتكرار والملاحة والإطالة ، وسوف أركز على الجانب الاعتقادي الذي يخرج من ملة الإسلام والمسلمين ، فليس الحكم لي ، بل لكم أنتم يا عباد الله! وكفييني فخراً أنني أكون بهذا قد مهدت الطريق لغيري من الذين يحبون أو يكرهون هذا الرجل ليقولوا فيه كلمة الحق وفصل



غير تكويننا \* فأصبح عشقي أشد اعتدالا \* وأصبحت أنت أقلّ جمالا". ويتمادي نزار قباني في سخريته واحتقاره حتى وصل إلى ذلك اليوم الذي قال عنه الجبار تعالى: (يا أيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) ، إنه يوم القيامة الذي يسخر منه نزار قباني ؛ إذ يشبهه بنهدي عشيقته فيقول في ديوانه: (الحب) صفحة 47: "كيف ما بين ليلة وضحاها صار نهداك مثل يوم القيامة؟". وهنا يُصرِّح نزار بأنه قد قرأ آيات من القرآن مكتوبة بأحرف كوفية عن الجهاد في سبيل الله ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن الشريعة الحنفية ، لكنه لا يبارك في داخل سريره إلا الجهاد على نحر البغايا ، وأثناء العاهرات ، وبين المعاصم الطرية ، فيقول في ديوانه: (لا) ص 57: أقرأ آيات من القرآن فوق رأسه \* مكتوبة بأحرف كوفية \* عن الجهاد في سبيل الله \* والرسول \* والشريعة الحنيفة \* أقول في سريرتي \* تبارك الجهاد في النحر ، والأثناء \* والمعاصم الطرية". كما أن نزار لم يسلم من استهزائه حتى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم خير خلق الله أجمعين بعد الأنبياء والمرسلين ، فما هو يصف الصحابي الجليل أبا سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه بأنه من الطغاة ، بل يجمع بينه وبين فرعون هذه الأمة أبي جهل عليه لعائن الله ، فيقول في ديوانه: (لا) ص 76: "تعال يا غودو \* وخلصنا من الطغاة والطغيان \* ومن أبي جهل ، ومن ظلم أبي سفيان". ويقول أيضاً: "ماذا أعطيك؟ أجيبني ، قلقي. إلحادي. غثياني. ماذا أعطيك سوى قدر يرقص في كف الشيطان". المصدر السابق ص 406/1. ومن أقواله التي صرح فيها بأنه قد كفر بالله العلي العظيم قوله: "فاعدروني أيها السادة إن كنت كفرت". المصدر السابق ص 277/3. وهنا يذكر نزار قباني بأن الله جل وعلا يغسل يديه من بعض خلقه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فيقول في أعماله السياسية الكاملة ص 46: "ليس في الحي كلّه فرشيّ \* غَسَلَ اللَّهُ من قريش يديه". وهنا يسأل نزار نفسه على وجه السخرية والاستهزاء متشككاً في ربه وخالقه وصاحب الفضل عليه سبحانه وتعالى: "وهل قد أصبح عز وجل زعيماً لمجموعة من اللصوص والسراق؟!" كما يقول في أعماله السياسية الكاملة ص 98: "قلت لنفسي وأنا أواجه البنادق الروسية المخرطشة واعجبني \* واعجبني \* هل أصبح الله زعيم المافيا". كما يدعي نزار قباني أن الله عز وجل يغني ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فيقول في أعماله السياسية الكاملة صفحة 135: "آه.. يا آه هل صار غناء الحاكم قُديساً كغناء الله؟!". وهنا يثبت نزار المنحدر من سلالة الشياطين أن الله عز وجل له رائحة ، تعالى الله وتنزه عن ذلك ، فيقول في أعماله السياسية الاقتراب من ناديا تويني صعب \* كالاقتراب من حمامة \* مرسومة على "الكاملة" صفحة 455: سقف كنيسة \* كالاقتراب من ميعاد غرام \* كالاقتراب من حورية البحر \* كالاقتراب من ليلة القدر \* كالاقتراب من رائحة الله". كما أن نزاراً يصرح بلا خجل ولا خوف من الله تعالى بأن هناك من الكائنات والمخلوقات من قَدِّمت استقالتها الجماعية إلى الله! وذلك بعد موت الشاعرة ولأن "ناديا تويني" اللبنانية (ناديا تويني) فيقول في أعماله السياسية الكاملة صفحة 462: كانت جزءاً من سفر العصافير \* وسفر المراكب \* ورائحة النعناع \* وبكاء الأمطار على قراميد بيروت القديمة \* فلقد قَدِّمت كل هذه الكائنات استقالتها الجماعية إلى الله \* لأنها بعد - ناديا تويني - تشعر أنها عاطلة عن العمل". ومن صور زندقته وجرأته على دين الله تعالى: جعله الزنا عبادة ، وتشبيهه إياه بصلاة المؤمن لربه وخالقه! كما ينقل ذلك منير العكش في كتابه: (أسئلة الشعر) في مقابلة أجراها مع نزار صفحة 196 حيث يقول: "كل كلمة شعرية تتحول في النهاية





مديح النساء) صفحة 211. كما يرفض نزار أن يتلقى الأوامر من ربه ومولاه جلّ في علاه بقوله: "لا تستبدي برأيك فوق فراش الهوى لأنني من الله لا أتلقى الأوامر". قصيدته: (سببى الحب سيدتي) صفحة 140. وهنا يبدأ نزار مرة أخرى في الاستهزاء بالله تعالى وأنبيائه الكرام فيقول: "وطن بدون نوافذ \* هربت شوارعه \* مآذنه \* كنانسه \* وفر الله مذعوراً \* وفر جميع الأنبياء". قصيدته (هل تسمعين سهيل أحزاني) صفحة 188. كما يتخذ نزار إلهه هواه فيقول: هو الهوى \* هو الهوى \* الملك القدوس \* والآخر القادر". قصيدته السابقة ص 63. وصدق الله القائل في محكم كتابه: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِثَابَ غَشَاوَةٍ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ). ويتخذ نزار من القرآن الكريم مادةً وطريقاً إلى مجونه والحاده ، فيقول: "وسوف تقولين \* في ذات يومٍ حزين \* سلام على الحب \* يوم يعيش \* ويوم يموت ويوم يبعث حياً". (المصدر السابق) ص 141. ولنزار قباني قصيدة بعنوان: (الرب العاشق) يصف فيها إله الأولين والآخرين ومالك يوم الدين سبحانه وتعالى بصورة مهينة ، فيقول: "سيدتي حبك صعب \* حبك صعب \* لو عانى الرب كما عانيت \* لصاح من البلوى: يا رب". المصدر السابق ص 46. ويقول أيضاً: "كل العبادات في شرقنا العربي أفلست \* كل أصنام القش والتبن تساقطت \* صارت البندقية خلاصة المعبد \* وخلاصة كل العبادات". المصدر السابق ص 233. كما يصف نزار العبودية - التي هي أعز وأشرف شيء عند المؤمنين - بالمرأة العاقر ، بينما الحرية عنده هي المرأة الولود ، فيقول: "إن خوفي الحقيقي على الشعر هو الخوف من العبودية فالعبودية امرأة عاقر". أما الحرية "فامرأة تطرز العالم بالشعر والحب والأطفال". المصدر السابق ص 253. وهنا يعتقد نزار بعقيدتين لدى النصارى وهي: صلب نبي الله عيسى صلى الله عليه وسلم ، وعقيدة التعميد لديهم فيقول: "امنحني وطناً في معطف الفرو الرمادي \* اصلبيني بين نهديك مسيحاً \* عمّديني بمياه الورد وعطر البيلسان". ديوانه (أشعار خارجة على القانون) ص 20. وأما عن سخريته واحتقاره لكتب الصلاة والعبادة والدين ، وهو يشكر معشوقته على حبها ، فيقول عن ذلك: "شكراً من الأعماق يا من جنت من كتب العبادة والصلاة \* شكراً لخصرِك كيف جاء بحجم أحلامي". المصدر السابق صفحة 25. وهنا يطعن المارق نزار في أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام وعلية اللعنة والغضب ، فيصفهم بالحيرة أمام حبه لمعشوقته فيقول: "شكراً لحبك فهو مروحةٌ .. وغمامةٌ .. ورديةٌ \* وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء". المصدر السابق ص 27. كما يعترف نزار بالشك في ربوبية الله تعالى فيقول: "يا إلهي: إن كنت رباً حقيقياً.. فدعنا عاشقيناً". [المصدر السابق ص 65]. وكذلك يعترف بأنه صلى ، ولكن في معابد لا إله لها! يقول: "صليت في معابد ليس لها إله \* وأرخص الخمور ذقت). المصدر السابق ص 75. ومن قبيح كفره قوله: "رجلٌ أنا كالأخرين.. بطهارتي.. بنذالتي \* رجلٌ أنا كالأخرين \* فيه مزايا الأنبياء \* وكفر الكافرين". المصدر السابق ص 126. أقول: مزايا الأنبياء بينك وبينها - يا نزار - كما بين المشرق والمغرب ، وشتان شتان ما بين ماء زمزم وبول الخنازير! وقوله: "وكتبت شعراً لا يشابه سحره \* إلا كلام الله في التوراة). ديوانه: (الرسم بالكلمات) ص 14. كما يعترف نزار بأنه مارس عبادات كثيرة بلغت الألف ، لكنه لم يجد أفضل من عبادة ذاته حين يقول: "مارستُ ألف عبادة وعبادة فوجدتُ أفضلها عبادة ذاتي". المصدر السابق صفحة 17. ويقول في صفحة 42: "شيدت للحب الأنيق معابداً \* وسقطت مقتولاً أمام معابدي". ويقول في صفحة 51: "طفلٌ نداريه ونعبده مهما بكى معنا \* وأبكانا". ويعترف أيضاً بعبادة وجه حبيبته وعشيقته ، فيقول:

"فلا وجهك الوجه الذي قد عبدته ولا حُسنك الحُسن الذي كان مُنزلاً) المصدر السابق ص 77. كما يُظهر نزار مدى تعلقه بعبادات وطقوس النصارى فيقول: "لو كنت في مدريد في رأس السنة \* كنا ذهبنا آخر الليل إلى الكنيسة \* كنا حملنا شمعنا وزيتنا \* لسيد السلام والمحبة كنا شكونا حزنا إليه \* كنا أرحنا رأسنا لديه". المصدر السابق 91. ويتمرد نزار قباني على خالقه وربّه سبحانه وتعالى فيرفض منه الإحسان بقوله: "أنا أرفض الإحسان من يدي خالقي". المصدر السابق ص 94. أقول: فمن أين يا نزار نَفْسُك وطعامك وشرابك وصحتك وعقلك وشكلك وما أنت مغموسٌ فيه من النعم؟ أليس هذا من إحسان الكريم الجواد الذي يُعطي العطايا بغير حساب؟ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ! هذا ، ويشبه نزار أمر عشيقته ونهيهَا بأمر الله تعالى ونهيه ، فيقول: "وحشيةً كقطة تموء في العراء \* امرأةٌ ناهيةٌ كالرب في السماء". المصدر السابق 113. ويقول في ديوانه: (قصائد) في صفحة 135: "قد كان تُغرِك مرةً ربي ، فأصبح خادمي". ويقول: "أمات أبوك؟ ضلالاً أنا لا يموت أبي ففي البيت منه روائح ربٍ وذكرى نبي". المصدر السابق ص 147. ويقول أيضاً: "بعيداً عن مدينتنا التي من يوم أن كانت إليها الحب لا يأتي إليها الله.. لا يأتي..". المصدر السابق ص 23. وكما أنه يشبه عشيقته التي تشطر شفثيه إلى نصفين بنبي من أنبياء الله تعالى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام حينما شطر البحر بأمر ربه ومولاه ، فيقول: "تعرّيتُ واشطرتي شفثي.. إلى نصفين يا موسى بسيناء". المصدر السابق ص 25. ويقول: "أرجوك بالأوثان يا سيدتي إن كنتِ تؤمنين في عبادة الأوثان". المصدر السابق ص 101. ويطلب نزار من عشيقته وحبيبته أن تُرجع الله عز وجل إلى سمانه ، والماء إلى بحره ، فيقول: "أرجوك ياسيدي أن تُرجعي إلى البحار الماء والربّ للسماء". المصدر السابق ص 105. ويصف نزار الله عز وجل بالغرور ، فيقول: "عندي خطابٌ أزرق \* ما مر في ذاكرة البحور \* عندي أنا لؤلؤة \* أين غرور الله من غروري؟" (خطاب من حبيبتي) ص 426. ويدعي نزار أن ثياب الله عز وجل قد بيعت في بلاده بالمزاد ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فيقول في أعماله السياسية الكاملة ص 569: "حتى ثياب الله في \* بلادنا تُباع بالمزاد". وهنا يصل نزار إلى أقبح صور الاستهزاء والسخرية من الجليل العظيم سبحانه وتعالى فيصفه متشككاً بأن الله تعالى قد يستقيل من سمانه ، فيقول في أعماله السياسية الكاملة صفحة 554: "هل ممكن؟ هل ممكن؟ \* أن يستقيل الله من سمانه \* وأن تموت الشمس والنجوم \* والبحار \* والغابات \* والرسول والملائكة". ويقول في صفحة 196 في نفس المصدر: "يكون الله سعيداً في حجرته القمرية". ويقول في "الأعمال الشعرية الكاملة" (188/2): "حين وزع الله النساء على الرجال وأعطاني إياك شعرت أنه انحاز بصورةٍ مكشوفةٍ إلي وخالف كل الكتب السماوية التي ألفها فأعطاني النبيذ وأعطاهم الحنطة". ويقول في نفس المصدر "الأعمال الشعرية الكاملة". 402/2: حين عرفني الله عليك "ذهب إلى بيته ، فالله كما قالوا لا يستلم إلا رسائل الحب". ويقول في "الأعمال الشعرية الكاملة" (775/1): "عمر حزني مثل عمر الله أو عمر البحور". ويقول في "الأعمال الشعرية الكاملة" (562/2): "فلا تسافري مرةً أخرى ، لأن الله منذ رحلت دخل في نوبة بكاءٍ عصبيةٍ وأضرب عن الطعام". ويقول في "الأعمال الشعرية الكاملة" ص 648/2: "لا الله يأتينا ولا موزع البريد ، منذ سنة العشرين حتى سنة السبعين". ويقول في "الأعمال الشعرية الكاملة" ص 648/2: "ولماذا نكتب الشعر وقد نسي الله الكلام العربي". ويقول في "الأعمال السياسية" ص (105/3): "حين يصير الدمع في مدينة أكبر من مساحة الأجدان يسقط كل شيء الشمس والنجوم والجبال والوديان والليل والنهار والشيطان والله والإنسان". ويقول في "الأعمال

الشعرية الكاملة" ص (761/2): "لا تخجلي مني فهذه فرصتي لأكون رباً أو أكون رسولاً". ويقول في ديوان "قالت لي السمراء" (ص 45): "وشجعت نهديك ، فاستكبرا على الله حتى فلم يسجداً". وفي نفس المصدر (ص 55) يقول: "وفي شكل وجهك أقرأ شكل الإله الجميل". ويقول في قصيدة: "هل تسمعين سهيل أحراني" (ص 188): "وطن بلا نوافذ هربت شوارع ، مآذنه وطبيعي جداً أن يخرج علينا أنصار التحريف ، كنائسه وفر الله مذعوراً ، وفر جميع الأنبياء". والتخريف والضلال ليقولوا: أنتم لم تفهموا الرموز والإيحاءات! أنتم لم تدركوا مراد الشاعر من وراء هذه الألفاظ التي لها ظاهر أدركتموه بسطحيتكم ، ولها باطن لم تدركوه لضحالة مستواكم في فهم العربية! وفي معرض الرد على هؤلاء الضالين المتأولين المبطلين يقول الدكتور ممدوح الحربي في كتابه: (الصارم البتار في نحر الشيطان نزار) ما نصه: (والى ذكر الشبه والرد عليها بما يفتح به الفتح العليم):-- الشبهة الأولى قولهم: إن الشعراء والروائيين إذا تكلموا في أشعارهم ورواياتهم عن بعض الأسماء والذوات إنما هم يتكلمون عن قوالب شعرية ، ورموز خيالية ، في غير مرادها الحقيقي المعروف لدى العامة ، وإنما المعنى يكون كما يقولون في بطن الشاعر وجوفه ، فإذا تكلم شاعر مثلاً عن الله تعالى ، أو عن أي ذات من الذوات ، كالرسل والأنبياء ويوم القيامة وغيرها من الأشياء ، فهناك تصور آخر عند الشاعر هو غير المراد الحقيقي لهذه الذات ولهذا الحقيقة وعلى هذا فلا يكفر من قال في شعره إن الله مثلاً يجوع أو يعرى أو يمرض ، أو إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تهرب وتخاف وتجنن وغير ذلك! والرد على هذه الشبهة أقول: إن هذه الشبهة ما أظن أن إبليس قد ألقاها على هؤلاء ، وما أظنه كان يعلمها حتى سمعها منهم وأنا أسأل أولئك المخدوعين: لو أن شاعراً قام وصرح باسم رئيس دولة من الدول ، ووصفه مثلاً بأنه قد رآه مشنوقاً على باب المدينة ، أو أن ذلك الشاعر قد رأى ذلك الملك أو ذلك الحاكم مذبحاً في عمّان ، أتكون أقوال ذلك الشاعر في حق ذلك الملك أو الرئيس أو الحاكم من القوالب الشعرية التي يراد منها غير حقيقتها؟ وهل تلتمسون لهذا الشاعر العذر كما التمستموه له عندما رمى الله عز وجل بهذه النقائص؟ الجواب طبعاً لا وألف لا ؛ والسبب في ذلك أن هذا الرئيس أو الملك أو الحاكم عذابه معجل دنيوي ملموس عند أهل الدنيا ، أما عذاب الله تعالى فمؤخر مؤجل إلى ذلك اليوم الذي تشيب فيه مفارق الولدان قال تعالى: {فَلَا تَعَجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابٌ} وقال تعالى: {كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا \* وَنَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا} كما أن هذه الشبهة الخطيرة تجعل كثيراً من الزنادقة والملحدون الذين حكم عليهم علماء الإسلام على مر العصور بالردة والمروق من الدين ؛ بأنهم من المؤمنين الذين قد يحصل من الواحد منهم قول أو فعل ظاهره الكفر الصريح ، ولكنه لا يكفر بهذا القول أو الفعل ؛ لأن له مراداً وتصوراً آخر في قلب ذلك الزنديق والملحد ، وعلى هذا فلا يحكم بالكفر على أصحاب وحدة الوجود من الحلولية والاتحادية الذين يزعمون أن الله عز وجل قد حلّ أو اتحد مع خلقه ، أو أن الله تعالى قد حلّ في صورة عيسى عليه السلام ، وغير ذلك من الأمور الباطنية التي تهدم الدين والملة ، التي لا يختلف في إبطالها وتهافت أصولها من له أدنى عقل وأقل بصيرة. والشبهة الثانية: قولهم: إنك بإخراج هذا الكتاب رداً على نزار وذكر كفرياته وطوامه بالتفصيل قد أعنت على نشر هذا الكفر وهذه الزندقة ، وأشهرتها بين عوام المسلمين ، وهذا يجعل كثيراً من القراء يعودون إلى شعره وإلى دواوينه! والرد على هذه الشبهة أن نقول لهم: أولاً:- إن نزار لا يحتاج إلى كتابي هذا ليُشهر بين المسلمين ، وهو الذي قد وزع وطبع من دواوينه السوداء ما يقارب ثلاث ملايين نسخة ، هي موجودة بين يدي محبيه ومعجبيه من أبناء المسلمين ، وإن من المؤسف المحزن

والذي تدمع له العين أن جُلَّ المراجع التي اعتمدها في كتابي هذا رداً عليه هي من دواوينه التي استعرتها من عشاقه ومحبيه في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة الطيبة ، فكم من ديوان وكم من مجموعاتٍ شعريّةٍ له هي في قلوب محبيه ومريديه في هذه المدينة الطاهرة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المدينة حَرَمٌ ، ما بين عائرٍ إلى كذا ، من أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ). وثانياً: - إن الذين يستدركون عليّ بهذه الشبهة هم في الحقيقة يستدركون على الله تعالى وعلى كتابه الكريم حيث إن الله تعالى قد بين وفصل كُفْرَ الأمم السابقة في كتابه الكريم تفصيلاً دقيقاً في آياتٍ تُتلى منذ مئات السنين وإلى أن يرفع الله القرآن من المصاحف ومن صدور الرجال ، ولم يقل قائل بل لم يجروا أحدٌ من المسلمين ولا من غيرهم من أهل الملل الأخرى على القول بأن هذا التفصيل المذكور في كتاب الله تعالى مدعاة إلى نشر الكفر في الأرض ، وإنما هو التحذير من الله تعالى لخلقه لكي لا يقعوا في شيء من ذلك. بل إن القارئ لكتاب الله يجد أن الله تعالى قد ذكر كفریات لبعض الأمم السابقة تتعلق بذاته العلية ، فقد أخبر سبحانه عن جرأة اليهود أحفاد القردة والخنازير على الله ووصفهم إياه بصفات النقص قال الله تعالى: (وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولةٌ غَلَّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفقُ كيف يشاء). وكذلك ذكر تعالى كفر النصاري في قوله تعالى: (لقد كَفَرَ الَّذِينَ قالوا إِنَّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ) وقال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثةٍ وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحد) وغير ذلك من الآيات التي توضح عقائد الكفار وما يُصرِّحون به من إلحادٍ وزندقة). هـ. ألا إن الهدف الرئيس وراء هذه القصيدة هو بيان الحق !

هداديكُمُ الحقُّ استبانَ بمَعْلَمٍ ولمَّا يُعَدُّ يُجِدِي قَلِيلُ التَّوَهُّمِ  
تَفْطَنَ مَخْدُوعٌ ، وأيقنَ واهمَّ وأبصرَ بالعينين ياناسُ مَنْ عَمِي  
غدا شاعراً مَنْ كان بالأمس طالباً وأمسك في يُمناه أشرسَ أسهُمُ  
وكل الذي يُروى يُغربِلُ نَصُّهُ وفي كل فنٍ دَقُّ أو متـردم!  
وأضحى خطيباً مُصلِلاً في خِطابهِ فتي مُفصِّحاً كم وصَّفوه بأبكم!  
فقيم التجني ، والحقائقُ أفصَحَتْ؟! وقيم التَّدسُّي بالكلام المُنمـنم؟!  
قصائدُ (زيدٍ) تلك بالضادِ دُونَتْ بلهجةِ أوس ، أو زيادِ بنِ جُرهم!  
وأشعارُ (عمر) لم تُخالفَ عن الهوى فعمرو سليلُ العُربِ واللهِ حضرمي  
وما كان بالأمس القريب مُطلسمًا نراه ببذل الجهد غيرَ مطلسم  
وكل قريض كان بالأمس مبهمًا وجدناه سهلاً واضحاً غيرَ مبهم  
وأمرُ (نزار) ليس قط بغامض وروجع لم يرجع ، ولم يتندم!

وما كان مني في الطريقة لحظة وما كنت يوماً للمغالط أنتمي!  
فشتان بين المرء يأسره الخنا فيطعن أوتاد المعالي بمخنم  
وآخر بالأخلاق يسمو ويرتقي ويمسي بتقوى الله خير معلم  
تفقدت شعري واعتيت بحبكه وخيرني شعري ، فقلت له استمي!  
وعاهدت ربي أن أدود عن الهدى فإن دفاعي عنه أثنى مغنم  
فضمخته بالحق والعدل حسبة وقلت: أصون الشعر بالروح والدم  
ولم أستبخ بالشعر حرمة مؤمن وما كثف التقصيد عورة مسلم!  
وأما (نزار) فاستباح مبادئاً ولمّا يكن فيما استباح بمرغم  
تتبعت أشعار السفيفه بحيدة لوجه إله الناس لا وجه درهم  
فمعظمها فسق يُخامر الهوى يسوق بلا شك لقعرجهنم!  
يقول بموت الله ، أعظم فريية بلفظ شديد الوقع بال مُذمم  
وللكاذب المحتمل آلهة عتت يُعظمها ، والعبد غير مُعظم  
يقول القرى اغتالت على الفور ربّه! فهل شافت الدنيا لذا الكفر من سمي؟  
يقول بذبج الله من بعد شنقه تعالى مليك الناس عن قول مجرم!  
ويعشق للكفر المزخرف نكهة فلا طاب يا عبد الهوى أي مطعم!  
وينشئ رباً لا يطارد شخصه! فمن ينطلق في عيشه يتنعم!  
ويرجو ملائك خرة في غرامها كما يحتفي بالحب إحساس مغرم!  
وعند اللعين الرب يعشق عادة ككل إله في الأحاجي مُتيم  
وعند الكفور الرب يأكل عبده إلا إن هذي فريية المتجرّم  
ويزعم أن الله يبحث جاهداً عن الجنة احتاجت لضوء وسلم!  
ويوقن أن الجنس دين ومنهج فمن يركب الفحشاء يُفاح ويغنم!

ويذكر أن الله لا يعترف بالذي      تخبأ في قلب ، فيا للتبرم!  
ويعلن أن سجادة للصلاة من      أحب من النسوان ، يا للتجهم!  
ويجهر أن الله بباق بحجرة      يدبر أمر الخلق في قعر قمقم  
ويزعم أن الله أعطى نبيذ      ليسكر عريذ ، ويرشف بالفم!  
ويتسبب للجبار حزناً ونوبة      يليها بكاء في شديد تألم!  
ويزعم أن الله خلق طعامه      كأن الإله الحق ليس بمطعم!  
ويتسبب للخلاق نسيان ضاده      ومن يهجر التقوى يخرف ويزعم!  
ويزعم أن الله يسقط من عل      فقبحت من مستهتر متهم!  
وليلاه حاكي وجهها وجهه      جمالاً وحسناً ، يا لإفك مهذم!  
ويزعم أن الله فر من الورى      فإن لقا أهل الأذى جد مؤلم  
عدا ما افتري من ساقط القول فاحش      بلهجة مرنول حقيرو وأيهم  
وشعر إباحي تبدى سؤفوله      ودكر لم يذكر ويظفر بمأدم!  
ألا فاحكموا أنتم بعدل ، وأنصفوا      ومن جانب الحسنى يضع ثم يظلم!  
على المفتري حتماً تدور دوائر      ولا ينصر المولى أذاليل مجرم!





وعِشْتِ وَأُمِّي أَضْحُوكة  
وأُمِّي التِّي أَتَقَنَّتْ دَوْرَهَا  
وَرَبَّيْتِ ، وَمِنْ بَعْدِهَا عَلَّمْتِ  
وَعَنكَ سَأَلْتِ ، فَمَا صَارِحْتِ  
فَقَلْتِ: يُسَافِرُ لِمَ يَكْتَرْتِ  
فَلَمَّا كَبِرْتِ حَكَتِ قِصَّةَ  
حِكْتِ لِي ، وَيَا لَيْتَهَا مَا حَكَتِ  
وَقَلْبِ يَحْكُمُ رَبَّ السُّورِي  
وَكُنْتِ تَزُوجِي مَنِ تَشْتَهِي  
وَمَاتِ الصَّغَارُ ، فَلَمْ يَكْتَمُنْ  
وَجَرَّعْتِ فِي الْعَيْشِ مُرَّ الشَّقَا  
وَأُمَّكَ مَاتَتْ لِفِرطِ الْجَوِي  
وَكَانَ مُصَابِكِ فِي حَادِثِ  
وَزُوجِكَ بَعْدَ الْبَلَا فَارْقَتِ  
إِلَى أَنْ أَتَيْتِ هُنَا مُكْرَهَاً  
بِإِدَارِ الْمَسْنِينِ مَسْتَهْجِنَاً!  
و(الَاءُ) جَاءَتْ تَبُتُّ الْهِنَا  
وَقَالَتْ: بِكَيْتِ فَمَاذَا جَرِي؟!  
فَقَالَ: تَذَكَّرْتِ أَمَّا قَضَيْتِ  
أَلَا يَا بُنَيَّةَ ، فَلْتَعْفِي  
ظَلَمْتِ ، وَنَلَيْتِ الْعِقَابَ الَّذِي

لِمَنْ قَدْ تَفَكَّرَ أَوْ أَعْرَضَا  
وَلَاقَيْتِ مَصَاتِرَهَا بِالرُّضَا  
وَكَانَتْ تُطَبِّبُ إِنْ أَمْرَضَا  
وَمَا اسْطَعَتْ لِلرَّدِّ أَنْ أَرْفَضَا  
بِزَوْجِ وَبَنَاتِ ، غَدَا مُدَحِّضَا  
تُشَمِّتُ مُسْتَنْكَفَاً مُغْرَضَا  
بِلَفْظِ كَمَا الْبَرْقُ إِنْ أَوْمَضَا  
بِأَمْرِ إِلَهِي اللَّهُ قَدْ فَوَّضَا  
وَرَأْسُكَ فِي الْحَيِّ مَا أَخْفِضَا!  
لَكَ السَّعْدُ ، بَلْ أَجْهَضَا  
عَلَيْكَ بِهِ اللَّهُ دَهْرًا قَضَى!  
وَوَجَدَا عَلَيْكَ الْمَقَامَ اقْتَضَى  
جِزَاءَ الَّذِي الظَّلَمَ كَانَ ارْتَضَى  
وَعِشْتِ رَهِينِ الْأَسَى مُعْمَضَا  
تَلَاحِي بِسَبِّكَ مَنْ حَرَّضَا  
عَذَابٌ يُصَبُّ كَجَمْرِ الْغَضَى!  
بِوَجْهِ بَهِيِّ السِّنَا أبيضَا  
أَرَاكَ لِمُكْثِي هُنَا مُبْغِضَا  
وَمَنْ أَنَا حَتَّى أَرَدَّ الْقَضَا؟!  
لَأَبِّ بِأَسْرَارِهِ فَضْفُضَا  
كَدِينِ يُرَدُّ لِمَنْ أَقْرَضَا!

## احتفال أم سنة يا لكاع؟!

(في نص سابق لنا عنوانه: (بدعية المولد النبوي) ناقشنا أدلة التحريم والحظر والمنع! وفندنا أدلة المبيحين المبتدعة ، وقمنا بالرد عليها! وليست هذه القصيدة تكراراً لما سبق لا مقدمة ولا نصاً! وإنما هي ردٌ على متعالم آخر يبين الأسلوب الأمثل للاحتفال بمولد النبي - صلى الله عليه وسلم -! رافضاً الغناء والرقص والاختلاط المستهتر وإزهاق حرمان مساجد الله واستباحتها باسم الاحتفال بالمولد! واصفاً الاحتفال الأمثل بصيام يوم المولد معللاً ذلك بأنه احتفال النبي - صلى الله عليه وسلم -! وإنما كانت سنة سنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأمته صوم (الاثنين والخميس) ، وقوله: (هذا يوم ولدت فيه) لا يعني الاحتفال ، ولا يجيز لنا أن نطلق عليه لفظ الاحتفال إلا بدليل شرعي! ومن هنا فالاحتفال الأمثل والاحتفال غير الأمثل كلاهما بدعة! والقول بالبدعة الحسنة والأخرى السيئة على المولد كلاهما بدعة! وهذه ثمانية عشر دليلاً على تحريم الاحتفال بالمولد من باب التأكيد والإعذار إلى الله تعالى! وإن كان صاحب الحق ليكفيه دليل واحد ، ولكن صاحب الهوي ليس لنا عليه سبيل ، إذ ليس يكفيه مائة دليل ودليل! والأدلة باختصار:- أولاً:- ما لم يكن ديننا عهد النبي ﷺ فليس اليوم بدين ، ولن يكون ديناً إلى قيام الساعة! ثانياً:- كل أمر لم يشره النبي ﷺ فليس بمشروع! ثالثاً:- النبي ﷺ لم يحتفل به! رابعاً:- كل من عمل هذا العمل كأنه يتهم للرسول ﷺ بالخيانة وعدم الأمانة. خامساً:- إقامة هذه البدعة تحريف لمعنى محبة الله ومحبة الرسول ، لأن محبة الله والرسول تكون باتباع سنته ظاهراً وباطناً. سادساً:- أن المولد النبوي ينطبق عليه وصف البدعة. سابعاً:- الاحتفال بالمولد ليس من عمل السلف الصالح من القرون الثلاثة المفضلة ، وإنما هو بدعة أحدثت بعد ذلك. ثامناً:- الاحتفال بالمولد من ابتداع الدولة الفاطمية الباطنية المتشعبة الرافضية الخبيثة! تاسعاً: أصحاب النبي ﷺ أعظم الناس حباً وإجلالاً له ، ولم يؤثر عن واحدٍ منهم أنه احتفل بمولد النبي. عاشراً:- النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على عباده ، وأمته بها عليهم هي بعثة النبي ﷺ ، وليست مولده. حادي عشر:- أن العبادات مبنية على التوقيف من الشارع. ثاني عشر:- أن الاحتفال بالمولد النبوي يفتح الباب على مصراعيه للبدع الأخرى والموالد والاحتفالات. ثالث عشر:- الاحتفال بالمولد ، لاسيما في صورته الحالية وسيلة إلى الغلو في مدحه وإطرائه ، والمبالغة في تعظيمه. رابع عشر:- مشابهة للنصارى في احتفالاتهم البدعية بمولد المسيح عيسى بن مريم في كل سنة. خامس عشر:- وحتى الاحتفال بولادة عيسى عليه السلام هو من البدع التي ابتدعتها النصارى في دينهم. سادس عشر:- يوجد في الاحتفال بالمولد النبوي ممارسات هي أقرب إلى الاستهزاء بالله وبرسوله من تعظيمه. سابع عشر:- وقع خلاف كبير في تحديد يوم مولد النبي ﷺ فلا يكاد يعرفه على التحديد أحد! بينما يوم وفاته تحديداً هو (الثاني عشر من شهر ربيع الأول). ثامن عشر:- النبي ﷺ قد ولد في شهر ربيع الأول ، وقد مات فيه أيضاً ، وإذن فاحتفال القوم هو في الحقيقة في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول هو احتفال بيوم مماته لا بيوم ولادته! والآن لنتابع نصنا في الرد على أحد أعلام الضلال المتنطعين كان أطلق لفظ الاحتفال على النبي - صلى الله عليه وسلم -! مبينين أنه بذلك يفتح الباب أمام من يقولون بالبدعة الحسنة ويقول بعضهم يحاكي عمر: (نعمت البدعة هي) ، متغافلاً ذلك المعرض أن عمر قال ذلك في شعيرة لها أصل في الشرع ، فكان القياس العمري على أصل ، لا على بدعة لا أصل لها!

باختصار نحن أمام قوم مغالطين جهلاء معرضين عن الحق ، ولا سبيل إلى إقناعهم إلا أن يشاء الله ربي شيئاً! وأحيلهم لقصص التائبين منهم ليطالعوا ردوداً مفحمة وبأقلام أقوام كانوا يوماً على طريقتهم ومدافعين عن باطلهم ومستمسكين ببدعتهم! إن نظن إلا ظناً ، وما نحن بمستيقنين! والله يهدي عبده للحق! ونقول لهذا الضال المضل: أيها المتعالم المجهال الجهول ، فاتك أن تُدرك خطورة الكلمة! أنت بذلك تعطي الخصوم الحجة في جواز الاحتفال لا بالرقص والغناء والطبل والزمر ، بل بقيام الليل وصوم النهار وقراءة القرآن! وهو ما يُعرف عندهم بالاحتفال الأمثل لإحياء يوم مولده – صلى الله عليه وسلم! فهل يجوز؟ والله ما جاز! ومن هنا صح القول وبأن الاحتفال الأمثل والاحتفال غير الأمثل كلاهما بدعة لم يشرعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأمته قط! فلنحرص جميعاً على اتباع السنة واجتناب البدعة حتى يوفقنا الله للخير!

احتفالاً أم سُنة يا مُغالي؟!  
 لَقْبُوكَ بِاللَّيْثِ ظَلَمَافاً وَزوراً  
 مثلُ هذا يُزري بليث الضواري!  
 لم يزلن يسهلن بباطل قول  
 لم يزلن يولي الهزل كل اهتمام  
 هُمّه النيلُ والتشفي انتصاراً  
 كم ينال الرّعيذ من كل داع  
 كم تحدى مستقوياً بالطواغي  
 كم تآبى عن أن يسلم طوعاً  
 قلبه بالأحقاد يطفح دوماً  
 لم يبيث حسن النوايا بتاتاً  
 وانتظرنا عساه يُدرك توباً  
 للغرور في قلب هذا نصيب  
 والأحاجي تغشاه في كل شأن  
 وعلى (المختار) افتري دون شك  
 هو سَمَى صوم النبي احتفالاً  
 ساءَ حكماً ما فهت من أقوال!  
 فاق بأس الليث جُبْنُ الغزال!  
 ما لهذا بين الوري من مثال!  
 والتردي من سييء الأفعال  
 ثم يُعطي التحريف كل اشتغال  
 لحظوظ النفس التي لا تُبالي  
 في زماني أو في العصور الخوالي!  
 مستسيغاً روح المضاف في الجدال!  
 لصحيح البرهان ، يا للتعالي!  
 كيف يصفو للحق قلب مغالي؟!  
 إنما سوء الظن سمّت الضلالي!  
 لكن التوب بات صعب المنال  
 ليس يحيا إلا بمحض اختيال  
 ليس يدري حرامه من خلال  
 إذ يُحاكي أهل الهوى والضللال  
 ليس هذا يا مُفتر باحتفال!

وارتضاها مليكنا ذو الجلال  
لا احتفالا ، بعداً لذا الدجال!  
ثم راجع ، واستفت أهل المعالي  
إن جهلت فاعمد لطرح السؤال  
ثم تغشى بالجهل ساح النزال  
لن يفيد الجهال ضرب النصال  
كم أضاع الأشراف حُـمقُ الموالي!  
فاستميت سعيًا وراء الخيال!  
مُسْتَغْلًا ذا أسوأ استغلال  
كي يفيق من يفتري ويُغالي!  
ربنا تب ، وامنن على كل غال!  
مستسيغ السوآى بالاستحلال  
للدعِي الأفاكِ ذي الإضلال!

سنة هذي سنها وفق شرع  
صوم الاثنين والخميس احتساباً  
خانك التقدير ، استجب ، لا تغالط  
ليس عيباً أن يجهل المرء حكماً  
لكن العيب أن تظلم جهولاً  
مشهراً في الحرب الضروس نصالاً  
لا تُعانِد! صبيانك البلاء حَمَقِي  
كم نصحنا ، نرجو لك الخير خُباً!  
واتخذت التشهير سيفا مبيراً  
كم أبنا الأخطاء دون اكتراثٍ  
إن يكن في علم المهيمن توبٌ  
أو ستلقى رب السورى بالخطايا  
فلتعجلن رب السماء بموتٍ

## عيواظ محتجاً على العبيدي!

كتب الأستاذ الشاعر الكبير عبد الناصر العبيدي قصيدة بعنوان: (عيواظ) في سوق (عكاظ) ، يبين فيها كيف استمد التيس (عيواظ) دمية مسرح الظل مكانة لا يستحقها مطلقاً بين الأغنام والشيء والغزلان وسائر الحيوانات في الغابة! وناشد العبيدي هذه العجماوات أن تعتق أنفسها من رق العبودية لعيواظ! وبين لها أن ذلك يسيرٌ عليها مجتمعة! وهو نص مضحك مبك! ابتدأه العبيدي ، بوصف عيواظ وصفاً دقيقاً جداً ، وهو يتصدر المشهد ، أمام الحيوانات فقال:-

ولقد أَطَلَّ عَلَى الْمَلَا (عِيَوَاطُ) تَيْسٌ تَجَمَّعَ حَوْلَهُ الْأَوْشَاطُ  
يَحْمُونَهُ مِنْ كُلِّ خَصْمٍ غَاضِبٍ وَكَأَنَّهُمْ لِنَصَالِهِ أَرْعَاطُ  
خَرِقٌ غَبِيٌّ أَحْمَقٌ لَا يَرَعَوِي عَيْتٌ بِوَصْفِ غَبَانِهِ الْأَلْفَاطُ

واستمر العبيدي في وصف الرق والعبودية ، والتكبر والغطرسة إلى أن ختم قصيدته بقوله:-

يَا قَوْمُ إِنْ ظَفَرَ التَّيْسُ بِإِرْضِكُمْ شَتُّوا عَلَى أَحْلَامِكُمْ وَأَقْتَاظُوا  
أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ نَصِيحَةِ حَاقِدٍ أَوْ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ تِلْمَاطُ  
لَا تَضْعَفُوا أَبَدًا وَلَا تَسْتَسْلِمُوا مَا خَابَ مَنْ نِيلَ الْمُنَى مِلْطَاطُ

وتخيلتُ (عيواظ) وهو يحتج على العبيدي أن لا يؤلب عليه رعيته! ويتبرأ من استعباده لهم موضحاً بصدق أنهم وحدهم الذين أذعنوا وأطاعوا وخضعوا فلم لا يأخذ مكانه ويعطي أوامره!)

خانتك في تشخيصك الألفاظ والنصُّ لم يطرب له (عيواظ)!  
أنا يا (عبيدي) التقيتُ أعبداً خضعوا ، وإن هم جوعوا أو باظوا  
وأمرتُ ما اعترضوا ، ولم يتذمروا بل طبَّقوا أمري ، ولم يغتاظوا  
وأكلتُ أقواتها تنازل أهلها ومتى اكتفى من أكله الجنعاظ؟!  
ونهبْتُ أرزاقاً بدون جريرة والنهبُ كم بصُرتُ به الألحاظ!  
وهتكُ أعراضاً غلتُ أثمانها في غفلةٍ ما زارها استيقاظ  
وسفكتُ عن عميدٍ دمَاءَ رَعِيَةٍ وأعانني جُنْدٌ لَدِيٍّ غِلَاطُ  
وقتلْتُ أحراراً خشيته خروجهم يوماً عليَّ لهم مَضَا وَلِحَاظُ!  
وشرعتُ أصلي الكِل نَارَ تسلطي في كل شبر جَمرة وشوَاظُ  
أنا يا (عبيدي) استلبتُ حقَّ وقهم وعلا السعارُ ، كأنني جلمَاظُ!

وبنيت في الدنيا القصور شوامخاً  
 وبرغم ذلك حُزت آيات الرضا  
 صيغت لي الأمداح تَعْضُلُ بالذي  
 وارجع إلى التاريخ ، واقراً ، واعتبر  
 وروى القصائد في الأنام مجاهرٌ  
 لمَّا تكن حِكراً على بعض الورى  
 كلُّ يَكُن لي الولاء مُقنطراً!  
 وتسابقوا في كيل ما هم قلدوا!  
 كلُّ يُبَيِّنُ حَبَّه وولاءه  
 ماذا صنعت لهم يُوافي مدحهم  
 هم يا (عبيدي) الذين تقبلوا  
 خفف ملامك ، وانتبه لرموزه!  
 النصُّ أرقني ، وعذب مُهجتي!  
 وجَّه رَمِيَّتِك المُصَيِّبة نحوهم!  
 إن الرمايا لا تُصيبُ بلا صوئ!  
 وابدأ بكل المُرجفين ، وقل معي:  
 واربا بنفسك أن تُجاملَ مجرماً!  
 كم بالقصور تفاخر الجواظ!  
 أدلى بها الكرماء والأوشاظ  
 يتلو النصوص تهابُه الألفاظ  
 بقصائد خطت لقوم فاظوا  
 أو حاذق متفهم قنظ لظاظ!  
 بل صاعها الشعراء والخفاظ  
 يُبدي الخضوع مُتَمِّم تلماظ  
 وأجاد مدحي العف واللماظ  
 هل ضمهم في خافيه (عكاظ)؟!  
 يُقال: سيقت للغفاة حظاظ؟!  
 حكمي ، فهم هتافتي الأفظاظ  
 والوعظ يُدرك شأنه الوعاظ!  
 في دفتيه توجَّع وعناظ  
 فقد استوى النوام والأيقاظ!  
 إن السهام تشوقها الأرعاظ!  
 لا عاش قوم أذلون جعاظ!  
 كم يستفيد إذا دعا الملظاظ!

#### (بعض معاني الكلمات غير المطروقة)

عيواظ: دمية مشهورة في مسرح خيال الظل التركي. أعابد: ج عبد. باظوا: سمنوا من كثرة تناول الطعام.  
 الجنعاظ: الأكل الشره. الألحاظ: ج لحظ وهو محجر العين ، وقد يكنى به عن العين. لحاظ: نظر وملاحظة. شواظ:  
 دخان النار. جلماظ: شهوان. الجواظ: المتكبر الجافي غليظ الطباع. الأوشاظ: ج وشيظ وهم سفلة الناس وأرذلهم.  
 فاظوا: جاملوا في المدح. اللظلاظ: الفصيح. المصلق: هو طليق اللسان. تلماظ: كثير التلمظ والغمز واللمز.  
 اللعماظ: الذي يعطي ما لا أصل له من الكلام! الإطراء: المدح. سوق عكاظ: من أسواق الشعر في جزيرة العرب.  
 جحظاظ: ج حظ. الأفظاظ: ج فظ وهو جافي الطبع الغليظ والذي لا يستقيم على حال. عناظ: الهم الشديد. الأرعاظ:  
 ج رغظ وهو فتحة خروج السهم. جعاظ: ج جعظ وهو المتكبر المغرور المتقلب الأحوال جداً. الملظاظ: الملحاح.

## براعة ابن عبد الوهاب!

(منذ عقدين من الزمان كتبت قصيدة عنوانها: (شمس الجزيرة العربية) في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عليه رحمة الله تعالى -! وذلك عندما اندلعت الهجمة الشرسة ، للنيل منه! وكانت القصيدة في ستة عشر بيتاً من البحر الخفيف! وكنت سعيداً بها ، حيث مدحت الشيخ يقول مطلعها الذي يبين موقع الشيخ رحمة الله سبحانه تعالى عليه ، من علماء الأمة بأسرها:

شمسٌ تشعُّ يواقيتاً وأنواراً      تنير دُوراً وأصقاعاً وأمصاراً  
تُبدد الظلمة الظلماء مذ جثمتُ      وتلفتُ اليوم - للأضواء أنظارا  
تطل حالمة في ثوب طلعتها      فتزهر الأرض بالإشراق إزهارا  
إلى أن ختمتُ قصيدتي هذي في مدح الشيخ ، وذلك بالتحذير من النيل منه رحمه الله ، بقولي:-

والبعض صدق ما قالوه مُلتمساً      لما افتروه عن الأعراب أعذارا  
يا غرب غدٍ للآلى صاغوا شهادتهم      بكل صدق مقالاتٍ وأشعارا  
وكفَّ عن كل ما تلقى من شُبُهه      إن الأعراب لا ، لن يتركوا الثارا

وبعد أن قمنا بواجبنا الشرعي والشرعي في بيان بدعية الاحتفال بالمولد النبوي ، انهالت علينا سيول الشتائم والاتهامات التي من بينها اتهامنا بالوهابية ، وهي تهمة شريفة عفيفة ، أين نحن من كرامتها وعزتها! والوهابية التي أصقت بنا تشبه (المحمدية) التي يطلقها النصاري على المسلمين المؤمنين الموحدون أتباع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -! ونعمت التهمة هي! فقال لي بعض الأحبة: ألا تنتصر للشيخ البريء ابن عبد الوهاب؟! فقلت: قد فعلت! وكتبت منذ عقدين قصيدة: (شمس الجزيرة العربية) فارجعوا إليها! فلما رجعوا وجدوها ستة عشر بيتاً في مدح الشيخ والتحذير من النيل منه! فقالوا: نريد معلقة أربعينية انتصارية عن الشيخ تُبرئه من تهم المبطلين وتعير الكاندين وشبه الغالين! والحقيقة أن أعداء ابن عبد الوهاب قوم مجرمون مغالطون ، فقد نصبوا من أنفسهم خصماً وحكماً! وحتى أعداء لمعلقتي الانتصارية درست حياة الشيخ من المهد إلى اللحد! ورأيت الشيخ في عيون الخصوم قبل المحبين ذا مكانة عالية ومنزلة سامية! فالشيخ وإن عابه ونال منه المدعون من أهل ملته ، فقد نصره الله على أيدي المنصفين من أهل ملته وأتباعه ، كما نصره على السنة قوم من غير أهل ملته ، بل هم خصومه على التحقيق! ومنهم أعداء له كالمستشرقين مثلاً! وتنوعت صنوفهم وهدفهم واحد! فطائفة علمانية وأخرى صوفية وثالثة رافضية خبيثة ورابعة معاندة عناداً جاهلياً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، بل مبتدعة جهال أو أشاعرة من غالبية أهل البدع! ومن هنا كثرت الأقاويل ، وتضارب بعضها ، وتاهت الحقيقة حقيقة دعوة ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى! حيث إن كثيراً من الجهلاء والسفهاء لا يعرفون حقيقة دعوة مجدد القرن الثاني عشر الهجري ابن عبد الوهاب ، طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، ونور الله مرقده ، وفي الجنان أرقده! إنها دعوة الحق ولا يكرها إلا معاند جاهل لا يعرف حقيقتها ، أو حاقد عرفها ثم كرها ، أو عميل مرتزق لا تعلم له هوية! بل هو رقاص يرقص على كل طبله ونهم شره أكال يأكل على كل مائدة! والمقصود: أن دعوة الشيخ محمد دعوة سلفية ، دعوة وسطية معتدلة دعوة صحيحة ، وهو إمام محقق ، فتح الله عليه في هذا الباب ، ودعا إلى الله ، وأرشد إلى الله ، وصبر على الأذى ، وعلى معاداة من عاداه من أقاربه وغيرهم ؛ حتى نصره الله عليهم ، وحتى أظهر الله الحق على يديه ، ثم على يدي أبنائه بعده ، وعلى يدي الأمراء ، فجزاهم الله جميعاً خيراً ، ورحمهم جميعاً! هو الإمام الجليل المجدد الكبير

شيخ الإسلام والمسلمين وإمام الدعوة والمجددين محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي مجدد الملة وناصر السنة وقامع البدعة ، قال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على "فتح المجيد": (هو زعيم النهضة الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب نهج نهج السلف الصالح ودعا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع. وكان الإمام محمد بن عبد الوهاب عالي الهمة لا يخاف في الله لومة لائم نشر دعوة التوحيد على رغم أنوف الحاقدين وبين الحق في وجه المشركين ومن كان متمسكاً بمنهج السلف ، فمن أي شيء يخاف؟ حفظ الشيخ القرآن العظيم قبل بلوغ العاشرة ودرس الفقه حتى نال حظاً وافراً وكان موضع إعجاب والده لقوة حفظه وكان مكباً على مطالعة كتب التفسير والحديث شديد العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ونسخ بخط يده كثيراً من كتبهما يحفظ المتون في شتى العلوم كما نقل فهد بن ناصر السليمان وغيره. رحل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلى ضواحي نجد ثم إلى مكة فقرأ على علمائها ثم إلى المدينة فقرأ على علمائها ، ومن أشهر شيوخه والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان وكان فقيهاً كبيراً وعالماً خطيراً ، كما يصف الإمام ابن باز. العلامة عبد الله بن إبراهيم الشمري وابنه العلامة الشهير إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الشمري. والعلامة المحدث محمد حياة السندي الذي أجازته بأهيات كتب الحديث ، ثم رحل إلى البصرة في العراق وأخذ عن علمائها ، ومن شيوخه في البصرة. الشيخ محمد المجموعي وفي البصرة دعا إلى التوحيد والسنة وأرشد الناس إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ثم خرج من البصرة وكان من نيته الخروج إلى الشام ، لكن لم تتوفر النفقة الكافية فخرج إلى مدينة الزبير - مدينة عراقية - ومنها إلى الأحساء ، واجتمع بعلمائها وناظرهم في العقيدة ثم انتقل إلى حريملاء واشتغل بالعلم والتعليم ، وقد نقلنا هذا من كلام الإمام ابن باز في رسالته: (محمد بن عبد الوهاب). وإذن فالوهابية لقب أطلق على الحركة الإسلامية التجديدية الإصلاحية ، تلك الحركة التي تزعمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، وهو لقب لم يطلقه على نفسه ، ولا أطلقه عليه أحد أتباعه ، وإنما جاء من قبل خصومه ، وأعدائه ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أحد العلماء المجددين ، والقادة المصلحين ، شهد له العلماء المنصفون بالعلم ، والديانة ، والاستقامة ، بل عده كثير منهم مجدد القرن الثاني عشر الهجري ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ، مجدداً للإسلام في بلاد نجد بإرجاع أهله عن الشرك ، والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد ، والسنة). وقال: لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي ، من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو إلى تجريد التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وحده ، بما شرعه في كتابه ، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وترك البدع ، والمعاصي ، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة ، وعظيم حرمانته المنتهكة المنهوكة ومن عرف حال نجد ، والجزيرة ، قبل انتشار دعوة الشيخ ، من انتشار البدع والخرافات ، وأنواع الجهالات ، أدرك ما لهذه الدعوة من الآثار الحميدة ، والخصال الفاضلة ، والدور العظيم في إحياء السنة ، وإماتة البدعة. قال عنه العلامة ابن باز - رحم الله الجميع -: (الشيخ محمد - رحمه الله - إمام كبير ، وعلامة شهير ، من الله عليه بالفقه في الدين ، والبصيرة في علوم الشريعة ، ولا سيما العقيدة الصحيحة - عقيدة أهل السنة والجماعة - وكان ذلك في وسط القرن الثاني عشر ، تعلم على علماء بلده ، وسافر إلى مكة والمدينة ، وأخذ عن بعض علمائهما. ثم رجع إلى بلده الدرعية ، ورأى أن الناس قد فتنوا بالتعلق بالأموال والقبور والشجر والحجر ، ففتح الله عليه ، ومن عليه بالقوة والصبر ، فدعا إلى الله ، وأرشد الناس إلى توحيد

الله ، وعلمهم أن التعلق بالقبور والأشجار والأحجار والاستغاثة بها شرك أكبر ، وصبر على ذلك وعاداه كثير من أهل زمانه ، ولكن الله نصره عليهم ، وتابعه جم غفير من أهل العلم والبصيرة من أقاربه وغيرهم ، فصارت دعوته فتحًا عظيمًا على المسلمين ، ورحمة من الله لعباده في هذه الجزيرة العربية ، وكانت دعوته أولًا في الحُرَيْملاء. ثم انتقل إلى العيينة كلها قرى متقاربة ، ومكث في مدة أيضًا عند أميرها عثمان بن معمر يدعو إلى الله ، ويعلم الناس شريعة الله ، ويحذرهم من الشرك بالله ، وعبادة غيره ، وكانت قبة زيد بن الخطاب في الجبيلة معظمة ، تُدعى من دون الله ، وكان زيدٌ يدعى من دون الله ويعبد ؛ لأنه قتل في يوم اليمامة في قتال مسيلمة ، وصار الناس يعظمون قبره ، ويدعون من دون الله ، وعليه بنية ، فأعان الله الشيخ ، وذهب بجماعة من العيينة ، وهدموا تلك القبة ، وبين للناس أن هذا لا يجوز ، وأن البناء على القبور لا يجوز ، وأن دعاء الميت ، والاستغاثة به لا يجوز ، ولم يزل في الدعوة إلى الله ، وإرشاد الناس إلى توحيد الله ، وإلى ما شرعه الله من الأوامر ، وإلى ترك ما حرم الله من المعاصي ، من الزنا والسرقه والربا وشرب المسكرات إلى غير ذلك. وتابعه على ذلك جم غفير من العلماء من أبنائه ، وأقربائه وغيرهم ، فهو بحمد الله نعمة من الله ، فتح الله به القلوب ، وفتح الله به البلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا بعدما اتضحت لهم الدعوة ، ثم صار بينه وبين عثمان بن معمر بعض الشيء ، فخرج من العيينة إلى الدرعية ، وتلقاه أمير الدرعية ، وبايعه على النصره والجهاد ؛ فوفى له بذلك ، وتساعدوا في الدعوة ، وقام سوق الجهاد في سبيل الله ؛ حتى أظهر الله الحق ، ونصر الحق ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، وانتشرت الدعوة في هذه الجزيرة. ثم فتح الله على المجاهدين الموحدين مكة والمدينة ، وأظهرها فيها العقيدة الصحيحة ، وهدما ما على القبور من البنايات ، من القباب وغير ذلك في مكة والمدينة ، وأوضحوا للناس حقيقة التوحيد ، وكان فتح مكة والمدينة بعد موت الشيخ - رحمه الله - في السنة الثامنة عشرة من الهجرة ، بعد القرن الثاني عشر عام ثمانين عشرة ومائتين وألف ، وكان الشيخ توفي رحمه الله سنة ست ومائتين. والمقصود: أن دعوة الشيخ محمد دعوة سلفية ، دعوة صحيحة ، وهو إمام محقق ، فتح الله عليه في هذا الباب ، ودعا إلى الله ، وأرشد إلى الله ، وصبر على الأذى ، وعلى معاداة من عاداه من أقاربه وغيرهم ؛ حتى نصره الله عليهم ، وحتى أظهر الله الحق على يديه ، ثم على يدي أبنائه بعده ، وعلى يدي الأمراء ، فجزاهم الله جميعًا خيرًا ، ورحمهم رحمة واسعة وضاعف لهم المثوبة. وهكذا انتشرت في خارج الجزيرة في الشام والعراق ومصر وفي الهند وغيرها ، نقلها العلماء إلى هذه البلدان ، ونفع الله بها من شاء من العباد ، وذلك بتوفيق من الله ورحمة من الله لمن نقلها ، ولمن نقلت إليه. وهو - رحمه الله - صبور على الأذى ، وهكذا أتباعه صبروا كثيرًا ، وأوذوا كثيرًا ، وقتل من قتل من أتباعه ، ولكنهم لم يتأخروا عن جهاد أعداء الله ولم يتأخروا عن الدعوة ، فصبروا ، وجاهدوا حتى فتح الله عليهم بلاد الجزيرة النجدية كلها ، وهكذا فتح الله عليهم الحجاز ، الحرمين وبقية بلاد الحجاز ، كل ذلك من فضل الله عليهم ، من فضل الله عليهم لما نصروا دينه ، وأرشدوا العباد إلى ما يجب عليهم ، وصبروا على الأذى ، فتح الله عليهم ، ونفع الله بدعوتهم ، وانتشرت أيضًا في اليمن هذه الدعوة ، وانتفع بها الكثير من اليمن. وله من المؤلفات رسائل كثيرة جمعت في مجموع الرسائل والفتاوى مجتمع المسمى السنية المطبوع الموزع بين الناس ، وله كتاب التوحيد كتاب عظيم ، ألفه في أول الدعوة ، وانتشر ، وله ثلاثة الأصول ، والقواعد الأربع ، كتاب صغير مفيد جدًا ، وله أيضًا كشف الشبهات أوضح فيها بطلان الشبهات التي تشبث بها أعداء الله من عباد الأوثان ، وله كتاب في الصلاة

والزكاة والصيام ، المسمى آداب المشي إلى الصلاة ، وله رسائل كثيرة - رحمه الله - طبعت والله (الحمد).هـ. هذا ولقد كانت هناك نتائج عظيمة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومنها تمكن الشيخ وأتباعه بالقرآن والسيف ، من إعادة الناس في وسط الجزيرة ، إلى جادة الصواب. ومن النتائج كذلك: تصحيح العقيدة: فلقد أدت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى تصحيح العقيدة الإسلامية ، مما شابها ، وran على القلوب من الشراكيات والبدع والخرافات ، والعودة بالناس إلى المنبع الأصلي ، كتاب الله وسنة رسوله وقد ظهر الله كل البلاد ، التي صار لهذه الدعوة فيها نفوذ وسلطة ، من جميع مظاهر الشرك والبدع والخرافات. ومن النتائج كذلك: انتشار الدعوة: فلقد امتد أثر هذه الدعوة خارج مهد نشأتها نجد ، فانتفع بها المسلمون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، في الشام ومصر والمغرب العربي ، والسودان واليمن والعراق والهند وباكستان وإندونيسيا ، وغيرها من البلاد. ومن النتائج: تنشيط الحركة العلمية: فلقد كان من النتائج الإيجابية لهذه الدعوة ، تأسيس حركة علمية واعية ، متحررة من التقليد الأعمى. فانتشر التعليم الديني ، القائم على كتاب الله وسنة رسوله ، في مختلف المناطق ، متخذاً من المسجد مقراً له. فتخرج فيها علماء أفاضل في بداية الدعوة وبعدها ، تحمّلوا عبء نشر الدعوة الإسلامية ورعايتها. ثم أسست لهذا التعليم جامعات إسلامية ، تُخرّج الطلاب من مختلف أنحاء العالم مسلحين بعقيدة صحيحة ، وتفكير سليم. ومن النتائج: حركة التأليف والنشر: فمن ثمار هذه الدعوة نشاط حركة التأليف والنشر ، فقد قدّم علماء هذه الدعوة للأمة الإسلامية رصيماً من الكتب النافعة ، في الأصول والفروع ، من ذلك: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويتكون مجموعها من اثني عشر مجلداً ، في الفقه والعقيدة والتفسير والحديث والسيرة. وأيضاً مجموع الفتاوى والرسائل لعلماء الدعوة ، ويتكون من أحد عشر مجلداً! وكذلك كتب ألفها الأئمة في مختلف العصور ، للرد على خصوم الدعوة ، وتبلغ العديد من المجلدات ، وهي مطبوعة متداولة. وأيضاً نشر كتب السلف وتوزيعها على المسلمين في موسم الحج وغيره. وكذلك نشر كل مفيد من المؤلفات العصرية ، وتوزيعه مجاناً. وأخيراً: توظيف الوسائط الحديثة لخدمة هذه الدعوة ، مثل التسجيلات الإسلامية في شتى أمور الدين ، بدءاً من القرآن ، وانتهاء بالوعظ والتوجيه. وهذا هو الأستاذ عبد السلام بن برجس يلقي الضوء على أسس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية فيقول بالنص: (محمد بن عبد الوهاب علم في غرة التاريخ ، أصلح الله به العقائد وجدّد به الدين ، وهو والله صنو أحمد بن حنبل ، حيث حرس أحمد عقيدة الأسماء والصفات من الجناية عليها ، وحرس محمد بن عبد الوهاب عقيدة توحيد الله في ألوهيته من الخروج عنها والجهل بها. لقد كان عالم أهل الإسلام في بلاد العرب والعجم يعجز بالجهل المخيم ويقذف بالزبد: الخرافة ، البدعة ، والشرك شهد بذلك شهود الله في أرضه من مؤرخي المسلمين وعلمائهم ، كما شهد بذلك جماعات من غير أهل الإسلام. وليس مرادي هنا أن أتوسع في إثبات ذلك ، إذ هو محل اتفاق بين المنصفين. إنما أطرق موضوعاً آخر في ظني أن الحاجة إليه ماسة جداً في هذا الوقت الذي بدأ العهد بالشيخ محمد وتلاميذه يبتعد للصوارف الكثيرة والوافدات المرفوضة ، هذا الموضوع هو: جهود علماء الدعوة في تأصيل المنهج السلفي ، حيث أذكر المنهج السلفي فإتما أريد به منهج السلف الصالح - رضي الله تعالى عنهم - وهو اسم محبوب ولقب مشرف وفوق ذلك هو دين الإسلام الصحيح الذي من لقي الله به نجا. لقد جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وليس هناك سلفي على وجه الأرض سوى أشخاص يعدون على أصبع اليد الواحدة وهم: المجموعي في البصرة ، وابن سيف في المدينة المنورة ، ومحمد حياة السندي في المدينة - أيضاً - والصنعاني

في اليمن ، وغيرهم ممن لا أعرفهم ، فما تولى أحد منهم الدعوة إلى الله تعالى بمواجهة المجتمع سوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم. وكانت حياته مليئة بالمتاعب والتعرض للصعاب والخطر ، من أجل الوصول إلى الدين الصافي من كدر البدع وشوائب الشرك ، التي طغى طوفانها وعلت راياتها وكثرت جيوشها ، فكان له ذلك بتوفيق العزيز الحكيم فهده الله إلى تصنيف كتاب (التوحيد) المصنف النادر بين مصنفات المسلمين. كما هداه الله إلى الصدع بدعوة التوحيد وحمل أثقال ذلك وحده ، فجعل الله نهضة أهل الإسلام على يديه ، وبدد دعوة الشرك والمشركين على يديه ، فلولا الله ثم هذا الرجل العالم الصالح ما قام لأهل السنة دولة ولا رُفعت لهم راية ولا قامت حجة الله على خلقه في ذلك العصر. لحق الشيخ بربه الكريم يوم الإثنين آخر شهر شوال سنة 1206 هـ وقد ترك تاريخاً مجيداً يفرح به أهل السنة وتقوى به عزائمهم. كما ترك إرثاً عظيماً من العلم النافع ، حيث المؤلفات المحررة والتلاميذ المؤصلون المجندون للعلم والدعوة والأبناء العلماء البررة المهرة ، فانتشرت المؤلفات وواصل الأبناء والتلاميذ مسيرة هذا العالم الجليل ولم يزل علمه ودعوته تنقل جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا نقيضاً ظلالتها ونسعد باتباعها وننعم بمعتقداتها المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد جددت دعوة هذا الشيخ الإسلام ، كما أنها حافظت على راية أهل السنة والجماعة مرفوعة قوية أكثر من قرنين من الزمان وما زالت - بحمد الله وفضله - وقد تمثل حفظها للعقيدة السلفية في أمور هذا شرحها. أولاً: تحقيق قضية توحيد الله في ألوهيته وأسمائه وصفاته وربوبيته. قامت هذه الدعوة المباركة على الاهتمام بتوحيد الله تعالى ، خاصة في توحيد الألوهية اقتداءً بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حيث افتتحوا دعوة أقوامهم بذلك ، ولأن الناس آنذاك قد أخلوا بهذا الجانب ، ففشت الشركيات حتى أصبحت مألوفة عند أكثر الخلق ولقيت من يبررها من علماء السوء أدعية الجهل والدجل. وكان أسلوب هذه الدعوة في بيان هذا الأمر الجلل يعتمد على تأصيل هذا التوحيد والاستدلال به وإقناع عامة الناس بالحجج التي تستوعبها عقولهم وعلى درء الشبهات التي ينقع بها أسرى الخرافات من أدعياء العلم ورموز التصوف ، فمن الأسلوب التأصيلي «الأصول الثلاثة وأدلتها» «كتاب التوحيد» للشيخ محمد ، و«رسالة مهمة» للإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وغيرها مما هو ماثوث في (الدرر السنية في الأجوبة النجدية). ومن أسلوب نقض الشبه ورد الباطل «كشف الشبهات» للشيخ محمد «الرد على القبوريين» للشيخ محمد المعمر ، «مصباح الظلام» و«منهاج التأسيس» للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ، «الرد على شبهات المستعنيين بغير الله» للشيخ أحمد بن عيسى ، «شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور» للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، و«هذه مفاهيمنا» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، وغيرها كثير. وبذلك أقام العلماء أهل الدعوة الحجة الإلهية على الخلق فلا يسع أحداً بعد هذا البيان إلا التسليم لله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وبهذه الجهود حفظ الله تعالى معتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من التحريف والتغيير وانتشر المعتقد الحق في أرجاء الدنيا ، فليس من سني سلفي يعيش الآن على وجه الأرض إلا للشيخ محمد وتلاميذه وأحفاده منة عليه لحفظهم هذا الدين الصحيح حتى وصل إليه ، كما كان على حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثانياً: قضية تحقيق متابعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التعصب للرجال سر البعد عن الله تعالى وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولذا فإن مستنقع البدع والخرافات أرض المتعصبين. لقد حطمت هذه الدعوة المباركة التعصب المذهبي المذموم ، فجعلت الاتباع الكامل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلى أقواله وأفعاله مدار

الأحكام الشرعية ، فالشرع ما شرعه والحلال ما حله والحرام ما حرمه. وكلام العلماء معين على فهم نصوص الشرع كما أراده صاحب الشرع - صلى الله عليه وسلم - . إن التحرر من رق التعصب الذميمة هو الذي جعل هذه الدعوة المباركة تحل بأي أرض وتقبل في أي مكان. جعلت هذه الدعوة مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - قاعدة لها تتعلمه وتعلمه ، وهي في ذلك تنطلق من قاعدتين: الأولى: العناية بأدلة أقوال المذهب من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، فإذا بان أن الفهم السليم أو الحديث المقبول يدل على خلاف ما جاء به المذهب ، فالاتباع للدليل والعمل بما دل عليه الدليل. الثانية: احترام بقية المذاهب الفقهية المعروفة وأدلة: الحنفية ، المالكية والشافعية وموافقة من كان الحق معه منهم. ومن أبدع ما جاء عن الشيخ محمد - رحمه الله تعالى - في ذلك أنه سئل عن مسألة فقهية خلافية فذكر الخلاف في مذهب الحنابلة فيها ، ثم ردها إلى القرآن والسنة ورجح ما دل عليه الوحيان ، ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك ، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله ، هذا طريق المنعم عليهم. أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم. وأما اتخاذهم أرباباً من دون الله إذا قيل: قال الله وقال رسوله ، قيل: هم أعلم منا ، فهذا هو طريق الضالين. اهـ. من «فتاوى ومسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب» ص 97). هـ. وتحت عنوان: (دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب تجديد وإصلاح) يقول الأستاذ عبد الله بن ميزر الحداد السلفي الأثري ما نصه بتصرفٍ يسير: (في زمن استحكمت فيه غربة الإسلام وجهل المسلمين بعقيدتهم ، وانتشرت البدع بل والشركيات ، وعبدت القبور وشيدت القباب ، وعكف الجهلة على قبور الأولياء ، واتبعوا سبل النصارى واليهود الذين بنوا على القبور مساجد وانتشر التخلف وعم الجهل. وفي ظل هذه الأجواء القاتمة ظهر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ليجدد ما اندرس من معالم التوحيد ويعيد ما دفن من أعمال السلف ويكون من أعظم مجددى الإسلام. إن الإمام محمد بن عبد الوهاب جاء بدعوة صافية وطريقة سلفية نقية ، دعا إلى الاتباع ونهى عن الابتداع وتمسك بهدي السلف الصالحين ، وهذا سفره العظيم وكتابه الكبير "كتاب التوحيد" لم يذكر فيه رأيه ألبتة بل جميع أبوابه مبنية على آيات من القرآن وأحاديث من سنة سيد الإنس والجان ، وأحياناً يذكر قول واحد من السلف ، فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رجلٌ دليلٌ يدور مع الدليل حيث دار ، ولا يمنعه من ذلك كون الآباء والأجداد والمجتمع على خلافه ؛ فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يكن أحدكم إمعة ، إن أحسن الناس يقول أحسنت ، وإن ظلموا ظلمنا وأسأوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا أن تجتنبوا إساءتهم). ولما كان الحديث عن المصلحين والدعاة والمجددين تشناق إليه النفوس الزكية وترتاح له القلوب ويحب سماعه كل غيور على الدين وراغب في الإصلاح. لقد كان الإمام المجدد بحرًا زاخرًا وعلماً فاضلاً امتاز بسهولة العبارة والاعتماد على الدليل من الكتاب والسنة في كل مسألة ، ولقد ترك من المؤلفات الشيء الكثير ، وكلها على طريقة السلف الصالح وكيف لا وهو مجدد الدين وحامل راية التوحيد والموحدين ، وكتبه رحمه الله كثيرة أوصلها بعضهم إلى أربعين ، منها "كتاب التوحيد" : وهو قاصمة ظهر المشركين وقرّة عيون الموحدين وتنبيه وموعظة للجاهلین المسرفين ، ألفه رحمه الله في بيان أوجب الواجبات وأهم المهمات ، وهو التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، وقد جعله على ستة وستين باباً ، يحتوي كل باب على آيات من القرآن وأحاديث من السنة وأحياناً يضيف واحداً من السلف ولم يذكر رأياً من عنده أبداً ؛ لأن هذه عقيدة لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة ، والإمام محمد بن

عبد الوهاب يسير مع الدليل ولذلك وفقه الله وسدده. وكتاب التوحيد من أعظم ما صنف في بيان التوحيد وما يتعلق به ؛ كما قال عدد من العلماء ، وقد شرحه كثير من العلماء منهم العلامة عبد الرحمن بن حسن ، والعلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه "تيسير العزيز الحميد" ، لكنه لم يكمله كما ذكر العلامة عبد الرحمن بن حسن. وممن شرح هذا الكتاب الجليل العلامة عبد الرحمن السعدي صاحب التفسير ، والإمام ابن باز ، والعلامة محمد بن صالح العثيمين في كتابه: "القول المفيد" ، والعلامة صالح الفوزان في كتابه: "إغاثة المستفيد" ، والعلامة صالح آل الشيخ وغيرهم من أهل العلم قديماً وحديثاً. ومن كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: (كشف الشبهات" ، و"الأصول الثلاثة" ، و"مختصر سيرة الرسول" ، و"رسالة في الرد على الرافضة" ، و"مسائل الجاهلية" ، و"أحاديث الفتن والحوادث" ، و"فضل الإسلام" ، و"ستة أصول عظيمة مفيدة" ، و"نواقض الإسلام" ، و"فضائل القرآن" ، و"تفسير سورة الأنفال" ، و"مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد" ، وغير ذلك الكثير). فله در هذه الدعوة ما أطيها وما أحسنها وقد بعثت دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الرغبة في الإصلاح وشجعت العلماء على التنديد بالبدع والخرافات ، وتأثر المقتدون والمهتدون واقتفوا آثارها ومدحوا الإمام محمد بن عبد الوهاب أحسن المدح ومنهم: الإمامين الصنعاني والشوكاني في اليمن ، ومحمد رشيد رضا في الشام ومصر ، وصديق حسن خان في بلاد الهند وغيرهم كثير. وما زال كثير ممن هداهم الله في السعودية وخارجها وفي كل بلد من بلاد الإسلام يتبعون دعوة الشيخ المجدد ، ويسيروا على منهجه ، وقد أثمرت دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أطيبت الثمار ، واهتدى بها ناس كثيرون ، وعرف الناس خطورة ما يصنعونه عند القبور من الشرك الأكبر والبدع ، وما زال كثير من المسلمين هذه الدعوة المباركة العظيمة الجليلة ، والله الحمد والفضل والمنة).هـ. وجاء في (الويكيبيديا) ما نصه باختصار مفيد: (ابن عبد الوهاب عالم مسلم سُنِّي يَعْذُو أتباعه ومناصروه أحد أبرز أئمة الإصلاح ، ومُجدِّدي الدِّين الإسلامي في القرن الثَّاني عشر الهجري ، فقد شرَّع في دعوة المسلمين للعودة بالدِّين إلى ما كان عليه السَّلَفُ الصَّالح في القرون الثلاثة الأولى المُفضَّلة ، والتخلُّصِ ممَّا عَدَّهُ بدعًا وأفعالًا شِرْكيَّة انتشرت في أطراف الدَّولة العثمانيَّة حول ولاية الحِجاز وولاية اليمن والرُّبْع الخالي. شرع محمد بن عبد الوهاب في طلب العلم بعد حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة ، فقرأ على والده عبد الوهاب بن سليمان بن علي وأخذ عنه الفقه على المذهب الحنبلي بسنده المتصل بأئمة المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل. ثم انتقل إلى المدينة ، وسافر إلى البصرة فبدأ في تصنيف كتابه الأشهر «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» ثم نزل الأحساء وجالس شيوخها ، ومنها قصد حريملاء فدعا أهلها وأنهى فيها «كتاب التوحيد» ، ولما كثر إنكاره للأفعال التي رآها مُبتدعة وشركية ، وقع بينه وبين أهل حريملاء نزاع واعتراض على دعوته وحاول بعضهم اغتياله ليلاً ، فخرج منها إلى العيينة مسقط رأسه وتلقاه أميرها حينها بالقبول وسانده في مشروع دعوته ، واشتهرت أخباره حتى بلغ أمره سُلَيْمان بن محمَّد رئيس الأحساء وبني خالد آنذاك ، فأرسل مرتين إلى عثمان كتابًا يتهده فيه إن لم يقتل محمَّد بن عبد الوهاب أو يخرج من بلده بأن يقطع خراجة عنده في الأحساء ، فتمَّ له ذلك. فاختر محمد بن عبد الوهاب الانتقال إلى الدرعية ، لتنامي قوة إمارتها في ذلك الوقت وللاستقلاليتها وعدم وجود سلطة خارجية عليها ، فناصره الإمام محمد بن سعود ، فتمَّت البيعة بينهما التي عُرفت فيما بعد بميثاق الدرعية. يُشار إلى الدعوة التي بدأها ابن عبد الوهاب باسم «الوهابيَّة» وهو لقبٌ أطلقه خُصومُه على دعوته ، إذ إنَّه لم يكن يُسمِّي

دعوته باسم مُعيّن ، كما أنّ العديد من أتباعه حالياً يعدّون هذا المصطلح مهيئاً ويفضّلون أن يُعرفوا «بالسلفيّة». بيد أنّ العديد من الباحثين يعدّون السلفيّة مصطلحاً ينطبق على عدّة مدارس إسلامية في أجزاء مختلفة من العالم ، في حين تُشير الوهابيّة على وجه التّحديد إلى المدرسة السلفيّة السّعودية ، التي كانت أكثر التزاماً وصرامةً من سائر المدارس السلفيّة. وبحسب أحمد موصلي ، أستاذ العلوم السياسيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت: «كقاعدة عامّة: كلّ الوهابيين سلفيّون ، ولكنّ ليس كلّ السلفيّين وهابيين». بينما يرى آخرون أنّه بات من الصّعب التّمييز بين السلفيّة والوهابيّة بحلول السبعينيّات ، وذلك بوصف الوهابيّة إحدى السلفيّات المُحدثة وليست السلفيّة وإشكاليّة العلاقة بين سلفيّة أهل الأثر القدّامى وسلفيّة ابن تيميّة ، وصولاً إلى السلفيّة (الوهابيّة) المُحدثة). هـ. ويقول محمد بن عبد الوهاب في رسالته إلى أهل القصيم (بعدما سأله عن عقيدته):- (أشهد الله ، ومن حضرني من الملائكة ، وأشهدكم ، أي اعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة: من الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ، ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ؛ بل اعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير. فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا أجد في أسمائه وآياته ، ولا أكيّف ، ولا أمثّل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنّه تعالى لا سميّ له ، ولا كفاء له ، ولا ندّ له ، ولا يقاس بخلقه. فإنّه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلاً ، وأحسن حديثاً ؛ فنّزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتّمثيل ، وعمّا نفاه عنه المنافون من أهل التحريف والتعطيل ، فقال: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى ، بين القدرية والجبرية ، وهم في باب وعيد الله بين المرجنة والوعيدية ، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجنة والجهمية ، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج. واعتقد أنّ القرآن كلام الله ، منزّل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأنّه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده: نبينا محمد ﷺ. وأؤمن بأنّ الله فعّال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ؛ ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور. واعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت: فأؤمن بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ؛ فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة عراة غرلاً ، تندو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) ، وتنشر الدواوين ، فأخذ كتابه بيمينه ، وأخذ كتابه بشماله. وأؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرضة القيامة ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، آتيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. وأؤمن بأنّ الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمر به الناس على قدر أعمالهم. وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ ، وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال ؛ ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى ، كما قال تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ) ، وقال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ، وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) ،

وقال تعالى: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى) ؛ وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى: (فَمَا تَتْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ). وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضمون في رؤيته. وأومن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأن أفضل أمتة: أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم. وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم ، وأترضى عنهم ، وأستغفر لهم ، وأكف عن مساوئهم ، وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ، وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء. وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله. ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له رسول الله ﷺ ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ولا أخرجه من دائرة الإسلام. وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام برأ كان أو فاجراً ، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل. وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله. ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ، ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته ، وحرّم الخروج عليه. وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله. وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة. وأعتقد أن الإيمان: قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق. وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة. فهذه عقيدة وجيزة ، حررتها وأنا مشتغل البال ، لتطلعوا على ما عندي. والله على ما نقول وكيل).هـ.

اهـ. ولقد تأثرت بدعوة ابن عبد الوهاب جمعية أنصار السنة المحمدية ، فألف رئيسها محمد حامد الفقي كتاباً عن أثر هذه الدعوة أسماه «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمرائي في جزيرة العرب» وتصدر هذه الجمعية الآن مجلة شهرية باسم التوحيد. وغيرهم الكثير من البلدان الإسلامية. وهذه طائفة عطرة تبين آراء العلماء والمفكرين والفقهاء والمحدثين في ابن عبد الوهاب بحيدة وموضوعية! وكنث قد اخترتها بصورة عشوائية ، وفيها بعض أقوال لمن خالفوا ابن عبد الوهاب في الملة والدين! فعلى سبيل المثال: قال مؤرخ الكرسي الأنطاكي أسد رستم: «نسب بعضهم لمحمد مؤسس الوهابية الغش والخداع وعدم الإخلاص وهو براء من ذلك. ولنا في كلام مانجن المؤرخ الأفرنسي وحسين بن غنام المؤرخ الأحسائي نص صريح في إخلاص محمد واستقامة مبادئه. لنا كذلك في نجاح محمد في بث دعوته واستمالة قلوب مواطنيه الذين قبلوا تعاليمه وإرشاداته دليل آخر على إخلاصه في العمل: يمكنك أن تخدع بعض الناس بعض الوقت ، وبعض الناس كل الوقت ، وكل الناس بعض الوقت ، ولكنك لا تقدر أن تخدع «كل»

الناس «كل» الوقت. وقال الأديب المصري طه حسين في كتابه «ألوان»: (قلت إن هذا المذهب جديد وقديم معاً ، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر ، لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده ملغياً كل واسطة بين الله والناس). وقال المفكر المصري محمد جلال كشك في كتابه «السعوديون والحل الإسلامي»: (إذا كان محمد بن عبد الوهاب من ناحية العقيدة ليس بمبتدع ، فهو من الناحية السياسية مجدد ومبدع ، لقد استطاع أن يوقف حركة التاريخ ، ويلوي عنق الأحداث التي كانت تدفع العالم الإسلامي دفعاً إلى التغريب). قال المفكر اللبناني شكيب أرسلان في «حاضر العالم الإسلامي»: (فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة. غرضها إصلاح الخرق ، ونسخ الشبهات ، وإبطال الأوهام ، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الأولياء ، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به على أوله وأصله ، ولبابه وجوهره ، أي إنما الاستمسك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة صافية ساذجة ، والاهتداء والانتماء بالقرآن المنزل مجرداً وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الإسلام). وقال المستشرق اليهودي إجناتس جولد تسيهر في كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام»: (وإذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السني بالحركة الوهابية نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة ، من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني ، الحقيقة التالية: يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصاراً للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها لها النبي والصحابة ، فمراد الوهابيين وغايتهم إنما هي إعادة الإسلام الأول كما كان). قال الرحالة والمستشرق السويسري يوهان لودفيك بركهارت في كتابه «مواد لتاريخ الوهابيين»: (لم تكن مبادئ محمد بن عبد الوهاب مبادئ ديانة جديدة ، بل كانت جهوداً موجهة فقط لإصلاح المفاصل التي تفتتت بين المسلمين ، ونشر العقيدة الصافية بين البدو الذين كانوا مسلمين اسماً ، لكنهم جهلاء بالدين وغير مباليين بكل فروضه التي أوجبها ، وكما هي الحال بالنسبة لكل المصلحين لم يفهم محمد بن عبد الوهاب من قبل أصدقائه ولا من قبل أعدائه). وقال محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»: (ليس للوهابية ، ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص ، ولكنه رحمه الله كان مجددًا لدعوة الإسلام ، ومتبعًا لمذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل). وقال العالم الجزائري محمد البشير الإبراهيمي: (إنهم موتورون لهذه الوهابية التي هدمت أنصابهم ، ومحت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله ، وقد ضجّ مبتدعة الحجاز فضجّ هؤلاء لضجيجهم والبدعة رحم ماسة ، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة (وهابي) تُقذف في وجه كل داع إلى الحق إلا نواحاً مردداً على البدع التي ذهبت صرعى هذه الوهابية). وقال صاحب تفسير المنار ؛ محمد رشيد رضا في مجلة المنار: «كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ، مجددًا للإسلام في بلاد نجد ، بارجاع أهله عن الشرك ، والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد ، والسنة). وقال الفقيه السعودي عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في إحدى رسائله: (وقد اختصكم الله - تعالى - من نعمة الإيمان والتوحيد بخالصة ومن عليكم بمنة عظيمة صالحة من بين سائر الأمم وأصناف الناس في هذه الأزمان ؛ فأتاح لكم من أحبار الأمة وعلمائها حبراً جليلاً وعلماً نبيلاً فقيهاً عارفاً بما كان عليه الصدر الأول ، خبيراً بما انحلت من غرى الإسلام وتحول. فتجرد إلى الدعوة إلى الله ، ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح). وقال الإمام عبد الله أبا بطين في إحدى رسائله: (فإذا تبين لك ذلك تبين ضلال

كثير من أهل هذه الأزمنة ، في زعمهم أن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وأتباعه خوارج ، ومذهبهم مخالف لمذهب الخوارج ، لأنهم يوالون جميع أصحاب رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم - ويعتقدون فضلهم على من بعدهم ، ويوجبون أتباعهم ، ويدعون لهم ، ويضللون من قدح فيهم ، أو تنقص أحداً منهم. ولا يكفرون بالذنوب ، ولا يخرجون أصحابها من الإسلام ، وإنما يكفرون من أشرك بالله ، وحسن الشرك ؛ والمشرك كافر بالكتاب والسنة والإجماع). وهذا رأي ستودارد الأمريكي وكان قد أورده في كتاب "حاضر العالم الإسلامي" يقول لوثرود ستودارد في اليقظة الإسلامية الحديثة في القرن الثامن عشر: (كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط أعظم دركة ، فأربد جوه وطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشي ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع هؤلاء الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس وساد الجهل ، وانطفأت نسمات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين..... إلى أن قال: وأما الدين فقد غاشية سوداء ، وألبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية الضالين ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمانم والتعاويد والسبحات ، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يُشرب الخمر والأفيون والحشيش في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتك ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس الذي فرضه الإسلام على من استطاع ضرباً من المستهزات. وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة محمد إلى الأرض في ذلك العصر ، ورأى ما كان يدعي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان ؛ وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجمته ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام ، يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم ، فكان صارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور: "محمد بن عبد الوهاب" الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت ، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ثم أخذ الداعي العظيم يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم التليد ، فتبدت تباشير صبح الإسلام ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام). ويقول الشيخ حافظ وهبة في كتابه "خمسون عاماً في جزيرة العرب" وهو يتحدث عن طلبه العلم في الأزهر: (إنه سمع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي مصر ، يثني في دروسه بالأزهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويلقبه بالمصلح العظيم ، ويلقي تبعة وفق دعوته الإصلاحية على الأتراك وعلى محمد على الألباني لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات ، ومجافاة حقائق الإسلام). ويقول الدكتور طه حسين في بحث نشره سنة 1354هـ عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب:- (لا يستطيع الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب أن يهمل حركة سنية شرعية عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادي فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق). ولقد تناول الأستاذ

عباس محمود العقاد في كتابه: "الإسلام في القرن العشرين" حركة الإصلاح السلفية ، وقال ما نصه: (وظاهر من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه لقي في رسالته عنناً ، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع ، ومن العنت إطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسبابها ، وإتيان المسالك من غير أبوابها ، وقد غير على البادية زمن كانوا يتكلمون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين ، ويدعون السعي من وجوهه توسلاً بأباطيل السحرة والدجالين حتى الاستسقاء ودفع الوباء ، فكان حقاً على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة. وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البدع والخرافات). وهذا رأى الأمير شكيب أرسلان يقول:- (طلب محمد بن عبد الوهاب العلم في دمشق ورحل إلى بغداد والبصرة ، وتشرب مبادئ الحافظ حجة الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وابن عروة الحنبلي ، وغيرهم من فحول أئمة الحنابلة ، وأخذ يفكر في إعادة الإسلام لنقاوته الأولى ، فذلك ، الوهابية يسمون مذهبهم عقيدة السلف ، ومن هناك أنكر الاعتقاد بالأولياء وزيارة القبور واستغاثة بغير الله ، وغير ذلك مما جعله من باب الشرك ، واستشهد على صحة آرائه بالآيات القرآنية ، والأحاديث المصطفوية ، ولا أظنه أورد ثمة شيئاً غير ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية). وهذا رأى السيد محمد رشيد رضا حيث قال في التعريف بكتاب "صيانة الإنسان" (إنه بعد أن ذكر فشو البدع بسبب ضعف العلم وترك العمل بالكتاب والسنة ، ونصر الملوك والحكام لأهلها ، وتأييد المعتمدين لها ، لم يخل قرن من القرون التي كثر فيها البدع من علماء ربانيين ، يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة للتعليم وحسن القدوة ، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما ورد في الأحاديث). وهذا رأى محمد كرد علي الذي كتب فصلاً متمعاً عن أصل الوهابية ، واتخذ طريق النقد العادل ، وختمه بهذه الفقرة: (وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هدام من الضلال ، وساقهم إلى الدين السمح ، وإذا بدت شدة من بعضهم فهي ناشئة من نشأة البادية ، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم ، وقد اخترنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة ، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد أنملة ، أما الغزوات التي يغزونها فهي سياسة محضة ، برئ منها ، وما يتهمهم به أعداؤهم زور لا أصل له ، والله أعلم). وذكر أيضاً في الفصل عينه مستشهداً بما قال أحمد سعيد البغدادي في كتابه "نديم الأدب": "أما حقيقة هذه الطائفة فإنها حنبلية المذهب ، وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف لا حقيقة له). ويقول الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي - حفظه الله - إن "أجراً أصوات الحق ، وأكبر دعاة الإصلاح ، والبناء والجهاد لإعادة تماسك الشخصية المسلمة وإعادتها لمنهج السلف الصالح: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري ، لتجديد الحياة المسلمة ، بعد ما شابها في أوساط العامة من خلافات ، وأوهام ، وبدع ، وانحرافات ، فكان ابن عبد الوهاب بحق ، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية المنتظر ، الذي أظهر موازين العقيدة الشرعية الناصعة ، وأبان حقيقة الوحدانية والوحدة والتوحيد الخالص لله عز وجل ، وأن العبادة هي التوحيد ، وحول الشرايع رأساً على عقب ، للعمل الكامل بالقرآن والسنة. فكانت أعمال ابن عبد الوهاب وثبة جبارة ، وقفزة رائعة لتصحيح خطأ الناس في العقيدة والعبادة ، في وسط شوهدت فيه مبادئ الإسلام ومناهجه". انظر كتاب: (مجدد الدين في القرن الثاني عشر). وأخيراً هذا هو رأي خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام قال بالنص: (محمد بن عبد الوهاب سليمان التميمي النجدي زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة. في جزيرة العرب ولد ونشأ في العيينة بنجد ورحل مرتين

إلى الحجاز ثم ذهب إلى المدينة المنورة ورحل إلى البصرة وعاد إلى نجد وسكن حريملاء ثم انتقل إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح وداعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من الأوهام. وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ، ومصر والعراق ، والشام ، وغيرها فظهر الألوسي الكبير في بغداد وجمال الدين الأفغاني بأفغانستان ومحمد عبده بمصر ، وجمال الدين القاسمي بالشام وخير الدين التونسي بتونس تدعو إلى ترك المعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرمانه قوة الدولة والحكام وقوة أنصارها من علماء النفاق ، وقوة العوام الطغام وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه ، أنه خالف جمهور المسلمين وهم كاذبون في زعمهم (هذا). وهذا رأي فيليب حتى في كتابه: "تاريخ العرب" يقول: (تأثر محمد بن عبد الوهاب بفكرة هي أن الإسلام كما يمارسه معاصروه ، قد انحرفوا به كثيراً عملياً ونظرياً عن طريق السنة ، التي سنّها القرآن). وهذا رأي دائرة المعارف البريطانية: (جاء في دائرة المعارف البريطانية وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي: " الوهابية: اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ويهتمون كل ما سواها ، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح). وهذا رأي عالم فرنسي هو برنادلوس في كتابه: "العرب في التاريخ" يقول فيه: (وباسم الإسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الأول نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة الإسلامية والعبادات من زيادات باعتبارها بدعاً خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح). وهذا رأي أولفيه ده كورانسيز! قال هذا الكاتب في كتابه: "تاريخ نجد منذ ظهور الحركة الوهابية": الوهابية قد نقوا الإسلام مما أدخل عليه من تشويه ، وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه. ولم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة "بالنسبة لزمن هذا الكاتب" ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم ، ضماناً كبيرة لبقائهم وعظمتهم. كان المسلمون يومئذ "أي منذ ظهور محمد بن عبد الوهاب" يمارسون أشكالاً غريبة من العبادات ، بحيث لو عاد "محمد" صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا ، لظن أن الإسلام زال منها. ولرأى شيئاً عجيباً ، فعلى القبور تُقام القباب والمباني ، ويزعم أن لأصحابها كرامات ومعجزات ، وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة ، ومجانين ينتقلون في البلاد بحرية ، ولا يجروا أحد على مقاومتهم ، لأنهم فيما يزعمون من أصحاب "السر" أو أهل الحظوة ، وأما القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته! فجاد محمد بن عبد الوهاب وأعاد الإسلام على نقاوته الأولى". وهذا رأي جان جاك روسو: قال في كتابه: "أشد المذاهب الإسلامية الثلاث": إن نظرية محمد بن عبد الوهاب بسيطة جداً ، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد ، وهو يقول: إن أحداً لا يستطيع أن يتوسط بين العبد وخالقه ، وأن الموتى لا يضررون ولا ينفعون ، فلا ينبغي أن توجه الأدعية إليهم ، والبناء على قبورهم عبث بل شرك ، وقد بدأ النصارى بمثل ذلك ، وانتهوا إلى جعل المسيح إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى!" وهذا رأي برنادلوسي: قال هذا العالم الفرنسي في كتابه: "العرب في التاريخ": باسم الإسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الأول ، نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات ، باعتبارها بدعاً خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح ، فخلع على دين محمد رونقاً جديداً ، وبدد الخرافات التي زالت مع الزمن ، فأظهر الإسلام خالياً من جميع ما عزي إليه من الشوائب. وما لبثت النفوس التي أرهقتها الشروح المطولة الغامضة أن رجعت إلى بعض مبادئ عامة بسيطة واضحة ، وتقبلت خطط ابن عبد الوهاب الإصلاحية بقبول حسن". قال ذلك في فصل خاص بعنوان: "تاريخ الوهابية وملخص في جغرافية نجد".

وهذا رأي بركارت: قال هذا المستشرق في كتابه: "مواد لتاريخ الوهابية" لم تكن المبادئ التي جاء بها ابن عبد الوهاب مبادئ دين جديد ، وإنما كانت جهوده منصرفة إلى إصلاح ما فسد من معتقدات المسلمين ، وإلى نشر الدين بين البدو الذين كانوا مسلمين بالاسم ، ولكنهم لا يعرفون الديانة ، ولا كانوا يعلمون بأوامرها ، وقال أعداؤه: إنه صاحب دعوة جديدة لذلك عادوه وبدعوه بل كفروه". وهذا رأي ستوداود: قال هذا الكاتب الأمريكي مؤلف: "حاضر العالم الإسلامي" الذي علق عليه الأمير شكيب أرسلان في الفصل الأول من الكتاب ، في اليقظة الإسلامية في القرن الثامن عشر:- "كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم ما بلغ ، ومن التدني والانحطاط أعظم دركة فأريد وجوهاً ، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، ورجاء من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب. إلى أن قال: وأما الدين فقد غشيتة غاشية سوداء ، فألبست الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سحفاً من الخرافات ، وقشور الصوفية دخلت المساجد. وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمانم والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة في دفناء القبور. وذلك بعد أن غابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام! وعلى الجملة فقد بدل الدين وحُرِّفت عقيدته". وهذا رأي بروكلمان: قال في تاريخ الشعوب الإسلامية: الإسلام في القرن التاسع عشر ، تحت عنوان "الحركة الوهابية في بلاد العرب": ولد في نجد المرتفعة في قلب الجزيرة محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم ما بين أواخر القرن السابع عشر ، وأوائل القرن الثامن عشر فنشأ محمد محباً للعلم واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة ، وقصد وفقاً - للعادة القديمة - إلى عواصم الشرق الإسلامي طلباً للعلم في مدارسها. ثم إنه درس مؤلفات أحمد بن تيمية ، والواقع أن دراسته لآراء هذا الإمام انتهت به إلى الإيقان من أن الإسلام في شكله السائد في عصره وبخاصة بين الأتراك مُشربٌ بالمساوئ التي لا تُمت إلى الدين الصحيح بنسب. فلما آب إلى بلده سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلاميتين صفاءهما". وهذا رأي وليمز: قال في كتابه: "ابن سعود! سياسته وحروبه ومطامعه": لما شاع الفساد في بلاد المسلمين ، قام في جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب يحارب البدع ، ويدعو إلى جمع الصفوف ، لإعادة مجد الإسلام وعبادة الله بقلب سليم. ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد ، واتهم بالإلحاد والزندقة وطورد حتى التجأ إلى محمد بن سعود ، ثم ذكر ولادته ورحلت لطلب العلم ، وأنه لما عاد إلى بلاده عزم على نشر الدين الصحيح! وهذا رأي سيديو: قال هذا المستشرق في كتابه: "تاريخ العرب العام" الذي نقله إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر ، قال في أثناء كلامه على ثورات العرب للتحرر من سيطرة الترك وسيطرة البرتغال في عمان بعد كلام:- ومن ثم نرى أن جزيرة العرب ، استردت استقلالها التام تقريباً منذ أوائل القرن الثامن عشر بفضل جدها ، وضعف أعدائها ، ولم يبق لها إلا أن تؤيد نصرها بمركز يلتف حوله جميع النفوس. وهذا ما حاولت صنعه ، قبيلة ظهرت في نجد حوالي سنة 1749م ، وهذا ما حاوله الوهابيون المتنفذون ، حتى الآن والذين سيكون لهم تأثير دائم في مصير جزيرة العرب لا ريب واسم واضح هذه السيطرة الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي أكب على دراسة آداب العرب وعلومهم منذ صباه ، والفقه أكثر ما عني به. واطلع على آراء رجال المذاهب ، وقصد بغداد والبصرة ، وفارس سائحاً فتمت مداركه ، فأنعم النظر في حال بني قومه

وميولهم وغرنازهم ، وطبيعة قواهم فرأى أنه إذا ما حمل المسلمين على مراعاة". وهذا رأي جولد سيهر: قال شيخ المستشرقين "جولد سيهر" في كتابه العقيدة والشريعة ما يلي:- إذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السني بالحركة الوهابية نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني الحقيقة الآتية:- يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصاراً للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي والصحابة ، فغاية الوهابية هي إعادة الإسلام كما كان. ليس للصحابة الحق في وضع الديانة ، والرسول صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك فبوحى من ربه". وهذا رأي جيب: قال المستشرق جيب الإنجليزي في كتابه المحمدية: "وفي جزيرة العرب قام حوالي 1157-1744هـ محمد بن عبد الوهاب مع أمراء الدرعية آل سعود بتحقيق الدعوة إلى المدرسة التي دعا إليها ابن تيمية في القرن الرابع عشر ، وقال أيضاً في كتابه الاتجاهات المدنية في الإسلام: أما مجال الفكر فإن الوهابية بما قامت به من الحروب ضد التدخلات العدوانية ، وضد الأصول القائلة بوحدة الوجود التي تريد تدنيس التوحيد في الإسلام فقد كانت عاملاً مفيداً للخلاص الأبدى. وحركة نجد أخذت تنجح في العالم الإسلامي شيئاً فشيئاً". وهذا رأي ويلفرد: قال في كتاب: "الإسلام في نظر الغرب" والذي ألفه جماعة من المستشرقين:- كان محمد بن عبد الوهاب يقول قبل كل شيء يجب أن تعيشوا حسب الشرع الإسلامي ، وهذا هو معنى أن تكونوا مسلمين. لا ذاك الرغاء العاطفي والتقى والحرارة التي يقدمها لكم الصوفيون ، فأساس الإسلام هو الشرع ، وإذا كنتم تريدون أن تكونوا مسلمين ، فيجب أن تعيشوا حسب أوامر الإسلام". وهذا هو دالبرت: قال هذا المؤرخ الألماني في كتابه "عبد العزيز" وقد صدر في ألمانيا سنة 1953م ، وكان لآل سعود إلى جانب سيفهم الذي يستخدمونه في الفتح سلاح معنوي آخر. أمدهم بأعظم قسط من نجاحهم ذلك السلاح من صنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أحد العلماء المطاردين في سبيل عقيدتهم". نقله إلى العربية الدكتور أمين رويحة. وهذا رأي برانجس: جاء في تقرير لهذا الكاتب الإنكليزي: "لقد أشاع أعداء هذا الرجل العظيم وأتباعه بأنهم كفار ، إلا أن الحقيقة أنهم متبعون تماماً للكتاب والسنة ، وكانت حركتهم حركة تطهير خالصة في الإسلام. كما أشاع هؤلاء الأعداء أنهم نهوا الناس عن زيارة المدينة ، وهذا ليس بصحيح: فإنهم نهواهم فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة ، كما نهوا عنها عند قبور الأولياء الآخرين". وهذا رأي ويندر: قال في كتابه: "العربية السعودية في القرن التاسع عشر" ما ملخصه: "نحن لا نعرف إن كانت الوهابية تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء ، ولكن أحد لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث. إن الوهابية كانت في الحقيقة نعمة على المسلمين بمساهمتها الواسعة في تنبيه المسلمين إلى مظاهر الوثنية وتحذيرهم منها. ولا شك أنها حققت فكرة ابن خلدون القائل: إن العرب البدو يستطيعون أن يولفوا قوة لها شأن متى انقادوا إلى الدين". وهذا رأي باديا: قال هذا الكاتب الإسباني باديا: "وقد اختفى وراء اسم علي بك عباس" ، وكان موجوداً في مكة المكرمة عندما جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه فاتحين: "ما كانت أيديهم تصل إلى أي شيء ، وما كانوا يحاولون أخذه غضباً ، وكانوا يشترون جميع حاجاتهم بالفلوس ، وهكذا كانوا يدفعون الأجرة على كل خدمة". وهذا رأي هنري لاوست: يقول هذا المستشرق الفرنسي: "إن السلفية لقب يطلق على الحركة الوهابية ، لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صفاته الأول في عهد السلف الصالح! إن هذه الحركة السلفية تتميز عن غيرها بأن نظرياتها أدنى إلى العقل ، وأنها تفتح باب الاجتهاد ، وتكافح الخرافات والغلو في الدين ، وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب

العصر". ونأتي إلى (خاتمة المطاف) في شهادات الخصوم المنصفين ، وقد ذكرت في كتاب: (الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب) لأستاذنا الفاضل: محمود مهدي الإستانبولي الذي يختم فيقول: (إن هذه الخاتمة كان من حقها أن تكون مقدمة ، ولكني أثرت أن تكون كذلك لهدفين: الأول: كي لا أنفر القراء الذين يحملون فكرة خاطئة عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ، من مطالعة هذه الرسالة ، فإن أكثر الناس أعداء لما جهلوا! والثاني: التمهيد لجعل هؤلاء القراء على استعداد لاستقبال آراء العلماء والأدباء الحياديين ، دون تأثير خارجي ، سواء كان إيجابياً أو سلبياً! ولا شك أن المنصفين قد أصيبوا بحيرة بين ما طالعه في هذه الرسالة ، وبين ما كانوا سمعوه من كثير من شيوخ السوء عن هذا الإمام العظيم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، فحطم الوثنيات وأضاء السبيل للمسلمين لمعرفة التوحيد الصحيح ، وأنقذهم من الشرك الذي كان يفتك بعقيدتهم ومن الوثنية التي كانت تخنفي وراء شعار الدين ، والدين منها براء ، وما أرب ما قاله الدكتور أحمد أمين:- (إذاً فما بال العالم الإسلامي اليوم يعدل عن هذا التوحيد المطلق الخالص من كل شائبة إلى أن يشرك مع الله كثيراً من خلقه. فهؤلاء الأولياء يُحج إليهم وتُقدم لهم النذور ، ويعتقد أنهم قادرون على النفع والضرر ، وهذه الأضرحة التي لا عداد لها تُقام في جميع أقطاره ويشد الناس إليها رحالهم ، ويتمسحون بها ، ويتذللون لها ، ويطلبون جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم. ففي كل بلدة وليّ أو أولياء. وفي كل بلدة ضريح أو أضرحة ، تشترك مع الله تعالى في تصريف الأمور بزعم السفهاء والجهلاء ، ودفع الأذى وجلب الخير! وكان الله سلطان من سلاطين الدنيا الغاشمين يتقرب إليه بذوي الجاه وأهل الزلفى لديه. (تعالى الله عن هذه الشركيات وتلك الكفریات وهاتيك الزندقات علواً كبيراً)! ويرجون في إفساد القوانين وإبطال العدل. أليس هذا كما كان يقول مشركو العرب: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ، وقولهم {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} بل وأسفاه لم يكتف المسلمون بذلك. بل أشركوا مع الله حتى النبات والجماد فهؤلاء أهل بلدة "منفوحة" يفعلون ذلك كله عياناً بياناً جهاراً نهاراً!". وهذا رأي مانجان: قال هذا المؤرخ الإفرنسي في كتابه: "تاريخ مصر": "كانت تعاليم هذا المصلح مؤسسة على مبادئ أخلاقية سليمة ، تدعو إلى عبادة الله وحده. والتوجه إليه وحده بالسؤال والدعاء. وكل شيء دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو من الدين ، أي مما أمر به الله ورسوله ، ولكن المسلمين نسوه أو تناسوه وأهملوه ، فقام هذا الشيخ يدعوهم إليه ، وحملهم عليه أعظم قيام". وهذا رأي المستشرق جب الإنجليزي: قال في كتابه "المحمدية": "وفي جزيرة العرب قام حوالي 1744م - 1158هـ محمد بن عبد الوهاب مع أمراء الدرعية آل سعود بتحقيق الدعوة إلى المدرسة الحنبلية "أي المذهب الحنبلي" التي دعا إليها ابن تيمية في القرن الرابع عشر الميلادي". وقال أيضاً في كتابه: "الاتجاهات المدنية في الإسلام": "أما في مجال الفكر فإن الوهابية بما قامت به ضد التدخلات العدوانية وضد الأصوات القائلة بوحدة الوجود ، التي تريد تدنيس التوحيد وكانت عاملاً مفيداً للخلاص الأبدي وحركة تجديد أخذت تنجح في العالم الإسلامي شيئاً فشيئاً". وتحت عنوان: (تصحيح مفاهيم خاطئة في قضية مهمة) يقول الدكتور صالح بن عبد العزيز بالنص: (فمنذ سنوات طويلة وعقود مديدة والحديث دائر والجدل موصول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعن دعوته ، مؤيد ومعارض متهم ومدافع. والذي يلفت النظر في كلام المخالفين للشيخ الذين يلصقون به أنواع التهم أن كلامهم عار عن الدليل ، فليس لما يقولون شاهد من قوله ، أو متمسك من كتبه ، وإنما هي دعاوى يذكرها المتقدم ، ويرردها المتأخر فحسب! ولا أظن منصفاً إلا وهو يقر بأن أصح طريق لمعرفة الحقيقة أن يقصد المعين

الأول ، ويؤخذ من المصدر الأصيل. وكتب الشيخ موجودة ، وكلامه محفوظ ، وبالنظر فيه يتحقق صدق ما يشاع عنه أو عدمه ، وأما الدعاوى العارية عن البرهان فسراب لا حقيقة له! وفي هذه الأوراق أسطر يسيرة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب منقولة بأمانة من الكتب الموثقة التي جمعت كلامه ، ليس لي فيها سوى الترتيب! وهي تتضمن إجابات من الشيخ وحده عن أهم التهم التي يرميه بها مخالفوه ، مصرحاً فيها بخلاف ما يزعمون ، وأنا على يقين من أنها بتوفيق الله ستكون كافية في توضيح الحق لمبتغيه! وأما المعاندون للشيخ المعاندون لدعوته ، الدانبون في إشاعة الزور ونشر الكذب فأقول لهم: أربعوا على أنفسكم فإن الحق أبلج وإن دين الله غالب ، والشمس ساطعة لا تحجب بالأكف. هذا كلام الشيخ يفند تلك الدعاوى ، ويدحض هاتيك التهم ، فإن كان عندكم من كلامه ما يكذبه فأبرزوه ولا تكتموه. وإلا تفعلوا ولستم بفاعلين فإني أعظم بواحدة: أن تقوموا لله متجردين من كل هوى أو عصبية ، وأن تسالوه بصدق أن يريكم الحق ويهديكم إليه ، ثم تفكروا فيما يقول هذا الرجل هل جاء بغير كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام؟ ثم تفكروا كرة أخرى: هل من سبيل للنجاة سوى قول الصدق وتصديق الحق؟ فإذا ظهر لكم الحق فتوبوا إلى رشدكم ، وراجعوا الحق ، فإنه خير من التماذي في الباطل ، وإلى الله ترجع الأمور. المسألة الأولى: اعتقاد الشيخ في حق النبي صلى الله عليه وسلم يرمى الشيخ من أعدائه بتهم عظمى تتعلق باعتقاده في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه التهم هي ما يأتي:- أولاً: أنه لا يعتقد ختم النبوة في النبي صلى الله عليه وسلم! هكذا قيل! مع أن جميع كتب الشيخ تطفح برد هذه الشبهة وتشهد بكذبها ، من ذلك قوله: "أؤمن بأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته". الدرر السننية 32/1. فأسعد الخلق وأعظمهم نعيماً وأعلامهم درجة أعظمهم اتباعاً له وموافقة علماء وعملاً. الدرر السننية 2121/2. ثانياً: أنه يهضم النبي صلى الله عليه وسلم حقه ، ولا ينزله المنزلة اللانقطة به. وللوقوف على حقيقة هذا المدعى أنقل بعضاً من كلامه الذي صرح فيه بما يعتقد في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول:- لما أراد الله سبحانه إظهار توحيده ، وإكمال دينه وأن تكون كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ؛ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبیب رب العالمين ، وما زال في كل جيل مشهوراً ، وفي توراة موسى وإنجيل عيسى مذكوراً ، إلى أن أخرج الله تلك الدرة ، بين بني كنانة وبني زهرة ، فأرسله على حين فترة من الرسل ، وهداه إلى أقوم السبل ، فكان له من الآيات والدلالات على نبوته قبل مبعثه ما يعجز أهل عصره ، وأنبته الله نباتاً حسناً ، وكان أفضل قومه مروعة ، وأحسنهم خلقاً ، وأعزهم جواراً وأعظمهم حلاً ، وأصدقهم حديثاً ، حتى سماه قومه الأمين ، لما جعل الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية. الدرر السننية 90/2-91. وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وأدم فمن دونه تحت لوائه. الدرر السننية 86/1. وأول الرسل نوح ، وآخرهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم. الدرر السننية 143/1. وقد بين أبلغ بيان وأتمه وأكمله ، كان أنصح الخلق لعباد الله وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق الجهاد ، وعبد الله حتى أتاه اليقين. الدرر السننية 21/2. كما ذكر رحمه الله أن مما يستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين): وجوب محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال. كتاب التوحيد: 108. ثالثاً: إنكار شفاعته صلى الله عليه وسلم! ويتولى الشيخ جواب هذه الشبهة ، حيث يقول: يزعمون أننا ننكر شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم؟ سبحانه هذا بهتان عظيم ، بل نشهد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشافع المشفع ، صاحب المقام المحمود ، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفعه فينا ، وأن يحشرنا تحت لوائه. الدرر السننية 64/1-63. ولا ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى ، كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى: (من ذا الذي يشفعه عنده إلا بإذنه) الدرر السننية 31/1. وبيّن الشيخ سبب ترويح هذه الدعاية الكاذبة فيقول: هؤلاء لما ذكرت لهم ما ذكره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأخبار والرهبان أربابا من دون الله ؛ قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء. الدرر السننية 50/2. المسألة الثانية: آل البيت:- من جملة التهم الموجهة للشيخ: أنه لا يحب آل البيت النبوي ، ويهضمهم حقهم! والجواب عن ذلك: أن ما زعم خلاف الحقيقة ؛ بل قد كان رحمه الله معترفا بما لهم من حق المحبة والإكرام ، قائماً به ، بل ومنكراً على من لم يكن ذلك. يقول رحمه الله:- وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حقوقاً ، فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقوقهم ويظن أنه من التوحيد ، بل هو من الغلو ، ونحن ما أنكرنا إلا إكرامهم لأجل ادعاء الألوهية فيهم ، وإكرام من يدعي ذلك. مؤلفات الشيخ 284/5. ومن تأمل سيرة الشيخ تحقق له صدق ما ذكر ، ويكفي في ذلك أن يعلم أن الشيخ قد سمى ستة من أبنائه السبعة بأسماء أهل البيت الكرام رضي الله عنهم وهم: علي وعبدالله وحسين وحسن وإبراهيم وفاطمة ، وهذا دليل واضح على عظيم ما كان يكن لهم من محبة وتقدير. المسألة الثالثة: كرامات الأولياء يشيع بعض الناس أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينكر كرامات الأولياء! ويدحض هذا الافتراء أن الشيخ رحمه الله قد قرر في عدد من المواضع معتقده الصريح في هذا الأمر بخلاف ما يشاع ، من ذلك قوله ضمن كلام له يبين فيه معتقده! وأقر بكرامات الأولياء. الدرر السننية 32/1. وليت شعري كيف يتهم الشيخ بذلك وهو الذي يصف منكري كرامات الأولياء بأنهم أهل بدع وضلال ، حيث يقول: ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال. مؤلفات الشيخ 169/1. المسألة الرابعة: التكفير:- إن من أعظم ما يشاع عن الشيخ ومحبيه أنهم يكفرون عامة المسلمين ، وأن أنكحتهم غير صحيحة ، إلا من كان منهم أو هاجر إليهم. وقد فند الشيخ هذه الشبهة في عدد من المواضع ، من ذلك قوله:- القول أنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون عن هذا الدين ، ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم. الدرر السننية 100/1. نسبوا إلينا أنواع المفتريات ، فكبرت الفتنة ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، فمنها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يغتر به ، ومنها: ما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، وأني أزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجباً كيف يدخل هذا عقل عاقل ، وهل يقول هذا مسلم؟ إنني أبرأ إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا من مختل العقل فاقد الإدراك ، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة. الدرر السننية 80/1. أنا أكفر من عرف دين الرسول عليه الصلاة والسلام ثم بعد ما عرف سبه ، ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله ، فهذا الذي أكفره ، وأكثر الأمة والله الحمد ليسوا كذلك. الدرر السننية 73/1. المسألة الخامسة: مذهب الخوارج. من الناس من يتهم الشيخ بأنه على مذهب الخوارج المكفرين بالمعاصي! والجواب عن ذلك من كلام الشيخ ما يأتي:- قال رحمه الله: لا أشهد على أحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحد من المسلمين بذنب ولا أخرج من دائرة الإسلام. الدرر السننية 32/1. المسألة السادسة: التجسيم:- مما يثار عن الشيخ أيضاً أنه مجسم أي: ؛ يمثل صفات الله

بصفات خلقه! وقد ذكر الشيخ معتقده في هذا الباب وهو بعيد كل البعد عما يلصقه به مخالفوه ، إذ يقول:- من الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا أحد في أسمائه وصفاته ، ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفو له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه! فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً فززه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل ، وعمّا نفاه عنه أهل التحريف والتعطيل ، فقال: (سبحان ربك رب العزة عما يصفون \* وسلام على المرسلين \* والحمد لله رب العالمين). الدرر السننية 29/1. ومعلوم أن النعتيل ضد التجسيم ، وأهل هذا أعداء لأهل هذا ، والحق وسط بينهما. الدرر السننية 11/3. المسألة السابعة: مخالفة العلماء:- بعض الناس يقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد خالف سائر العلماء فيما دعا إليه ، ولم يلتفت إلى قولهم ، ولم يعتمد على كتبهم ، وإنما خرج بشئ جديد ، وأتى بمذهب خامس! وخير من يبين حقيقة الحال هو الشيخ نفسه ؛ حيث يقول:- نحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس ، وأحمد بن حنبل رحمهم الله. مؤلفات الشيخ 96/5. فإن سمعتم أني أفيتت بشئ خرجت فيه عن إجماع أهل العلم توجه علي القول. الدرر السننية 53/1. إن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه فهذه كتبهم موجودة. الدرر السننية 58/2. أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية ، والمالكي والشافعي والحنبلي كلا أخاصمه بكلام المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم. الدرر السننية 82/1. وبالجملة فالذي أنكره: الاعتقاد في غير الله مما لا يجوز لغيره فإن كنت قلته من عندي فارم به ، أو من كتاب لقيته ليس عليه العمل فارم به كذلك ، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به ، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وعمّا أجمع عليه العلماء في كل مذهب فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل أهل زمانه ، أو أهل بلده ، أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه. الدرر السننية 76/1. هـ. وهذا رأي محمد الغزالي: على غير ما يتوقع الكثيرون ، فقد احتفى الشيخ الغزالي بالحركة الوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حفاوة كبيرة ، ورآها ردة فعل إسلامية على ما ساد الدولة العثمانية وقتها من ظروف الانحراف والضعف والتخلف ، وقدر لزعيمها محمد بن عبد الوهاب غيرته الشديدة على التوحيد ، وإنفاق الحركة طاقتها ومجهودها في تنقية العقيدة وإزالة الخرافات والأوهام التي علفت بأذهان الناس وقلوبهم. وللغزالي منهجه وطريقته في التفكير وميزانه في تقييم للرجال ، وكيف أنه بهذا المنهج قد اجتمع عنده في ميزان المصلحين من قد يُحسب أنهم متنافرون ومختلفون. وفي هذه السطور سنستعمل عبارات الغزالي مع الحد الأدنى من التدخل للربط بينها ، فالممارس لكتب الغزالي يعرف أن أغلب إنتاجه دقيقات أديب ، فالموضوع الواحد متناثر في كتبه مستلزم للمجهود في تتبعه! وعموماً كل الناس يؤخذ من بضاعته ويرد عليه منها إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم -! يعدد الغزالي ظروف العالم الإسلامي المخيمة في تلك الفترة فيقول: "كان الجهل الغليظ يلف كل شيء ، وكانت عجمة الدولة سبباً في تخلف المسلمين دينياً ومدنياً ، وانتشرت البدع والخرافات ، وتحول الإسلام إلى رسوم ميتة ، وأحاديث واهية أو موضوعة ، وكثرت صور الشرك الجلي والخفي ، وأعلن التصوف الجاهل على هذا كله إذ أن طرقه دخلت كل مدينة وقرية. بدأت "الحركة السلفية التي قادها في القرن الماضي محمد بن عبد

الوهاب ، إن كل غيرة على التوحيد مشكورة ، وكل جهد لتتقية العقائد من الشوائب والأقذاء مقدور. ومن الناحية المدنية العامة توقف الركب الإسلامي في مكانه ، لا يدري وراء حدوده شيئاً بينما العالم يفور ويمور بحركات وفلسفات جديدة غيرت نظم الحكم ، وكشفت المجهول من القارات ، واستعملت قوى الكون وأسراره في تجديد حياتها وأسلحتها ، وقد ورث الحكم العثماني سينات الحكم الفردي في الدول الإسلامية السابقة وضم إليها جديداً من الجبروت والاستعلاء ، وربما قتل السلطان جميع إخوته حتى لا ينازعه السلطة ، ومنح السلطان امتيازات أجنبية للطوائف النصرانية المختلفة جعلها دويلة داخل الدولة ، واستغل الأعداء ذلك أسوأ استغلال. ومع أننا نعيب على العرب تقاعسهم في خدمة الثقافة الإسلامية الصحيحة إبان هذه القرون الهامدة من الحكم التركي ، إلا أننا نذكر أن الحركة الوحيدة التي نهض بها العرب لإصلاح العقائد والعبادات ومحو ما شابها من زيغ وانحراف قاومتها الدولة بالسيف حتى أجهزت عليها. نعني حركة الإصلاح التي قام بها الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب. في تلك الأجواء خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب "وهو من هو غيرة على عقيدة التوحيد ودفاعاً عنها" ، وقد عُرف "بين الناس بأنه داعية غير على عقيدة التوحيد ، يحب أن يمحو من الأذهان أن هناك وساطة ما بين الخالق والمخلوق" ، ولقد كان يعلم أن الإسلام عقيدة ونظام. وأنه دين يتعامل مع النفس والمجتمع والدولة. ومن هنا بدأت "الحركة السلفية التي قادها في القرن الماضي محمد بن عبد الوهاب ، إن كل غيرة على التوحيد مشكورة ، وكل جهد لتتقية العقائد من الشوائب والأقذاء مقدور! ونحن نأبى الإغضاء عن مسالك أقوام يرهبون الأموات أو الأحياء أكثر مما يرهبون الله ، ويطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله سبحانه. وما أعرف مسلماً ذا عقل يخاصم هذه الحقائق أو يعترض أصحابها ، وحيث كانت الظروف التي يواجهها هي التي تحكم عليه بمنهج معين يتخصص فيه ويُعرف به. رفع محمد بن عبد الوهاب شعار التوحيد ، وحُقَّ له أن يفعل ؛ فقد وجد نفسه في بيئة تعبد القبور ، وتطلب من موتاهما ما لا يُطلب إلا من الله سبحانه. ومن ثمَّ فليس معنى هذا أنه استوعب تعاليم الإسلام كلها إضاحاً وتبائناً. إن هناك مصلحين آخرين أمكنهم أن ينصفوا جوانب أخرى من الدين نالها الغمط وغطاها الجهل. واهتمام ابن عبد الوهاب بأمر العقيدة ضرب من التخصص العلمي أملتته حاجة الناس الملحة إليه ، وندب إليه رغبة الشيخ الجامحة في خدمة جهال قومه وسفهانهم! وأوحت به ضروريات البيئة وضغط الواقع. والواقع أن حركة ابن عبد الوهاب من الناحية العلمية سليمة". ونأتي إلى شبهة يرددها الغوغاء والمغرضون بهدف النيل من الشيخ بغير حق! وهذه الشبهة المغرضة يلخصها سؤال هو: (هل خرج ابن عبد الوهاب على الدولة العثمانية)؟! جاء في (إسلام ويب) سؤال وجواب: السؤال: هل حقاً خرج ابن عبد الوهاب وأتباعه على الخلافة وكان من أسباب تداعيها ، وما هي سيرته إذن؟ والجواب: لم يخرج الشيخ محمد عبد الوهاب على الخلافة العثمانية ، هذا كذب محض واختلاق ، فمعلوم لكل من قرأ شيئاً من التاريخ أن الأشراف في مكة كانوا هم نواب السلطان العثماني في بلاد الحجاز ، وهؤلاء الأشراف ما كادوا يسمعون بدعوة ابن عبد الوهاب في الجزيرة ، حتى خافوا على أنفسهم منها ، ورأوا أنها ستسلبهم الإتاوات والسحت الذي يأخذونه من القبور المقامة في بلاد الحجاز ، وعلموا أن من دعوة ابن عبد الوهاب هدم القبور وتحريم الذبح لها والصلاة عندها ، ولذلك سيروا جيوشهم الجيش تلو الجيش يحارب ابن عبد الوهاب في نجد ، ولم يقم الشيخ بأكثر من رد العدوان عن نفسه وعن دعوته. فأين كان في هذا خارجاً على السلطان؟! ومع ذلك أرسل الشيخ محمد عبد الوهاب بوفدٍ إلى الشريف أحمد بن سعيد

شريف مكة ، وكان على رأس هذا الوفد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ، وكان مع هذا الوفد هدايا وتحف كثيرة ، وكتب الشيخ ابن عبد الوهاب مع هذا الوفد كتاباً للشريف أحمد قال فيه بالنص: المعروف لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين ، وأعز به دين جده سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل إلى الخادم "يعني نفسه" ، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها ، وعداوة من خرج ، وهذا هو الواجب على ولاية الأمور. ثم يقول في ختام رسالته: فإذا كان الله سبحانه قد أخذ ميثاق الأنبياء إن أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته ، فكيف بنا يا أمته؟ فلا بد من الإيمان به ، ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر ، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذي بعثه الله منهم ، وشرفهم على أهل الأرض به ، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام ، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته. انظر حياة محمد عبد الوهاب ص 322 ، فإذا كان الشيخ يجعل نفسه من جملة خدام الأشراف ، فكيف يكون خارجاً على السلطان؟! هـ. وجاء في موقع: (الإسلام سؤال وجواب) يتحفظنا الشيخ محمد المنجد بإيراد السؤال ذاته والإجابة عليه! هل خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الخلافة العثمانية وكان سبباً في سقوطها؟ ثم يتناول المنجد تفصيل السؤال فيقول: بعض الناس يقعون في عرض الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله). إنهم يتهمونه أنه حارب ضد الخلافة الإسلامية العثمانية وضد خليفة المسلمين. ولذلك فإنه عدو للمسلمين. وجدالهم يدور حول هذه المسألة فهل هذا صحيح؟ كيف يمكن أن يقاتل شخصاً ما أمير المسلمين مع أن الخليفة يصلي ويؤدي الزكاة وما إلى ذلك؟ إنهم يقولون أيضاً أنه اتفق مع الجيش الإنكليزي ، وأنه قاتل معهم ضد المسلمين! وأورد جواباً مفصلاً حول هذه المسألة التاريخية الهامة فقال: ما من رجل يجيء إلى الدنيا بالخير إلا وكان له أعداء من الإنس والجن ، حتى أنبياء الله تعالى لم يسلموا من ذلك! وكان عداة الناس للعلماء قديماً لا سيما أصحاب الدعوة الحق فقد لقوا من الناس العداة الشديد ومثال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد لاقى من بعض الحساد من استحل دمه ومن رماه بالضلال والخروج من الدين والردة! وما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا رجلاً من هؤلاء العلماء المظلومين الذين قال الناس فيهم ما لم يعلموا ابتغاء الفتنة ، وما حملهم على ذلك إلا الحسد والبغضاء مع رسوخ البدعة في نفوسهم أو الجهل وتقليد أصحاب الهوى! وإليك عرض بعض الشبه التي قيلت في الشيخ والرد عليها! يقول الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف: ادعى بعض خصوم الدعوة السلفية أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب قد خرج على دولة الخلافة العثمانية ، ففارق بذلك الجماعة ، وشق عصا السمع والطاعة! ويدعي "عبد القديم زلوم" أن الوهابيين بظهور دعوتهم قد كانوا سبباً في سقوط دولة الخلافة ، يقول: وكان قد وجد الوهابيون كياناً داخل الدولة الإسلامية بزعامة محمد بن سعود ثم ابنه عبد العزيز فأمدتهم إنجلترا بالسلاح والمال ، واندفعوا على أساس مذهبي للاستيلاء على البلاد الإسلامية الخاضعة لسلطان الخلافة أي رفعوا السيف في وجه الخليفة ، وقاتلوا الجيش الإسلامي جيش أمير المؤمنين بتحريض من الإنجليز وإمداد منهم. كتاب: (كيف هدمت الخلافة) ص 10. وقبل أن نورد الجواب على شبهة خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دولة الخلافة ، فإنه من المناسب أن نذكر ما كان عليه الشيخ الإمام من اعتقاد وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ، لأن الطاعة إنما تكون في المعروف! يقول الشيخ الإمام في رسالته لأهل

القصيم: وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برّهم وفاجرهم ، ما لم يأمرُوا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرّم الخروج عليه. كتاب: (مجموعة مؤلفات الشيخ) مج 5 ص 11. ويقول أيضاً: "الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً".

مجموعة مؤلفات الشيخ (1 / 394) بواسطة "دعاوى المناوئين" (233 – 234). ويقول الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف: وبعد هذا التقرير الموجز الذي أبان ما كان عليه الشيخ من وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برّهم وفاجرهم ، ما لم يأمرُوا بمعصية الله: فإننا نشير إلى مسألة مهمة جواباً عن تلك الشبهة ، فهناك سؤال مهم هو: هل كانت "نجد" موطن هذه الدعوة ومحل نشأتها تحت سيطرة دولة الخلافة العثمانية؟ يجيب الدكتور صالح العبود على هذا فيقول: لم تشهد "نجد" على العموم نفوذاً للدولة العثمانية ، فما امتد إليها سلطانها ، ولا أتى إليها ولاة عثمانيون ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقرار تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية ، فمن خلال رسالة تركية عنوانها: "قوانين آل عثمان مضامين دفتر الديوان" ، يعني: "قوانين آل عثمان في ما يتضمنه دفتر الديوان" ، ألفها يمين علي أفندي الذي كان أميناً للدفتري الخاقاني سنة 1018 هجرية الموافقة لسنة 1609م ، من خلال هذه الرسالة يتبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى اثنتين وثلاثين إيالة ، منها أربع عشرة إيالة عربية وبلاد نجد ليست منها ما عدا الإحساء إن اعتبرناه من نجد. (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي) – غير منشور – 1 / 27. ويقول الدكتور عبد الله العثيمين: "ومهما يكن فإن "نجداً" لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما أنها لم تشهد نفوذاً قوياً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت ، فلا نفوذ بني جبر أو بني خالد في بعض جهاتها ، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعاً من الاستقرار السياسي ، فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حاداً عنيفاً". محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره "ص 11 بواسطة "دعاوى المناوئين" 234 – 235. واستكمالاً لهذا المبحث نذكر جواب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على ذلك الاعتراض قول رحمه الله: "لم يخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دولة الخلافة العثمانية فيما أعلم وأعتقد ، فلم يكن في نجد رئاسة ولا إمارة للأتراك ، بل كانت نجد إمارات صغيرة وقرى متناثرة وعلى كل بلدة أو قرية - مهما صغرت - أمير مستقل. وهي إمارات بينها قتال وحروب ومشاجرات ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج على دولة الخلافة ، وإنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده ، فجاهد في الله حق جهاده ، وصابر وثابر ، حتى امتد نور هذه الدعوة إلى البلاد الأخرى". وقال الدكتور عجيل النشمي: "..... لم تحرك دولة الخلافة ساكناً ، ولم تبدر منها أية مبادرة امتعاض أو خلاف يذكر رغم توالي أربعة من سلاطين آل عثمان في حياة الشيخ". مجلة المجتمع عدد 510. إذا كان ما سبق يعكس تصور الشيخ لدولة الخلافة ، فكيف كانت صورة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى دولة الخلافة؟ يقول د.النشمي مجيباً على هذا السؤال: "لقد كانت صورة حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى دولة الخلافة صورة قد بلغت من التشويه والتشويش مداه ، فلم تطلع دولة الخلافة إلا على الوجه المعادي لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، سواء عن طريق التقارير التي يرسلها ولاتها في الحجاز أو بغداد أو غيرهما. أو عن طريق بعض الأفراد الذين يصلون

إلى الأستانة يحملون الأخبار". مجلة المجتمع عدد 504. وأما دعوى "زلوم" أن دعوة الشيخ أحد أسباب سقوط الخلافة ، وأن الإنكليز ساعدوا الوهابيين على إسقاطها: فيقول محمود مهدي الاستنبولي جواباً على هذه الدعوى العريضة:- "قد كان من واجب هذا الكاتب أن يدعم رأيه بأدلة قاطعة وإثباتات فذة ، حتى يثبت كلامه ، ويقوي حجته ، ويبين رأيه. وقديماً قال الشاعر:-

وإذا دعاوى لم تقم بدليلها بالنص ، فهي على السفاه دليل

مع العلم أن التاريخ يذكر أن هؤلاء الإنكليز وقفوا ضد هذه الدعوة ، منذ قيامها خشية يقظة العالم الإسلامي "الشيخ محمد عبد الوهاب في مرآة الشرق والغرب" ص 240. ويقول: والغريب المضحك المبكي أن يتهم هذا الأستاذ حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها من عوامل هدم الخلافة العثمانية ، مع العلم أن هذه الحركة قامت حوالي عام 1811 م ، وأن الخلافة هدمت حوالي 1922 م! ومما يدل على أن الإنكليز ضد الحركة الوهابية أنهم أرسلوا الكابتن فورستر سادير ليهنئ إبراهيم باشا على النجاح الذي حققه ضد الوهابيين - إبان حرب إبراهيم باشا للدرعية - وليؤكد له أيضاً مدى ميله إلى التعاون مع الحركة البريطانية لتخفيض ما أسموه بأعمال القرصنة الوهابية في الخليج العربي! بل صرحت هذه الرسالة بالرغبة في إقامة الاتفاق بين الحكومة البريطانية وبين إبراهيم باشا بهدف سحق نفوذ الوهابيين بشكل كامل! ويقول الشيخ محمد بن منظور النعماني: "لقد استغل الإنجليز الوضع المعاكس في الهند للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ورموا كل من عارضهم ووقف في طريقهم ورأوه خطراً على كيانتهم بالوهابية ودعوتهم وهابيين. وكذلك دعا الإنجليز علماء ديوبند - في الهند - بالوهابيين من أجل معارضتهم السفارة للإنجليز وتضييقهم الخناق عليهم". دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد عبد الوهاب ص 105 - 106. وبهذه النقول المتنوعة ينكشف زيف هذه الشبهة وتهافتها أمام البراهين العلمية الواضحة من رسائل الشيخ الإمام ومؤلفاته ، كما يظهر زيف الشبهة أمام الحقائق التاريخية التي كتبها المنصفون. وأخيراً ننصح كل من أطال لسانه بحق الشيخ أن يكفه عنه وأن يتقي الله تعالى في أمره كله عسى الله تعالى أن يتوب عليه وأن يهديه سواء السبيل).هـ. ويجب على السؤال: هل خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الدولة العثمانية؟! الدكتور فهد بن صبح فيقول: (إن الدارس لحال نجد يلاحظ أنها منذ القرن الثالث الهجري كانت تنازعها سلطات مختلفة ، فصلتها عن التبعية المباشرة لدولة الخلافة العباسية ثم العثمانية ، فمنذ سنة «251 هجرية» استقلت دولة بني الأخضر الزيدية في الحجاز عن الدولة العباسية ، وضمت إليها نجد واليمامة ، ثم خضعت نجد واليمامة لنفوذ القرامطة إلى منتصف القرن الخامس الهجري! وبعدها بقيت هذه الديار مهملة تتنازع عليها الدويلات وفيها زعامات ورئاسات محلية ، إلى أن جاء الأتراك إلى الأحساء واليمن والحجاز ، فكانت نجد تحت إشراف الولاة الأتراك في الأحساء أو الحجاز ، وفي كل الأحوال كان هذا الإشراف غير مباشر بل هو إلى الشكلي والرمزي أقرب منه إلى الفعلي ومع ذلك انقطع هذا الإشراف كلية حين استقل زعيم بني خالد بالأحساء عام 1080 هجرية. وحين بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته قبيل منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، كان الحكم في نجد كلها لإمارات ومشيخات صغيرة متنازعة ، وليس لها تبعية لحكومات أخرى ، إلا التبعية الرمزية لحاكم الأحساء وهو مستقل عن الدولة العثمانية عملياً ، وكان كل أمير وشيخ في نجد يشعر بالاستقلالية المطلقة. ومن عقيدة الشيخ «أرى السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله! ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم

بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرَم الخروج عليه. وهل يخالف الشيخ فعله قوله وهو مشهود له بالعلم والعمل والإمامة في الدين؟! هذا من إحسان الظن بعلماننا رضي الله عنهم. وعلى كل حال فما يدل من كلام الشيخ على أن الدولة العثمانية ليس لها سلطان على نجد ما يلي: يقول: أن هذا الأمر الذي أنكروا علي ، وأبغضوني وعادوني من أجله ، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم ، يقولون هذا حق وهو دين الله ورسوله ، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون وابن عبد الوهاب أظهره ، لأن الحاكم عنده في بلده ما أنكره بل لما عرف الحق اتبعه! وقوله للأمير بن معمر في بداية الدعوة: أرجو إن نصرت التوحيد أن يملكك الله نجداً وأعرابها. نجد قبل الشيخ لم تكن تابعة للدولة العثمانية وبالرجوع إلى (قوانين آل عثمان مضامين دفتر الديوان) وهو عبارة عن التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية تثبت أنه لا يوجد والي لنجد ، ولا نفوذ عليها من قبل العثمانيين كبقية العالم الإسلامي ، لأنه معلوم أنه ليس كل الدول الإسلامية تابعة للدولة العثمانية. وقبل الدعوة ليس هناك نفوذ واضح لبني خالد بل قتال بين الدرعية وبني خالد وكذلك الدولة الجبرية ولا الأشراف في مكة ، بل هي مسرح للصراع القبلي! يقول أمين سعيد حاولنا أن نبحث عن اسم والي لنجد فلم تسعفنا المصادر العثمانية بذلك. يقول حسين خزعل: لما ظهر العثمانيون على المسرح السياسي لم يكن لهم عليها نفوذ. ويقول جاكين بيرين: الجزيرة العربية ظلت ممتنعة على العثمانيين لم يخضعوها بسبب صحرانها الممتدة. قال الشيخ ابن باز لم يخرج الشيخ ابن عبد الوهاب على الدولة العثمانية فيما أعلم ، فلم يكن فيها رئاسة ولا إمارة للعثمانيين ، إنما خرج على الأوضاع الفاسدة في بلده ويقول نسيب الرفاعي: "إن المتصوفة هم من أوغر صدر الخليفة العثماني على دولة آل سعود وقلبوا له الأمور". ويقول د. عجيل النشمي: لم نعثر على فتوى له تكفر الدولة العثمانية بل حصر افتئاته في البوادي القريبة منه التي كان على علم بأنها على شرك. وقال النشمي أيضاً: نجد وما جاورها لم تعرها دولة الخلافة أهمية تذكر ، ولم تحرك ساكناً أو امتعاض يذكر رغم توالي أربعة سلاطين في حياة الشيخ. وقد صرحت بريطانيا على لسان مندوبها الكابتن سادلير الذي بعثته لإبراهيم باشا عندما أسقطت الدولة السعودية الأولى تهينة على هذا النصر ، وطلبت منه التعاون لسحق نفوذ الوهابيين بشكل كامل). هـ. ونجعل مسك ختامنا في هذه المسألة والسؤال: هل كان محمد بن عبد الوهاب خارجاً عن الدولة العثمانية؟! بجواب للشيخ العلامة الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق ، حيث نشرت مجلة المجتمع بعدها رقم 472 الصادر في 17 ربيع الثاني سنة 1400 الموافق 1980/3/4م مقالاً منسوباً إلى راشد السالم بعنوان: (رجل لكل العصور.. محمد عبد الوهاب). وقد نسب كاتب المقال إلى محمد بن عبد الوهاب خروجه على السلطان المسلم في وقته ، حيث يقول الكاتب: (ومحمد بن عبد الوهاب أبرز رجال التاريخ المعاصر المعروفين بالخروج على السلطان المنحرف عن منهج الله ، سواء كان انحرافه جزئياً أم كلياً..). ا. هـ. ونسب الكاتب هذا الذي مدح به ابن عبد الوهاب في زعمه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما وابن الزبير وسعيد بن جبير ، وحيث إن هذا الأمر الذي مدح به الكاتب هؤلاء الرجال - في زعمه - يخالف الحقيقة أولاً ، وكذلك يمس عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة ثانياً ، وهي أن السلطان المسلم لا يخرج عليه بالسيف مطلقاً حتى لا يقع السيف بين المسلمين! فبني قد رأيت من واجبي إنصافاً للحق ووضعاً للأمور في نصابها ، ودفاعاً عن هؤلاء الذين ينسبون إلى الخروج على الأمة - وهم من ذلك براء - أن أذكر الموقف الحقيقي لهؤلاء ، وأن أدافع عن عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة يراد الآن تشويهها وتغييرها ، وذلك لدفع الشباب المؤمن إلى

محاربة بني جلدتهم من المسلمين ، وبالتالي استنزاف طاقتهم وجهودهم ، وتمزيق جهادهم ، وتفشيل دعوتهم ، ووضعهم في كارثة بعد كارثة ، وذلك لتظل الأمة ضعيفة متناحرة ، ويفرح أعداؤها بعد ذلك ، ويتمكنون من أرضها وديارها. وسواء كان الذين يكتبون هذه المقالات يعرفون الهدف النهائي من وراء دعوتهم المنحرفة أو لا يعرفون ، فإنهم على كل حال يسهمون في دفع عجلة الإسلام إلى الوراء. فأين وكيف كان محمد بن عبد الوهاب في كل ذلك خارجاً على السلطان؟! ولكن ما كادت دعوة ابن عبد الوهاب في التوحيد تنتشر حتى عاداه وعادى إمارة ابن سعود الأمراء حوله فبدأوه هم بالحرب والعداوة ، فحاربهم دفاعاً عن نفسه. فهل كان في هذا خارجاً على السلطان؟ ومعلوم أن الإمارات والمشيخات التي حاربت ابن عبد الوهاب كانت إمارات مستقلة ، كأنها دول مستقلة في قلب هذه الجزيرة. وأما ما زعمه الكاتب أيضاً من أن محمد بن عبد الوهاب خرج على السلطان العثماني عبد الحميد خان الأول وسليم خان الثالث ، فهذا كذب محض واختلاق ، فمعلوم لكل من قرأ شيئاً من التاريخ أن الأشراف في مكة كانوا هم نواب السلطان العثماني في بلاد الحجاز ، وهؤلاء الأشراف ما كادوا يسمعون بدعوة ابن عبد الوهاب في الجزيرة ، حتى خافوا على أنفسهم منها ورأوا أنها ستسلبهم الإتاوات والسحت الذي يأخذونه من القبور المقامة في بلاد الحجاز ، وعلموا أن من دعوة بن عبد الوهاب هدم القبور وتحريم الذبح لها والصلاة عندها ، ولذلك سيروا جيوشهم الجيش تلو الجيش يحارب ابن عبد الوهاب في نجد ، ولم يقدّم الشيخ بأكثر من رد العدوان عن نفسه وعن دعوته.. فأين ومتى كان في هذا خارجاً على السلطان؟! ومع ذلك أرسل الشيخ محمد عبد الوهاب بوفد إلى الشريف أحمد بن سعيد شريف مكة ، وكان على رأس هذا الوفد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ، وكان مع هذا الوفد هدايا وتحف كثيرة ، وكتب الشيخ ابن عبد الوهاب مع هذا الوفد كتاباً للشريف أحمد يستعطفه ويدعو له ويوقره! فإذا كان الشيخ يجعل نفسه من جملة خدام الأشراف ، فكيف يكون خارجاً على السلطان؟! ومع هذا فقد جاء من الأشراف بعد ذلك من جمع العلماء من أهل السوء الذين أفتوا بكفر محمد بن عبد الوهاب وخروجه على الناس بدين جديد ، وعدم جواز تمكين أتباعه من حج البيت ، ولذلك منع أهل نجد من أهل الدعوة من الحج ، ثم جهز الشريف غالب بعد ذلك جيشاً كثيفاً لحرب الشيخ ابن عبد الوهاب في نجد ، ولما لم يستطيعوا أن يبلغوا غايتهم في إخماد الدعوة استعانوا بالسلطان العثماني الذي تباطأ في هذا الأمر ، ثم أوعز إلى محمد علي والي مصر وأمره بقتال من سماهم بالوهابيين ، وذلك عندما أفتى له علماء السوء أنهم كفار مارقون. ومعلوم أيضاً أن محمد علي جهز عدة جيوش لحرب أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب ، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ.. فأين كان الشيخ ابن عبد الوهاب في كل ذلك خارجاً على السلطان؟! هذا ، ومع أن الدولة العثمانية حاربت أتباع ابن عبد الوهاب بدعوى أنهم كفار عن طريق محمد علي باشا والي مصر ، إلا أن أهل نجد والأمراء من أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب لم يرفعوا لهم يداً من طاعة فيما يطيعون فيه الله ورسوله ، وقد كتب الأمير عبد الله بن سعود مجموعة من الرسائل إلى محمد علي باشا والي مصر والسلطان محمود الغازي العثماني ، يعلن في كل واحدة منها أنه عبد من عبيدهم ، وأنهم ما قاموا بدعوتهم في نجد إلا إصلاحاً لأهلها ، وإبعاداً لهم عن الشرك والخرافة ، وإقامة للصلاة والزكاة فيهم ، وأنهم من جملة الأتباع والخدام للباب العالي العثماني ولواليه محمد علي باشا. وهذه فصول من الرسالة التي أرسلها الأمير عبد الله بن سعود إلى السلطان محمود الغازي: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي جعل للداء العضال دواء ، وحسم وألفي نيات الأعداء السيئة بالصلح والصلاح ، اللذين كانا أول مانع من الوقوع في المهالك

المهلكة ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأصفيائه محمد خاتم أنبيائه الذي بلغ أحسن أنبائه وبعد: فإني أطوف حول الكعبة آمال العبيد التي هي أعتاب دولة مولانا قطب دائرة الوجود ، وروح جسد العالم الموجود ، وملأ الحاجز والبادي ، ومحط رحال آمال الرائح والغادي ، علم الأعلام ، إنسان عين أعيان الأنام ، من نام في ظل عدله كل خائف ، ولجأ إلى حماه كل عاقل عارف ، ذي الأخلاق هي أرق من نسيم الصبا ، مع الهيبة التي تحل من أجله الحبا ، سلطان البرين ، وخاقان البحرين ، الذي برز بطلته طالع سمو ، السلطان ابن السلطان ، سيدنا السلطان محمود الغازي ، وأقدم عريضتي هذه المشتملة على الضراعة ، وهي أنه لما كان عبدكم هذا من المسلمين الذين لا ينفكون عن أداء شروط الإسلام ، التي هي إعلاء كلمة الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ، ومنع الظلمة من الإضرار بالناس كف أيديهم) ا.هـ. ثم بعد ذلك سرد الأمير عبد الله بن سعود كيف أن أشراف مكة افتروا عليه عند السلطان العثماني لقتاله ، وأنهم كتبوا عرائض مزورة إلى السلطات باسم الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد تعلن العصيان ، ورفض الحجاج الذين يأتون من الآفاق ، ويتابع الأمير رسالته قائلاً: (وعلى العموم فإن كل ما نسب إلى عبدكم هذا من أمور الطغيان والخروج كلها ناشئ عن خدعة الشريف المشار إليه "دسياسة" ، ثم يقول في ختام رسالته: (قدمت عريضتي هذه التي هي أشهر من المثل السائر مصداقاً لصداقتي على أن لا أنفك عن قيد الإطاعة ، وأن أعد من عبدكم القائمين بجميع خدمات الدولة العليا ، فهي برهان قاطع يشهد بأني قائم بالدعوات في الأعياد والمحافل وعلى المنابر بدوام عمركم ودولتكم). (انظر الدولة السعودية الأولى لعبد الرحيم عبد الرحيم ص392-393). وأما كتاب الأمير عبد الله بن سعود أيضاً إلى محمد علي باشا والي مصر ، فقد كان وافياً مظهراً أن أتباع ابن عبد الوهاب لم يكونوا خوارج ، فقد قال في كتابه بعد دبياجةٍ طويلةٍ ومدحٍ لمحمد علي. (وبعد فغير خاف على جنابكم حقيقة ما نحن عليه ، وما ندعو الناس إليه: أننا جاهدنا الأعراب حتى أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وألزمناهم صيام رمضان وحج بيت الله الحرام: ومنعناهم عن ظلم العباد ، والسعي في الأرض بالفساد ، وعن قطع السبيل والتعرض لحجاج بيت الله الحرام من الوافدين ، فبعد ذلك شكوا إلى والي مكة غالب ، ورمونا بالكذب والبهتان ، وخرَّجونا (أي اتهمونا بأننا خوارج) ، وبدعونا ، وقالوا فينا ما نحن منه براء فسير علينا بأجناد وعدد وعدة ، فأعجزه الله وله الحمد والمنة ، فقاتلناهم دفعاً لشره ، ومقابلةً لفعله القبيح ومكره ، فرده الله بغيظه لم ينل خيراً ، واستولينا على الحرمين الشريفين وجدة وينبع ، فلما تمكنا من أوطانه فعلنا معه كل جميل ، وأقررناه على ما كان تحت يده من البلدان ، ووجهنا مدخول البنادر إليه ، وأكرمناه غاية الإكرام توقيراً للنسب الشريف ، وتعظيماً للبلد الحرام).. ثم يقول بعد أن بين مكر الشريف بهم وتزويره رسائل إلى السلطان العثماني باسمهم: (فعلنا أنه مطلوب الدولة العلية صيانة الممالك الإسلامية ، لاسيما الأقطار الحجازية ، ومن أعظمها صيانة الحرمين الشريفين ، والذود عن حماها الأحمي بلا ريب. ومنها الدعاء بحضرة سلطان السلاطين - نصره الله تعالى - على المنابر ، وكف يد الأذى عن الوارد إلى الممالك المحروسة والصادر). فإذا كانت هذه هي صورة العلاقات القائمة بين أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب وبين الدولة العثمانية والوالي محمد علي باشا فكيف يقال بعد ذلك أن ابن عبد الوهاب خارج على السلطان العثماني وأن هذه هي عقيدة السلف؟! المصدر: كتاب: (فصول من السياسة الشرعية). وتحت عنوان: (محمد بن عبد الوهاب مُصلحاً ومُجدِّداً) يقول الأستاذ محمد مسعد ياقوت عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، المشرف العام على موقع نبي الرحمة ما نصه بتصريف: (رأيتُ

أرباب الفسولة يقولون عن فلان: هذا وهابي. لأنه من أتباع هذا الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) ورأيهم يقولون على فلان: هذا متنور متحضر بل مصلح مجدد. وذلك لأنه من أتباع "جان جاك روسو"، و"فولتير". فقلتُ في نفسي - متألماً -: وي! مَنْ المجدد المصلح يا قوم؟ أفلا تعقلون؟ فعدتُ إلى قلبي لكتابة هذه الكلمات موضعاً الجانب التجديدي الإصلاحي في دعوة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب)! هذا المُسلم العَلَم له فضلٌ عظيم على ملايين المسلمين؛ ومع ذلك يجهل حقه الكثيرون ممن يتمرغون في أعتاب ما خَلَف من فضل وعلم. ليت شعري! لو كان هذا الرجل العظيم في أوربا مثله لغسلوا قدميه وشربوا مرقتها! لقد انطلقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1115-1206 هـ] - رحمه الله تعالى - من قلب الجزيرة العربية كحركةٍ تجديديةٍ إصلاحيةٍ فكانت - بحق - إحدى أبرز الحركات الإسلامية الحديثة، وبآثارها أضحى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد أهم المجددين والمصلحين - إن لم يكن أهمهم بلا منازع في العصر الحديث - بل يكاد يجزم الكثيرون بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو أبرز رمزٍ تجديديٍ ظهر بعد رحيل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عام 728 هـ. - إن الجانب التجديدي الذي أسهم فيه الشيخ ابن عبد الوهاب - رحمه الله - يتعلق بأشرف شيء جاء به الإسلام، ألا وهو التوحيد. إذ لما طال العهد بالجزيرة العربية؛ تلطخ الناس بصفوف البدع والشركيات والخرفات إلى الدرجة التي وصلت فيها الجزيرة العربية إلى حال عهد الجاهلية الأولى قبل مبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث انتشرت الخرافات والأوهام واعتقد الناس في الموتى، وتوجهوا إلى الأضرحة بالدعاء والنذور وغيرها من المظاهر الشركية. - أخذ الشيخ على عاتقه تغيير ذلك الواقع الفاسد، حيث منهج المجددين دائماً، فحارب كما ابتدع في دين الله، خاصة فيما يتعلق في جانب العقيدة؛ كالطواف بالقبور. ومن ثم يمكنك القول بأن دعوة الشيخ - رحمه الله - قامت على مبدأ التنقية الشاملة والمتكاملة. لعقائد الناس وأفكارهم وعبادتهم وسلوكياتهم ومعاملاتهم. فهي دعوة إصلاحية اجتماعية من الدرجة الأولى تقوم على منهج الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة. ويبين العلامة الأستاذ أنور الجندي - رحمه الله - أن أبرز معطيات هذه الدعوة المباركة تتمثل في عمليتين كبيرتين أولهما: أنها فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد في سنة 656 هـ. وثانيها: ضرورة القيام بواجب الجهاد، وإحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن، فكانت الدعوة ثورية عارمة على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه العالم الإسلامي. أنور الجندي: "العالم الإسلامي والاستعمار الثقافي"، ص: 70. ويؤكد محمد سعيد مرسي ذلك بقوله: "كان من أبرز أعمدة دعوته (رضي الله عنه): فتح باب الاجتهاد، والتماس الحلول لمختلف قضايا المجتمع، من المصادر الأصلية رأساً، وهي القرآن والسنة وإجماع المسلمين على حكم معين إلى آخر القرن الثالث الهجري، كما دعا إلى عدم التقيد بمذهب من المذاهب الأربعة، وأعلن أن لكل قاض أن يأخذ من أي مذهب، بما يرى ما هو أقرب إلى الكتاب والسنة، ودعاة إلى استئناف دور العرب الأصيل في حمل لواء الدعوة الإسلامية". عظماء الإسلام، طنطا: دار البشير ط 1، 1421 هـ - 2001م، ص 436. ومن هنا يتجلى عنصر الوسطية في دعوة الشيخ - رحمه الله -، بعكس ما يشيعه المغرضون من أنها دعوة تشدد وقمع الرأي الآخر والمذهب الآخر. بل هي كما يتبين للباحث - في تراث الشيخ ابن عبد الوهاب - أنها دعوة تدعو إلى فتح باب الاجتهاد لا غلقه، دعوة تدعو إلى عدم التقيد بمذهب من المذاهب الأربعة، ومن ثم عدم التعصب لأي منها، ولقد برهن الشيخ عملياً على وسطية دعوته لما أعلن أن لكل قاض أن يأخذ من أي مذهب من الآراء والاجتهادات ما هو أقرب إلى الكتاب والسنة. إن من الظلم أن نتهم الدعوة الوهابية بأنها دعوة تشدد وتطرف لمجرد أن أتباعها على مذهب فقهي واحد هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة -، ولا سيما وقد أعلن

مؤسس الدعوة وأعلن أنهم على معتقد سلف الأمة والأئمة الأربعة. ثم إن دعوة الشيخ لم تكن دعوة لتمكين مذهب فقهي على حساب مذهب فقهي آخر، أو لرفع راية الحنابلة وإسقاط رايات الشافعية والمالكية والأحناف، فمهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت مهتمة بأمر عظيم الخطب جسيم التبعات يتعلق بالمعتقدات لا بالفقهيات ، فالانحطاط الذي وصل إليه العرب في عهده يتعلق بمسألة الكفر والإيمان. ولم تكن المشكلات التي يواجهها الوهابيون في تبصير الناس بدينهم تتعلق بمسائل فقهية فرعية. وأخيراً نقول لتجار الفكر الغربي، ممن ينتسبون زوراً إلى العرب ، الذين نرى جلودهم بلون العرب ، وقلوبهم أشربت حباً بالغرب ، كما أشرب بنو إسرائيل بالعجل ، الثعالب في مسلاخ القطط. الذين يعملون سماسرةً لمناهج الغزاة ، ومندوبي مبيعات لمنتجات أوربا الفكرية التي أكل عليها الزمان وشرب – إنكم تنفتون سموكم الفكرية - العثمانية والإلحادية والعولمانية – لتصدون بها عن سبيل الإسلام ، كما ينفث الجعل ريحه الخبيث في حديقة غناء ، ذات أزهار ودنان ، فلن يضر الزهرة الريح المنتن. يا من تفتتون على تجهيل الأمة ، وتسطيع المسلمين - لقد ذرأ الله المصلحين الربانيين في كل مكان من حولكم ، قد أحاطوا بكم ، كما ذرأ النخل الصالح في كل أصقاع الأرض ، يقشع الله بهم الظلم الكالج ، والظلام الحالك ، ويدفع به عن الإسلام شقوة الظالمين و عنوة الفاسدين. والآن لنطالع ما من الله تعالى علينا به ، في تبرئة الشيخ - رحمه الله -! وعنوان النص (براءة ابن عبد الوهاب)! وإنه لشرف كبير لي هذه المعلقة ، على البحر الطويل! رحم الله ابن عبد الوهاب!

أخي إماماً ، كان للخير داعياً وأطري كراماً إذ أجابوا المُنَادِيا  
وما جادت الأرحام يوماً بمثله سوى تابع أضحي على العهد باقيا  
إمام – وربي – جَدَّدَ الدينَ حِسْبَةَ وَلَمَّا يَكُنْ فِي الصَّدْعِ بِالْحَقِّ وَايَا  
وَأَرْجَعِ (نَجْدًا) لِلهُدَى بَعْدَ رِدَّةٍ غَدَتْ دَارَ إِسْلَامٍ ، يَجُوبُ الضَّوَاحِيَا  
وَطَهَّرَ أَرْضَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ بَدْعَةٍ! فَأُضْحِي لِمَا التَّوْحِيدِ فِي الدَّارِ عَالِيَا  
وَأَجْلَى الْخِرَافَاتِ الَّتِي قَدْ تَأَصَّلَتْ وَعَمَّتْ رُبُوعَ الدَّارِ ، بِلِ وَالرُّوَابِيَا  
وَدَاكُ الْجَهَالَاتِ الَّتِي طَالَتْ الْحِمَى وَمَا تَرَكْتُ بَيْتًا ، وَلَمْ تَقُلْ وَايَا  
وَأَحْيَا بِدُنْيَاهَا كِتَابِيًا وَسُنَّةً وَجَنَدَ رَبِّ النَّاسِ جُنْدًا مَوَالِيَا!  
فَشَيْدَ صَرَحِ الْمَجْدِ مِنْ بَعْدِ ضَيْعَةٍ وَأَبْعَدَ رَبِّ النَّاسِ عَنْهَا الدَّوَاهِيَا!  
أَلَا إِنَّهُ التَّوْحِيدُ يَحْمِي مِنَ الْبَلَا وَيُبْعِدُ عَنْ أَهْلِ الرَّشَادِ الْبَلَاوِيَا  
فَقِيَّةً – بِهَذَا الدِّينِ – قَلَّ نَظِيرُهُ بَعْضَرُ غَدَا مِنْ أَشْيُخِ الْعِلْمِ خَالِيَا!  
وَأَحْيَا بِهِ اللَّهُ الْجَهَادَ شَعِيرَةً تُقِيمُ الْهُدَى جَبْرًا ، وَتُرْدِي الْأَعَادِيَا  
تَوَلَّى جِهَادَ الدَّفْعِ وَالْفَتْحِ مُخْلِصًا وَعَاشَ نَشْرَ النُّورِ وَالْخَيْرِ دَاعِيَا

عن العزم سَلَّ أرض الجزيرة أرغمت على الحق إذ يغشى القرى والبوادي  
 وناظرَ أهل الشرك لم يخشَ بأسهم فما استطاع أشقى جمعهم أن يُماريا  
 وعاداه أقوامٌ ، وأرغوا ، وأزيدوا وكلّ تمنى في النزال الأمانيا  
 وشوَّشَ أقوامٌ ، وقالوا: (مُكْفَرٌ) ولاكوا الفرى والأحجيات اللواغيا  
 وما كفرَ الشيخَ المُحدِّثُ مسلماً ولمَّا يُكُنْ فيما ارتآه مُغاليا  
 وقالوا: يَسوقُ الحُكمَ لم يَدِرْ كُنْهَه وهل يَسْمَعُ الأَقوامُ - إن قال - هاذيا؟  
 وقالوا: سقيمُ الفهم ، لم يُدركِ الهُدى فكيف يراه البعضُ شيخاً وهاذيا؟!  
 وقالوا: طواه العُجْبُ ، فانصاعَ قانِعاً وما ازداد بالتغريب إلاماديا  
 ومِنَ إفكهم قالوا: تشدَّدَ عامداً وأتباعُه جاروا جهولاً وغاوييا  
 وما أنصفوا في الاتهاماتِ الصِقتِ فلم يكُ شيخي باديَ الرأي غاليا!  
 وسائلٌ عن المقدامِ أهل ( الحُرَيْمِلا ) ومَن مثلاً أصحاب القرون الخوالييا؟!  
 وسائلٌ عن التنظيرِ أهل ( عُيَيْنَة )؟ فلم يكُ في التبليغ يوماً مُداجيا!  
 وسائلٌ عن الشيخِ الجليل (ابنِ مَعْمَر) فقد كان في أهل (العُيَيْنَة) واليا!  
 وقبة (زيد) في (الجُبَيْلَة) دكَّها لئوقفَ شركاً كان في الناس فاشيا  
 وأرسى أصولَ الدين في الدارِ موقِناً وعاشَ لأهليها الطيبَ المداويا  
 وجادلَ أهلَ السُّوءِ سِراً وجَهرةً وما فرَّ منهم إذ يخافُ التباريا  
 تعقَّبهم بالعلمِ يدحضُ ما افتروا وجاهدَ بالقرآنِ مَن كان جافيا!  
 وأبرزَ للغالين آياتِ غيِّهم وجلَّى لَمَن كادوا العُرى والمَراميا  
 وناهضَ عَرافين ، شاعَ انحرافهم ولم يكُ في دحضِ الأباطيلِ وانيا  
 وحرَّابَ كُهاناً ، وعَرى كُهانَة وجنَّدلَ مَن شطوا وقادوا النواصيا  
 عُقودُك يا شيخَ المشايخِ تسعة وقضيتها للحق طوعاً مواليا!

وقوأك ربُّ الناس فيها مجاهداً وسيفك في سُوح الوغى كان ماضيا  
وصابرتَ لم تجزغ ، ولم تك يانساً وفي العلم والتقوى سهرت الليالي  
ومن عجب يُثني عليك أولو النهى فمن كان صناعاً ، ومن كان قاضيا  
ومن كان ذا رأي وفضل ونجدةٍ وأغلبُهم كم كان يرجو التلاقي  
عجبتُ لمَ دأحك من كل ملةٍ وما خلتُ فيهم مستطيلاً مُرانيا  
عليك من الرحمن عاطرُ رحمةٍ وصاتك ربي للمكارم داعيا  
وثبتني المولى على نور هديكم ليوم بلوغ الروح منِّي التراقيا

## أغاني قرآنية لمن؟!!

(تعددت المحاولات منذ فجر التاريخ ، وحتى يومنا هذا ، وإلى قيام الساعة ، في التشويش على القرآن الكريم ، وذلك لصرف الناس عنه! وفي كل مرة يبوء المشوشون بالفشل الذريع! إلى أن ابثلينا بضال يُلحّن القرآن الكريم بموسيقى الرُّوك والراب والجاز وغيرها! ونسأل: لمن هذه الأغاني القرآنية يا هذا؟ هل هي لغير المؤمنين بالقرآن لتزيدهم كفراً به؟ أم للمؤمنين به لتصرفهم عنه؟ لا هذه تتحقق ولا تلك! وإن في جهود مُهدّرة ، وأموالٍ مُضّاعة!)

يا ساخرأ من حرمة القرآنِ ومُرّوجاً للسُّخفِ والهـذيانِ  
يا موقداً ناراً تُصّلي سامعاً وتقوذه للضنك والخسران  
يا معنأ حرباً يضير أوارها تُودي ببيد الأرض والبلدان  
يا فاتحاً باب الشرور على الورى ليبيد بالسُّوآى بني الإنسان  
يا هازلأ ظهرت أمارة هزله أتعالج الكفران بالكفران؟!  
يا سالكأ بـ (الراب) أحقر مسلكٍ يُزري بما يحويه من ألحان  
يا ساقطاً ضاق العلو بطيشه لا يُذرك الإعزاز بالعصيان  
يا ضائعاً في عالم متبذل يحيا على الأحقاد والعُدوان  
يا مُطرباً تطريبه تدميره ولكم تسوق إلى الدمار أغاني!  
سيذيقك الجبار كأس مذلةٍ وتبوء في هذي الدنا بهوان  
أثحّن القرآن يا متخرّصاً؟! أتقال من قدسية القرآن؟!  
أغراك حلم الله يا متبججاً فسلكت درب الغي والطغيان  
لم تخش مليارين من أهل الهدى أدناهم يحسوك دون تـواني  
إن جاز تلحين المزامير التي في سفركم ، ما جاز في القرآن!  
لما نلحّن بعض إصاحاتكم لم تستظن في السر والإعلان؟!  
ولم التطاول أنت لم تحسب له يوماً حساباً جال في الأذهان؟!  
أسلافك الأوغاد كم مكرروا بنا مكرراً طغى ، ما كان في الحسبان!

وعلى كتاب الله يا كم شوّشوا حتى يصدّوا كل ذي إيمان  
كم حرّفوا نصاً على يد تافه! فهل استقام النصُّ للدهقان؟!  
قالوا: أساطيرٌ لقوم قد مضوا لم تخو من حكّم ، ولا رُجحان!  
قالوا: هي الأشعارُ تأسّرُ سامعاً حتى وإن لم تخو من أوزان!  
و(النضّر) أشقاهم ، ورائدُ جمعهم لمّا استجاب لنزغة الشيطان  
وسل (الوليد بن المغيرة) إذ أتى حتى يُصرّف وجهه (العدنان)  
فتلى عليه (محمد) قرآنه فرجّاه: (يكفي) يا أخا الإحسان!  
يا من تلحن ، واللحون رديئة أقصِر ، فسوف تبوء بالبهتان  
ما أنت في هذا السّجال بأول وعلى نجاتك كنت أنت الجاني!  
وأراك لست بآخر في ذا البلا فليسوف تأتي طغمة بطعان  
والسّلم حاطمكم ، وهازم جنديكم ولسوف يغزو الحق كل مكان!  
لا لن تكون لباطل من نصرة! هذي وربك سنة الديان!  
سبقت شرادم أشربت من غيها فهل استمر الغي بعض زمان؟!  
لمن اللحون؟! ومن سيسمغها إذن؟! تبكي اللحون ترنم الكروان!  
إن كان تشجيكم لحون صاغها وبشّ يُعبّر عن هوى السّكران  
لا لن تُؤثر في الألى لم يؤمنوا لا لن تكون شرافة استهجان  
وكذاك لن ترقى بنا أحيانكم وهل النشاذ يطيب لالأذان؟!  
لمن اللحون استغرقت أموالكم وجهود غير مخلص متفاني؟!  
لحن ليس معك الغثاء تكلفاً واصحب لهزلك زمرة الأعوان!  
و(الرؤك) طاب ، وقد يُشارك (بؤبه)! و(الجاز) يُشبع شهوة الولهان!  
وخذ (الباز) لكي تُطرب من غفا مستأجراً فرقاً وبعض غواني

و(السُّول) و(الرِّيغتون) و(الفانك) اصطحبوا وعمد لعزف ملحن هيمان!  
وافزع إلى (التنكو) مع (الديسكو) الذي تهوى صداه مسامع الأخدان  
و(الفولك) و(السالسا) سبيك للهوى ليُفِيَقَ مَنْ حضروا من الغثيان  
هذي اللحون لعائن موقوتة ووجودها وفناؤها سياتان  
والله حافظ دينه وكتابه واستأثر التاريخ بالبرهان  
وأقول: للقرآن يارب انتصر من ينصر القرآن كالرحمن  
إننا عجزنا ربنا عن نصره فاحفظ القرآن ذو السُّبحان!

## الغربة ألم وأمل!

(قبل سنوات ، كتبت قصيدة: (من أرشيف الغربة) أبين فيها آلام الغربة وعذاباتها! ثم بدا لي أن أعيد النص بصياغة جديدة عنوانها: (الغربة ألم وأمل) أبين فيه ما ينبغي أن يدركه كل غريب! والحقيقة أن كل غريب لم يحدد أهداف غربته ، ولم يسع في تحقيق هذه الأهداف ، فعليه أن يدفع الثمن غالياً جداً! والصحبة في الغربة نوعان: نوع لديه من الشهامة والنجدة والمروءة ما يجعله يحمل عن صاحبه عبء الغربة وألمها! ونوع لديه من الخسة والوئسنة والندالة ما يجعله عبئاً ثقيلاً على صاحبه في غربته! والزكي العبقري من وضع أهداف غربته ، وسعى جاهداً في تحقيقها! باختصار: الغربة ألم وأمل! علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله.)

لم يجذ في الدار أسباب البقا وغريب الدار يضمنيه الشقا  
ضافت الدنيا على مستعفٍ قرر العيش على نهج التقى  
خاف أن يفتن في دين الهدى! فتنة الدين بلاء يتقى  
جنب النفس الدنيا والهوى بالغاً أسمى الصوى والمرقى  
واستمى بالروح عن أخزى الورى تالياً آياته قبل الرقى!  
لم يعيش يوماً عليهم عالية بل على من ساء ظناً أشفقا  
رغم إملاق تخلى بالعطا وفواد الشهم مغمور نقا!  
ثم لاحت غربة ينأى بها عن ديار ماله فيها بقا  
لم يحدّد - إن نوى - أهدافها غرب الدرب ، وهذا شرّقا  
خبط عشواء غدت خطواته ودروب الشهم زيدت عشاقا  
فارتأى في الصبح أصفى معشر! وارتأى في الأهل روضاً مورقا!  
خصّهم بالخير والحسنى معاً ناصحاً حيناً ، وحيناً منقفا  
فاتحاً بيتاً وقلباً للآلى أحسن الظن بهم والمنطقا  
فإذا بالصحب أعداء ، بدت منهم السواى ، وعز الملتقى  
لم تكن عنهم إشاعات ، فقد أثر المظالم أن يستوثقا  
في لقاء ود أن لو لم يكن! صُحبة خانت ، فما جدوى اللقا!؟

أعلموه الكيدَ تكوي ناره وإلخاء العذب فوراً أحرقوا!  
وإذا بالأهل أعوان العدا أشعلوا الحرب ، وقادوا الفيقة  
شيطنوا شهماً بنى أمجادهم ثم حاكوا للشقيق المأزقا  
راهنوا عمداً على تحطيمه وارتأوا فيه السفية الأحمقا  
كي يكون الكيد تبريراً لهم منطق في الكيد أمسى أخرقا  
يا غريباً لم يخن أو يرتذل لا تهن أن كنت أنت الأسبقا  
هذه الغربة لو تدري أبث أن تُعير العف صمتاً مطبقا  
أمل هذي له الأمله! أملاً أهديتكَ عذباً شيقا!  
كشفت قوماً بدت أغراضهم فتبصر ، بات هذا الأليقا  
أعلمتُك الحق حقاً ، فاتبع! إن فيما جئت خيراً غيدقا  
أعلمتُك النذل حتى يُزدرى ثم لا تلقاه حتى ينفقا!  
أعلمتُك الخب يسعدني الملا حاملاً - كي لا تراه - البيرقا  
أعلمتُك العبد بالقرآن لم يرتفع رأساً لكي يسترزقا  
أعلمتُك السبح في بحر الأذى إن علمت السبح لا لن تغرقا  
مده والجرز صاغا قصة سَردها يبغى لساناً أذلقا  
أعلمتُك الناس ما أوزانهم حُقق للجاهل أن يسـتـغرقا  
لم تكن تُدرك من أحوالهم! لم تكن تدري العدو الأزرقا  
لم يكن عقلك يدري كُنهم كان تفكيرك جـداً ضيقا  
أنت مسؤول عن البلوى عتت ثم أهديتكَ الجوى والمزلقا!  
فاسأل الرحمن تثبيتاً على منهج التقوى ، وعد أن تصدقا!

## ابن تيمية وخصومه!

(إنني أعتذر إليك يا ابن تيمية ، أن جاءت كتابتي عنك متأخرة! إلا إن الكتابة عن العظماء شرف كبير للكاتب وللشاعر وللناقد! ابن تيمية ذلك العلم الجهد العبقري الذي حير الناس في القديم والحديث! فمن هو ابن تيمية؟ وما عصره؟ ولماذا كل هذه الضجة حوله قديماً وحديثاً ومستقبلاً؟! ابن تيمية أو شيخ الإسلام ، هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، ولد رحمه الله بحرّان يوم الاثنين عاشر أو ثاني عشر ربيع الأول عام 661هـ ، ثم سافر به والده إلى دمشق ، واستوطنها عام 667هـ ، وتلقى العلم على والده وآخرين من مشيخة زمانه: كشرف الدين المقدسي الشافعي خطيب دمشق ومفتيها ، وتقي الدين الواسطي إبراهيم بن علي الصالحي الحنبلي ، والمنجا بن عثمان التنوخي الدمشقي وغيرهم ، وقد كان يمتاز بأمور أهمها: (قوة حافظته وسرعة إدراكه لما يسمع أو يقرأ! وحافظته على الوقت منذ صغره! وقوة تأثيره وحجته! وتبحره في علم المنقول والمعقول أصولاً وفروعاً في المسائل العلمية والعملية! وجهاده بالسيف والحجة ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فجهاده للنتار وأهل البدع والضلال معروف لا يخفى. وانفراده بمسائل علمية وعملية سببت له محناً وعداوات ومناظرات ، وسجن أكثر من مرة ومات في السجن - رحمه الله ورضي عنه - بسببها. ومن تلك المسائل: تحريمه لشدة الرحل لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدم وقوع الطلاق ثلاثاً لمن قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً... إلى غير ذلك. وكان في هذه المسائل مجتهداً نسأل الله جل وعلا أن يغفر لنا وله ولجميع علماء المسلمين ، ويجمعنا بهم في جنات ونهر في مقعد صدق عن مليك مقتدر. وقد توفي - رحمه الله - في القلعة في يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة عام: 728هـ! وبعد فهذه نبذة مختصرة مجملة عن شيخ الإسلام ، ومن أراد الوقوف على سيرته الحافلة فليراجع كتب التراجم. لقب شيخ الإسلام هو لقب يطلق على كل علامة متبحر في العلوم الشرعية الإسلامية ، وله دراية وريادة بين علماء الإسلام فهذا اللقب يطلق على العالم الكبير الثقة المتبحر في العلوم الشرعية الإسلامية ، وتختلف إطلاقات هذا اللقب بحسب أتباع العالم ؛ وأشهر من حمل لقب شيخ الإسلام هو شيخ الإسلام ابن تيمية! جاء في الويكيبيديا عن ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بتصريف كبير ما نصه:- (شيخ الإسلام الإمام ، ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية النُميري الحرّاني. هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة. وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثالث الأول من القرن الثامن الهجري. نشأ ابن تيمية حنبلي المذهب فأخذ الفقه الحنبلي وأصوله عن أبيه وجده ، كما كان من الأئمة المجتهدين في المذهب. فقد كان يفتي في العديد من المسائل على خلاف معتمد الحنابلة لما يراه موافقاً للدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف. وُلد ابن تيمية سنة 661 هـ المُوافقة لسنة 1263م في مدينة حرّان للفقهاء الحنبلي عبد الحلیم ابن تيمية و«سِتّ النعم بنت عبد الرحمن الحرّانية» ، ونشأ نشأته الأولى في مدينة حران. بعد بلوغه سن السابعة ، هاجرت عائلته منها إلى مدينة دمشق بسبب إغارة التتار عليها وكان ذلك في سنة 667 هـ. وحال وصول الأسرة إلى هناك بدأ والده عبد الحلیم ابن تيمية بالتدريس في الجامع الأموي وفي «دار الحديث السُّكرية». أثناء نشأة ابن تيمية في دمشق اتجه لطلب العلم ، ويذكر المؤرخون أنه أخذ العلم من أزيد من مائتي شيخ في مختلف العلوم منها التفسير والحديث والفقه والعربية. وقد شرع في التأليف والتدريس في سن السابعة عشرة. بعد وفاة والده سنة 682 هـ بفترة ، أخذ مكانه في التدريس في «دار الحديث

السُّكَّرِيَّة» ، بالإضافة إلى أنه كان لديه درس لتفسير القرآن الكريم في الجامع الأموي ودرس «بالمدرسة الحنبلية» في دمشق! واجه ابن تيمية السجن والاعتقال عدة مرات ، كانت أولها سنة 693 هـ/1294م ، بعد أن اعتقله نائب السلطنة في دمشق لمدةٍ قليلةٍ ، بتهمة تحريض العامة ، وسبب ذلك أن ابن تيمية قام على أحد النصارى الذي بلغه عنه أنه شتم النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - . وفي سنة 705 هـ/1306م ، سُجِن في القاهرة مع أخويه «شرف الدين عبد الله» و«زين الدين عبد الرحمن» ، مدة ثمانية عشر شهراً إلى سنة 707 هـ/1307م ، بسبب مسألة العرش ومسألة الكلام ومسألة النزول. وسجن أيضاً لمدة أيام في شهر شوال سنة 707 هـ/1308م ، بسبب شكوى من الصوفية ، لأنه تكلم في القائلين بوحدة الوجود وهم ابن عربي وابن سبعين والقونوي والحلاج. وتم الترسيم عليه في سنة 709 هـ/1309م ، مدة ثمانية أشهر في مدينة الإسكندرية ، وخرج منه بعد عودة السلطان الناصر محمد بن قلاوون للحكم. وفي سنة 720 هـ/1320م ، سُجِن بسبب «مسألة الحلف بالطلاق» نحو ستة أشهر. وسجن في سنة 726 هـ/1326م حتى وفاته سنة 728 هـ/1328م ، بسبب مسألة «زيارة القبور وشد الرحال لها». وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تعرض للمضايقات من الفقهاء المتكلمين والحكام بسبب عقيدته التي صرح بها في الفتوى الحموية في سنة 698 هـ/1299م ، والعقيدة الواسطية في سنة 705 هـ/1306م ، التي أثبت فيهما الصفات السمعية التي جاءت في الكتاب والسنة مثل اليد والوجه والعين والنزول والاستواء والفوقية ، مع نفي الكيفية عنها. عاصر ابن تيمية غزوات المغول على الشام ، وقد كان له دور في التصدي لهم ، ومن ذلك أنه التقى 699 هـ/1299م بالسلطان التتري «محمود قازان» بعد قدومه إلى الشام ، وأخذ منه وثيقة أمان أجلت دخول التتار إلى دمشق فترة من الزمن. ومنها في سنة 700 هـ/1300م حين أشيع في دمشق قصد التتار الشام عمل ابن تيمية على حث ودفع المسلمين في دمشق على قتالهم ، وتوجهه أيضاً إلى السلطان في مصر وحثه هو الآخر على المجيء لقتالهم. إلا أن التتار رجعوا في ذلك العام. وفي سنة 702 هـ/1303م اشترك ابن تيمية في «معركة شقحب» ، التي انتهت بانتصار المماليك على التتار ، وقد عمل فيها على حث المسلمين على القتال ، وتوجه إلى السلطان للمرة الثانية يستحثه على القتال فاستجاب له السلطان. وقد أشيع في ذلك الوقت حكم قتال التتار حيث أنهم يظهرون الإسلام فأفتى ابن تيمية بوجوب قتالهم ، وأنهم من الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام. وخرج ابن تيمية أيضاً مع نائب السلطنة في دمشق في سنة 699 هـ/1299م وفي سنة 704 هـ/1305م ، وفي سنة 705 هـ/1305م لقتال أهل «كسروان» و«بلاد الجرد» من الإسماعيلية والباطنية والحاكمية والنصيرية ، وقد ذكر في رسالة للسلطان أن سبب ذلك هو تعاونهم مع جيوش الصليبيين والتتار. ظهر أثر ابن تيمية في أماكن مختلفة من العالم الإسلامي ، فقد ظهر في الجزيرة العربية في حركة محمد بن عبد الوهاب ، وظهر أثره في مصر والشام في محمد رشيد رضا من خلال الأبحاث التي كان ينشرها في «مجلة المنار» ، وظهر تأثيره في المغرب العربي في الربع الثاني من القرن العشرين عند عبد الحميد بن باديس وفي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وانتقل تأثيره إلى مراكش على أيدي الطلبة المغاربة الذين درسوا في الأزهر. وهناك من يقول أن تأثيره في مراكش أقدم حينما ظهر تأييد السلطانين محمد بن عبد الله وسليمان بن محمد لحركة محمد بن عبد الوهاب ، وأنه ظهر في موجة ثانية في أوائل القرن العشرين على يد كل من القاضي محمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي. وفي شبه القارة الهندية فقد وصلت آراؤه إلى هناك مبكراً في القرن الثامن الهجري بعد قدوم بعض تلاميذه إليها ، منهم

«عبد العزيز الأردبيلي» و«علم الدين سليمان بن أحمد الملتاني» واختفى أثره فيها إلى القرن الحادي عشر الهجري ، ، حتى ظهرت «الأسرة الدهلوية» ومنها ولي الله الدهلوي وابنه عبد العزيز الدهلوي وإسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الذين كانوا كلهم متأثرين بابن تيمية. ومن المتأثرين به النواب صديق حسن خان القنوجي البخاري ونذير حسين الدهلوي وعبد الرحمن المباركفوري وشمس الحق العظيم آبادي ، بالإضافة إلى شبلي بن حبيب الله النعماني وأبو الكلام آزاد. وأما عن سبب تسميته بابن تيمية ، فقد جاء في سبب هذه التسمية عدة أقوال: ف قيل أن جده محمد بن الخضر حج وله امرأة حامل ، وعندما كان على درب تيماء ، رأى جارية طفلة خرجت من خباء ، فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد ولدت بنتاً ، فلما رآها قال: يا تَيْمِيَّةُ يا تَيْمِيَّةُ ، فأُقب بذلك. والقول الآخر هو أن محمد بن الخضر هذا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة ، فُنسب إليها ، و عُرف بها. وتمتد شجرة أعلام ومشاهير آل تيمية من القرن السادس إلى التاسع الهجري. فلقد نشأ ابن تيمية نشأته الأولى في مدينة حرَّان ، إلى أن بلغ السابعة من عمره ، وعندما أغار عليها التتار هاجرت عائلته منها سنة 667 هـ إلى مدينة دمشق ، وعند وصول آل تيمية واستقرارهم فيها ، لم تمر إلا فترة قصيرة حتى بدأ والد ابن تيمية عبد الحلیم بن تيمية بالتدريس في الجامع الأموي ، وتولى مشيخة «دار الحديث السكرية». وأما والدته فهي ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية ، عَمَّرت فوق السبعين سنة (أو التسعين سنة) ، يقول عنها المؤرخون: «كان لها المكاة العظيمة في نفس شيخ الإسلام رحمه الله ، يدل على هذه المكاة تلك الرسالة التي أرسلها إليها من سجنه في القاهرة ، والتي امتلأت بالمشاعر الجياشة ، والمحبة العظيمة التي كان يكنها لها رحمها الله تعالى». وكانت أمه ست النعم على قيد الحياة عند عودته من مصر في سنة 712 هـ. وتوفيت في يوم الأربعاء 20 شوال سنة 716 هـ ودفنت بالصوفية ، ويقال أنه حضر جنازتها «خلق كثير ، وجمع غفير». حفظ ابن تيمية القرآن في صغره ، واتجه بعد حفظ القرآن بدراسة الفقه والأصول وعلوم اللغة العربية وتفسير القرآن وأصول الفقه والفرانض والخط والحساب والجبر والمقابلة ، والحديث ، وكان أول كتاب حفظه في الحديث «الجمع بين الصحيحين» للحميدي ؛ يقول الحافظ ابن رجب: «عني بالحديث ، وسمع "المسند" مرات ، والكتب الستة ، و"معجم الطبراني الكبير".» وتلقى الفقه الحنبلي على يد والده. سمع ابن تيمية من أزيد من مئتي شيخ كما يذكر جُلُّ المؤرخين ، ومنهم: العلامة ابن عبد الدائم المقدسي ، وابن أبي اليسر ، والكمال بن عبد ، وشمس الدين ابن أبي عمر الحنبلي ، وشمس الدين بن عطاء الحنفي ، وجمال الدين يحيى ابن الصيرفي ، والمؤرخ مجد الدين ابن عساكر ، والنقيب المقداد ، وأحمد بن أبي الخير الحداد ، والمسلم بن علان ، وأبو بكر الهروي والكمال عبد الرحيم ، وفخر الدين بن البخاري ، وابن شيبان ، والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكي ، وست العرب الكندية ، واللغوي أبو محمد بن عبد القوي في اللغة العربية ، وتاج الدين الفزاري ، وزين الدين بن المنجي ، والقاضي الخويي ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاسم الإربلي ، وعبد الحلیم بن عبد السلام (والده) ، وشرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد المقدسي ، وجمال الدين البغدادي ، وإبراهيم بن الدرجي ، وعلي بن بلبان ، ويوسف بن أبي نصر الشقاوي ، وعبد الرحمن بن أحمد العاقوسي ، ورشيد الدين محمد بن أبي بكر العامري ، وبدر الدين بن عبد اللطيف خطيب حماة ، وتقي الدين مُزير ، وتاج الدين أحمد بن مزير ، وجمال الدين أحمد بن أبي بكر الحموي. شرع ابن تيمية في التدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة بالإضافة إلى أنه قد بدأ في هذا السن بالتأليف أيضاً. وكان العالم كمال الدين أحمد بن نعمة

المقدسي ممن أذن لابن تيمية بالإفتاء ؛ وذكر المؤرخون أنه كان يفتخر بذلك ويقول: أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء. وما إن بلغ ابن تيمية من عمره 22 سنة حتى توفي والده عبد الحلیم ابن تيمية في سنة 682 هـ ، وحدث فراغ كبير في مشيخة التدريس بدار الحديث السكرية. فخلفه ابنه أحمد ابن تيمية فيها ، وكان ذلك في 2 محرم 683 هـ. يذكر المؤرخون بأن علماء كثر قاموا بحضور الدرس الأول لابن تيمية وأنه نال إعجابهم ، وكان من هؤلاء العلماء بهاء الدين بن الزكي الشافعي ، وتاج الدين الفزاري ، وزين الدين بن المرغل ، وزين الدين بن المنجا الحنبلي وبعض علماء الحنفية. وفي العاشر من صفر جلس ابن تيمية بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة للتلخيص. وأما طريقته في إلقاء دروسه ، فقد وصف بأنه كان يجلس بعد أن يصلي ركعتين ، ويحمد الله ويصلي على النبي ، فيبدأ بدرسه من حفظه ، وكان يغمض عينيه عند الحديث. وكان يتكلم على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، ويورد أيضاً في حديثه من القرآن والسنة واللغة والنظر. بالإضافة إلى تدريسه في دار الحديث السكرية وتفسيره القرآن الكريم في الجامع الأموي فقد تولى التدريس بالمدرسة الحنبلية خلفاً للعالم زين الدين بن المنجا الحنبلي ، ثم تنازل عن التدريس فيها بعد فترة طويلة لعدم تفرغه وكثرة أسفاره بين الشام ومصر ، وانشغاله بمحاربة التتار ، وإعداد الناس لمجابهتهم ، وكان أول يوم في تدريسه بالمدرسة الحنبلية في 17 شعبان سنة 695 هـ ، وقد تركها بعد تنازله عنها لشمس الدين بن الفخر البعلبكي. وبعد قدومه إلى دمشق سنة 712 هـ بعد أن غاب عنها فوق سبع سنين ، أكمل تدريسه بمدرسة السكرية والحنبلية. وعندما بلغ ابن تيمية في سنة 693 هـ ، أن أحد النصاري ويدعى «عساف النصراني» قد قام بسب الرسول محمد ، فأوى عساف إلى أحد العلويين لحمايته ، إلا أن ابن تيمية ذهب مع شيخ دار الحديث إلى نائب السلطنة في دمشق ، وهناك خاطبه في الأمر ، فقام باستدعاء عساف النصراني ، فخرجا من عنده مع جماعة من الناس. فعندما رأى الناس عسافاً ومعه رجل بدوي قاموا بسبه وشتمه ، فقال الرجل البدوي: هو خير منكم - يعني عساف - فرجمهما الناس بالحجارة وأصابت عسافاً. فأرسل نائب دمشق بطلب ابن تيمية وشيخ دار الحديث ، فضربهما بين يديه لأنهما اتهما بتحريض العامة ، ثم أسلم عساف بعد أن أثبت براءته واعتذر نائب السلطنة لابن تيمية وشيخ دار الحديث. وقام ابن تيمية بعد ذلك بكتابة "الصارم المسلول على شاتم الرسول". وبعد ذلك بدأت مسألة الفتوى الحموية في سنة 698 هـ ، بعد أن أرسل أهل مدينة حماة لابن تيمية استفتاءً في الصفات التي وصف الله بها نفسه في القرآن ، فأجابهم ابن تيمية بالرسالة الحموية ، وقد خالف في الرسالة منهج الأشاعرة والمتكلمين. يقول ابن كثير: "قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي فلم يحضر ؛ فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة "بالحموية" ، فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان ، وأرسل يطلب الذين قاموا عليه ، فاختلف كثير منهم ، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة ، فسكت الباقون ، فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته ، وفسر في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين القزويني صبيحة يوم السبت ، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ، وبحثوا في "الحموية" وناقشوه في أماكن منها ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير ، ثم قام الشيخ تقي الدين ، وقد تمهدت الأمور وسكنت الأحوال ، وكان القاضي إمام الدين معتقده حسن ومقصده صالح". وعندما جاء التتار إلى الشام في سنة 699 هـ وهزموا الناصر بن قلاوون ، فقصودوا دمشق بعد ذلك ؛ فقام ابن تيمية بالاجتماع بأعيان البلد للمسير إلى قازان سلطان التتار ، لأخذ الأمان منه لأهل دمشق.

فاجتمعوا مع قازان بتاريخ 3 ربيع الآخر سنة 699 هـ في بلدة النبك ، فكلمه ابن تيمية حول مطلبهم ، فاستجاب له قازان وأعطاهم وثيقة أمان ، وقد أجلت هذه المقابلة دخول التتار إلى دمشق حتى حين. وقد قال ابن تيمية لقازان أثناء لقائه: «أنت تزعم أنك مسلم ، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين ، وما عملا الذي عملت عاهدا فوفيا ، وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت ، وجُزت.» وعلى الرغم من حصول أهل دمشق على وثيقة الأمان ، إلا أن التتار كانوا مستمرين في نهب المدينة ، وقد عين التتار «سيف الدين قبجق» حاكما على الشام ، فحاول أن يحمل نائب قلعة دمشق على تسليمها إلا أنه رفض بتحريض من ابن تيمية. يقول ابن كثير: «فإن الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك: "لو لم يبق فيها إلا حجر واحد ، فلا تسلمهم ذلك إن استطعت" ، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام ، فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذي جعله الله حرزا لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم.» وبعد ذلك استمر التتار بالقتل والسبي ، فخرج ابن تيمية مرة أخرى لمقابلة قازان في يوم 20 ربيع الآخر 699 هـ إلا أنه لم يستطع الاجتماع به. خرج ابن تيمية لاحقاً للقاء أحد قادة التتار فاجتمع به ، لفكاه من كان معه من أسرى المسلمين ، فاستنفذ كثيراً منهم من أيديهم. وفي شهر رجب سنة 699 هـ ، وصل خبر بخروج الجيوش المصرية والسلطان محمد بن قلاوون إلى الشام لإنقاذها من أيدي التتار ، فقام ابن تيمية فوراً بالخروج مع أصحابه على الخمارات والحانات ، وعملوا على تكسير أواني الخمر ، وإراقة الخمر وعزروا جماعة من أهل الحانات. وفي يوم 20 شوال سنة 699 هـ خرج جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق بجيشه إلى جبال الجرد وكسروان ، فخرج معه ابن تيمية ومعه جماعة من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية ، وسبب ذلك أنهم أزرروا الجيش التتاري وعملوا على إبداء الجنود المسلمين ونهبهم وأخذ أسلحتهم وخيولهم ، وقتلوا كثيراً منهم. فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤسائهم إلى ابن تيمية ، فاستتابهم ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال. وفي مطلع شهر صفر سنة 700 هـ وردت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، وعزمهم على دخول مصر ، فخاف الناس وشرعوا في الهرب ، وارتفعت الأسعار. فجلس ابن تيمية بمجلسه في الجامع وحرص الناس على القتال ونهى عن الإسراع في الفرار. وتابع المجالس في ذلك. ونودي في البلاد: لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة ، فتوقف الناس عن السير وسكن جاشهم. وفي شهر جمادى الأولى قوي الإرجاف بأمر التتار ، وجاء الخبر بأنهم اقتربوا ، وخرج ابن تيمية في هذا الشهر إلى نائب الشام وجنوده ، فثبتهم ، ووعدهم بالنصر على التتار. ثم عاد إلى دمشق ، وقد سأله النائب والأمراء أن يذهب إلى مصر ليستحث السلطان على المجيء. فذهب إلى مصر ، وقال له فيما قال: «لو قدر إنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه ، واستنصركم أهله ، وجب عليكم النصر فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه ، وهم رعاياكم ، وأنتم مسؤولون عنهم.» وقوى ابن تيمية جأش السلطان ، وظل يحرض الناس على الجهاد ، ومقاومة التتار. فخرج الجنود إلى الشام ففرح الناس بهم. وبعد تحقق عودة السلطان إلى مصر وقد قويت الأراجيف بوصول التتار ، ونادى ابن النحاس متولي البلد في الناس: «من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق» ؛ ففر الناس ، ولم يبق بدمشق إلا القليل ، وخرج الناس للجهاد ، ورجع ابن تيمية من مصر بعد أن أقام فيها ثمانية أيام وبشر الناس باستعداد سلطان مصر للجهاد ، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار رجع في ذلك العام. ويذكر عدد من المؤرخين أن ابن تيمية وخلال رحلته هذه إلى مصر قابل «أبا حيان النحوي» ،





ساحته مما نسب إليه". وفي يوم 5 رمضان سنة 705 هـ طلب السلطان ركن الدين بيبرس ابن تيمية إلى مصر ، فتوجه إليها فدخلها في يوم 22 رمضان ، فعقد له مجلس بالقلعة ، وقد اجتمع فيها القضاة وأكابر الدولة. وأراد ابن تيمية الكلام إلا أنه لم يُسمح له ، وادعى عليه ابن مخلوف المالكي أنه يقول «إن الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت». فسأله القاضي عن ذلك ، فأخذ ابن تيمية يبدأ حديثه في حمد الله والثناء عليه ، فقيل له: أجب ، ما جننا بك لتخطب ، فقال: ومن الحاكم فيّ إذن؟! قيل له: القاضي المالكي ، قال: كيف يحكم في وهو خصمي وغضب غضباً شديداً وانزعج. فأصدر حكمه عليه ، وحُبس ابن تيمية في برج أياماً ، ثم نُقل مع أخويه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن ، إلى الحبس المعروف باسم «الجُب» في ليلة عيد الفطر. وفي ليلة عيد الفطر سنة 706 هـ أحضر الأمير «سيف الدين سلار» نائب مصر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وجماعة من الفقهاء ، وتكلموا في إخراج ابن تيمية من الحبس ، فاشتراط بعض الحاضرين شروطاً في ذلك ، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة ، فامتنع ابن تيمية عن الحضور ، وتكررت الرسل إليه ست مرات إلا أنه صمم على عدم الحضور ، فطال عليهم المجلس ، فانصرفوا من غير شيء. وفي يوم 14 صفر سنة 707 هـ اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بابن تيمية ، وطال بينهما الكلام ، وابن تيمية مصمم على عدم الخروج. وفي يوم 23 ربيع الأول من سنة 707 هـ ذهب الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى ابن تيمية في الحبس ، فأقسم عليه بالخروج والذهاب إلى دار «سيف الدين سلار» ، فخرج ابن تيمية من السجن بعد أن مكث فيه نحو ثمانية عشر شهراً ، واستقر المقام بابن تيمية في مصر. وبقي ابن تيمية بعد خروجه من السجن في مصر ، وكان يتنقل بين المساجد والمجالس العامة ، بهدف نشر العلم. وفي شهر شوال سنة 707 هـ اشتكى الصوفية بالقاهرة على ابن تيمية عند السلطان ، وسبب ذلك أن ابن تيمية تكلم في الاتحادية القائنين بوحدة الوجود وهم ابن عربي وابن سبعين والقونوي والحلاج! فأمر السلطان بعقد مجلس في دار العدل فعقد له مجلس في 10 شوال سنة 707 هـ فظهر ابن تيمية عليهم. فادعى ابن عطاء الله السكندري بأشياء فلم يثبت منها شيء ، وكان ابن تيمية قد قال إنه لا يستغاث إلا بالله وحتى لا تصح الاستغاثة بالنبي محمد ، فقال الحاضرون ليس في هذا شيء ، ورأى قاضي القضاة أن هذا فيه قلة أدب. وتضجرت الحكومة من هذه الإثارات والشكاوي ، فخيروا ابن تيمية بين ثلاثة أمور: إما أن يسير إلى دمشق التي هي موطنه ، أو يقيم في الإسكندرية بشروط ، أو يختار الحبس ، فاختار ابن تيمية الحبس ، إلا أن تلاميذه أحووا عليه بالمسير إلى دمشق ، فقبل ذلك ، وتوجه إليها في ليلة 18 شوال سنة 707 هـ ، ثم ردّ من الغد إلى مصر ، وقيل له: إن الدولة ما ترضى إلا بالحبس ، ولم يكن القضاة على اتفاق في حبسه فاختلفت الآراء بينهم ، إلا أن ابن تيمية قال: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة ، فأرسل إلى حبس القضاة وجعلوا عنده من يخدمه. ثم عُقد له مجلس بالصالحية بعد ذلك ، ونزل ابن تيمية بالقاهرة وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً! وفي سنة 708 هـ اعتزل السلطان الناصر محمد بن قلاوون السلطنة ، وقد كان السلطان الناصر معجباً بابن تيمية الذي سبق أن حمله على مقاومة التتار. وتخلّى عن العرش لصالح بيبرس الجاشنكير ، وقد كان «نصر المنبجي» شيخ الجاشنكير يكن العداوة لابن تيمية ، وفور حدوث هذا التغيير صدر مرسوم ملكي بسعي من نصر المنبجي لنفي ابن تيمية إلى الإسكندرية ، وحبسه هناك. فأرسل ابن تيمية إلى الإسكندرية في آخر أيام شهر صفر من سنة 709 هـ ، ويقول المؤرخون أن الغرض من إرساله إلى هذه المدينة التي كانت تعتبر مركز

التصوف والصوفية القديم ، هو أن يتصدى له بعض من يغتاله. وقد كان واحدا من أسباب هذه العداوة ضد ابن تيمية أنه كان ينال من الجاشنكير وشيخه نصر المنبجي ، ويقول: زالت أيامه وانتهت رياسته ، وقرب انقضاء أجله ، ويتكلم فيهما وفي ابن عربي وأتباعه. وأقام ابن تيمية في الإسكندرية مدة ثمانية أشهر ، وأخذ يلقي فيها الدروس ، ويعظ الناس ، وجاء تفصيل أعمال ابن تيمية في الإسكندرية في كتاب كتبه أخوه المقيم معه شرف الدين إلى الشام: "إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط ، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها ويكيدون الإسلام وأهله ، وكانت تلك كرامة في حقنا ، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وأمسوا وما زالوا عند الله وعند الناس العارفين سود الوجوه يتقطعون حشرات وندما على ما فعلوا ، وانقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين وذلك شجي في حلق الأعداء واتفق أنه وجد بالإسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأضل بها فرق السبعينية والعربية فمزق الله بقدمه عليهم شملهم ، وشتت جموعهم شذر مذر ، وهتك أستارهم وفضحهم ، واستتاب جماعة كثيرة منهم ، وتوب رئيساً من رؤسائهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفقهه ، ومفتٍ وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شذ من الأعمار الجهال ، مع الذلة والصغار - محبة الشيخ وتعظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه ، فعلت كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولعنوا سراً وجهراً وباطناً وظاهراً ، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم ، وصار ذلك عند نصر المنبجي المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه". وعند رجوع السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة (ومقتل بيبرس الجاشنكير) وجه إليه فوراً في 2 شوال سنة 709 هـ يطلبه إلى مصر ، فقدم ابن تيمية إليها في 8 شوال واستقبله السلطان. ثم أقام في القاهرة إلى سنة 712 هـ يفتي ويدرس فيها. وبعد عودة ابن تيمية من مدينة الإسكندرية إلى القاهرة استقر بها مدة ثلاث سنوات ، وقد بقي خلال هذه الفترة منصرفاً إلى العلم والفتيا والدراسة. وفي يوم 14 رجب سنة 711 هـ انفردت به جماعة بتحريض من خصومه وامتدت إليه أيديهم بالضرب ، فتجمع أهالي الحسينية ليثأروا له إلا أنه ردهم وقال بعد أن أحووا: «إما أن يكون الحق لي أو لكم ، فإن كان الحق لي فهم في حل منه ؛ وإن كان لكم ، فإن لم تسمعوا مني ولم تستفتوني فافعلوا ما شئتم ، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه إن شاء.» وفي نفس الشهر اعتدى عليه أحد الفقهاء بالقول إلا أن ابن تيمية سامحه. وكان لابن تيمية أيضاً خلال تواجده في مصر اتصال بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون فكان يشير عليه في بعض الأمور. وقد سأله السلطان أيضاً بعد عودته من الإسكندرية قتل بعض القضاة الذي أدوا ابن تيمية وسبق أن خلعه من السلطنة ، إلا أن ابن تيمية رفض ذلك وقال: من أداني فهو في حل ، ومن أدى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، وأنا لا انتصر لنفسي. فكان ابن مخلوف المالكي يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرصنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا. وفي شهر شوال سنة 712 هـ أعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون جيشاً لملاقاة التتار ، فخرج ابن تيمية مع الجيش بنية الجهاد ، إلا أن الأخبار وصلت برجوع التتار ، فترك الجيش وتوجه لمدينة دمشق فدخلها في شهر ذي القعدة بعد أن غاب عنها مدة سبع سنين. وعاد ابن تيمية إلى دمشق واستمر في وظيفته القديمة ، فرجع للتدريس والإفتاء والتأليف ، وكان استقراره عاملاً له على الانصراف للبحث والتنقيب في مسائل العقيدة ودراسة الأحكام الفقهية وفروعها خصوصاً ، وكان من نتيجة ذلك ترجيحه في بعض مسائل الأحكام ما يخالف

الفقهاء. وكانت إحدى المسائل التي خالف فيها الأئمة الأربعة والمذهب المشهور ، هي «مسألة الحلف بالطلاق» ، وقد استنكر الفقهاء ذلك ، وجأهروا باستنكارهم. وفي منتصف شهر ربيع الأول سنة 718 هـ اجتمع به قاضي القضاة «شمس الدين بن مسلم الحنبلي» وأشار عليه في ترك الإفتاء بالمسألة فقبل ابن تيمية نصيحته. وفي شهر جمادى الأولى من سنة 718 هـ وصل كتاب من السلطان فيه منع ابن تيمية من الإفتاء في المسألة ، ونودي بذلك في البلد. ثم عاد ابن تيمية إلى الإفتاء بذلك من جديد وقال: لا يسعني كتمان العلم. ولما علم السلطان أن ابن تيمية عاد للإفتاء في المسألة ، أرسل كتاباً آخر ، قرئ في يوم 29 رمضان سنة 719 هـ وفيه فصل خاص بابن تيمية يؤكد المنع ، وقد حضر ابن تيمية وعوتب في ذلك ، وكان ذلك في مجلس جمع الكثير من القضاة والفقهاء. واستمر ابن تيمية في الإفتاء في مسائل الطلاق ، فانعقد مجلس في يوم 22 رجب سنة 720 هـ بدار الحكم بحضور نائب السلطنة ، واجتمع فيه القضاة والمفتون من المذاهب ، وحضر ابن تيمية ، وعاتبوه على العود إلى الإفتاء بالمسألة ، ثم حُبس في القلعة. واستمر محبوساً خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وأُفرج عنه بأمر من السلطان في يوم 10 محرم سنة 721 هـ. وعكف ابن تيمية من عام 721 هـ إلى عام 726 هـ ، خمس سنين بالتدريس والإفتاء والتأليف والوعظ ، في «مدرسة الحنبلية» أو في «المدرسة السكرية» ، وقام في هذه الفترة بإعادة النظر في مؤلفاته ورسائله القديمة. وفي سنة 726 هـ وقع الكلام في مسألة «شد الرحال وإعمال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين» بسبب العثور على جواب لابن تيمية قد كتبه قبل سبع عشرة عاماً ، يتضمن الجواب القولين الواردين في المسألة وترجيحه لأحدهما. فكثر الانتقاد عليه ، حتى اعتُقل في يوم 6 شعبان سنة 726 هـ بقلعة دمشق بمرسوم من السلطان فأظهر ابن تيمية الفرح والسرور بذلك ، وقال: أنا كنتُ منتظراً لذلك ، وهذا فيه خيرٌ كثير ومصلحة كبيرة. وفي 10 شعبان قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا. وفي منتصف شهر شعبان أمر قاضي القضاة الشافعي بحبس جماعة من أصحاب ابن تيمية في سجن الحكم ، وعزر جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أطلقوا ، سوى ابن قيم الجوزية فإنه حُبس بالقلعة. يقول ابن كثير «ثم في يوم الخميس [11 ذي القعدة 726 هـ] دخل إليه القاضي جمال الدين بن جُملة وناصر الدين مشد الأوقاف ، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة فكتب ذلك في دَرَج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق: "قابلتُ الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح... إلى أن قال: وإنما المُحرف جعله زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع مقطوعاً». فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام ، فإنَّ جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحال والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجهة في الفتيا ، ولا قال: إنها معصية ، ولا حكى الإجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ولا تخفى عليه خافية ، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ". وقد نقل ابن عبد الهادي في كتابه «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» عدداً من الرسائل التي أرسلها مجموعة من العلماء من بغداد ومن الشام إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فيها تصويب ما أجاب به ابن تيمية ، وتبيين تحريف الرسالة التي سُنن بسببها ، وقد جاء في أحد الكتب

المُرسلَة من بغداد: "لما قرع أسمع أهل البلاد المشرقية والنواحي العراقية التضييق على شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية سلمه الله ، عظم ذلك على المسلمين ، وشق على ذوي الدين ، وارتفعت رؤوس الملحدين ، وجابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية ، عظم هذه النازلة من شماتة أهل البدع وأهل الأهواء ، بأكابر الفضلاء وأئمة العلماء ، أنهوا حال هذا الأمر الفظيع والأمر الشنيع إلى الحضرة الشريفة السلطانية زادا الله شرفاً ، وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب به الشيخ سلمه الله في فتاواه ، وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه ، وحملوا ذلك إلى بين يدي مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وضاعف اقتدائه غيرة منهم على هذا الدين ونصيحة للإسلام وأمراء المؤمنين". وعندما اعتقل ابن تيمية في يوم 6 شعبان سنة 726 هـ ، أظهر السرور بانتقاله إلى القلعة. ولما انتقل إليها عكف على العبادة وكثرة قراءة القرآن ، وعمل المطالعة وتنقيح كتبه ؛ وقد كتب خلال هذه الفترة كثيراً من تفسير القرآن ، وعمل أيضاً على التأليف ، والرد على بعض المسائل ، وكانت تصل إليه من الخارج الأسئلة العلمية والفقهية. ومن بين ما كتبه في الحبس رسالة اسمها «الأخنائية» في الرد على أحد القضاة المالكيين في مصر القاضي «عبد الله بن الأخنائي». فاشتكى القاضي للسلطان ، فأصدر السلطان مرسوماً بمصادرة جميع ما عند ابن تيمية من أدوات الكتابة والكتب حتى لا يستعين بها في التأليف والكتابة ، وفي 9 جمادى الأولى سنة 728 هـ صودرت جميع أدوات الكتابة منه ، ومنع منعاً باتاً من المطالعة ، وفي مستهل شهر رجب 728 هـ حُملت مسوداته وأوراقه من المحبس إلى المكتبة العادلية الكبرى ، وكانت نحو ستين مجلداً من الكتب وأربع عشرة ربطة كراريس. ويذكر أن ابن تيمية بعد مصادرة أدوات الكتابة منه ، بدأ يكتب بالفحم على أوراق متناثرة ، وقد حفظ التاريخ بعض هذه الكتابات! وأخيراً ، توفي ابن تيمية في 20 ذو القعدة/22 ذو القعدة سنة 728 هـ ، وذلك في حبسه في قلعة دمشق وقد بلغ من العمر 67 سنة بعدما استمر به مرضه قرابة الثلاثة أسابيع. وما أن وصل الخبر إلى أهالي دمشق ، حتى اجتمع حشد كبير منهم حول القلعة ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخاصة والعامة. وصلى عليه صلاة الجنازة بالقلعة «الشيخ محمد بن تمام» وأخرجت الجنازة بعد الصلاة ، وامتلأت الطرقات بين القلعة والمسجد بالناس ، وحضرت الجنازة قبل الظهر للجامع ، وصلى عليه عقب صلاة الظهر في الجامع الأموي ، وقد صلى عليه «الشيخ علاء الدين الخراط». ووضعت الجنازة وهي في طريقها إلى المقبرة بسوق الخيل بسبب كثرة الناس فصلي عليه هناك ، وتقدم للصلاة عليه أخوه «زين الدين عبد الرحمن» ، ثم حُملت الجنازة إلى مقبرة الصوفية ودُفن بجانب أخيه «شرف الدين عبد الله» ، وكان دفنه قبل العصر بقليل بسبب كثرة من يأتي ويصلي عليه. يُقدر عدد من حضر إلى جنازة ابن تيمية (حسب علم الدين البرزالي) من الرجال من بين ستين ألفاً إلى مائة ألف وإلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف ، وقُدرت أعداد النساء بخمسة عشر ألف امرأة عدا من كن على الأسطح. ويذكر أبو الحسن الندوي أنه قد زار القبر في سنة 1370 هـ/1956م وأن آثار مقبرة الصوفية قد زالت وقامت عليها الجامعة السورية ، إلا أن قبر ابن تيمية لا يزال باقياً أمام قاعة الجامعة السورية وعمارة مستشفى الولادة). هـ. هذا هو ابن تيمية – رحمه الله – ذلك العالم الذي كانت حياته بين التدريس والإفتاء والمناظرات والمحاكمات والاعتقالات والسجون والجهاد بالسيف! ثم لا يعجب اليوم وأمس وغداً حفنة من الجهلاء السفهاء الذين لم يعلموا علمه ، ولم يُفتوا فتاويه ، ولم يجتهدوا اجتهاده ، ولم يُناظروا مناظراته ، ولم يُحاكموا محاكماته ، ولم يعتقلوا اعتقالته ، ولم يُسجنوا سجنه ، ولم يجاهدوا جهاده! رجل كان تعويله

على الاعتماد على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف. وفهم النصوص على مراد الله وعلى مراد الرسول مستيعناً بفهم السلف لذلك ، فقد كان يرى أن الشريعة أصلها القرآن وقد فسره النبي ، والذين تلقوا ذلك التفسير من النبي هم الصحابة ثم ألقوها إلى التابعين. وقد اتصف منهجه بالاهتمام بأقوال ومفاهيم السلف وعلى الأخص القرون الثلاثة الأولى. وكان دأبه عدم التعصب لمذهب معين ، والدعوة إلى فقه في الدين ونبذ الجمود ، حيث كان لا يتبع غيره في رأي له بغير دليل من القرآن والسنة النبوية وما صح عن الصحابة من الآثار وآثار السلف. وسعى ابن تيمية إلى ترك التعصب المذهبي ، بسبب أن عصره كان يموج بالتعصب لدى بعض متبعي المذاهب ، وما أدى إليه هذا من ركود فكري في تلك الفترة. وموافقة المعقول للمنقول وشمولية النصوص للأحكام ، فلم يكن يهمل العقل والفكر في دراساته ، ولم يكن يجاوز به مجاله ، ولا يجعله حاكماً على نص قرآني أو حديث صحيح. وتحقيق مقاصد الشارع بجلب المصالح ودرء المفسدات ، وقد أولى ابن تيمية هذا الجانب اهتماماً كبيراً حيث يتتبع ويبرز مقاصد الشارع من النصوص الشرعية ، ويبين الأسباب التي رتب عليها الأحكام ، واهتم أيضاً بدرء المفسدات المتمثل بأصل سد الذرائع. ومراعاة الأصول والقواعد العامة بربط منهجه بالأصول والقواعد العامة ، وسبب ذلك ملاحظته تفكك الأفكار واختلاف المفاهيم والخطأ في المسائل الشرعية ، بسبب النظرة الجزئية في الأدلة الشرعية لدى بعض الفقهاء. والتسهيل والتيسير ما لم يكن مانع شرعي بحدود ما يدركه على ضوء الأدلة الشرعية ، ولا يتجه إلى هذا الجانب عند وجود دليل منع في المسألة! وكان يُعرّف التوحيد بأنه إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، أي الإقرار بأن الله هو المدبر لجميع الأمور ، وأن تُصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له ، وإثبات ما أثبتته الله لنفسه من صفات الكمال ، ونفي عنه ما نفاه عن نفسه من صفات النقص. وبين ابن تيمية أن أعلى أصول الإيمان وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله حيث أمر الله بها جميع خلقه وأرسل به رسوله. فيقول ابن تيمية: «فإن التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، فلا نجعل له نداً في ألوهيته ولا شريكاً ، ولا شافعياً.» ويقول: "فلا بد للعبد أن يثبت لله ، ما يجب إثباته له ، من صفات الكمال ، وينفي عنه ما يجب نفيه مما يصاد هذه الحال ، ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره ، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته ، وعموم مشيئته ويثبت أمره ، المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل ، ويؤمن بشرعه وقدره ، إيماناً خالياً من الزلل ، وهذا يتضمن توحيده في عبادته وحده". ويبين أن ذكر الله لصفاته في القرآن ليس مقصوراً على وجوب إفراده بصفات الكمال فحسب بل دلت أيضاً على وجوب إفراده بالعبادة ويقول في ذلك: «والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له ؛ بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه ، فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد: وهما إثبات صفات الكمال رداً على أهل التعطيل وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين. والشرك في العالم أكثر من التعطيل ، ولا يلزم من إثبات "التوحيد" المنافي للإشراك إبطال قول أهل التعطيل! ولا يلزم من مجرد الإثبات المبطل لقول المعطلة الرد على المشركين إلا ببيان آخر.» ويدخل في التوحيد جميع أعمال العبادة المطلوبة شرعاً ، سواء كانت أعمال قلوب أو جوارح ، مثل عبادة الله ومحبته ، والتوكل عليه ، وخشيته ، ودعائه ، فيعرف ابن تيمية العبادة: "العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الباطنة والظاهرة". ويذهب ابن تيمية مذهب أهل الحديث في أسماء الله وصفاته ، حيث يثبت لله ما جاء في القرآن والسنة النبوية من أسماء وصفاته من غير تعطيل ولا

تحريف ولا تبديل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ، فيقول: «فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه ، ولم نتكلف منه صفة ما سواه - لا هذا ولا هذا - لا نجد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.» ، ويقول: «وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل.» ، وقد عارض ابن تيمية في كتبه ورسائله أقوال الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والجهمية والمعتلة في هذه المسألة ، حيث يثبت صفات المعاني والأفعال مثل: المحبة والغضب والرضا والضحك ، كما يثبت الصفات السمعية مثل اليد والوجه والعين والنزول والاستواء وأن الله فوق العرش والعلو والفوقية وغيرها ، ويقول فيها بإثبات الصفة ونفى علم الكيفية! ويرى ابن تيمية أن كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة لكن كثيراً ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذاباً أو ملبوساً عليه ، أنه ليس من شرط الولي أن يكون معصوماً لا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتهر عليه بعض أمور الدين ، ويرى ابن تيمية أن كثيراً مما يظن الناس أنها كرامات تكون من تلبيسات الشيطان ، فيروى عنه أن بعض الناس قال له: «لقد كنا في طريق بعيد فوقع علينا كرب ، فاستغثنا بك فجنت إلينا وأنقذتنا ، فقال لهم: أنا لم آت ، وهذه من تلبيسات الشيطان. فقال بعضهم: ربما يكون هذا ملك من الملائكة تصور بصورتك ؛ لينفعا وينقذنا ، فقال لهم: هذا شيطان وليس بملك ؛ لأن الملائكة لا يكذبون ، وإنما الذي يدعي أنه فلان وليس هو ؛ هو الشيطان.» ، وقد ألف في ذلك كتاباً وهو "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان". ويقول ابن تيمية بعدم جواز التوسل والاستغاثة بذوات الأنبياء والصالحين ، فيقول: «والسائل لله بغير الله إما أن يكون مقسماً عليه ، وإما أن يكون طالباً بذلك السبب ، كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم ، وكما يتوسل بدعاء الأنبياء والصالحين. فإن كان إقساماً على الله بغيره: فهذا لا يجوز ، وإن كان سؤالاً بسبب يقتضى المطلوب ، كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعة الله ورسوله ، مثل السؤال بالإيمان بالرسول ومحبته وموالاته ونحو ذلك: فهذا جائز ، وإن كان سؤالاً بمجرد ذات الأنبياء والصالحين: فهذا غير مشروع ، وقد نهى عنه غير واحد من العلماء وقالوا: إنه لا يجوز. ورخص فيه بعضهم ، والأول أرجح كما تقدم.» ، ويستدل على ذلك بقول أبي حنيفة النعمان وأصحابه فيقول: «التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة ، أو عن ليس قوله حجة - كما سنذكر ذلك - إن شاء الله تعالى - وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه إنه لا يجوز ونهوا عنه ، حيث قالوا لا يسأل بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك.» ، وقد ألف ابن تيمية في ذلك عدة كتب منها: قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ، والرد على البكري والرد على الأحنائي ، وأثارت هذه المسألة حفيظة عدد من الشيوخ خاصة علماء الصوفية ، حيث كفر البكري ابن تيمية على إثرها ، وألف يوسف النبهاني شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ، وألف السبكي كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام. وكان ابن تيمية ينهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاث سواء كان لمساجد أو مشاهد أو قبور أو أي بقعة بغرض العبادة والتعظيم ، فيقول: «وأما السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة فغير مشروع اتفاقاً ، وحرمة الجمهور ، مع أن المساجد أحب البقاع إلى الله.» ، ويقول: «هذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد ، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب لدليل أن بصرة بن أبي بصرة الغفاري لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذي كلم الله عليه

موسى قال: «لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأتته ؛ لأن النبي ﷺ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» ، فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث: أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم ، وأنه لا يجوز السفر إليها ، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة.. كما كان يرى عدم جواز شد الرحال لمجرد زيارة قبر النبي من غير إرادة إتيان المسجد للصلاة فيه ، واستدل بقول مالك بن أنس ونهيه عن ذلك فيقول في مجموع فتاويه: «وسئل مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ، فقال مالك: إن كان أراد القبر فلا يأتيه وإن أراد المسجد فليأته ثم ذكر الحديث: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، ذكره القاضي إسماعيل في مبسوطه» ، وقد شاع أن ابن تيمية يمنع زيارة القبور مطلقاً ، فألف ابن تيمية في ذلك رسائل منها الرد على الأحنائي والرد على البكري. ويقسم ابن تيمية زيارة القبور عموماً سواء بشد رحال أو بدونه إلى زيارة شرعية وزيارة بدعية ، فقال: "فالزيارة الشرعية: أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ، كما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له ؛ فالقيام على قبره: من جنس الصلاة عليه.. وأما الزيارة البدعية: فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج ، أو يطلب منه الدعاء ، والشفاعة ، أو يقصد الدعاء عند قبره ؛ لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء ، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة". ومن أشهر تلاميذه: (ابن كثير

الدمشقي صاحب التفسير والبداية والنهاية من تلاميذ ابن تيمية - وابن قيم الجوزية (691هـ - 751هـ). لازم ابن تيمية بعد عودته من مصر سنة 712هـ إلى أن مات. وقد سجن ابن القيم مع ابن تيمية سنة 726هـ بسبب مناصرته له في آرائه حول الطلاق. وشمس الدين الذهبي (673هـ - 748هـ). ومحمد بن عبد الهادي المقدسي (704هـ - 744هـ). وابن كثير الدمشقي (701هـ - 774هـ). وجمال الدين المزي (654هـ - 742هـ). وشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي (708هـ - 763هـ). وعلم الدين البرزالي (665هـ - 739هـ). وعمر بن علي البزار (688هـ - 749هـ). وابن فضل الله العمري (700هـ - 749هـ). وابن شيخ الحزامين (657هـ - 711هـ). وابن قاضي الجبل (693هـ - 771هـ). وابن النجيج الحراني توفي سنة 723هـ. وصلاح الدين الصفدي (696هـ - 764هـ). وابن الوردي عمر بن مظفر المعري الكندي. وعبد الله ابن رشيق المغربي (توفي سنة 749هـ). هذا ويقسم الدكتور ماجد عرسان الكيلاني (1351 هـ - 1436 هـ) المناطق التي تأثرت بابن تيمية إلى ثلاثة أقسام: الأولى الجزيرة العربية والثانية مصر وسوريا والثالثة المغرب العربي. عدا الامتدادات خارج العالم العربي إلى كل من باكستان وأفريقيا والهند. وقد ظهر تأثير ابن تيمية في الجزيرة العربية في حركة محمد بن عبد الوهاب. وفي مصر والشام فقد كان أول من عكس هذا التأثير محمد رشيد رضا من خلال الأبحاث التي كانت تنشرها مجلة المنار. وبالنسبة للمغرب العربي فقد بدأت أفكار ابن تيمية تدخل في الربع الثاني من القرن العشرين عن طريق الحركة السلفية في مصر حيث وجدت صداها عن عبد الحميد بن باديس وفي جمعية العلماء في الجزائر. وفي مراكش بدأت نفس التأثيرات ، فيقول المستشرق كليفورد جيرتس أن أفكار ابن تيمية انتقلت في ثمانينيات القرن التاسع عشر على أيدي الطلبة المغاربة الذين درسوا في الأزهر وعادوا ليبشروا بالأفكار السلفية في جامعة القرويين. ويرى آخر أن تأثير ابن تيمية في مراكش يعود إلى أقدم من ذلك عندما حاول السلطانين العلويين محمد بن عبد الله ثم سليمان نشر أفكار محمد بن عبد الوهاب. ثم جاءت هذه الأفكار في موجة ثانية في أوائل القرن العشرين على يد كل من القاضي محمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي. وقد تأثر الوطنيون في تونس أيضاً بالاتجاه السلفي! ومنذ أوائل النصف الثاني من القرن العشرين أخذ تأثير ابن تيمية يتجاوب

صداه في مختلف البلدان الإسلامية ، ويذكر الكيلاني أن أبرز من عكس هذا التأثير ، مدرستان: مدرسة أبي الأعلى المودودي ومدرسة مدرسة مالك بن نبي. وبالنسبة للمدرسة الأولى مدرسة أبي الأعلى المودودي ، يقول أن أثر ابن تيمية يبدو واضحاً في التفكير السياسي لهذه المدرسة وخاصة في تفكير أشهر مفكريها وهما المودودي وسيد قطب ، فالمكانة التي أعطاها ابن تيمية للدولة الإسلامية استطرده المودودي وقطب في تفاصيلها ، واستعملوا نفس المصطلحات التي استخدمها ابن تيمية. وبالنسبة للمدرسة الثانية «مدرسة مالك بن نبي» يذكر الكيلاني أنها نشأت كمزيج من التأثير بالاتجاه السلفي الذي بدأه عبد الحميد بن باديس ، والتأثر بالخبرات الذاتية لمالك بن نبي في التراث الإسلامي والتراث الأوروبي. واتجهت هذه المدرسة في منهج التحويل النفسي والفكري ، ويكمل الكيلاني قوله بأن مالك بن نبي عكس في كتبه: «شروط النهضة» و«مشكلة الثقافة» و«ميلاد مجتمع» الاتجاهات التي وردت في كتاب ابن تيمية "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم". وأما عن مؤلفات ابن تيمية: فبلغت حوالي 330 مؤلفاً. وجمع كثير منها في مجموع الفتاوى ، وطبعت في 37 مجلداً ، ومن أشهر مؤلفاته: (كتاب الإيمان الأوسط في مجلد - كتاب الاستقامة في مجلدين - كتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية في ست مجلدات - كتاب درء تعارض العقل والنقل ، أربع مجلدات - كتاب العبودية ، مجلد واحد - كتاب الجواب عما أوردته كمال الدين الشريشي على كتابه تعارض العقل والنقل - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، أربع مجلدات - الرسالة التدمرية ، بحث فيها في حقيقة الجمع بين القدر والشرع - الفتوى الحموية ، سنون ورقة كتبها بين الظهر والعصر - كتاب جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية في أربع مجلدات - كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح في مجلدين - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان نحو ستين ورقة - الصارم المسئول على شاتم الرسول - اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم - رفع الملام عن الأنمة الأعلام ، مجلد - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - كتاب في الواسطية وهي فتيا في عقيدة الفرقة الناجية نحو ثلاثين ورقة - كتاب شرح أول المحصل في مجلد - كتاب الرد على أهل كسروان الرافضة في مجلدين - الهولاءونية وهو جواب سؤال ورد على لسان هولاءكو ملك التتار في مجلد - كتاب في الرد على البكري في الاستغاثة في مجلد - شرح على أول كتاب الغزنوي في أصول الدين في مجلد - كتاب في الرد على المنطق في مجلد كبير - شرح عقيدة الأصفهاني - شرح مسائل من الأربيعين للرازي في مجلدين - المسائل الإسكندرانية رد فيه على ابن سبعين وغيره في مجلد - كتاب في محنته في مصر في مجلدين وتكلم فيه على الكلام النفسي وأبطله من نحو ثمانين وجهاً - كتاب الكلام على إرادة الرب وقدرته نحو مائة ورقة - الكيلانية وهو جواب في مسألة القرآن في مجلد لطيف - قواعد في إثبات المعاد والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية نحو مجلد - تحقيق الإثبات في الأسماء والصفات - المراكشية وهي فتيا في الصفات خمسون ورقة - فتيا في مسألة العلو نحو خمسين ورقة - فتيا تتضمن صفات الكمال مما يستحقه الرب سبحانه نحو ستين ورقة - جواب في تليل مسألة الأفعال نحو ستين ورقة - جواب في مسألة القرآن وردت من مصر نحو سبعين ورقة - البعلبية تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام نحو عشرين ورقة - القادرية وهي مسألة في القرآن نحو عشر ورقات - جواب مسألة في القرآن هل هو حرف وصوت أم لا نحو ثلاثين ورقة - الأزهرية بضع وعشرون ورقة - البغدادية وهي مسألة في القرآن - مسائل في الشكل والنقط - كتاب إبطال



قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته ، أحيى به الشام ، بل والإسلام بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولى الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم ، فظننت بالله الظنون وزلزل المؤمنون ، واشترأب النفاق وأبدى صفحته ومحاسنه كثيرة ، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: إني ما رأيت بعيني مثله ، وأنه ما رأى مثل نفسه). وسئل علماء اللجنة الدائمة: يقول الناس: إن ابن تيمية ليس من أهل السنة والجماعة وإنه ضال مضل ، وعليه ابن حجر ، وغيره ، هل قولهم صدق أم لا؟ فأجابوا: "إن الشيخ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية إمام من أئمة أهل السنة والجماعة ، يدعو إلى الحق ، وإلى الطريق المستقيم ، قد نصر الله به السنّة ، وقمع به أهل البدعة والزيغ ، ومن حكم عليه بغير ذلك: فهو المبتدع ، الضال ، المضل ، قد عميت عليهم الأنبياء ، فظنوا الحق باطلاً ، والباطل حقاً يعرف ذلك من أنار الله بصيرته ، وقرأ كتبه ، وكتب خصومه ، وقارن بين سيرته وسيرتهم وهذا خير شاهد وفصل بين الفريقين". هـ. وجاء في (إسلام ويب) ما نصه: (شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من علماء المسلمين ، وأئمة أهل السنة والجماعة ، وقد اشتهر بالعلم والديانة ، والاستقامة ، ولا نزكيه على الله. وقد قاوم البدع ، وحارب التقليد ، والجمود ، الذي انتشر وساد المسلمين في عصره ، في القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن ، وتصدى للرد على الفلاسفة ، والرافضة والباطنية ، والصوفية المنحرفة ، والمتكلمين المبطلين ، وتصدى للمقلدة المتعصبين لشيوخهم المعرضين عن الدليل الواضح من الكتاب ، والسنة. بل حمل سيفه مجاهداً في سبيل الله في وجه التتر الغازين ، ووحد صفوف المسلمين لذلك الغرض وخاض المعركة بنفسه. وهو في كل ذلك عازف عن الدنيا ، زاهد فيها ، لم يكتنز مالا ، ولا بنى داراً ، ولم يتخذ عقاراً ، إلا ابتغاء وجه الله. وإمام هذا شأنه ، لا شك أن يكثر أعداؤه ، وحساده لا سيما وأن شيخ الإسلام لم يداهن أحداً في قول الحق ، بل صدع به حيث كان ، وفي وجه من كان ؛ ولذلك كثرت ابتلاءاته ، ومحنه ، فلا يخلص من محنة ، إلا ودخل في أخرى ؛ حتى لقي ربه وهو مبتلى مسجون مظلوم! ولقد كان هو ، وتلاميذه من جهابذة أئمة المسلمين ، الذين خدموا الأمة ، وأفادوها في كل فرع من فروع الشريعة ، كالذهبي ، وابن كثير ، والمزي ، وابن عبد الهادي ، وابن القيم ، وغيرهم. ولهذا قام حساده يتعقبون أقواله ، وفتاويه ، لعلمهم يظفرون له بخطيئة ، وليس هو بمعصوم ، لكنهم إذا وجدوا خطأ ضخموه ، وزادوا عليه ؛ حتى كفروه بذلك افتراءً ، وزوراً. هذا وقد أثنى على شيخ الإسلام ابن تيمية علماء الأمة من كل المذاهب ، إلا من كان بينه وبينه نفرة بسبب اعتراض ، قال فيه الذهبي الشافعي في معجم شيوخه: وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت مثله ، وأنه ما رأى مثل نفسه. وقال أيضاً في علمه بالسنة: يصدق أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية ، فليس بحديث. وقال الحافظ المزي الشافعي فيه: ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله ، وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه. وقال ابن دقيق العيد الشافعي فيه: لما اجتمعت بابن تيمية ، رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه ، يأخذ ما يريد ، ويدع ما يريده. وقال فيه ابن عبد الهادي الحنبلي: وكان - رحمه الله - سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجياً في حلق أهل الأهواء المبتدعين ، وإماماً قائماً ببيان الحق ، ونصرة الدين وكان بحراً لا تكدره الدلاء ، وحبوراً يقتدي به الأخيار الأولياء ، ظنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار. انتهى. وقال ابن كثير ، وقد أثنى عليه كثيراً: وأثنى عليه ، وعلى علومه ، وفضائله ، جماعة من علماء عصره ، مثل: القاضي الخوي ، وابن دقيق ، وابن النحاس ، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري ، وابن الزمكاني ، وغيرهم. وقال فيه الحافظ ابن سيد الناس: فألفيته كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم في التفسير ، فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه ، فهو

مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث ، فهو صاحب علمه ، وروايته ، أو حاضر بالنحل والملل ، لم ير أوسع من نحلته في ذلك ، ولا أرفع من رايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه. وقال فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي في تقريره لكتاب: "الرد الوافر" لابن ناصر الدين الدمشقي: وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين ، أشهر من الشمس ، وتلقيه بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الآن على الألسنة الزكية ، ويستمر غذاً كما كان بالأمس ، ولا ينكر ذلك ، إلا من جهل مقداره ، أو تجنب الإنصاف ، فما أغلط من تعاطى ذلك ، وأكثر عثاره... ومع ذلك ، فكلهم معترف بسعة علمه ، وكثرة ورعه ، وزهده ، ووصفه بالسخاء ، والشجاعة ، وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام ، والدعوة إلى الله في السر والعلانية. وقال الحافظ السيوطي كما في طبقات الحفاظ: ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد ، الفقيه ، المجتهد ، المفسر شيخ الإسلام ، علم الزهاد ، نادرة العصر ، تقي الدين أبو العباس... كان من بحور العلم ، ومن الأذكياء المعدودين ، والزهاد ، والأفراد. وقال الملا علي قارئ في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" في كتاب اللباس ، ردًا على من طعن في ابن تيمية ، وابن القيم ، وأنها من أهل التجسيم والتشبيه: صانها الله عن هذه السمة الشنيعة ، والنسبة الفظيعة ، ومن طالع شرح منازل السائرين... تبين له أنها كانا من أهل السنة والجماعة ، بل ومن أولياء هذه الأمة... وهذا الكلام من شيخ الإسلام ، يبين مرتبته من السنة ، ومقداره في العلم ، وأنه برئ مما رماه أعداؤه الجهمية من التشبيه ، والتمثيل ، على عادتهم في رمي أهل الحديث والسنة بذلك. وغير هؤلاء كثير من العلماء إلى يومنا هذا ، وهم يثنون على شيخ الإسلام ابن تيمية ، ويسطرون مآثره ، وعلمه ، ومناقبه - فرحمه الله رحمة واسعة -). هـ. وفي (الرسالة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمؤلفه مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي) ، أنصف العلامة الإمام قاضي قضاة الإسلام بهاء الدين بن السبكي ، حيث يقول لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية فقال:- "والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى فالجاهل لا يدري ما يقول وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به". ولقد أنصف أيضا الشيخ الإمام والحرر الهمام محمود بن أحمد العيني إمام الحنفية في زمنه حيث قال في أثناء كلام طويل في مدحه ابن تيمية وذم من يعيبه: "وليس هو إلا كالجعل باشتمام الورد يموت حتف أنفه أو كالحفاش يتأذى ببهور سنا الضوء لسوء بصره وضعفه وليس لهم سجية نقادة ولا روية وقادة وما هم إلا صلقع بلقع صلقع صلمعه من قلمعه وهيان إن بيان وهي بن بي وصل بن ضل وضلال بن التلال". ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم العرائين الأفاضل ومن جم براهين الأمائل وأطال العيني الكلام في مدحه! ومدح ابن تيمية خلق كثير ، فمنهم ابن سيد الناس ، حيث قال رحمه الله في ترجمته لابن تيمية بعد أن ذكر ترجمة الحافظ المزني: "وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية ، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظا ، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو رايته أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه! كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ويردون من بحره العذب النмир ويرتعون من ربيع فضله في روضه وغديره إلى أن دب إلى أهل بلده داء الحسد وأكب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاما أوسعوه بسببه ملاما وفوقو لتبديله سهاما وزعموا أنه خالف طريقهم وفرق فريقهم فنازعهم ونازعوه وقاطع بعضهم وقاطعوه! ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة فكشف تلك الطرائق وذكر لها على ما زعم بوائق فأضت إلى الطائفة الأولى من

منازعته واستعانت بذوي الضعن عليه من مقاطعته فوصلوا بالأمرأه أمره وأعمل كل منهم في أمره فكره فرتبوا محاضر وألبوا للسعي بها بين الأكابر وسعوا في نقله إلى المملكة بالديار المصرية فنقل وأودع السجن ساعة حضوره واعتقل وعقدوا لإراقة دمه مجالس وحشدوا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس من مجامل في المنازعة مخاتل بالمخادعة ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون فرد الله كيد كل في نحره ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره". ومنهم ابن دقيق العيد وهو الشيخ العلامة الإمام أحد شيوخ الإسلام قاضي قضاة المسلمين عمدة الفقهاء والمحدثين ، لما قدم التتار إلى أطراف البلاد الشامية سنة سبعمئة ركب ابن تيمية على البريد من دمشق إلى مصر فدخلها في ثامن يوم وحث السلطان والعساكر على قتال التتار ، واجتمع به أعيان البلد ومنهم ابن دقيق العيد ، فسمع كلام ابن تيمية وقال له بعد سماع كلامه: "ما كنت أظن ان الله تعالى بقي بخلق مثلك". وسئل ابن دقيق العيد بعد انقضاء ذلك المجلس عن ابن تيمية فقال: هو رجل حفظة! فقيل له: هلا تكلمت معه؟! فقال: هو رجل يحب الكلام ، وأنا أحب السكوت! وقال ابن دقيق العيد أيضاً: لما اجتمعت بابن تيمية ، رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد! ومنهم ابن الوردي زين الدين عمر ، كان علامة متفنناً في العلوم ماهراً في المنثور والمنظوم ، وله الأشعار الرائقة والمقاطيع الفائقة ، وكان باهراً في العربية درس وأعاد وأفتى وله مؤلفات مفيدة منها البهجة نظم الحاوي الصغير. ومنهم ابن القيم وهو العلامة شمس الدين الحنبلي أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية وتلميذ ابن تيمية له التصانيف الأنيقة والتأليف التي في علوم الشريعة والحقيقة! قال رحمه الله في ترجمته لابن تيمية: " شيخ الإسلام والمسلمين القانم ببيان الحق ونصرة الدين الداعي إلى الله ورسوله المجاهد في سبيله الذي أضحك الله به من الدين ما كان عابسا ، وأحيا من السنة ما كان دارسا ، والنور الذي أطلعه الله في ليل الشبهات ، فكشف به غياهب الظلمات ، وفتح به من القلوب مقلها ، وأزاح به عن النفوس علها ، فقمع به زيغ الزانغين وشك الشاكين وانتحال المبطلين وصدقت به بشارة رسول رب العالمين: يقول "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" ، وبقوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين". وهو الشيخ العلامة الزاهد العابد الخاشع الناسك الحافظ المتبع تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإسلام ومفتي الفرق علامة الدنيا مجد الدين عبد السلام ابن الشيخ الإمام العلامة الكبير شيخ الإسلام فخر الدين عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه". وأما الإمام الهمام شيخ الإسلام صاحب تحرير الكلام وإمام الحنفية في زمانه الشيخ العيني رحمه الله تعالى فقد مدح ابن تيمية وانتصر له ممن زندقوه وكفروه وبدعوه بقوله: "ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم عرائين الأفاضل ومن جم براهين الأمائل ، الذي كان له من الأدب مادب تغذي الأرواح ، ومن نخب الكلام له سلافة تهز الأعطان المراح ، ومن ثمار أفكار ذوي البراعة طبعه المغلق في الصناعة ، الخالية عن وصمة الشناعة ، وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني نقابها ، والمنزوع عن عرائس أبحار المباني بكشف جلابيها ، وهو الذاب عن الدين طعن الزنادقة والملحدين والناقد للمرويات عن سيد المرسلين وللمأثورات عن الصحابة والتابعين. فمن قال إنه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسبته إلى الزندقة فهو زنديق! وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه في الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق ، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق ، إلا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالتين ماجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يلام ويعاب ، لكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر ، وكيدهم الباهر ، وكفى

للحاسد ذمّاً آخر ، سورة الفلق في احتراقه بالقلق. إنه الإمام الفاضل البارع النقي النقي الورع الفارس في علمي الحديث والتفسير ، والفقه والأصول بالتقرير والتحرير ، والسيف الصارم على المبتدعين ، والحبر القانم بأمور الدين ، والأمار بالمعروف والناهي عن المنكر ، ذو همة وشجاعة وإقدام فيما يروع ويزجر كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة خشن العيش والقناعة من دون طلب الزيادة. وكانت له المواعيد الحسنة السنوية والأوقات الطيبة البهية مع كفه عن حطام الدنيا الدنية وله المصنفات المشهورة المقبولة والفتاوى القاطعة غير المعلولة". وقال المؤلف مرعي الحنبلي سامحه الله تعالى: "قد علمنا علم اليقين ، وتحققنا التحقيق المبين ، من الثقات الناقلين ، وأئمة الحديث الناقلين ، أن ابن تيمية الشيخ تقي الدين ، هو الإمام الحافظ الحجة ، العلم المجتهد الضابط المتقن ، المفسر أعجوبة الزمان ترجمان القرآن ، سيد المحققين ، وسند المدققين ، وشيخ الإسلام والمسلمين ، والمعراج الأعلى في المعارف ، والمنهاج الأسنى في الحقائق والعوارف ، بروج سماء معرفته كواكب العناية ، ومنشور رياض حضرة أعلام الولاية بحر ليس للبحر ما عنده للجواهر ، وحبر سما على السماء ، وأين للسماء مثل ما له من الزواهر ، انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الإسلامية ، وابتسمت بدره التنظيم ثغور الثغور المحمدية ، تنوع في المباحث وفنونها ، وتضوع في الرياض غصونها ، وتفوه بفصاحة ، وبلاغة فصاحة قيس ، وبلاغة أوس من دونها ، وخاض من العلوم في بحار عميقة ، وراض النفس ففاق في سلوك الطريقة ، وهو فخر المتأخرين على الحقيقة". ومرة أخيرة أعتذر لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، أن تأخرت في الانتصار له من خصومه الألى أجرموا في حقه! ولكن كما يقول المثل: "أن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي"! (رحم الله الشيخ!)

لحومُ أهلِ الهدى بالسُّمِّ تحتفلُ والسُّمُّ ما حِقُّ مَنْ لحومهم أكلوا!  
 وإرثهم بين أيدي الناس قاطبة ولم يُبدلْه أهواؤُ ولا غيَل  
 ولم تطله رَحَى التحريف في زمن والدارُ تشهدُ ، والأجيالُ والأزل!  
 كأنهم كتبوا بالأمس ما علموا واليوم ها هم إلى الختام قد وصلوا  
 لَمَّا أرادوا انتصارَ الحق ما وَهَنُوا وما استكانوا ، ولا بقومهم شُغِلُوا  
 لكنهم نشطوا في نشر ما فقهِوا وما استهانوا بما حازوه أو حصلوا  
 تَحَمَّلُوا في سبيلِ العِلْمِ كلَّ أذى لأنهم عبء ما هم كُفِّوا حَمَلُوا  
 وما اشتكى جمعهم ضيقاً ولا عَوَزاً لكنهم بازدهار الدعوة اشتغلوا  
 كم نقحوا العِلْمَ والإيضاح صُبْحَ مسا! وكم بإبلاغ ما هم نقحوا احتفلوا!  
 كم جادلوا الخَصْمَ بالبرهان يسبقه دعاءُ ربِّ إلى تأييده ابتهلوا!  
 كم جاهدوا بنصوص الوحي من كفروا وفندوا شُبهة الغالين من جهلوا!

كم بيئوا سُبُلَ الهداية اعتجمت على أناس عن التذكير كم غفلوا!  
 وهل تبين سبيل دون مُصطدم؟! كم بالتناظر نُجلى للورى السُّبُل!  
 كم لابن تيمية قامت محاكمة فيها يُحاكمه الدهاقن الجهل!  
 يراوغون لهم فخر بباطلهم والشيخ في ذي الوعى المجاهد البطل  
 يفضُ مزدحمًا سادت به بدع والحق غالب من بالباطل اختبلوا  
 ما راعه جمعهم ولا بطانتهم بل جد في الأمر ، والأراذل ابثذلوا  
 والجد يتصُر من يَأوي لمؤئله والهزل يهزم أقواماً إذا هزلوا!  
 ذك (ابن تيمية) ما سيق من حجاج ومالهم بالذي أدلى به قبل!  
 أذاقهم بالتخدي طعم غضبته في الحق يربطه بربّه أمل  
 وفند الزعم مُستلاً مهنده ما صد عزمته لوم ولا عذل!  
 للحق يثار ، لا للنفس سربلها كيد الخصوم الألى بالعلية اتصلوا  
 تجرد الشيخ من مجد يسامره يُمليه قوم إلى أهوائهم وكَلوا  
 لو استجاب لهم شادوا بطاعته والشيخ ما رده عن حقه السفل  
 (حران) يوماً ستفنى والحياة بها وما (ابن تيمية) وسط الألى رحلوا!  
 العلم يُعطي حياة للألى علموا كما يُميت العتاة الجهل والضلل!  
 والشيخ جاهد بالحسام من غلبوا على الديار ، فما رَقوا ، وما عدلوا  
 سل التتار عن الجهاد قام به شيخ جليل رفيع القدر مُكتهل!  
 صف الصفوف ، وطبعاً كان أولها ودائماً طالبو الحسنى هم الأول!  
 حتى إذا وضعت أوزارها فتن ولم تغد من نُجدي ، ولا حيل!  
 سل اليراع على من روجوا بدعاً ياليتهم في جوا الهيجاء قد قتلوا!  
 كي تستريح من الضلال أدمغة لها بترويح أسباب الهوى شغل

لا يَنْفَعُ السِّيفُ فِي إِخْرَاسِ أَسِنَّةٍ يَقُودُهَا لَلسَّقُوطِ الْهَزْلُ وَالْفِشْلُ!  
للسيفِ خَدْمَةٌ تَغْتَالُ مَنْ فَتَنُوا وَإِنْ أَيْامُ أَرْبَابِ الْقَتَا دُؤُلُ  
وَلِلْكَلامِ مَجَالٌ فِي مُنَاطِرَةٍ يَرى الْخِصُومُ بِهَا عُقْبَى الَّذِي عَمَلُوا  
وَلابنِ تَيْمِيَّةٍ فِي الْاِثْنَتَيْنِ بَلاَ وَفِي مُواجَهَةِ الْأَعْداءِ لَهُ ثِقَلُ  
وِيحِ الْخِصُومِ عَلَى أَعْقَابِهِمْ نَكصُوا! وَإِنَّ مَنْ هَجَّهُمْ إِنْ مَنَّوا نَكَلُ  
وَالْغَدْرُ طابِعُهُمْ ، وَالْمَكْرُ شَيْمَتُهُمْ وَإِنَّ أَغْلَبَهُمْ عَلَى الْأَذَى جُبِلُوا  
وَأَصْدَرُوا الْحُكْمَ سَجَنَ الشَّيْخِ تَشْفِيَّةً! وَكَمْ أَضَاءَ ظِلَامَ (الْقَلْعَةِ) الرَّجُلُ!  
وَلِلْمَكَائِدِ أَقْوامٌ بِهِمْ صالِفٌ مَا فِي الْقُلُوبِ تُقَى كِلا وَلا وَجَلُ!  
فِي (سِجْنِ قَلْعَتِهِ) الْإِمَامِ فارقَهُمْ وَعِنْدَ رَبِّ الْوَرى الْجِدالُ يَكْتَمَلُ  
وَيُرْجَعُ الْحَقُّ رَبُّ النَّاسِ خالِقَتَا مِنْ الْأَلَى حَكَمُوا الدُّنْيا فَمَا عَدَلُوا  
وَرَحْمَةُ اللَّهِ رَبِّي دائِماً أَبْداً عَلَى (ابنِ تَيْمِيَّةٍ) وَمَنْ لَهُ بَذَلُوا!

## المساكنة - زواج التجربة!

(لقد أصبحنا نعيشُ حقاً في زمانٍ عجيب! وأعجبُ شيءٍ فيه الجرأة على ثوابت الدين! وكان آخر الغوايات والضلالات (المساكنة - زواج التجربة)! فتسكن الفتاة مع الفتى في الغرفة الواحدة يجرب كلٌّ منهما الآخر ، فإذا استقامت العشرة كان ذلك دليلاً على نجاح الزواج بعد ذلك! المعاشرة هي اتفاق Cohabitation ولقد جاء في الويكيبيديا: (المساكنة أو الشراكة المنزلية: بين طرفين أو أكثر على أن يشتركوا جميعاً في العيش بمحل إقامة واحد ، ويتم تحديد الحقوق والواجبات وتوثق عبر القنوات الرسمية الحكومية المعتمدة لدولة ما. وهو نوع من المعاشرة أو نظام يعيش فيه الأشخاص غير المتزوجين معاً ، غالباً ما ينخرطون في علاقة رومانسية أو جنسية حميمة على أساس طويل الأمد أو دائم ، أصبحت مثل هذه الترتيبات شائعة بشكل متزايد في الدول الغربية ، منذ أواخر القرن العشرين ، مدفوعة بتغير وجهات النظر الاجتماعية ، خاصة فيما يتعلق بالزواج وأدوار الجنسين والدين. يمكن أن يتسع مصطلح المساكنة ليشمل أي عدد من الناس يعيشون معاً. يحمل المعنى الأشمل لفعل «يساكن» أن تتواجد. يعود أصل الكلمة (cohabitare) إلى أواسط القرن السادس عشر ، من كلمة (Cohabitation) بالإنجليزية التي تعني «معاً» . (co-) :التي تعني في اللغة اللاتينية «تجمع» ، والمشتقة من كلمتين والتغيرات الاجتماعية التي أدت لشيوع المساكنة كثيرة ومتشعبة ، ويصعب على الباحثين والمحققين تحديدها حقاً بعدد! وتعدّ المساكنة اليوم نمطاً شائعاً بين الناس في العالم الغربي. فلقد كانت البلدان الإسكندنافية في أوروبا أول من بدأ هذا الاتجاه البارز ، لكن العديد من البلدان حذت حذوها منذ ذلك الحين. لطالما كانت بلدان أوروبا المطلة على البحر المتوسط ذات نظام محافظ للغاية تقليدياً ، إذ لعب الدين دوراً قوياً في هذه المنطقة. ظلت مستويات المساكنة منخفضة في هذه المنطقة حتى منتصف تسعينيات القرن العشرين ، لكنها ارتفعت منذ ذلك الحين. وزادت أعداد عدد الأزواج غير المتزوجين الذين يتعايشون. ارتفعت أعداد الأشخاص المنخرطين في علاقات دون زواج ويعيشون بالمساكنة في البلدان الغربية خلال العقود الماضية. من الناحية التاريخية تأثرت بلدان غربية كثيرة بالعقائد النصرانية المتعلقة بالجنس التي تعارض المساكنة دون زواج. مع تغير المعايير الاجتماعية ، أصبحت هذه المعتقدات أقل رسوخاً لدى السكان ، وأصبحت بعض الطوائف النصرانية اليوم تعتبر المساكنة أمراً يمهد للزواج. زوّج البابا فرنسيس زوجين يعيشان معاً بالمساكنة وسبق لهما أن أنجبا أطفالاً ، وأبدى أيضاً رئيس أساقفة كانتربري روان وويليامز ورئيس أساقفة يورك جون سينتامو عن تسامحهم إزاء المساكنة. أدى ارتفاع معدلات دخول المرأة ضمن القوة العاملة في العقود الأخيرة وانتشار وسائل منع الحمل ممتدة المفعول الفعالة جداً ، إلى اتخاذ النساء خيارات شخصية فردية بشأن الإنجاب مع تقليل الاعتماد على الشركاء الذكور في تحقيقهن للاستقرار المالي. أدت كل هذه التغيرات إلى تفضيل نظم عيش بديلة عن الزواج. شهدت أوروبا الوسطى والشرقية في أواخر ثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن العشرين تغيرات كبرى ، مثل سقوط الشيوعية. دخلت هذه المجتمعات عصرًا جديدًا به حرية اجتماعية أكبر ، وقواعد أقل تشددًا. تفاعلت مع أوروبا الغربية وأصبح بعضها أعضاء في الاتحاد الأوروبي. ونتيجة لذلك بدأت أنماط الحياة الأسرية تتغير ، إذ انخفضت معدلات الزواج ، وتأخر سن الزواج. ازدادت المساكنة والولادات للأمهات غير المتزوجات ، وكانت الزيادة سريعة جدًا في بعض البلدان. وتشير «الرعاية غير المؤسسية للزواج» إلى ضعف المعايير الاجتماعية والقانونية التي تنظم سلوك الناس فيما يتعلق بالزواج. يشكل ارتفاع معدلات المساكنة جزءًا من تغيرات اجتماعية

رئيسية أخرى مثل: ارتفاع معدل الطلاق ، وكبر السن عند الزواج الأول والإنجاب ، وزيادة عدد المواليد خارج إطار الزواج. أشير إلى عوامل مثل: العلمنة ، وزيادة اشتراك المرأة ضمن القوة العاملة ، وتغير معنى الزواج ، وتقليل المخاطر ، والفردانية ، وتغيير الآراء بشأن الجنسية باعتبارها عوامل تسهم في هذه التغيرات الاجتماعية. هناك أيضاً تغيير في الأخلاقيات الجنسية الحديثة ، فأصبحت تركز على رضا الطرفين بدلاً من الزواج كفضيلة (أي إنهاء تجريم ممارسة الجنس دون زواج (الزنا) ، وتجريم الاغتصاب الزوجي) ، ما أسفر عن مفاهيم جديدة تتعلق بدور التفاعل الجنسي والغرض منه ، ومفاهيم جديدة لجنسانية الإناث والحق في تقرير المصير. كانت هناك اعتراضات على التنظيم القانوني والاجتماعي لجنسانية الإناث ، يُنظر في كثير من الأحيان إلى هذه اللوائح على أنها انتهاكات لحقوق المرأة. بالإضافة إلى ذلك ، قد يشعر بعض الأفراد بأن الزواج غير ضروري أو أنه نظام عفا عليه الزمن ، أدى ذلك إلى عدم اهتمام الأزواج بإضفاء الطابع الرسمي على علاقتهم. على سبيل المثال ، في عام 2008 م ، أشار يوروبيان فالير ستادي «بحث القيم الأوروبية» - وهو برنامج بحثي يدرس بشكل واسع النطاق وعبر عدة دول أفكار المواطنين ومعتقداتهم وأفضليتهم ومواقفهم وقيمهم وآرائهم في جميع أنحاء أوروبا - إلى أن المشاركين الذين أجابوا بأن «الزواج مؤسسة عفا عليها الزمن» بلغت نسبتهم: 37.5% في لوكسمبورغ ، 35.4% في فرنسا ، 34.3% في بلجيكا ، و 31.2% في إسبانيا ، و 30.5% في النمسا ، 29.2% في ألمانيا ، و 27.7% في سويسرا ، و 27.2% في بلغاريا ، و 27% في هولندا ، و 25% في سلوفينيا. ويعترف الاتحاد الأوروبي أيضاً بحقيقة أن العديد من الأزواج يختارون العيش معاً دون إضفاء الطابع الرسمي على علاقتهم. يمنع توجيه صادر في عام 2004 م أعضاء الاتحاد الأوروبي من منع دخول أو إقامة الشريك «الذي تربطه بمواطن الاتحاد علاقة دائمة ، مثبتة على النحو الواجب. فلقد أدى انخفاض النسبة بين الجنسين إلى وجود آراء غير تقليدية أكثر تساهلاً بشأن المساكنة. يعني انخفاض النسبة بين الجنسين أن عدد النساء يفوق عدد الرجال بكثير ، ما يؤدي إلى اختلاف القيم المجتمعية والسلوكيات المقبولة! وغالباً ما تُعتبر المساكنة في الولايات المتحدة اليوم خطوة طبيعية في عملية المواعدة. في الواقع ، «يشيع الاتجاه للمساكنة كأول اتحاد سكني مشترك للراشدين الأحداث». في عام 1996 م ، قال أكثر من ثلثي المتزوجين في الولايات المتحدة إنهم كانوا يعيشون معاً قبل أن يتزوجوا. «في عام 1994 م ، كان هنالك ثلاثة ملايين وسبعمئة ألف ثنائي مرتبطين ساكنين معاً في الولايات المتحدة». تعد هذه زيادة كبيرة عما كانت عليه قبل بضعة عقود. قالت الدكتورة غالينا رودس إن "العيش معاً خارج إطار الزواج قبل عام 1970 م كان أمراً غير مألوفاً ، ولكن في أواخر تسعينيات القرن العشرين كان ما لا يقل عن خمسين بالمائة إلى ستين بالمائة من الثنائيات الذين على علاقة يعيشون معاً قبل الزواج". ولقد يعيش الأشخاص معاً لعدد من الأسباب. من أجل توفير المال ، أو بسبب راحتهم في الإقامة برفقة آخرين ، أو حاجتهم لإيجاد مسكن. يتجه الأفراد ذوو الدخل المنخفض الذين يعانون عدم الاستقرار المالي لتأخير الزواج أو تجنبه ، ليس فقط بسبب صعوبة دفع تكاليف الزواج ولكن أيضاً بسبب الخوف من المشقة المالية إذا انتهى الزواج بالطلاق. السبب الآخر هو التمتع بعلاقة جنسية مع تجنب المسؤوليات والالتزامات. وعندما أُجريت دراسة استقصائية للكشف عن أسباب المساكنة ، ذكر معظم الأشخاص المنخرطين في علاقة دون زواج أسباباً مثل: قضاء المزيد من الوقت معاً ، والأسباب الناجمة عن الراحة والتعود واختبار مدى نجاح علاقتهم ، في حين ذكر قليلون أن السبب عدم إيمانهم بفكرة الزواج. تعد

تكاليف السكن المرتفعة للغاية والميزانيات الضيقة للاقتصاد اليوم أيضًا عوامل يمكن أن تدفع أي ثنائي إلى تفضيل المساكنة! وحاليًا ، ستون بالمئة من كل الزوجات تسبقها فترة مساكنة. يرى الباحثون أن الثنائيات يعيشون معًا كوسيلة لمحاولة تجربة الزواج لاختبار مدى التوافق مع الشريك ، دون أن يضطروا لتكبد آثار قانونية إن أرادوا إنهاء العلاقة. هذا ، ولقد كانت هناك اعتراضات معاصرة على المساكنة. وتشمل الاعتراضات المعاصرة على المساكنة معارضة دينية للزوجات غير الزوجية ، والضغط الاجتماعي على الأزواج للزواج ، والآثار المحتملة للمعايشة على نمو الطفل. وأدى الارتفاع في عدد الأزواج والأطفال المولودين خارج إطار الزواج في العالم الغربي إلى جعل التعايش محور تركيز قوي للبحوث الاجتماعية. ارتفاع عدد الأزواج المتساكنين في الولايات المتحدة ، من حوالي 450.000 في عام 1960 م إلى 7.5 مليون في عام 2011 م رافقه بحث أمريكي تم إجراؤه حول تنمية الطفل داخل الأسر المتساكنة. يقول معارضو المساكنة إن الأبوة غير الزوجية هي بيئة غير مناسبة لنمو الطفل. ربطت دراسة واحدة من عام 2002 م المهارات الحسابية المنخفضة والجنوح العالي لأطفال الأزواج المتساكنين ، ومع ذلك ، فإن الدراسات الحديثة التي تتحكم في عوامل مثل الفقر والمستوى التعليمي للوالدين والعنف في المنزل تظهر أن أطفال الأزواج المتساكنين يشبهون من حيث النمو أقرانهم من المتزوجين المماثلين. وفي عام 2001 م ، قارن الباحثون بين الأطفال المراهقين الذين يعيشون في أسرة معيشية (أم عزباء وصديقها الذي لم يكن مرتبطًا بالمراهق) مع أقرانهم في الأسر ذات الوالد الوحيد. وأظهرت النتائج أن المراهقين البيض وذوي الأصول الأسبانية لديهم أداء أقل في المدرسة ، وخطر أكبر للتعلق أو الطرد من أقرانهم من الأسر ذات العائل الوحيد ، ونفس معدل المشكلات السلوكية والعاطفية. وجدت دراسة أجريت على المسح الوطني لنمو الأسرة في عامي 1995 م و 2002 م زيادات في انتشار ومدة المعاشرة غير الزوجية. وجدت الدراسة أن 40٪ من الأطفال في الولايات المتحدة سيعيشون في أسرة متساكنة بحلول سن 12 عامًا ، وأن الأطفال المولودين لأمهات عازبات كانوا أكثر عرضة من أولئك المولودين لأمهات متزوجات للعيش في أسرة متساكنة. ارتفعت النسبة المئوية للنساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 19 و 44 عامًا ممن تعاشرن من 45٪ في عام 1995 إلى 54٪ في عام 2002م. في عام 2002م ، وجد أن 63٪ من النساء اللاتي تخرجن من المدرسة الثانوية يقضين بعض الوقت في المساكنة ، مقارنة بـ 45٪ فقط من النساء الحاصلات على شهادة جامعية لمدة أربع سنوات. غالبًا ما يتزوج الأزواج المتساكنون الذين لديهم أطفال. وجدت إحدى الدراسات أن الأطفال المولودين لأبوين بالمساكنة هم أكثر عرضة بنسبة 90٪ للعيش في أسر مع أبوين متزوجين مقارنة بالأطفال المولودين لأمهات عازبات. من المتوقع أن يتزوج 67٪ من الأمهات غير المتزوجات من أصل إسباني ، بينما من المتوقع أن يتزوج 40٪ من الأمهات الأمريكيات من أصل أفريقي! وجدت الدراسات أن الانتماء الديني يرتبط بالمساكنة والدخول في الزواج. كثيرًا ما يذكر الناس أسبابًا دينية لمعارضتهم للمساكنة. تعارض الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وجميع الطوائف البروتستانتية السائدة تقريبًا في جميع أنحاء العالم المساكنة وتعتبره خطيئة الزنا. ومع ذلك ، فإن آخرين ، مثل الكنيسة الأنجليكانية ، "يرحبون بالأزواج المتساكنين في الكنيسة ويشجعونهم على اعتبار المساكنة مقدمة للزواج النصراني! يمكن أن يؤدي الدين أيضًا إلى ضغوط مجتمعية ضد المساكنة خاصة داخل المجتمعات شديدة التدين. قد يمتنع بعض الأزواج عن المساكنة لأن أحد الزوجين أو كلاهما يخشى إحباط أو تنفير أفراد الأسرة المحافظين. الشباب الذين نشأوا في أسر تعارض

المساكنة لديهم معدلات أقل من أقرانهم. ارتبطت الزيادة في المساكنة في الولايات المتحدة والدول المتقدمة الأخرى بعلمنة تلك الدول. لاحظ الباحثون أن التغيرات في التركيبة السكانية الدينية للمجتمع قد رافقت ارتفاع المساكنة. والعلاقات غير الزوجية والمثلية محظورة بموجب الشريعة الإسلامية بإعتباره زنا ، والمساكنة مخالفة للقانون في بعض البلدان ذات الأغلبية المسلمة بما في ذلك المملكة العربية السعودية أفغانستان ، إيران ، الكويت ، جزر المالديف ، المغرب ، عمان وأيضاً جاء في (إسلام ويب) سؤال وجوابه عن شروط جواز ، موريتانيا ، السودان ، اليمن). هـ. المساكنة بين رجل وامرأة أجنبيين: السؤال: "فضيلة الشيخ أنا فتاة عمري 25 سنة ، من فترة شهر أعيش مع عائلة وصاحب الشقة في شقة واحدة ، أنا في غرفة ، والعائلة في مجلس ، وصاحب الشقة في غرفة ، على أساس أن هذا الأخير متزوج وزوجته مسافرة ، وبعدها قرر أن يحضر زوجته ، فطلب من العائلة المغادرة ، أما أنا فلا! ولكن إلى الآن أقيم أنا معه في الشقة ، هو في غرفة وأنا في غرفة أخرى ، ولكن زوجته لم تأت ، وكل مرة أسأله ، فقال لي عنها أنها أجلت سفرها إلى شهرين أو أكثر ، وعلمت بعدها أنه يريد أن يؤجر المجلس مرة أخرى ، والآن يا سماحة الشيخ كل هذه الفترة وأنا وحدي في الشقة وهو أيضاً ، ولكن الوقت الذي أكون في بالبيت يكون هو في الدوام ، ولما أدخل البيت بالليل قبل أن يأتي هو ، وأظل في غرفتي مغلقة بالمفتاح ولا أطلع منها حتى ثاني يوم الصباح ، عندما يكون هو قد ذهب إلى الدوام ، فأخرج إلى الحمام حينها ، علماً بأنني مرتاحة جداً في الغرفة ، ونظراً لصعوبة الحصول على سكن مناسب في هذا الوقت فقط ، من جهة أنني وحدي معه في الشقة ، ومن جهة تديني فأنا غير مرتاحة وأستغفر الله في كل الوقت ، وأريده أن يؤجر المجلس لعائلة في أقرب وقت ممكن ، حتى لا أبقى وحدي في السكن ، أود رأيكم في هذا الأمر وما عساي أفعال علماً بأنه يعتبرني كأخت له ، وهو رجل متدين ويصلي ، ولكن مع هذا لا أثق في أحد؟" والإجابة: "قد جاء في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم". ووجود امرأة في شقة وحدها مع رجل وحده من أخطر دواعي الفتنة والخلوة ، ولو كان كل منهما في غرفة مستقلة. فقد اشترط أهل العلم لجواز المساكنة بين الأجانب أن لا تكون المرافق مشتركة بينهما كالممر والمدخل والحمام والمطبخ... فإذا كان شيء من ذلك مشتركاً ، فلا يجوز لهما السكن بذلك المكان! قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الفقهية: "فإذا سكنت المرأة مع أجنبي في حجريتين أو في علو وسفل أو دار وحجرة اشترط أن لا يتحدا في مرفق كمطبخ أو خلاء أو بئر أو سطح أو مصعد ، فإن اتحدا في واحد مما ذكر حرمت المساكنة ، لأنها حينئذ مظنة الخلوة المحرمة ، وكذا إن اختلفا في الكل ولم يغلق ما بينهما من باب أو يسد ، أو أغلق لكن ممر أحدهما على الآخر أو باب مسكن أحدهما في مسكن الآخر!" وعلى هذا فلا يجوز لك السكن في هذه الشقة مع هذا الرجل الأجنبي لما في ذلك من الخلوة المحرمة شرعاً ، والواجب عليك ترك تلك الشقة فوراً ، وانظري للمزيد من الفائدة في الأمر الفتوى رقم: 76042 ، والفتوى رقم (10146). هـ. وللايضاح أكثر: ما هو «زواج المساكنة» وما موقف الدين منه؟ ويأتي الجواب من كرم من الله السيد: (انتشر في الآونة الأخيرة ما يطلق عليه زواج المساكنة ، وهو يقوم على علاقة زوجية كاملة من دون أي أوراق رسمية ، حيث يعيش الطرفان في منزل واحد ويلتقيان في أوقات محددة ويمكن بعدها أن يعود كل منهما ليبيت في منزل أهله. وغالباً ما يتم الاتفاق على عدم الإنجاب ، ويبرر أنصار هذا النوع من العلاقات تصرفهم بأنهم يفعلون أمراً شرعياً شبيهاً بزواج ملك اليمين! ومن جانبه أوضح الدكتور عبد الله النجار عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في

تعقيب سابق له بأنه لا يجوز قياس زواج المساكنة غير الشرعي بزواج "ملك اليمين" الذي كان موجوداً في أوقات معينة ولأسباب نبيلة تصب في مصلحة المرأة. وتابع أما المساكنة فهي نوع من تجارة الرقيق الأبيض ، وقد سماها بعض علماء الدين بـ "زواج الطيور" ، حيث يقضي كل طرف غريزته ثم ينصرف إلى حال سبيله من دون أي مسؤولية تجاه الطرف الآخر ، أو حتى عن ثمره هذه العلاقة إذا تم الإنجاب. وكان قد قال الفنان المصري محمد عطية ، إنه لا يمانع بالزواج من "لا دينية" ، مضيفاً أن الزواج عَرَفَ بشري ، والأنسب الزواج من غير عقد "المساكنة". وأضاف عطية ، في تصريحات تلفزيونية: "معظم الناس (بيتجوزوا عمياتي) ، مع أن الجنس جزء مهم في العلاقة ، وأغلب حالات الطلاق تحدث بسبب عدم توافق الحياة الجنسية ، فالأفضل نعيش مساكنة ونشوف ينفع نعيش مع بعض ولا لأ! ومن هنا فإن تصريحات محمد عطية عن المساكنة قوبلت بهجوم كبير على مواقع التواصل الاجتماعي ، واعتبرها البعض هدماً للدين والعادات والتقاليد والثوابت! وشن مظهر شاهين ، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر ، هجوماً حاداً على الفنان محمد عطية ، وقال شاهين ، عبر صفحته الشخصية على موقع "فيسبوك" ، موجهاً حديثه إلى محمد عطية: "كلامك عن المساكنة وقاحة ودعوة للبغيء ونشر الفسق والفجور في المجتمع ، وافتكاساتك دي شغل تسالي ، لا تناسب مقام الزواج الذي وصفه الله تعالى في كتابه بالميثاق الغليظ. ولفت شاهين إلى أن الإسلام حين شرع العقود كان الهدف من ذلك الحفاظ على كرامة المرأة وحقوقها ، وحقوق ما قد ينتج عن هذا الزواج من أبناء ، والحفاظ على النسل ، مضيفاً: "أي شخص يقبل أن تعيش أخته أو ابنته مع شخص أجنبي عيشة الأزواج تحت سقف واحد بدون عقد زواج يكون ديوثاً". وأضاف: "الزواج آية من آيات الله ، والزواج ليس كما يظن البعض أنه وسيلة للمتعة فقط ، وإنما شرع لهدف أسمى وأعظم ألا وهو الحفاظ على ذرية آدم وتناسلها لتحقيق مراد الله منها في عبادته وعمارة هذا الكون ، عبر وسيلة مشروعة تحفظ لها كرامتها ، وتحول دون اختلاط الأنساب ، وهتك الأعراض ، إضافة إلى ستر كلا الزوجين للآخر وإمتاعه وقضاء شهوته في إطار الحلال ، وبعد تحقق شروطه واكتمال أركانه وجعل الله تعالى المودة والرحمة أساساً للتعامل بين الزوجين ليواجهها معا متاعب الحياة، ويتغلبا على تحدياتها. وتابع: "ما يقوله هذا الفنان لم يراع هذه الأهداف السامية ، بل لم ينظر إلى الزواج إلا على أنه مجرد قضاء شهوة وصداقة بين رجل وامرأة ، ومن هنا كان الشطط والخلل والخبل. واستطرد: "ما يدعو إليه ليس زواجاً شرعياً مكتمل الأركان ، وإنما هي دعوة إلى البغيء ونشر الفسق والفجور في المجتمع تحت مسمى (زواج المساكنة) ، إن كان يقصد من كلامه الدعوة إلى إقامة علاقة جسدية مكتملة بين رجل وامرأة بدون زواج شرعي. وأردف شاهين: "لا وصف لكلامه عندي إلا أنه شغل تسالي لا يناسب مقام الزواج ، الذي وصفه الله تعالى في كتابه بالميثاق الغليظ" ، موضحاً: "من هنا فإني أرفض كلامه جملة وتفصيلاً! وأضاف: "أرفض كلامه كذلك من الناحية الأخلاقية. البنت المحترمة بنت الناس لا تقبل إلا برجل محترم يحفظ لها كرامتها ومكانتها وحقوقها ، إنما شغل التسالي الذي تُسميه مساكنة قد يناسب بعض أخلاق من أنت معجبٌ بهم في الغرب مثلاً ، لكنه لا يناسب أخلاق مجتمعاتنا وبناتنا ، وبنات الناس المحترمات لا يقبلن به أبداً ، فالحرّة تموت ولا تأكل بثدييها. وأشار شاهين إلى أن الله أمر من لا يستطيع أن يتزوج أن يتعفف عن الوقوع فيما حرم الله ، متسائلاً: ما بالنا بمن يستطيع الزواج؟ لا شك أن العفة في حقه أولى وأوجب! وتابع شاهين: "كما حرم الله نشر البغيء أو دفع الفتيات إليه لأي سبب" ، موجهاً نصيحة إلى محمد عطية قائلاً: "أنصحك أن تستفيق لنفسك ، فالمسألة

ليست لعبة.. هذي حياة ، وأسررة ، وأعراض وأبناء ، وسُمة ناس ومجتمع. حاول أن تقرأ وتفهم قبل أن تتلفظ بكلام أرعن ، قد يفهم منه أنك ناقم على الدين والقيم ، أو يفهمه البعض منك على أنه دعوة للإلحاد لتشجيعه على «المساكنة» بدون عقد زواج).هـ. وقال الأزهر للفتوى: "المساكنة "زنا" حكمها من الكبائر واعتداء على كرامة المرأة! وجدد مركز الأزهر للفتوى الإلكترونية ، تأكده على أن الدعوات البانسة إلى ما يسمى بـ«المساكنة» تنكّر للدين والفطرة ، وتزييف للحقائق ، ومسح للهوية ، وتسمية للأشياء بغير مسمياتها ، ودعوة صريحة إلى سلوكيات مشبوهة محرمة. لقد أحاط الإسلام علاقة الرجل والمرأة بمنظومة من التشريعات الراقية ، وحصر العلاقة الكاملة بينهما في الزواج ؛ كي يحفظ قيمها وقيم المجتمع ، ويصون حقوقهما ، وحقوق ما ينتج عن علاقتهما من أولاد ، في شمول بديع لا نظير له. يُحرّم الإسلام العلاقات الجنسية غير المشروعة ، ويحرّم ما يوصل إليها ، ويسمياها باسمها «الزنا» ، ومن صورها ما سمي بـ«المساكنة» التي تدخل ضمن هذه العلاقات المحرّمة في الإسلام ، وفي سائر الأديان الإلهية والكتب السماوية العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج ، وإن غلفت مسمياتها بأغلفة مُنمّقة مضللة للشباب ، كتسمية الزنا بالمساكنة ، والشذوذ بالمثلثية...إلخ ؛ - بمنتهى الوضوح - علاقات محرمة على الرجل والمرأة تأبى قيمنا الدينية والأخلاقية الترويج لها في إطار همجي منحرف ، يسحق معاني الفضيلة والكرامة ، ويستجيب لغرائز وشهوات شاذة ، دون قيد من أخلاق ، أو ضابط من دين ، أو وازع من ضمير. والزنا كبيرة من كبائر الذنوب يعتدي مرتكبها على الدين والعرض ، وحق المجتمع في صيانة الأخلاق والقيم ، وهبوط في مستنقع الشهوات ، وقد سمّاها الله تعالى فاحشة ، وبيّن أن عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة ، ساء سبيل من ارتكبها ولو بعد حين ؛ قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}. ولا ينحصر تحريم هذه الكبيرة على المسلمين فقط ؛ ففي الوصايا العشر: "لا تزن". عقد النقاشات حول قبول المساكنة على مرأى ومسمع من الناس طرح عبثي خطير ، يستخفّ بقيم المجتمع وثقافته وهويته ، ولا يمتّ للحرية من قريب أو بعيد ، إلا حرية الانسلاخ من قيم الفطرة وتعاليم الأديان. وطرح دعوات صريحة توجّه المجتمع نحو ممارسات منحرفة ، وعرض المحظور في صورة المقبول ، يُحطّم كثيرًا من حصون الفضيلة في نفوس النشء والشباب ، الذي هو حجر الزاوية في المجتمعات وركنها الركين ، مما يُنذر بخطر الاجترار على حدود الله ومحارمه. وتقديم المساكنة للمجتمع في صورة بديل الزواج أو مُقدّمة له بزعم تعرّف كلا الطرفين على الآخر ؛ إمعان في إفساد منظومة الأسرة والمجتمع حقوقيًا وأخلاقيًا ، ودينيًا ، واختزال لعلاقة الزواج الراقية بين الرجل والمرأة في متعة زائفة ، واعتداء على كرامة المرأة ، وإهدار لحقوق ما ينتج عن هذه العلاقة من أولاد فالبدائيات الفاسدة لا تثمر إلا الفاسد الخبيث. والجرأة في طرح الجرائم اللاأخلاقية ، والسعي لتطبيع هذا النوع من العلاقات الشاذة والمحرّمة ، من خلال خطط شيطانية ممنهجة ، تعصف بقيم الفطرة النقية ، وتستهدف هدم منظومة الأخلاق ، ومسح هوية الأفراد ، وتعبث بأمن المجتمعات واستقرارها ؛ هذه الجرأة جريمة مستنكرة ممن لا يقيمون وزنًا لهدي السماء وحكمة العقل ، ونداءات الضمير. ويشد الأزهر على أيدي الآباء والأمهات ، والمؤسسات الثقافية والتربوية والتعليمية ، فيما يضطلعون به من أدوار تربوية نحو النشء تعزّز قيم الآداب والفضائل الأخلاقية والدينية القويمة والراقية ، وتُحصّنهم من الوقوع في مستنقعات الشهوة والرذيلة! ويهيب الأزهر بأصحاب الرأي والفكر والإعلام أن يكونوا على حذرٍ من استغلال منابرهم في الترويج لمثل هذه الدعوات الهابطة ؛ عن عمدٍ أو غير عمدٍ ؛ لنشر فتنة أو رذيلة تعبث باستقرار

المجتمعات وأبنائها ، وتروج للفواحش المنكرة ، والأفكار الوافدة ، التي تحاول النيل من ثوابت ديننا الحنيف ، وقيم مجتمعاتنا العربية والإسلامية! من أجل ذلك كله ، كانت قصيدة: (المساكنة - زواج التجربة) لتثبت أن شاهداً على العصر أنكراها ومقتها! وتكلم عنها بصدق شعراً ونثراً!

إِنَّ شَرَّعَ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ  
وَالْجَاهِلِيَّةِ أَنْشَأَتْ أَظْفَارَهَا  
وَبَغَى بِبَاطِلِهِ الْجَهْلُ ، وَمَا ارْعَى  
وَأَسَاقَ مُعْتَمِداً عَلَى أَهْوَائِهِ  
وَأَطَاعَ كُلَّ مُعْرِبٍ نَزَوَاتِهِ  
وَأَسْتَسَلَمَتْ لِلْمُجْرِمِينَ عَقَائِلَ  
وَأَسْتَوْرَدَ الْأَقْوَامُ أَلْوَانَ الْخَنَا  
إِنْ أَصْبَحَتْ دِيناً صَانِعَ هَزْلِهِمْ  
فَأَقَمَ عَلَى دُنْيَا الْخَلَائِقِ مَأْتِماً  
الْغَرْبُ جَنَدُنَا بِشَرِّ سُفُولِهِ  
وَتُنَّ تَمَثَّلُ فِي التَّقَالِيدِ اعْتَلَتْ  
وَأَعَارِنَا وَتُنَّ السَّقُوطِ مُفْتِناً  
مِنْ فَسَقِهِ بَرِيءٍ (الْمَسِيحِ) وَهَدِيَّةٍ  
وَدَعَا إِلَى الْأَخْلَاقِ قَوْماً أَعْرَضُوا  
لَمَّا يَعْزُدُ فِيهِمْ رَشَادٌ أَوْ هُدًى  
وَدَعَا إِلَى حُرِّيَّةٍ مَزْعُومَةٍ!  
طَاشَتْ مَوَازِينُ التَّحَضُّرِ عِنْدَهُمْ!  
فَإِذَا بِمَجْتَمَعٍ يُدَمِّرُهُ الزُّنَا  
وَأَرَاهُ فَاجِئاً بِأَحْقَرِ عَادَةٍ

وَأَسْتَشْرَفَتْ مَنظُومَةَ الطَّغْيَانِ  
حَتَّى غَدَا الْإِنْسَانُ كَالْحَيَوَانَ  
لِلْحَقِّ يُشْهَرُ مَبْدَأُ الْإِذْعَانِ  
حَتَّى يُشْرِعَ فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ  
وَمَضَى يُغْلَبُ ثَوْرَةَ الشَّهْوَانِ  
فَإِذَا بِهِنَ دَوَاعِرُ النَّسْوَانِ  
وَطَرَائِقُ الْإِفْسَادِ وَالْعِصْيَانِ  
وَالْحَقُّ ضَاعَ لَصَوْلَةِ الْأَيْدِيَانِ  
وَابِكِ الضِّيَاعِ جَنَى عَلَى الْإِنْسَانِ!  
وَأَعَادَنَا لِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ  
مَتَنَ التَّحَلُّلِ شَاعَ فِي الْبُلْدَانِ  
يُودِي بِنَا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
إِذْ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ  
بَلْ قَابَلُوا بِشُرَاهُ بِالْعُدْوَانِ  
وَدِيَارُهُمْ خَمَّتْ مِنَ الْخُسْرَانِ  
وَنَكَالَهَا مَا كَانَ فِي الْخُسْبَانِ!  
وَهَوَى النَّفْسُ يُخِلُّ بِالْمِيزَانِ  
وَمِنَ التَّرْدِيِّ وَالْهَوَانِ يُعَانِي  
بِاللَّهِ مَا خَطَرَتْ عَلَى الْأَذْهَانِ!

بين البنات تكون ، والشبان  
من أحقر الأجوار والسكان!  
وبئالئ المجموعة الشيطان!  
وسيدفع الإيجار بعد اثنان!  
ماذا العلاقة أيها الجاران؟!  
إن العلاقة صُحبة الخلان!  
لا ضير ، هذي عشرة الأخدان  
بين المساكن دونما استهجان  
لا شيء أجمل من عطا الإخوان!  
ويريب قطعاً كل ذي رُحمان  
هل أضحت الأبيات سوق غواني؟  
ثم الزواج تتممة البرهان!  
لما تُشاهد قبلها العينان!  
وإذا استحلّ فخصلة الكفران!  
ولجاءنا في شرعة (العدنان)  
إنّ اتباع الفسق شرّ هوان!

قالوا: (المساكنة) البريئة دأبنا  
في غرفةٍ قد رَحبت بثلاثةٍ  
بنيّةٍ مرضية ، وبجارها  
أغراب ما بين الثلاثة كلفة  
هذي الخريدة ، والمكرم جارها!  
أخوان؟ لا! زوجان؟ لا! ماذا إذن؟!  
هي زوجة إن شاء دون موثّق  
هي جارة وجوارها متحقّق  
هي أختُه إمّا أراد إزاءها  
وهنا سؤال حائر يعشى الجبا  
في شرع من هذا التفحش جائز؟!  
قالوا: يُجرّبها ، وبعد يُحبّها  
إذ بالتجارب تستبين مناقب  
هذا انحطاط لا سبيل لوصفه  
لو نافع لأحله ربّ السما  
ياربّ جنبنا الفسوق وأهله!

## أن تصيبوا قوماً بجهالة!

(يُحكى أن رجلاً يدعى (عُمر) كان مصاباً بالصَّرعة وعدم التروي ، كان قد عاد من العمل باكراً ، وعندما دخل الى المنزل رأى زوجته تضرب أخته. فلم يحتمل. بل اشتعل غضباً. وفوراً قام بصفع زوجته ، وأمسك بشعرها وجرها لداخل غرفتها؟ فجمعت الزوجة ملابسها في عَجالة وهي تبكي ، وأخذت طفلتها ، واستأذنت زوجها وذهبت إلى شقة أبيها التي كانت في البناية ذاتها! وراح الزوج يُقبل رأس أخته ويعتذر لها. ولم يسأل عن سبب الشجار الذي دار بينها وبين زوجته! ثم هدأ وتوضأ وصلى ركعتين ، واستلقى على سريره ، ونام لساعتين ، وكان لم يحدث شيئاً؟ وفي المساء عادت أمه التي كانت قد ذهبت لزيارة ابنتها الأخرى! فسألت الأم عن زوجة أبنها! فأخبرها ابنها بما حدث؟ فصاحت الأم العجوز ، وقامت بصفع ابنها وقالت: ماذا فعلت أيها الغبي. فأجاب غضباً؟ لن أسمح لها بأن تضرب أختي ، لقد أغضبني تصرفها المتوحش ، ولا أريد أن أراها في منزلي مرة أخرى؟ فقالت الأم: وهل تعرف عن السبب. أجب: لا حاجة لمعرفة السبب ، لقد كان كل شئ واضحاً أمامي؟ فقالت الأم: وأين هي أختك الآن يا عبقرى؟! فأجاب: لقد أخبرتني أنها تريد الذهاب إلى غرفتها لتستريح. فسمحت لها بالذهاب ثم ذهبت للنوم! فقالت الأم: أتحداك إن كانت في غرفتها أو في البيت أصلاً! إن أختك لن تعود ، لقد هربت يا غبي ، وهذا بسببك! وهنا انصدم الزوج؟ فقال: ماذا تقصدين يا أمي بأنها هربت؟! فأجابت: إن أختك تواعد شاباً في مكان كذا (وحددت المكان لابنها) ، وعندما كشفتها زوجتك قررت الهروب مع الشاب. وكنت كل يوم أدع زوجتك تراقبها عندما أخرج من المنزل ، وقلت لها إذا حاولت الهروب من المنزل قومي بحبسها وإذا اضطرت إلى ضربها فاضربيها. كل هذا من أجل الحفاظ على سمعة العائلة. ولكن ماذا فعلت أنت؟! لقد ساعدتها على الهروب يا أحمق. إنها على يقين أن أمرها سينكشف إن أجلاً أو عاجلاً! أخبرني الآن هل أنت سعيد؟! فغضب الرجل وذهب يبحث عن أخته مبتدئاً بالعنوان الذي ذكرته أمه. وبعد ساعات ووجدتها مع شاب في أحد المطاعم في المكان ذاته وفوراً قام بضرب الشاب حتى كاد أن يموت بين يديه. ثم أخذ أخته وعاد بها إلى المنزل. وأبرحها ضرباً شديداً! ثم قالت له أمه: اذهب وأرجع زوجتك ، ولا تأت بدونها. فذهب الزوج إل شقة صهره ، وطرق الباب ، فقامت زوجته بفتح الباب ، وعندما رأت أنه زوجها عمر ، قامت بمعانقته ثم همست في أذنه قائلة: يا عمر ، أنا لم أخبر أهلي بأنك ضربتني ، بل أخبرتهم بأنك سوف تسافر يومين وستعود! إنهم لا يعرفون شيئاً عن الموضوع فكن حذراً؟! وهنا شعر الزوج بالحزن ، وبالكاد منع دموع من التدفق ، ثم قال: "لقد تأجل السفر يا عزيزتي ، وأني لا أطيق المنزل بدونك". وأخذ زوجته وطفلته وعاد بهما إلى المنزل ، وقام بالاعتذار لها ، ثم وعدا بأنه لن يرفع يده عليها مهما حدث! فكتبت في هذا الشأن أقول بأنه لا بد من التثبت والتحقق يا قوم!

يُفِيدُ التَّبَيُّنُ مَنْ يَدَكُرُ      وَيُفْلِحُ فِي النَّاسِ مَنْ يَعْتَبِرُ  
فَكَمِ مِنْ ظَنُونٍ أَبَادَتْ قَرَى      فزايِلَ عُمرَانِهَا والبشَرِ!  
وذي قِصَّةٍ تَسْتَثِيرُ الحِجَابَا      وفيها لبيبُ السُّورى يَفْتَكُرُ  
فقد عاد من (شُغله) عائِلٌ      وعايِنَ في البيت ما لا يَسُرُ

وتضربُها ، فاحتواه الضجر  
يضيِّقُ بها السَّمْعُ بعدَ البصر  
ولم يكُ في حُكمه المُصطبر!  
وحكَّمَ إحساسَه المُستعر  
ويُنصِفُ لو كان يدري الخبر  
قوى كفه ، ثم لفَّ الشعر  
وغصَّ بهويًا به المُعتكر  
وغلبَ في الحُكم سَمَت العجر!  
لتمحو ما نالها من كدر!  
فوافقَ زوج ، ولم يعتذر  
فقد أرجع الحق ، فليبتشر!  
تُسائلُ عن زوجه في حذر  
فقد فاجأته بشيءٍ نُكر!  
ومالت إلى الصَّفَع ، لم تدكر!  
وجاوزت في الظلم حدَّ الخطر  
لثخمدَ ناراً هنا تستعر  
وهذا الحريقُ ابتداء بالشرر  
لقد يُفصِّحُ السؤلُ عما استتر  
تُخادِنُ محبوبَها المُحتقر!  
وقد تعتدي فتزيدُ المرر!  
وظني كسُورك لن تنجبر!

رأى زوجَه تزدري أخته  
وتكوي بأفاظها سُمعة  
ولم يسأل الزوج: ماذا جنت  
ولكن تسرعَ فيما ارتأى  
وقادته عاطفة أضرمت!  
فأمسكَ بالزوج مسـتجمعاً  
وجرَّ الحلياة ، لم يرتفق  
ولم يلتبسَ أيَّ عُذر لها  
وطابَ لزوج حمى أهلها  
وقبل الرحيل له استأذنت  
وأرضى الأخيصة مستبشراً  
وعند المساء أتت أمه  
فأخبرها الابنُ مسـتنكراً  
وضاقت عجزاً بصنع ابنها  
وقالت: تهوَّرت ، لم تعتدن  
أصابت بجهاك من جاهدت  
حريقٌ تضرمُّ يودي بنا  
فهل تساءلت عن فعلها؟!  
ألا إن أختك في غيها  
وتلقاه في صُبحها والمسا  
هداديك كن منصفاً راشداً

أنا للتثبُّت أرسيت ألتها  
ولكن غوث ، واسـتكانت لمن  
وناولها العشق كأس الهوى  
أتترك حَبلاً على غارب؟!  
أترضى بما مارست من حنا؟!  
أفق من ظنونك يا عابثاً  
وراقب بنفسك حتى ترى  
فلما تأكد لك الشققا  
وأعطاه من ضربه حصاة  
فعاد إلى رُشده ساذج  
وعاد بـ (ليلي) إلى دارها  
وجد المسير إلى زوجته  
فقالت بهمس: أنا لم أبخ  
ولكنني سُقت تيريرة  
فسلم عليهم ، وكن حاذراً  
حنانك ناز الخلاف انطفت  
وإما رجعتا إلى بيتنا  
وعاد الجميع ، ولم ينشروا  
وأدرك زوج صوى قصة  
تقول: التبَّين منهاجنا  
تعالى المهيم من سانه

لترقب أختاً بها نفتخر  
بها - دون وعي لديها - مكر  
وقلبي بما قد جنته انطمر  
فماذا تؤمل أو تنتظر؟!  
أراك إلى صحوه تفتقر!  
وحاذر - لنفسك - أن تنتصر  
صنيع الأخية خلف السُّتر  
ولقن (قيساً) دروس العُمر!  
تُفِق من السكر غراً سكر  
وأدرك عُقبى الغواية غر!  
وما زال يضرب حتى فتر!  
يسوق لها العذر عمّا بدر  
لأهلي وقومي بما هو سير!  
وعللت ما قلته بالسفر  
ولا تُفش أسرارنا يا (عُمر)!  
وزالت مع النار ريح الغير  
فقل ما بدالك ، واقض الوطر!  
شجاراً يُدمر إمّا نشر  
تعايرها ساطعت كالذُرر  
وترك التبَّين حُمق وشَر  
وبين فحواه خير البشر!

## أيقظيهم ، فصلاّتهم أولى!

(دخل رجل على زوجته بعد صلاة العشاء ، ووجد الأولاد قد ناموا! فسألها: هل صلى الأولاد قبل أن يناموا أم لا؟ فقالت: لم يكن عندي طعام ، وعلّثهم حتى ناموا ، ولم يُصلُّوا يا زوجي العزيز. فقال: أيقظيهم لكي يُصلُّوا. قالت: يا أبا جاد الحق ، إذا أيقظتهم سيبيكون من الجوع ، ولا يوجد في بيتنا طعام. قال: يا امرأة ، إنَّ الله أمرني بأن أمرهم بالصلاة ، ورزقهم ليس علي. أيقظيهم فرزقهم على الله. الله يقول: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۚ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى). وهنا استسلمت الأم وأيقظتهم ، ولما فرغوا من الصلاة إذا بالبواب يُقرَع إذا بأحد الأغنياء يحمل مائدة عليها ما لذ من أصناف الطعام. قال: خذ هذا لأهل بيتك. قال: ما سأئك؟ قال: جاعني أحدُ أشرف البلد ، وقدمت له هذا الطعام ، وقبل أن يأكل تخاصمنا ، وحلف أن لا يأكل شيئاً وخرج. فحملتُ الطعام ، وقلت سأعطيهِ لمن تفقد عنده قدمي ، والله ما وقفت إلا عند بابك ، والله لا أدري ما الذي أتى بي أليكم. عندها رفع الأب كفيه لرب العالمين وقال: "رَبِّ اجْعَلْني مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رِبًّا وَتَقَبَّلْ دُعَائِربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب". وأدرك ساعتئذ أن أمره لأولادهم بالصلاة كان سبباً مباشراً في إغداق الرزق عليهم من حيث لم يحتسب أو يحتسبوا! وصدق الله: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) جاء في تفسير ابن كثير ما نصه: (وقوله: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها} أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة ، واصطبر أنت على فعلها كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا}. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ویرفاً ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها ، فربما لم يغم فنقول: لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا [استيقظ أقام] - يعني أهله - وقال: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها". وقوله: {لا نسألك رزقاً نحن نرزقك} يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب ، كما قال تعالى: {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} ، وقال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} ، ولهذا قال: {لا نسألك رزقاً نحن نرزقك} وقال الثوري: {لا نسألك رزقاً} أي: لا نكلفك الطلب. وقال ابن أبي حاتم [أيضاً]: حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام ، عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا ، فرأى من دنياهم طرفاً فإذا رجع إلى أهله ، فدخل الدار قرأ: {ولا تمدن عينيك} إلى قوله: {نحن نرزقك} ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله! وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، عن ثابت قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله: "يا أهلاه صلوا ، صلوا". قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة. وقد روى الترمذي وابن ماجه ، من حديث عمران بن زائدة ، عن أبيه ، عن أبي خالد الوالبي ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك. وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك". وروى ابن ماجه من حديث الضحاك ، عن الأسود ، عن ابن مسعود: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: "من جعل الهموم همأً واحداً هم المعاد كفاه الله هم دنياه. ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك". وروي أيضاً من حديث شعبة ، عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان ، عن أبيه ، عن زيد بن ثابت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيته ، جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة". {والعاقبة للتقوى} أي: وحسن العاقبة في الدنيا

والآخرة ، وهي الجنة ، لمن اتقى الله).هـ. كتبت في هذا الموقف التوحيدي العقدي الجميل هذي القصيدة المعبرة عن أن حسن الظن بالله يأتي بالخير! فينبغي على كل مسلم ، أن يحسن الظن بالله!)

ما بال وجهك فيه الحزنُ يلهبُ؟! ونبرة الصوت بالإيلام تختضبُ؟!  
والجوُّ يعصفُ بالأوجاع صُبحَ مساء؟! والحالُ مُجدلٌ ، والبيتُ مكتئبٌ؟!  
رفقاً بنفسك ، هذا الضُرُّ مُفرجٌ وحسنُ ظنك بالرحمن يُطلب  
أولادنا أين؟ لا حسَّ ولا خبرًا! ولا ضجيجٌ ولا فوضى ولا جلب!  
هل ياترى صلوا العشاءَ عن رغب؟ وكم يُضيفُ لها الطلاوة الرغب!  
فقالَت الزوجُ: جاعوا ، فاعتذرتُ لهم إذ لا طعامَ به يُستدفعُ السَّغب  
فرحنتُ من خيراتي الشجوى أعلهم حتى يناموا ، وقلبي بات ينتحب  
ولم يُصلوا ، وأخشى إن هم يقظوا يُكيهمُ الجوعُ جوعُ المعدة اللهب  
فقال: يا (أم جاد الحق) لا تهني بذى الصلاة يزولُ الجوعُ والنصب  
فلتـ وقظيهم بأمر الله خالقتنا فالخيرُ في طاعة الرحمن يُرتغب  
على المهيمين رزقُ الناس أجمعهم وبالمعاصي عطاءُ الله يُحتجب  
فاستسـ لمت أمهم ، والله وفقها وأيظـ ثهم ، فابى العترة النجب  
أدوا صلاتهم ، والجوعُ يعصرهم ويستبدُّ بهم ، والأكلُ ما طلبوا  
وإذ بمائدة مُدَّت على عجل قبالة الباب فيها اللحمُ والحلب  
فيها من الأرز ما شاءت شهيتهم! فيها الشواءُ ، وفيها السمْنُ والرطب  
كانت مُقدَّمة لسيدِ نبيه من عليه القوم ، نعم الجاهُ والقرب  
وأقسمَ السيدُ المغوارُ في ملاء أن ليس يأكلُ إذ أودى به الغضب  
قال المضيفُ أعطي الأكل من وقفـت ببابه قدمي إذ عاقها التعب!

## حرامي بالوكالة!

(الأصل في المعاملات بين الناس أن تكون قائمة على الصدق والأمانة والصراحة والنزاهة والشفافية! بمعنى أن زيداً لو قصد عمراً في شراء سلعة ما ، أو جهاز ما ، أو أرض ما ، أو عقار ما ، أن يقوم الثاني بالشراء للأول ، ثم يُسَلَّم للشاري عقد الشراء أو فاتورته أو شهادة الضمان إبراءً للذمة وإنفاذاً للحق! وإذا أرسل زيدٌ لعمراً مالاَ لإنجاز مهمة ما أو بناء عقار ما أو لتسديد دين ما ، فإن على عمر أن يصونَ المال ، ولا يُوكِّل في البناء أو الإنجاز أو التسديد رجلاً آخر إلا بإذن صاحب المال ، أو على الأقل يكون الذي وكل إليه أي شيء من هذا صادقاً وأميناً ، يشهد الناس له بذلك عن علم ومعاملة وتجربة! أما أن يقوم عمر بتوكيل سارق على التحقيق وخائن للأمانة بكل ما تعنيه الكلمة وغادر لا يشك في غدره وعديم الصدق بالمرة ، فيعتبر عمر سارقاً بالوكالة وغادراً بالوكالة وخائناً بالوكالة! ذلك بأنه ارتضى وكيلاً عنه لصاً خائناً غادراً ، قامت الأدلة والقرائن والبراهين على غشه وتدليسهِ وسرقة مع سبق الإصرار والترصد! وعندما يُراجع في ذلك ، فبدلاً من أن يستغفر الله ، ويسترجع ، ويحولق ، ويحوقل ، ويستسمح صاحب المال ، ويطلب منه العفو وعدم المؤاخظة ، إذا به يُكابِر ويصِرُّ مستكبراً كأنه قد ضمن عند الله تعالى البراءة الكلية المطلقة! ولا والله ، بل هو بلا شك حرامي بالوكالة!)

أراك من المَواعظ ما اتعظتـا	ومن زُبد التجارب ما اعتبرتـا
ولم تأخذ دروساً من حياةٍ	يفيدُك درسُها إمّا درستـا
ولم تسأل لتكتشف الخفايا	فليتـك قد سألت إذا جهلتـا
حياتُك كلها لِعِيبٍ ولهُوٍ	فليتـك في عبادتـك اجتهدتـا
أضعت العُمر في قيل وقيل	وعِشت تسوؤمنا عَجْناً ولتـا!
ويُعَلِي الجِدَّ صاحبه ، فيسمو	ولو أدركت جَدَّك ما هزلتـا
سألت إلى المَلاعب كلَّ درب	فليتـك ما شغفت بما سألتـا
كم استفزت في سر وجهر!	والاستفزاز ضاقَ بما سألتـا!
كم استعديت حولك من أناس	فما نصروك لَمَّا أن هُزمتـا!
وعنك انفضَّ قوَمٌ ، فاستراحوا	ووحدي لم أعبك بما أتيتـا
وفيك وثقتُ مُحْتَفِلاً بخلي	وأنت بأي خِلٍّ ما وثقتـا
وأمرُك رَغْم شِدته مُطَاعٌ	كأنك بالعدالة قد أمرتـا
ونهيك أنتهي عنه احتراماً	كأنك عن ضلال قد نهيتـا

وَمِنْ ثِقْتِي انْتَمَنْتُكَ مُسْتَعِيناً  
وَأرسلتُ النُقُودَ أريدُ داراً  
فهل صُنْتَ النُقُودَ وَكنتَ عَفَاً  
وهل أعملتَ فِكْرَكَ في اتبَاعِي  
وَأذنتُني النتائِجَ مُوسِبَاتٍ  
فقد بَدَدتَ أَمْوَالِي اعتباطاً  
وأشركتَ (الحرامِي) مُسْتَهيناً  
فصيرتَ كمثلَه في شَرِّ حُكْمٍ  
ولكنَّ حُكْمُ شَرِّعِ مُسْتَبِينٍ  
مَنْ انْتَمَنَ الخُؤُونََ غداً خُؤُوناً  
أما أَخبرتَ عن تَدْلِيسِ لَصِّ؟  
أما خانَ الأمانةَ يَوْمَ غَالِي  
ووثقتَ بِهِ ، وَأنتَ بِهِ عَلِيمٌ  
فهل في اللصِّ إِحْسَانُ النَوَايَا؟  
إلى أن جَاعني الدَّوْرُ المُوَاتِي  
عَذرتُكَ طالما دَهراً طَوِيلاً  
ألا إِنِّي اشْتَكَيْتُكَ يا جَهْولاً

بِربِّ النَّاسِ أَقْدُرُ ما بَدَلتَا  
ومالي بَعْدَ إِرسالي اسْتَلمتَا  
وأحسنتَ التَّصَرُّفَ واستشَرْتَا؟!  
ونفدتَ الشُّرُوطَ وما اقترحْتَا؟!  
لأنَّكَ بالأوامرِ ما التزمتَا  
وعمداً بالحقائقِ ما اعترفتَا  
بُحرمةَ ما أتيتَ وما فعلتَا  
ولستُ أنا الَّذِي في الوضِعِ أفتى  
فهل عوجاً وَجَدتَ بِهِ وأمتا؟!  
فهل يوماً جَهِلتَ مَنْ انْتَمَنْتَا؟!  
وأنتَ بما يُدَلِّسُ قد خَبرتَا  
وقال: البَيْتُ مِلْكِي ، فانفعلتَا؟!  
وغلَبتَ العواطفَ ، فانتكستَا  
ولمئذٍ أَنْ فَعَلتَ فما عذرتَا!  
وربُّ النَّاسِ يَعْلَمُ ما صَنَعْتَا  
لعلَّكَ تَسْتحي مِمَّا اقترفتَا  
لربِّ عَالَمٍ ما إذا اجترحْتَا!

## سارق مال أبيه؟

(مثل الخائن لوطنه كمثل السارق من مال أبيه ليطعم! ليست كلمتي ، ولم يقلها عربي ولا مسلم مثلي! إن هذا الخائن لوطنه يشبه حقيقة السارق من مال أبيه ، من أجل أن يطعم اللصوص ، فلا أبوه يسامحه على سرقة ، ولا اللصوص يشكرونه على إطعامهم! أما قائل الكلمة الحكيمة فهو (نابليون بونابرت) فما المناسبة ولم قالها؟! هذا نجده في كتاب التاريخ والتراجم! اجتاح نابليون أوروبا ، ووصلت جيوشه إلى حدود النمسا في عام 1809م ، ولكن الجيش النمساوي هزمه في معركة أسبرن! وهنا ازداد شعور نابليون بالانكسار نتيجة خسارته في معركة أسبرن ، فطلب من ضباطه أن تكون المعركة استخبارية ، وبدأ ضباطه يبحثون عن جاسوس نمساوي يساعدهم على الدخول إلى النمسا من خلال نقطة ضعف في الجيش ، وبعد جهدٍ جهيدٍ وسعيٍ حثيثٍ ، عثروا على رجل نمساوي كان يعمل مهرباً بين الحدود ، وتففقوا معه على مبلغ من المال إذا هم استفادوا من معلوماته ، فدلهم الخائن على منطقة جبلية يوجد فيها جيش نمساوي قديم لكون المنطقة شبه مستعصية. وبالفعل ، تمكن الجيش الفرنسي من اقتحام المنطقة واحتلالها ، وبعد أن استقر الوضع لفرنسا ، جاء الخائن النمساوي لمقابلة نابليون بونابرت ، فأدخلوه على الإمبراطور في خيمته التي اتخذها قريباً من المعسكر ، وكان جالساً في قاعة كبيرة داخل الخيمة ، وما أن رأى نابليون ذلك الجاسوس النمساوي ، حتى رمى له بقبضة من النقود في صرة على الأرض ليأخذها ثمن خيانتته وجزء أتعابه. فقال الجاسوس: سيدي العظيم ، يشرفني أن أصافح قائداً عظيماً مثلك. فرد عليه نابليون: أما أنا فلا يشرفني أن أصافح خائناً لوطنه مثلك. وانصرف الجاسوس ، وبصق عليه نابليون من وراء ظهره. وكان كبار القادة جالسين عنده ، وتعجبوا من تعامل نابليون مع الجاسوس ، على الرغم من أهمية الأخبار التي نقلها لهم ، وكانت سبباً في انتصارهم. وسألوه عن السبب ، فأجاب نابليون بعبارة من أروع عبارات التاريخ الحديث عن الخائن والخيانة. ماذا قال؟ قال: (مثل الخائن لوطنه كمثل السارق من مال أبيه ليطعم اللصوص ، فلا أبوه يسامحه ، ولا اللصوص يشكرونه). هذه العبارة تلخص واقع الكثيرين اليوم ممن يخدمون الأعداء ، أو ينساقون معهم ويخونون أمانة حملهم الله - تعالى - إياها ، وأرضاً يعيشون فوقهم ، وقوماً ينتمون إليهم! وعلى حد تعبير الأديبة الفاضلة منال محمد أبو العزائم: (الخيانة في الإسلام من الأمراض التي بدأت تنخر في عظام مجتمعاتنا المسلمة ، وهي صفة ذميمة في الإسلام الذي دعا إلى مكارم الأخلاق. فالخيانة هي نقض العهد وخيانة الأمانة. كمن وقع عقداً ثم نقضه أو استؤمن على شيء فسرقه أو ضيعه. والله تعالى لا يحب الخائنين. قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ". ولا تجتمع الأمانة والخيانة في قلب إنسان لأنهما ضدان ؛ قال النبي ﷺ: "لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ ، ولا يجتمع الكذب والصدق جميعاً ، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعاً". وقد استعاذ النبي ﷺ من الخيانة في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة ، فإنها بنست البطانة). فالخيانة من أسوأ الصفات التي يمكن أن تكون في الإنسان ، فمن يخون لا يؤتمن ولا يُثق به أحد بعد ذلك ، حيث هو خان في المرة الأولى ؛ فتسهل عليه الخيانة فيما بعد! ومن هنا كانت الخيانة حرام في الإسلام ، وهي من صفات المنافقين. قال ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان". وللخيانة عقاب شديد في الدنيا والآخرة. في الآخرة ، عقابها هو عذاب النار؛ قال ﷺ: "المكر والخديعة ، والخيانة في النار". ويكون النبي ﷺ خصم الخائن ويتبرأ منه يوم القيامة ، قال ﷺ: "من خان من انتمنه فأنا خصمه". وقال: "من خان شريكاً له فيما انتمنه عليه واسترعا له ، فأنا بريء منه". وجاء في الحديث القدسي: "يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خان؛ خرجت من بينهما". ويعجل الله تعالى عقوبة الخيانة في الدنيا قبل الآخرة ؛ لقوله ﷺ: "ما من ذنب أجد أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم ، والخيانة ، والكذب".

شعري وهي تجر الفقر والفاقة في الدنيا ؛ لقوله ﷺ: "الأمانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر". هـ.  
أنشدت هذه القصيدة من قصائدي ، لتكون بشيراً لكل من يصونون الأمانة ويحفظونها ، وتكون نذيراً  
لكل من يخونون الأمانة! أقولها بصدق من أن الأمانة تحفظ من يحفظونها وتزكّيهم في كل الناس!

تصون الأمانة أهل الوفا	وتغمرهم بالرضا والصفاء
ومن بالأمانة لم يتصف	تضاعل بين الورى ، واختفى
وثزدي الخيانة أصحابها	ومن شومهم حذر (المصطفى)!
وتحيا الديار بمن أخلصوا	ويصبح إخلاصهم زخرفاً
وتخزي الخيانة داراً غفت	كذا الجيل يسقط إما غفا
ويورثها الغدر كل الشقا	وتمسي به بلقعاً صففا
وسارق مال أبيه مضت	كرامته إذ غدا مجففا
وكم بالعمالة يشقى الحمى	ويشكو لنا حاله المؤسفا!
يبغ الديار لأعدائها	خوون تمرق منه الوفا
وتبكي الديار الألى حافظوا	عليها ، وتلعن منس تنكفا
تعمد نهب أبيه ضحى	وبرر ما جاء ، واستشرفا
وأعلمه الأهل معروفيهم	فكابر في التو أن يعرفا
ويوماً يلاقى العقاب الذي	يقابل باطلاً المقرفا
وتشجي الحقائق من رامها	ولن يدرك الحق أدنى خفا
ويكتشف الناس تحريفه	ويظهرو ما دس أو حرفا
ولن يستمر خداع الورى	خداعاً عليه الزمان عفى
يسجل تاريخه هزله	وما شط فيه وما أتلفا
ويمتحن الدهر أعماله	ويثبت ما ذمه أو نفى
وسنة رب السماء قضت	بأن يظهر الحق مستشرفا

## سرقة المنشورات!

(كم أتعجب ممن يسرقون منشورات غيرهم من مقالات أو قصائد أو كتب أو قصص! أين تذهبون يا قوم؟! لماذا تُحبون دائماً أن تُحمدوا بما لم تفعلوا؟! لماذا يحلو لكم انتحال شخصيات ليست لكم وصفات نأت عنكم؟! ويُطرح على الشيخ (المنجد) - حفظه الله - سؤال ويجب عليه! فما السؤال بنصه وما الجواب؟! السؤال: "هل يجب على من ينقل المقالات ومقاطع الفيديو أو المقاطع الصوتية من مواقع أخرى أن يذكر المصدر؟ وهل يحق لصاحب المقالة أو المقطع أن يستاء إذا رأى مقالته منشورة في مكان ما دون ذكر اسمه؟ في الحقيقة: أنا من الناشطين في مجال الدعوة بالكتابة والمقاطع الصوتية والمرئية ، وقد وجدت في مرات عديدة أن بعض الإخوة والأخوات يأخذون هذه المواد وينشرونها دون أن يذكروا اسمي ، بل إنهم أحياناً يُضيفون ويحذفون من محتوى هذه المواد دون إذن مني ، ربما هم يفعلون ذلك بدافع الدعوة ونشر الخير ولكن ليس بهذا الأسلوب ، ومما يدل على حسن نواياهم أنهم لا يذكرون أسماءهم أيضاً ، وإلا لكانت الطامة أشد. لا أدري ما سبب هذه الفوضى ، ولا أظن أنه من المناسب أن أسألهم ، كما أنني لا أعرف هؤلاء الإخوة والأخوات ، ولكنني في الحقيقة أشعر باستياء شديد حيال ذلك ، لطالما حاولت إقناع نفسي أن هذا عمل خير ودعوة ، وأنه يجب عليّ أن ابتغي الأجر من الله تعالى ، وأن أغض الطرف عن مثل تلك الأفعال ، ولكن الكيل طغح هذا الصباح عندما رأيت مقالة هي من بِنَيَات أفكاري وقد نشرها زيد أو عمرو؟ هل يقدر ذلك في إخلاصي؟ أنا في الحقيقة في حيرة ، لا أدري إن كان استيائي هذا دافعه حب الظهور ، أم إنه شعور بعدم احترام الملكية الفكرية للآخرين ، علماً أنني لا أستخدم اسمي الحقيقي عند كتابة هذه المواد الدعوية ، لذلك فإن الناس لا يعرفون من هو كاتبها على وجه التحديد ، بمعنى أن دافع حب الظهور قد يكون معدوماً. أرجو منكم المساعدة ، ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ أو بالأصح: ماذا يجب على هؤلاء الإخوة والأخوات أن يفعلوا؟ هل يجوز لهم نقل مثل هذه المواد دون أن يعزوها إلى أصحابها أو دون أن يذكروا المصدر؟ أرجو ذكر الدليل من الكتاب والسنة. ربما يبدو أن الأمر يسير في نظر بعض الأشخاص ، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي ، إنني أبكي في بعض الأحيان بسبب ذلك! أفيدونا أفادكم الله!! والجواب: أولاً:- نرجو أن تهوّن على نفسك أخي السائل فالأمر لا يستحق البكاء وما دمت تريد الفائدة للناس ورأيت جهودك تنتشر في المواقع والمنتديات ، فإن هذا ينبغي أن يدعوك للفرح لا للحزن! ولعلّ مما يسليّك في هذا الباب ما صحّ عن الإمام الشافعي رحمه الله من قوله: "وددت أن الخلق تعلموا مني هذا العلم على أن لا ينسب إليّ حرف منه". ، وإنما نُسب له العلم لأنه باشر التعليم بشخصه ، والناس لا تأخذ العلم عن مجهول فلذا كتب اسمه على مصنّفاته ، وبما أنك لا تكتب باسمك الحقيقي فإنه يمكنك تحقيق أمنية الإمام الشافعي بما تصنعه من مواد دعوية وبما تنشره من مقاطع صوتية ومرئية! ومن حقك أن تُنسب أعمالك وأقوالك لك ، ولا يجوز لأولئك نشر تلك المواد دون إحالة على مصدرها الذي نقلوا عنه ، ومن حقك مراسلة الموقع ومحاسبته على عدم الإحالة ، لكننا في الوقت نفسه نرى أن عليك أن تفرح بأعمالك التي تلقى رواجاً في المواقع الإلكترونية ويستفيد منها القراء ، والتاريخ يبيّن الحقائق ويميّز الصادق من الكاذب ؛ فأنت تعلم أنه لا يُنشر شيء في منتديات الإنترنت إلا بتاريخ ، فمن نشر المواد التي قمت بصياغتها أو كتابتها ، فإنه يمكن تبين حقيقة المصدر من خلال تاريخ النشر ، فیتبين للناس الفارق بين المصنّف والسارق! وهناك اقتراح يمكن أن يكون نافعاً لك ، وهو أن تنشئ صفحة خاصة بك تجمع بها أعمالك ليسهل النقل عنها والإحالة عليها ؛ فإن كثيرين قد لا يتبين لهم أن ما ينقلونه عنك هو من عمل يدك أنت ، ولذا لا تراهم ينسبونه لك! ثانياً أما بخصوص من ينسب أعمال غيره لنفسه ولا يحيل على مصدرها: فإنه قد وقع في محاذير كثيرة ، وينبغي أن يتنبه لنفسه ولا يستمر في هذه الطريق التي تحرمه من

الأجور ، ومن هذه المحاذير: منافاة عمله للإخلاص! والمسلم مأمور بالإخلاص في جميع طاعاته وعباداته ، قال الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) ، وما يفعله من يسطو على جهود غيره لينشرها باسمه يتنافى عمله هذا مع الإخلاص ؛ لأنه يريد الذكر والشهرة والتكثر بما ليس من فعله ، ولو أراد وجه الله وثواب الآخرة لعلم أن الله تعالى لا يقبل عملاً يدعيه لنفسه وهو ليس له ، ولكف عن فعله هذا ونسب العمل لصاحبه ، ولو فعل هذا فإنه يأخذ الأجر في التعليم والدلالة على الخير كاملاً غير منقوص ، والله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا طيباً. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً). رواه مسلم. وثانياً أن الكذب في نسبة ما ليس له أنها له ، والتشبع بما لم يعط! عَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسَ ثَوْبِي زُورٍ). رواه البخاري ومسلم. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وأما حكم التثنية في قوله: (ثَوْبِي زُورٍ): فللإشارة إلى أن كذب المتحلي مثني ؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ ، وعلى غيره بما لم يعط ، وكذلك شاهد الزور ، يظلم نفسه ويظلم المشهود عليه. فتح الباري (ج 9 ص 318). وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي - رحمه الله - : "لا خفاء أن من المدارك المهمة في باب التصنيف: عزو الفوائد والمسائل والنكت إلى أربابها تبرؤاً من انتحال ما ليس له ، وترفعاً عن أن يكون كلابس ثوبي زور. ولهذا ترى جميع مسائل هذا الكتاب معزوة إلى أصحابها بحروفها وهذه قاعدتنا فيما جمعناه ونجمعه". قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص 40). هـ. وتحت عنوان: (السرقه) قال الأستاذ عصام هادي - وفقه الله - ما نصه بتصريف: (لما كثر اللغظ حول ما يفعله بعض إخواننا من نقل لكلام دون أن يعزو ذلك إليهم: سألت شيخنا هل هذه سرقة أم لا؟ فقال شيخنا: نعم هو سرقة ، ولا يجوز شرعاً ؛ لأنه تشبّع بما لم يعط ، وفيه تدليس وإيهام أن هذا الكلام أو التحقيق من كيس علمه! فقلت: شيخنا بعضهم يحتج بما وقع فيه بعض العلماء السابقين؟ فقال: هل يفخرون بذلك؟ لا ينبغي لطالب العلم أن يفخر بذلك ، واعلم - يا أستاذ - أن المنقول هو أحد أمرين! فمن نقل كلاماً لا يشك أحد رآه أنه ليس من كلامه كمثل ما أقوله أنا وغيري: "إن فلاناً ضعيف أو ثقة": فكل من يقرأ هذا يعلم أن هذا ليس كلامي ، فهذا يُغتفر ، أما ما فيه بحث وتحقيق فلا يجوز أياً كان فاعله! قال النووي - رحمه الله - معلقاً على حديث (الدين النصيحة): - "ومن النصيحة: أن تضاف الفائدة التي تُستغرب إلى قائلها ، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله ، ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له: فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه ، ولا يبارك له في حال ، ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها". وقال السيوطي - رحمه الله - : "ومن بركة العلم وشكره: عزؤه إلى قائله!" وقال الحافظ أبو طاهر السلفي: سمعت أبا الحسن الصيرفي يقول: سمعت أبا عبد الله الصوري يقول: قال لي عبد الغني بن سعيد: لما وصل كتابي إلى عبد الله الحاكم أجابني بالشكر عليه ، وذكر أنه أملاه على الناس ، وضمن كتابه إلي الاعتراف بالفائدة وأنه لا يذكرها إلا عني! وأن أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثهم قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد يقول: من شكر العلم أن تستفيد الشيء فإذا ذكر لك قلت: خفي عليّ كذا وكذا ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا فهذا شكر العلم. انتهى. قلت - أي: السيوطي - : ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء مبيناً كتابه الذي ذكر فيه! وثالثاً: ذكر الأستاذ محمد رشيد رضا جنائيات وذنوب كثيرة يتلبس بها من يسرق جهود غيره وينسبها لنفسه ، وجعل هذه السرقة شرّاً من سرقة المال ، حيث قال - رحمه الله - : "تكرر منا الانتقاد على الجرائد التي تنقل كلام غيرها ولا تعزوه إلى صاحبه وقد يكون هذا من البعض عن عمد فيكون سرقة شرّاً من سرقة الأموال والعروض ؛ لأن في سرقة دينار من رجل ذنباً واحداً ، وفي سرقة الكلام عدة ذنوب! أحدها: التعدي على حقوق الناس وانتحالها

لنفسه ، وهو المراد بتسميتها سرقة! وثانيها: الخيانة في العلم ، وهو لا ينجح إلا بالأمانة وهي نسبة كل قول إلى قائله وكل رأي إلى صاحبه. وثالثها: الكذب ، وهو ظاهر! ورابعها: التبجح والافتخار بالباطل ، وقد ورد في الحديث الصحيح (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور). خامسها: الغش ؛ فإن من الناس من إذا علم أن هذا القول لفلان يأخذ به ويقلده ، لأن التقليد مبني على الثقة فإذا نسب القول إلى غير صاحبه يتركه من لو علم صاحبه لأخذ به وانتفع لثقتة به دون من نسب إليه ويأخذ به من يثق بالمنتحل على أنه له وما هو له. سادسها: الجناية على التاريخ الذي يبين مراتب الناس وأقدارهم في العلم! ولا شك أن المحدثين يعتبرون هؤلاء المنتحلين من الوضع الكاذبين حتى لا يثقون برواية لهم وكذلك يجب! والخلاصة قد رأيت أخي السائل ما يجني به المنتحل لجهود غيره من جنيات ومساوي وما يستحقه من صفات وأحكام ، فالمرجو من الكتاب – في المواقع الإلكترونية وغيرها – أن يكفوا عن هذا العبث ، وأن يصدقوا مع أنفسهم ، وأن يلتزموا بالأمانة ، فعسى الله أن يكتب لهم الأجور كاملة يوم القيامة إن هم فعلوا ذلك وأنت أخي السائل: قد رأيت ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله ، فلتتخذ قوة لك ، وخاصة أنك لا تكتب باسمك الصريح ، فلا تلتفت لذكر الناس وثنائهم ، واجعل همك الحصول على رضا ربك عز وجل فهو خير لك). هذا ونقطف هذه الزهرة من (إسلام ويب) وتحدث عن الأمانة وصيانتها وعقوبة خيانتها في الدنيا والآخرة: (ومن الآيات ذات العلاقة بموضوع أداء الأمانة ، قوله سبحانه: {ولا تخونوا أماناتكم} ، وقوله: تعالى: {فليؤد الذي أوتمن أمانته} ، وقوله عز وجل: {إن الله لا يحب كل خوان}. ومن الأحاديث ذات الصلة بموضوع أداء الأمانة ، قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) ، رواه البخاري ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها) ، رواه مسلم ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أداء الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك) ، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له) ، رواه أحمد وغيره. ومن الآثار المتعلقة بموضوع الأمانة قول ابن عباس رضي الله عنهما: (لم يرخص الله لموسر ولا معسر أن يمسك الأمانة) ، رواه الطبري وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قوله: (إنه تعالى خلق فرج الإنسان ، وقال هذا أمانة خبأتها عندك ، فاحفظها إلا بحقها) ، ذكره الرازي في "تفسيره" من غير إسناد ، وقال ميمون بن مهران: (ثلاثة يودين إلى البر والفاجر: الرحم توصل كانت برة أو فاجرة ، والأمانة تؤدي إلى البر والفاجر والعهد يوقى به للبر والفاجر). أما بالنسبة لما أمرت به الآية من الحكم بالعدل ، وذلك قوله سبحانه: {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} ، فإن هذا الأمر معطوف على سابقه ، وهو يدل على وجوب الحكم بين الناس بالعدل. ويشمل (العدل) هنا ما هو مادي ، كقسمة الأموال ونحوها ، وما هو معنوي ، كمعاملة الناس بخلق حسن ، دون تفريق بين غني أو فقير ، أو كبير أو صغير. ومن ثمَّ يقال في هذا الأمر الثاني ما قيل في الأمر الأول من حيث عموم الخطاب). هـ. وعموماً سرقة المنشورات تدل على خسة ودناوة السارق الناحل! وسيبقى النص لصاحبه الذي صاغه من بُنيات أفكاره أول مرة! وسيبقى النص لصاحبه عند الله تعالى ، وعند الناس! وسرقة القصائد والأشعار وُجدت من عهد امرئ القيس ، فلا غرابة أن توجد في زماننا! على أن الأدب العربي فتح باب المعارضة والمحاكاة والمجارة للشعراء! ولكن بعض ضعاف النفوس من الشعراء بدلاً من الاجتهاد والتشمير عن ساعد الجد ، وسلوك سبيل المحاكاة أو المجارة أو المعارضة ، يختصرون الطريق ، ويسرقون أعمال غيرهم ليُحمدوا بما لم يفعلوا! ولكن التاريخ وصادقو النقاد والمؤرخين لهم بالمرصاد! فلا يحسب السارقون الناحلون أنهم استطاعوا أن يُحرزوا سبق

والتفوق والإبداع! النص لصاحبه مهما كان! وإن ضاع حقه في هذه الدنيا ، فلن يضيع عند الله تعالى يوم القيامة! وأحياناً يُجمع للسراق خزي الدنيا وعذاب الآخرة! نسأل الله تعالى العافية!

أي خير يجتني من يسرق؟! هل إلى العلياء يوماً يسبق؟!  
سِرقة (المنشور) خزي ماحق لم يزل كل السجايا يمحق!  
سُمعة السارق بالسطو خبت أيها الساطون ما أحقركم!  
كيف تحيون بمجد زائف كيف طابت بالتعدّي أنفس  
كيف أغراها التجني فاعتدت؟! واعتداء النفس جرم يوبق  
كيف لم تفتن إلى ما تدعي؟ إنه الوهم يسلي من شقوا!  
كيف راجت للكسالى سلعة أمرها باد ، ولا يسئ تغلق؟!  
كل (منشور) له ملكية كما تلاك البيت يا قومي ثقوا  
عند ربّ الناس مسطور الصوى خط (زيد) ، ثم خط الموثق  
كل حرف سجّلت آياته والمعاني سجّلت ، والبيرق!  
ثم عند الناس مسطور كذا وفق أرقام لديهم تنطق!  
فالكتابات لها أصحابها وفق تصديق بسفر يلحق  
كل نص لا تسئل عن حفظه لو وعى السراق ذا لم يسرقوا!  
خذ من الغير ، وأعظم حقهم! أسند النص ، فهذا الأليق!  
أو فالف مئتهم ، والحق بهم غيرك التالي ، وأنت الأسبق!  
واتق الله ، وكن مسترشداً كل مغموور بعجب أحرق  
خلّ عنك العجب ، وافخر بالذي خصّك المولى به ذا أخلق!

## عواد باع أرضه!

(إنها الرواية الحقيقية للمثل السائر وللحكاية المعروفة: "عواد وأرضه"! نثبت فيها أن عواداً لم يبيع أرضه ولم يُفَرِّطَ فيها! نعم لم يبيعها ، ولكنه ظل متمسكاً بها إلى أن مات دفاعاً عنها! لكن من غصبوا الأرض وقتلوا صاحبها ما اكتفوا بهاتين الجريمتين ، بل زادوا الجريمتين جريمةً ثالثة ، ألا وهي التغطية على الإجرام بتحويل المأساة إلى ملهارة! وذلك بتحويل عواد المخلص المجاهد إلى خائن باع أرضه وتنازل عنها! فأصبحت بذلك بقايا الحياء بقايا عُهر وسَفالة! وزاد حبات الطين بلة تصديق الأجيال أن عواداً فعلاً باع الأرض! يقول مطلع الأغنية الملعونة المشهورة: (عواد باع أرضه يا ولاد .. شوفوا طولَه وعرضه يا ولاد ..) لتحكى عن قصة حقيقية لشخص تخلى عن أرضه وباعها ، لكن حقيقة الأوبريت عكس ذلك ، فهو لم يتخلَّ عن أرضه ولم يبيعها مقابل المال ، بل دافع عن أرضه حتى الموت غدرًا ، وتعود قصتها إلى العصر الماوماوي في قرية كفور نجم بمحافظة الشرقية عام 1946م ، وكان أبطالها الفلاح عناني أحمد عواد والبرنس محمد علي! حينها عرض مفتش الدائرة 8 فدادين للإيجار مقابل خلو رجل ، وتقدم عواد ودفع 160 جنيهاً واستأجر الفدادين ، وطبعاً هذا مبلغ كبير جداً من المال في ذلك العهد! ولكن تغير المفتش وجاء مفتش آخر ، وطمع في الفدادين ، ورغب في استردادها من الفلاح بكل بساطة. لكن عواداً فعل ما لم يُتوقع وقال : "خد الأرض لكن أعطني الـ 160 جنية التي دفعتها للمفتش الذي كان قبلك ، وحينها تعجب المفتش الجديد من جرأة الفلاح ، واعتبرها تحدياً له وللبرنس محمد علي ، ومن هنا بدأت الأزمة! فقرر المفتش إرسال خفراء لإخراج عواد من الأرض بالقوة ، ولكن الفلاح وقف لهم قائلاً: "سأقابل القوة بالقوة ، ولن تمرروا إلا على جثتي"! ولم يتمكن الخفراء من التقرب منه بسبب طولَه وعرضه ، لأنه كان صاحب بنية قوية فقد آتاه الله تعالى بسطة في الجسم والعزة! وبعد مرور أيام قليل حُبسَ عواد ، وأثناء سجنه ظلماً تسلّم المفتش الأرض التي عجز عن الحصول عليها بخفرانه ، وبعد خروج عواد من السجن رفع قضية على الأمير محمد علي ، وقال إنه لن يرفعها على المفتش أو الوكيل لأنهما ليسوا أكثر من "دلايل"! وخلال تلك الفترة كان عواد تحت المراقبة ، وضروري أن يقضي كل ليليهِ في النقطة أو المخفر ، وفي إحدى الليالي قبل الفجر قالوا له: اخرج يا عواد ، فقال لهم: لماذا؟ ليردوا عليه: لا بد من أن ننظف المكان ، هناك تفتيش غداً! وبالفعل خرج عواد ، وفوجئ بـ 10 رجال! كل واحد منهم يحمل بنادق مختلف بعضها عن بعض ، واضطر لمواجهة القتل وهو أعزل للدفاع عن نفسه ، ولكنه لم يتمكن أمام الغلبة والسلاح ، وسقطاً ميتاً غدرًا في سبيل أرضه! واغْتُصبت الأرض وقتل في سبيلها (عواد) ، ونيل منه حياً بسلب أرضه ، كما نيل منه ميتاً باتهامه ببيع أرضه والتنازل عنها! ومن بجاحة من اغتصبوا الأرض وقتلوا صاحبها ، أن يتهموه بالخيانة والتفريط في أرضه ، معلنين ذلك بأسلوب مستفز فج في صورة أغنية يتداولها الناس ليحتقروا عواداً وقد أصبح رمزاً للخيانة! على عادة المجرمين الذين يقتلون القتيل ويمشون في جنازته!

لم يُفَرِّطَ فِي أَرْضِهِ (عواد)!  
لَمْ يَبِيعْهَا طَوْعاً كَمَا أَوْهَمُونَا  
إِنَّمَا الْأَرْضُ اغْتَالَهَا الْأَوْغَادُ!  
بِأَغْثَانٍ تَجْتَالُهَا الْأُورَادُ!  
كَمْ حَمَاهَا ، ثُمَّ اقْتَدَاهَا بِنَفْسِ  
وَالْأَهَالِي قَبْلَ الْعِدَا أَشْهَادُ!

لم يهدد تصميمة الإرعاد  
ما طوتها الفوضى ولا الأجناد  
بعده شادت بالبالا الأمجاد  
ثم أمسى يدعو عليه العباد!  
ولديه الأسيف والأفراد!  
دون حق ، حلا لهم الاضطهاد  
فانبرى ليثاً في الوغى (عواد)!  
صون أرضي يا معتدون جهاد!  
عن تعددكم كابدته البلاد!  
ثم أفسدتم ، واستطال الفساد  
غاب فيها السورور والإرغاد  
فيه خلثت عن كفه الأصفاد  
أين أرضي يا أيها الجلاد؟!  
لم يمله الإرغاء والإزباد  
لم يفتته التضيق والإرصاد!  
واستجاب للأمر جند شداد  
كي يزول عني الجوى والشهاد  
ليس فيهم شتم ولا أجواد!  
والحقوق يوم التنادي تُعاد!

كم تحدى الأعداء دون اكراث!  
في (كفور النجم) الحقيقة بانث  
يا (عناني) أبلت خير بلاء  
و(البرنس) بالإثم بلاء انتقاماً  
أعلن الحرب مستغلاً نفوذا  
أعلنوها إخراج (عواد) جبراً  
ثم جاؤوا لهم عتاد وبأس  
قال: كلا ، لن تُخرجوني بتاتاً!  
فاخرجوا منها يا خزايا ، وكفوا  
كم فجرتم ، ولن يدوم فجور!  
فاحتوت (عواداً) صنوف الرزايا  
إنه سجن الخرب بغياً وعذواً  
ثم سيقت حريّة بعد أسر  
لاجناً للقضاء ينشد عدلاً  
لكن الخصم كان نذلاً وضيعاً  
أصدر الخب للدهاقين أمراً  
أسلموا (عواداً) لأقسي حمام  
عشرة كانوا ، والبنادق شتى  
أسلموه للموت طوعاً ، وكرهاً

## لقد عدنا يا قاضينا!

(يروى أحد القضاة عن قضية طلاق بين زوجين ، والزوجة هي من طلبت الطلاق! يقول القاضي: في الجلسة الأولى أجلت القضية ، لأجل بعيد ، كي أترك مجالاً للصالح بينهما! فاجتمعت الخصومة في الجلسة القادمة ، يقول القاضي: فسألتهم إذا كانا قد تراجعنا عن الطلاق فأكد الطرفان بالاستمرار الدعوى بوجوب الطلاق! قال فأجلت الجلسة ، وهما في قمة الانزعاج يريدان إنهاء حياتهما الزوجية! يقول القاضي: برغم تذرهم أجلت الجلسة لمرات عدة! ثم عقدت جلسة ، واتفقت معهما أن كل واحد منهما سوف نعطيه ورقة وقلماً ليكتب عشر إيجابيات في الآخر ، بشرط أن تكون الكتابة بصدق وحيدة وموضوعية! فوافقا على الفور! فطلبت من الرجل أن يجلس على كرسي وطاولة ، وأن يذكر عشر حسنات في زوجته ، فقط حسنات؟ يقول: قلت لهما لن أقرأ ما ستكتبان أيها الزوجان ، إنما التي سوف تقرأه زوجتك كل منكما هو الذي سوف يقرأ ما كتب الآخر فيه! فاكتب بصدق أيها الزوج ودون خجل! وبعد انتهاء الزوج من الكتابة ، طلبت من الزوجة أن تقرأ في سرها النقاط العشر التي كتبها زوجها! فبدأت الزوجة في القراءة ، وتنظر في وجه زوجها بعد قراءة كل نقطة كتبها ، فإذا مجموع النظرات عشرة! وبدأت الابتسامة ترتسم على وجهها ، وبدأت تزداد الابتسامة ألقاً! وراحت تشرذ في عيني زوجها! تارة تلقي نظره جريئة وتارة تنظر نظرة خجل وترمي ببصرها غضاً لقدميه ، والزوج دائم النظر والصمت ، والابتسامه مستدامة ، ثم جاء دور الزوجة! فطلبت منها أن تكتب هي الأخيرة عشر حسنات في زوجها! فكتبت الحسانات العشر ، طلبت من الزوج أن يقرأ هو الآخر ما كتبه فيه زوجته! فبدأ الزوج يقرأ ويبتسم ، ويمعن النظر في زوجته ، وهي تارة تنظر في عينيه وتارات في الأرض! يقول القاضي: ولم يكن سواي وسواهما في القاعة ، فخرجت لدقيقتين ، ولما عدت سمعت همساً يعاتب حياً ، وكنت قد طلبت منهما عدم التكلم معي وأن يخرجاً سواي في صمتٍ مطبق! وطلبت منهما أن يغيرا نمط حياتهما ولو ساعة! فقلت: (يا حبذا لو ذهبتما لتناول طعام الغداء في مطعم عائلي مستور محشوم محترم) ، وغدا تعودان في السابعة صباحاً لتكون جلستكما هي الأولى ، وفيها ننطق بالحكم النهائي الذي لا استئناف بعده ولا نقض له ولا إبرام! نعم أنا سأنطق بالحكم الذي تريدها وهو الطلاق على رغبتكما واتفاقكما! فوافقا معاً! وخرجا وعادا من الغد يداهما متعانقتان وعلت الوجهيْن الابتسامة! فقلت لهما: هل أثبت الطلاق الذي اتفقنا عليه أمس وأنطق به حكماً نهائياً؟! قالوا: (لا ، لقد عدنا لبعضنا يا قاضينا بالأمس ، وانتهت كل المشاكل بيننا ، بما استعدناه من الحب الذي بيننا!) يقول القاضي: وإلى الآن لا أعلم لا أنا ولا أنتم ماذا كتبنا! ولكنني كشاعر أعلم جيداً كم نحن بحاجة ماسة لمثل هذا القاضي ولمثل هذه القامات التي لا تنظر إلى مراكزها ، على أنها مناصب تعلق بها على البشر ، وترفع أنوفها تكبراً وتجبراً ، دون أن تغلب الجانب الإنساني في نصوص المواد والأحكام الشرعية ونور الشريعة الربانية التي يحكمون بها بين الأزواج في محاكمهم الشرعية تلك التي قامت موادها واشتقت من الكتاب كتاب الله والسنة سنة رسول الله!

جننا إليك لنا صدئ نرجعهُ وكل زوج له عرض يطمعه  
وبات يشغله تدمير صاحبه والانتصار لحظ النفس يدفعه  
كل يبئ بسوء الظن يحسبه عند التشاكي لدى القضاء ينفعه

الذكريات مضت ، والبؤسُ جنودنا ولا رصيد من الإيمان يردعه  
كلُّ يومٍ في الطلاق نصرته وإنه الوهمُ يُغويه ويخدعه  
وأجلُّ الحكم قاضينا ، وضاق بنا ذرعاً ، وضافت بنا أهواؤنا معه  
كم حاول الشهمُ إصلاحاً ومعدلة ولمَّ شمل لوجه الله يجمعه!  
كم أفتع الزوج ، لكن زوجته شطنت! وما الحياء إذا ما زال برقعه؟!  
كم ساق في ساحة الزوجين من حجج وكل نص بأي الذكر يشفعه!  
وما استجبنا لما يُغليه من شُبهِه وكل حبل لوصل الودَّ نقطعه  
وساق حلاً لزوج السَّت مرتجلاً عساه إمَّا ارعوى للحل يُقنعه  
أن يكتب الزوج عشراً من مناقبها بكل صدق ، وبعد الكُتب يُطلعه  
فخط عشراً من الخلال صافية والصدقُ كان كمثل الجرح يُوجعه  
وسلمَ الطرسَ للقاضي على عجل فأجلُّ الحكمَ لمَّا سالَ مدمعه  
وقال: دوركِ جا ، فلتكتبي ذرراً عن الحليل صفتِ ليست تُقرَّعه  
وبعد حين إذا بالجلسة انعقدت والحاجبُ انحاز للستار يرفعه  
وقال: فلتقرني ما خط من جمل بخافت الصوت إنني لست أسمعه  
وقال للزوج: فاقراً دون تشفية قراءة المرء يرجو الأمر ينفعه  
وقال للكل: حُكمي سوف أعلنه في جلسة ها هنا يوماً سأصدعه  
فأقبلا بعد شهر في بلهنية وبسمة الحب تُزجي الأمن تزرعه  
قالا: إلى رُشدنا عُدنا ، فكن رؤفاً عاد الوفاقُ صدوقُ الحب يُرجعه!

## لماذا يا بخاري؟ (محاكاة للإمام الجرجاني)

(شرفٌ كبير للشاعر المسلم أن يكتب عن أعلام الإسلام من الأنبياء والرسل مروراً بالصحابة أصارهم ومهاجريهم ، وانتهاءً بالعلماء والفقهاء والصالحين ، وواحد من علماء الحديث هو أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري! وقد عثرت على قصيدة في مدح صحيح البخاري قالها إمام البلاغة والنحو والصرف والشعر والنقد والتراجم الفضل بن إسماعيل الجرجاني بعد أن توفي الإمام البخاري ، فقال الفذ في مطلعها ، مادحاً صحيح البخاري ، ومُثنيّاً على صاحبه:

صحيح البخاري لو أنصفو      هُ ، لما خط إلباء الذهب  
هو الفرق بين الهدى والعمى      هو السد بين الفتى والعطب  
أسانيد مثل نجوم السماء      أمام متون لها كالشهب  
بها قام ميزان دين الرسول      ودان به العُجم بعد العرب

وختم الإمام الجرجاني قصيدته الجميلة الرائعة ، مبيناً مكانة الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - وموضحاً دوره العظيم في انتقاء صحيح الأحاديث ، وفق شروط في غاية الصعوبة ، فقال:-

سبقت الأنمة فيما جمعت      ت وفزت على زعمهم بالقصب  
نفيت الضعيف من الناقلين      ن ، ومن كان متهماً بالكذب  
وأبرزت في حسن ترتيبه      وتبويبه ، عجباً للعجب  
فأعطاك مولاك ما تشتهي      يه ، وأجزل حظك فيما وهب

الإمام البخاري رحمه الله أعجوبة زمانه وأمير المؤمنين في الحديث! استحق قصيدة تؤدي له بعض جميله علينا! واليوم أستدرك ما كان ينبغي علي بالأمس! جاء في الويكبيديا بتصرف: (الإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري. وقد اختلف المؤرخون حول أصله ، عربي أم فارسي أم تركي ، فأخذ بعضهم كأبي الوليد الباجي ، والخطيب البغدادي ، والنووي ، وابن ناصر الدين ، والذهبي ، وغيرهم برواية أبي أحمد بن عدي الجرجاني في كتاب الكامل أن جدّه الأكبر بردزبه كان فارسي الأصل ، عاش ومات مجوسياً. ويقال جدّه المغيرة قد أسلم على يد والي بخارى: يمان المسندي البخاري الجعفي. فانتمى إليه بالولاء. وانتقل الولاء في أولاده ، وأصبح الجعفي نسباً له ولأسرة البخاري. وقيل أنه تركي أصله من الأوزبك ، وهو ما لمح له عدد من المؤرخين مثل حمد الله المستوفي وأبو سعيد الجرديزي وعبد الرزاق السمرقندي وإخناطيوس كراتشكوفسكي وفاسيلي بارتولد. وقيل أنه عربي أصله من الجعفيين. فذكر عدد من العلماء أن جدّه الأكبر هو الأحنف الجعفي ، وأن «بردزبه» صفة وليس اسماً وتعني «الفلاح» ، وهو ما تعود العرب عليه في البلدان الأعجمية وممن اعتمد هذا الرأي ابن عساكر ، وابن حجر العسقلاني ، وتاج الدين السبكي ، وزين الدين العراقي ، وابن تغري ، ورجّحه عدد من المعاصرين منهم مصطفى جواد ، وناجي معروف ، وعبد العزيز الدوري ، وصالح أحمد العلي ، وحسين علي محفوظ ، وفاروق عمر فوزي وليبيد

إبراهيم أحمد العبيدي. ولد الإمام البخاري في بخارى إحدى مدن أوزبكستان "حالياً" ، ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة 194 هـ ، وتربى في بيت علم ، إذ كان أبوه من العلماء المحدثين ، واشتهر بين الناس بسمته وورعه ، ورحل في طلب الحديث وروى عن مالك بن أنس وحماد بن زيد كما رأى عبد الله بن المبارك. وتوفى والإمام البخاري صغيراً. فنشأ البخاري يتيماً في حجر أمه ، وروى المؤرخون أن بصره أصيب وهو صغير ، فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام فقال لها: «يا هذه قد رد الله على ابنك بصره ، لكثرة بكائك ولكثرة دعائك!» فأصبح وقد رد الله عليه بصره! ومال البخاري إلى طلب العلم وحفظ الأحاديث وتحققها وهو حديث السنن ، فدخل الكتاب صبياً فأخذ في حفظ القرآن الكريم وأمهات الكتب المعروفة في زمانه ، حتى إذا بلغ العاشرة من عمره ، بدأ في حفظ الحديث ، والاختلاف إلى الشيوخ والعلماء ، وملازمة حلقات الدروس ، وبالإضافة إلى حفظ الحديث فإنه كان حريصاً على تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ، ومعرفة علل الأحاديث ، وسبر أحوال الرواة من عدالة وضبط ، ومعرفة تراجمهم ، وإتقان كل ما يتعلق بعلم الحديث عموماً. ثم حفظ كتب عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وهو ابن ست عشرة سنة ، وفي تلك السنة حوالي عام 210 هـ ، خرج من بخارى راحلاً إلى الحج بصحبة والدته وأخيه أحمد ، حتى إذا انتهت مناسك الحج رجعت أمه مع أخيه إلى بلدها بينما تخلف البخاري لطلب الحديث والأخذ عن الشيوخ ، فلبث في مكة مدة ثم رحل إلى المدينة النبوية ، وهناك صنف كتاب التاريخ الكبير وعمره ثماني عشرة سنة. قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم تلميذ البخاري وورّاقه وصاحبه: «قلت للبخاري: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث في الكتاب ولي عشر سنين أو أقل ، وخرجت من الكتاب بعد العشر ، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوماً فيما يقرأ على الناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل. فدخل ثم خرج فقال لي: كيف يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأصلحه. وقال: صدقت». قال: «فقال للبخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة ، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء ، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة ، فلما حججت رجع أخي بها ، وتخلفت في طلب الحديث ، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة ، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم ، وذلك أيام عبيد الله بن موسى ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، في الليالي المقمرة وقل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أنني كرهت تطويل الكتاب. ولقد تعددت رحلات الإمام البخاري العلمية للأخذ عن الشيوخ ، والرواية عن المحدثين ، فزار أكثر البلدان والأمصار الإسلامية في ذلك الزمان للسمع من علمائها. وابتدأ طلبه للعلم في بلده بخارى بعد خروجه من الكتاب ، فسمع من شيوخ بلده ، ثم توسع ورحل إلى الأقاليم المجاورة ليسمع من شيوخها ، فرحل إلى بلخ ، ومرو ، والرّيّ وهرات ونيسابور. وكان عمره أول مرة دخل نيسابور خمس عشرة سنة. قال الحاكم النيسابوري: «أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين ، ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين ، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام». ثم ارتحل إلى الحجاز فدخل مكة ثم رحل إلى المدينة النبوية ، فاستقر بها مدة ، ثم انطلق في الأمصار حتى شملت رحلاته أغلب الحواضر العلمية في وقته. فرحل إلى العراق فدخل بغداد وواسط والكوفة والبصرة وبالشام: دمشق وحمص وقيسارية وعسقلان كما رحل إلى مصر. قال الخطيب البغدادي: «رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار ، وكتب بخراسان ، والجبال ، ومدن

العراق كلها ، وبالحجاز والشام ومصر». قال البخاري: «دخلت بغداد آخر ثمان مرات ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل. فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله ، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان». وقال: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرات قرناً بعد قرن ثم قرناً بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون أكثر من ست وأربعين سنة ، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وبالبصرة أربع مرات متفرقات في سنين ذوي عدد ، وبالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد». وأراد الرحلة إلى اليمن لسمع من عبد الرزاق الصنعائي فلم يُقدّر له ذلك. قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: "قدم البخاري ببغداد سنة عشر ومائتين وعزم على المضي إلى عبد الرزاق باليمن فالتقى بيحيى بن جعفر البيكندي فاستخبره فقال: مات عبد الرزاق ، ثم تبين أنه لم يمّت ، فسمع البخاري حديث عبد الرزاق من يحيى بن جعفر". وأتاحت للإمام البخاري رحلاته الكثيرة وتطوافه الواسع في الأقاليم لقاء عدد كبير من الشيوخ والعلماء ، حتى بلغوا أكثر من ألف رجل. قال البخاري: «كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث». وقال: «دخلت بلخ فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه ، فأملت ألف حديث عن ألف شيخ». ولم يكن البخاري يروي كل ما يأخذه أو يسمعه من الشيوخ ، بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذ ، فقد سئل مرة عن خبر حديث فقال: "يا أبا فلان تراني أدلس؟! تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر ، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر". وقد اهتم العلماء بذكر شيوخ البخاري فسماههم بعض العلماء ورتبهم على الأقطار ورتبهم بعضهم حسب الطبقة ، ورتبهم بعضهم حسب عدد الروايات ، ورتبهم بعضهم على حروف المعجم. قال النووي: «هذا الباب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه ، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد ، ليستدل بذلك على اتساع رحلته ، وكثرة روايته وعظم عنايته». ومن أهم وأبرز شيوخ البخاري الذين أثروا في تكوينه العلمي ومنهجه الحديثي: علي بن المديني ، وهو من أكثر الشيوخ الذين تأثر بهم البخاري ، قال: «ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني». وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن معين ، والفضل بن دكين. ومن أهم شيوخه الذين سمع منهم في البلدان: الإمام أحمد بن حنبل ، من أبرز الشيوخ الذين سمع منهم الإمام البخاري بمكة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرق ، وعبد الله بن يزيد المقرئ ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، وأقرانهم. وبالمدينة: إبراهيم بن المنذر الخزامي ، وأحمد بن القاسم الزهري ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير ، وإبراهيم بن حمزة ، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله ، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسى وأقرانهم. وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي ، وأدم بن أبي إياس ، وأبو اليمان الحكم بن نافع وحيوة بن شريح ، وأقرانهم. وببخارى: محمد بن سلام البيكندي ، وعبد الله بن محمد المسندي وهارون بن الأشعث ، وأقرانهم. وبمرو: علي بن الحسن بن شقيق ، وعبدان بن عبد الله بن عثمان بن جبلة ، ومحمد بن مقاتل ، وأقرانهم. وببلخ: مكى بن إبراهيم ، ويحيى بن بشر البلخي ، والحسن بن شجاع ، وقتيبة بن سعيد ، وأقرانهم ، وقد أكثر بها. وبنيسابور: يحيى بن يحيى التميمي ، وبشر بن الحكم ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن رافع ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وأقرانهم. وبالري: إبراهيم بن موسى الرازي. وببغداد: محمد بن عيسى الطباع ، وسريج بن النعمان ، وأحمد بن حنبل ، وأقرانهم ، وبواسط: حسان بن عبد الله بن سهل ، وسعيد بن عبد الله بن سليمان ، وأقرانهم. وبالبصرة: أبو عاصم النبيل ، وصفوان بن عيسى الزهري ، وعفان بن مسلم الصفار ، وسليمان بن حرب ، وأبو الوليد الطيالسي ، ومحمد بن الفضل عارم ، وأقرانهم. وبالكوفة: الفضل بن دكين ، وإسماعيل

بن أبان ، والحسن بن الربيع، وطلق بن غنام، وقبيصة بن عقبة وأقرانهم. وبمصر: سعيد بن أبي مريم ، وأصبغ بن الفرّج ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، وأقرانهم. ونظراً لكثرة شيوخ البخاري واختلاف أمصارهم وجهاتهم فقد حصرهم المحدثون كابن حجر العسقلاني في خمس طبقات:- الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين: مثل مكّي بن إبراهيم وأبي عاصم النبيل والفضل بن دكين وغيرهم ، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين. الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين: كأدم بن أبي إياس وسعيد بن أبي مريم وأمّثالهم. الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشايخه ، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع: كسليمان بن حرب وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأمّثال هؤلاء. وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم. الطبقة الرابعة: رفاقه في الطلب وبعض شيوخه ممن سمع قبله قليلاً ، كمحمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي وجماعة من نظرائهم ، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاتته عن مشايخه ، أو ما لم يجده عند غيرهم. الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد ، سمع منهم للفائدة: كعبد الله بن حماد الأملي وعبد الله بن أبي العاصم الخوارزمي وحسين بن محمد القباني وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة. وعمل في الرواية عنهم بما روي عن وكيع قال: "لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عن هو فوّه ، وعن هو مثله ، وعن هو دونه". وقد صنّف عدد من العلماء كتباً للعناية بأسماء شيوخ البخاري منها أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعه الصحيح على حروف المعجم. لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني. أسامي مشايخ الإمام البخاري: لمحمد بن إسحاق بن منده. أسامي شيوخ البخاري: لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني. المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم: لأبي بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلفون. شيوخ البخاري ومسلم: لأبي الفضل محمد بن ظاهر المقدسي. التعريف بشيوخ حدّث عنهم البخاري: لأبي علي الحسين بن محمد الغساني. تلاميذه ومن روى عنه: الإمام مسلم بن الحجاج ، أحد أبرز تلاميذ الإمام البخاري وصاحب كتاب صحيح مسلم ، ثاني أصح الكتب المصنّفة عند أهل السنة والجماعة بعد صحيح البخاري. تتلمذ على البخاري وسمع واستفاد منه عدد كبير جداً من طلاب العلم والرواة والمحدثين ، قال أبو علي صالح بن محمد جزرة: «كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملي له ، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.» وروى الخطيب البغدادي عن محمد بن يوسف الفربري أحد أكبر تلاميذ البخاري أنه قال: «سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفاً.» وروي أن عدد من سمع منه كتابه الصحيح بلغ تسعين ألفاً. ولم يكد يشتهر بين الناس بسعة حفظه وتثبته وإتقانه حتى أقبل طلاب الحديث يسعون إليه ويتحلّقون حوله طلباً للرواية عنه والسماع منه ، قال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: «كان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق ، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، وكان شاباً لم يخرج وجهه.» وقال يوسف بن موسى المرورودي: "كنت بجامع البصرة إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه ، وكنت فيهم، فرأيت رجلاً شاباً يصلي خلف الأستوانة، فلما فرغ أحدقوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم. فلما كان من الغد اجتمع كذا كذا ألف ، فجلس للإملاء ، وقال: يا أهل البصرة أنا شاب ، وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد بلديكم ، قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا شعبة ، عن منصور، وغيره ، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس أن

أعرابياً قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم... الحديث. ثم قال: هذا ليس عندكم ، إنما عندكم عن غير منصور. وأملى مجلساً على هذا النسق. ولم يقتصر الانتفاع من البخاري على التلاميذ بل شملت شيوخه ، قال البخاري: «ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به». وقد أدرك هذا الامتياز أساتذته الكبار وقَدَرُوهُ حتى منذ صغره. يقول البخاري: «دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة يعني أول سنة حج فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بصر بي قال جاء من يفصل بيننا فعرضاً علي الخصومة فقضيت للحميدي وكان الحق معه». وقال أبو بكر الأعين: «كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي ، وما في وجهه شعرة فقلنا: ابن كم أنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة. ومن أعيان من روى عن الإمام البخاري من شيوخه: عبد الله المسندي ، وعبد الله بن منير ، ومحمد بن خلف بن قتيبة ، وغيرهم. من أقرانه: أبو حاتم الرازي ، وأبو زرعة الرازي ، وأبو بكر بن أبي عاصم ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي ، وغيرهم. وممن أخذ عنه من كبار الحفاظ المجيدين: مسلم بن الحجاج ، وابن خزيمة ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وأحمد بن سلمة النيسابوري ، وأبو عيسى الترمذي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وحسين بن محمد القباني ، ويعقوب بن يوسف بن الأخرم ، وجعفر بن محمد النيسابوري ، وأبو القاسم البغوي ، والحسين بن إسماعيل المحاملي. وغيرهم الكثير وهم أكثر من أن يُحصوا ، قال النووي: "وأما الآخذون عن البخاري ، فأكثر من أن يحصروا". وأما عن كتبه ومصنفاته: فلقد صنَّف الإمام البخاري وألَّف كتباً كثيرة ، وقد هَيَّأ للتأليف والكتابة وأعانها عليها ذكاؤه الحاد ، وسعة حفظه ، وذاكرته القوية ، ومعرفته الواسعة بالحديث النبوي وأحوال رجاله من تعديل وتجريح ، وخبرته التامة بالأسانيد من صحيح وضعيف. وقد وصلنا بعض كتبه وطُبعت بينما لا يزال بعضها مفقوداً. وجزل مصنفاته وكتبه لا تخرج عن السنَّة والحديث وعلومه من رواية ودراسة ورجال وعلل. ومن هذه المصنَّفات:- في الحديث والفقه: صحيح البخاري والذي يعتبر عند أهل السنة والجماعة أصح كتاب بعد القرآن الكريم! الجامع الصحيح: والمشهور باسم صحيح البخاري ، أشهر مصنفاته وأشهر كتب الحديث النبوي على الإطلاق عند أهل السنة والجماعة. مكث في تصنيفه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عاماً. قال البخاري في سبب تصنيفه للكتاب: «كنت عند إسحاق ابن راهويه ، فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب». وقد جمع فيه البخاري حوالي 7593 حديثاً حسب عدِّ محمد فؤاد عبد الباقي ، اختارها الإمام البخاري من بين ستمائة ألف حديث يحفظها! حيث إنه كان مدققاً في قبول الرواية ، واشترط شروطاً خاصة دقيقة في رواية راوي الحديث ، وهي أن يكون معاصراً لمن يروي عنه ، وأن يسمع الحديث منه ، أي أنه اشترط الرؤية والسماع معاً ، هذا إلى جانب وجوب اتصاف الراوي بالثقة والعدالة والضبط والإتقان والورع. وقد روى المؤرخون أن البخاري لما فرغ من تصنيف كتاب الصحيح عرضه على عدد من أكابر علماء عصره مثل أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث ، روي عن مسلمة بن قاسم قال: «سمعت من يقول عن أبي جعفر العقيلي قال: لما ألَّف البخاري كتابه في صحيح الحديث عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم فامتحنوه فكلهم قال له كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها البخاري وهي صحيحة.» ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد القرآن الكريم. وأقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح واعتنوا به عناية فائقة بالشرح والتعليق والدراسة في مصنَّفات كثيرة جداً. قال الإمام الحافظ محمد يوسف البنوري: «أضحى كالشمس في كبد السماء

بلغ إلى أقصى القبول والمجد والثناء ، فانتفض أعيان الأمة وأعلام العلم في كل عصر من أقدم العصور إلى اليوم لشرحه والتعليق عليه ، وتلخيصه ، واختصاره أو ترتيبه ، وتأليف أطرافه ، أو شرح تراجمه ، أو ترجمة رجاله ، أو بيان غريبه ، أو وصل مرسله ، وتعليقاته أو مبهمه ، وإبراز فوائده ، ولطائفه ، حديثاً وفقهاً وعربية وبلاغة ووضوحاً وترتيباً وتوزيعاً وتبويباً حتى في تعدد حروفه وكلماته وما إلى ذلك. الأدب المفرد: بؤبه في عدة مواضع تُعنى بتهديب الأخلاق وتقويم السلوك. رفع اليدين في الصلاة: وساق فيه كثيراً من الروايات والأحاديث التي تبين أن رفع اليدين في الصلاة سنة ثابتة. ورد على من أنكر ذلك. القراءة خلف الإمام: أورد فيه الأدلة التي تُثبت وجوب قراءة القرآن للمأموم في الصلاة، ورد على المخالفين في هذه المسألة. كتاب الهبة: وهو مفقود. ذكره ورّاقه محمد بن أبي حاتم. المسند الكبير: وهو مفقود. ذكره تلميذه محمد بن يوسف الفربري على ما نقله حاجي خليفة. المبسوط: وهو مفقود. صنّفه البخاري قبل الجامع الصحيح وجمع فيه جميع حديثه على الأبواب ، ثم نظر إلى أصح الحديث على ما يرسمه فأخرجه بجميع طرقه. ذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي. الوجدان: ذكر فيه الصحابة الذين روي عنهم حديث واحد فقط. ذكره ابن حجر العسقلاني وحاجي خليفة. الفوائد: وهو مفقود. ذكره الترمذي في سننه. العِلل: وهو مفقود. ذكره ابن منده. في التاريخ والرجال. التاريخ الكبير: وهو موسوعة كبرى في التراجم ، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم ، وقد اقترب فيه البخاري من استيعاب أسماء من روي عنهم الحديث من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى زمنه. التاريخ الأوسط: بدأه بقصة الهجرة إلى الحبشة ، وطرف من السيرة النبوية في المرحلتين المكية والمدنية وترجم لمن توفي من الصحابة في عهد النبي محمد ، ثم المتوفين في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم تكلم على الرواة وأخبارهم ووفياتهم إلى زمنه. التاريخ الصغير: وهو خاص بالصحابة، وهو أول مصنف في ذلك. الكنى: وغالب من أورده البخاري في هذا الكتاب من الرواة الذين اشتهروا بكناهم ولم تُعرف أسمائهم. الضعفاء الصغير: ذكر فيه الضعفاء من الرواة وترجم لهم بتراجم قصيرة مقتضبة. الضعفاء الكبير: توسع فيه في ترجمة الضعفاء من الرواة كما زاد عدد المترجم لهم. في التفسير والعقيدة. التفسير الكبير: وهو مفقود. قال تلميذه محمد بن يوسف الفربري أنه صنّفه في فرب. وذكره ابن حجر العسقلاني وحاجي خليفة. خلق أفعال العباد: بيّن فيه الفرق بين كلام الله وكلام العباد وأن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق. ورد على المعتزلة والجهمية. هذا ولقد اختلف العلماء في تعيين مذهب الإمام البخاري الفقهي. فنسبوه إلى مذاهبهم. وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال: - أنه من الحنابلة ، حيث ذكره ابن أبي يعلى في كتابه طبقات الحنابلة ، وقال ابن القيم: «البخاري ومسلم وأبو داود والأثرم وهذه الطبقة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين المحض المنتسبين إليه. - أنه من الشافعية، فذكره تاج الدين السبكي في كتاب طبقات الشافعية الكبرى ، وعده صديق حسن خان من أئمة الشافعية في كتاب أبجد العلوم. وقال ابن حجر العسقلاني: «أن البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيدة والنضر بن شميل والفراء وغيرهم وأما المباحث الفقهية فغالبا مستمدة من الشافعي وأبي عبيد وأمثالهما. - أنه مجتهد مستقل ، ولم يكن مقلداً لأي من مذاهب الأئمة الأربعة المشهورة ، وهو ما رجّحه عدد كبير من العلماء من المتقدمين والمعاصرين. قال ابن تيمية: «أما البخاري ؛ وأبو داود فإمامان في الفقه من أهل الاجتهاد.» وقال الذهبي: «كان إماماً حافظاً حجة رأساً في الفقه والحديث مجتهداً من أفراد العالم.» وقال محمد أنور الكشميري: «أن البخاري عندي سلك مسلك الاجتهاد ولم يقلد أحداً في كتابه.» وقال

الدكتور نور الدين عتر: «أما البخاري فكان في الفقه أكثر عمقاً وخصوصاً ، وهذا كتابه كتاب إمام مجتهد غواص في الفقه والاستنباط ، بما لا يقل عن الاجتهاد المطلق ، لكن على طريقة فقهاء المحدثين النابهين ، وقد قرأ منذ صغره كتب ابن المبارك وهو من خواص تلامذة أبي حنيفة ، ثم اطلع على فقه الحنفية وهو حدث – كما أخبر عن نفسه - ، واطلع على فقه الشافعي من طريق الكرابيسي ، كما أخذ عن أصحاب مالك فقهه ، فجمع طرق الاجتهاد إحاطة واطلاعاً ، فتهيأ له بذلك مع ذكاته المفرط وسيلان ذهنه أن يسلك طريق المجتهدين ، ويبلغ شأوهم. وهذا كتابه شاهد صدق على ذلك ، حيث يستنبط فيه الحكم من الأدلة ، ويتبع الدليل دون التزام مذهب من المذاهب ، والأمثلة التي ضمها بحثنا عن فقهه وما أوجزنا من القول في عمق تراجمهم وتنوع طرق استنباطه ، يدل على أنه مجتهد بلغ رتبة المجتهدين ، وليس مقلداً لمذهب ما كما يدعي بعض أتباع المذاهب». وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «كان مجتهداً في الفقه ، وله دقة عجيبة في استنباطه من الحديث». وقال الشيخ عبد الكريم الخضير: «أبدى رحمه الله تعالى براعة فائقة في دقة الاستنباط مما يدل على أنه إمام فقيه مجتهد». واستدلوا على ذلك بما روي عن كثير من الأئمة من معاصري الإمام البخاري وشيوخه في بيان سعة علمه وفقهه. روي عن نعيم بن حماد أنه قال: «محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة». وعن إسحاق بن راهويه أنه قال: «لو كان محمد بن إسماعيل في زمن الحسن بن أبي الحسن (الحسن البصري) لاحتاج الناس إليه ، لمعرفته بالحديث وفقهه». وعن قتيبة بن سعيد أنه قال: «جالست الفقهاء والعباد والزهاد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو في زمانه كعمر في الصحابة». وقال محمد بن أبي حاتم: «سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفاقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث». وعن محمد بن يوسف الفريبري قال: «كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار ، فسأله محمد بن بشار عن حديث ، فأجابه. فقال: هذا أفاقه خلق الله في زماننا ، وأشار إلى محمد بن إسماعيل». وقال حاشد بن إسماعيل: «كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل ، فلما قدم ، قال: محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء». وقال: "سمعت علي بن حجر ، يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة الرازي بالري ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى ، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم ، وأعلمهم ، وأفقههم". وأما عن ملامح شخصيته وشمائله ، فقد روى المؤرخون كثيراً من الروايات والأحداث التي تدل على صفات الإمام البخاري وشمائله من ورع وإخلاص وصدق وسماحة وكرم وتواضع وحسن عبادة وغير ذلك من كريم الأخلاق ، فكان البخاري أكثر من الصلاة طويل القيام بها ، وكان يخشع بحيث لا يشغله شيء عن صلاته ، وكان كثير القراءة للقرآن بحيث يختم كل يوم ختمة أو أكثر ، كما حج عدة مرات. وكان حريصاً على التورع في جرح الرواة وترك الغيبة بحيث إنه يختار كلمات لا يمكن أي شخص أن يواخذ بها المجروح ، ومن كلماته: تركوه ، أو أنكروه الناس ، وأشدها عنده أن يقول: منكر الحديث. ومن أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: فيه نظر ، أو: سكتوا عنه. ولا يكاد يقول فلان كذاب. قال محمد بن أبي حاتم: «سمعتة يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة. فقلت: يا أبا عبد الله ، إن بعض الناس ينقم عليك التاريخ يقول فيه اغتيال الناس. فقال: إنما رويانا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا». كما كان كريماً سمحاً زاهداً في الدنيا كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين ، وخاصة من تلاميذه وأصحابه. بالإضافة إلى ما تمتع به من القدرة الكبيرة على

الحفظ والإتقان وتفوّقه في الحديث وعلومه بشهادة أقرانه وشيوخه. وأما عن صفته الخلقية ، فعلى الرغم من شهرة الإمام البخاري التامة وسعة رحلاته وتطوافه في الأمصار والبلدان ولقائه بالآلاف من الشيوخ والتلاميذ ، فإنه لم تصلنا العديد من الأخبار عن هيئته ، وما وصلنا عنه هو ما رواه أبو أحمد بن عدي الجرجاني في صفته فقال: "سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة شيخاً نحيف الجسم ليس بالطويل ، ولا بالقصير". وأما عن عبادته ، فكان الإمام البخاري عابداً أكثر شديداً الخشوع في صلاته ، حتى إذا دخل في الصلاة لا يشغله عنها شيء ، ولا يلهيه عنها شاغل أو صارف! فروى محمد بن أبي حاتم قال: «دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ، ثم قام للتطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه ، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا دبور قد أبره (لسعه) في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً ، وقد تورم من ذلك جسده ، وكان آثار الدبور في جسده ظاهرة. فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها». كما كان يوم أصحابه في رمضان وكان كثير القراءة للقرآن في الصلاة كما في كل الأوقات ، قال محمد بن خالد المطوّعي: «حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه ، فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكذلك يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال ، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة ، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة». وقال تاج الدين السبكي: «كان البخاري يختم القرآن كل يوم نهاراً ، ويقرأ في الليل عند السحر ثلثاً من القرآن ، فمجموع ورده (اليومي) ختمة وثلث». كما كان حريصاً على قيام الليل واتباع السنة النبوية ، قال محمد بن أبي حاتم: «كان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة». كما كان متفكراً في القرآن متديراً له ، كما وصفه الإمام الدارمي فقال: محمد أبصر مني ، ومحمد بن إسماعيل أكيس خلق الله ، إنه عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه ، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حرامه من حلاله». كما كان جامعاً بين العلم والعبادة حيث روى أبو أحمد بن عدي الجرجاني قال: «سمعت عبد القدوس بن همام يقول سمعت عدة من المشايخ يقولون حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعته بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين». بالإضافة إلى أنه حجّ عدّة مرّات، قال الحاكم النيسابوري: "حدثني أبو عمرو إسماعيل حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة". وأما عن ورعه وتحريه ، فكان الإمام البخاري حريصاً على حقوق الناس متحريراً لرد الحقوق إلى أصحابها ، فمن ذلك ما رواه محمد بن أبي حاتم قال: «ركبنا يوماً إلى الرمي ، ونحن بفريبر ، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفُرْضة ، فجعلنا نرمي ، وأصاب سهم أبي عبد الله (البخاري) وتد القنطرة الذي على نهر واردة ، فأنشق الوتد. فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته ، فأخرج السهم من الوتد ، وترك الرمي. وقال لنا: ارجعوا. ورجعنا معه إلى المنزل ، فقال لي: يا أبا جعفر ، لي إليك حاجة ، تقضيها؟ قلت: أمرك طاعة. قال: حاجة مهمة ، وهو يتنفس الصعداء. فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته. فقلت: أية حاجة هي؟ قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت: نعم ، على الرأس والعين. قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة ، فتقول له: إنا قد أخللنا

بالوئد ، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه ، وتجعلنا في حل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفربري. فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام ، وقل له: أنت في حل مما كان منك ، وقال جميع ملكي لك الفداء ، وإن قلت: نفسي ، أكون قد كذبت غير أنني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي. فأبلغته رسالته ، فتهلل وجهه ، واستنار ، وأظهر سروراً ، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحواً من خمس مائة حديث ، وتصدق بثلاث مائة درهم». بالإضافة إلى ما اشتهر عنه من كره الغيبة ، قال: «ما أعتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها». وحرصه على ألا يكون بينه وبين أحد من الناس أية مظلمة ، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعتة يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حل يا أبا معشر. فقال: من أي شيء؟ فقال: رويت حديثاً يوماً فنظرتُ إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك ، فتبسمت من ذلك. قال: أنت في حل يرحمك الله يا أبا عبد الله». وقد تحرى الإمام البخاري أن لا يدخل في شيء من معاملات الدنيا لئلا يصيبه شيء فيه شبهة من حرام أو غيره ، فروي عنه أنه قال: «ما توليت شراء شيء ولا بيعه قط. فقال له أبو جعفر: كيف ، وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط ، فخشيت أنني إن توليت ذلك أن أستوي بغيري. فقال له: ومن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟ قال: كنت أكفى ذلك». وكان متورعاً إذا وعد أوفى بوعده وأنفذ الأمر ، حتى وإن كان هذا لا يزال في نيته ، قال الخطيب البغدادي: «كان حُمِلَ إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان ، فاجتمع التجار بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم ، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى أولئك ، ولا أحب أن أنقض نيتي. فدفعها إليهم». وأما عن كرمه وسماحته ، فكان الإمام البخاري مفرط الكرم وافر الصدقة ، وخصوصاً على المحتاجين من التلاميذ وطلبة العلم ، فذكر ابن ناصر الدين أنه ورث من أبيه - مالاً وفيراً - ووكّل أناساً للتجارة فيه ، فكان ينفق منه بسخاء ، فيتصدق منه بالكثير ، ويبر الطلبة ويحسن إليهم. وكان يحب إخفاء ذلك ، ولا يحب أن يتكلم الناس عنه ، فروي أنه مرة ناول رجلاً من الطلبة صرةً فيها ثلاثمائة درهم خفيةً ، فأراد الرجل أن يدعو له ، فقال له البخاري: «ارفق ، واشتغل بحديث آخر كي لا يعلم بذلك أحد». وقال محمد بن أبي حاتم: «كان يتصدق بالكثير ، يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث ، فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وأقل وأكثر ، من غير أن يشعر بذلك أحد». وكان يكافئ بسخاء من يصنع له معروفاً مهما قلّ ، فروي أنه كانت له قطعة أرض يكرها كل سنة بسبع مائة درهم. فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى البخاري قثاة أو قثاتين ، لأن البخاري كان معجباً بالقثاء النضيج ، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً ، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحملة القثاء إليه أحياناً ، وذلك بالإضافة إلى إنفاقه على التلاميذ ، فإنه كان كثير الإنفاق في طلب العلم ، فروي عنه أنه قال: «كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم ، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم. وأما عن زهده وأدبه ، فمع كون الإمام البخاري ذا مال كثير فإنه كان متقشفاً زاهداً في أمور الدنيا وكان قليل الأكل جداً ، قال محمد بن أبي حاتم: «كان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار ، فلا يأكل فيه رقاقة ، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً. وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره» ، وكان من كثرة إنفاقه للمال في الصدقة وطلب العلم أنه قد تمر عليه أيام لا يجد ما يأكله ، ومع ذلك لا يطلب من أحد شيئاً ، فروى ابن ناصر الدين أنه نفدت نفقته مرة فجعل يأكل من نبات الأرض ولا يخبر أحداً بذلك وبلغ من شدة زهده وحرصه أنه لم يمنع حتى المرض من ذلك ، فروى ابن عساكر بسنده قال: «مرض محمد بن

إسماعيل البخاري فعرض ماؤه على الأطباء ، فقالوا: لو أن هذا الماء ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتممون ، فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال: لم انتدم منذ أربعين سنة ، فسألوا عن علاجه فقالوا: علاجه الإدام! فامتنع عن ذلك حتى ألح عليه المشايخ ببخارى أهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل بقية عمره في كل يوم سكرة واحدة مع رغيف». واتّصف الإمام البخاري بالأدب العالية والأخلاق الحميدة ، فمن ذلك ما رواه محمد بن منصور قال: «كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، فرفع إنسان من لحيته قذاة ، فطرحها على الأرض. قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس ، فلما غفل الناس رأيت مد يده ، فرفع القذاة من الأرض ، فأدخلها في كفه. فلما خرج من المسجد رأيت أخرجها فطرحها على الأرض». وكان قليل الكلام وكلّ شغله في العلم ولا يشتغل في أمور الناس قال هاني بن النضر: «كنا عند محمد بن يوسف - يعني: الفريابي - بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرياصد ونحوه ، وكان محمد بن إسماعيل معنا ، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ، ويكب على العلم». ومن أدبه أنه كان يتجنب ما يؤذي غيره فكان لا يأكل الكراث والبصل وما يشبههما لئلا يتأذى الناس من الرائحة. وأما عن نبوغه وحفظه وتقدمه على أقرانه ، فإن من أبرز ما تميّز به الإمام البخاري هو ذكاؤه الوقّاد وقوة حفظه الاستثنائية ، فكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومئتي ألف حديث غير صحيح ، وكان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة. وقد رُزق قوة الحفظ من صغره فكان وهو صبي لا يزال في مقتبل العمر يحفظ سبعين ألف حديث ويعرف تاريخ رواته وأخبارهم ، قال سليمان بن مجاهد «كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جنت قبل لرأيت صبيّاً يحفظ سبعين ألف حديث. قال فخرجت في طلبه فلقيته ، فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر ، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ». وكان معروفاً بذلك بين أقرانه من طلبة العلم حتى كانوا يجلسون إليه ويسألونه عن الحديث ، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت إبراهيم الخواص مستملي صدقة يقول: رأيت أبا زرعة كالصبي جالساً بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث». وقد شهد له شيوخه بذلك من صغره وكانوا يأخذون منه ويستفيدون! قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه ، كي لا أرويه، ففعلت ذلك». وكان محمد بن سلام البيكندي كتب عند الأحاديث التي حكم البخاري بصحتها: رضي الفتى ، وفي الأحاديث الضعيفة: لم يرض الفتى. فقال له بعض أصحابه: «من هذا الفتى؟» فقال: «هو الذي ليس مثله محمد بن إسماعيل». وقال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري: «يا أبا عبد الله أنظر في كتبي وأخبرني بما فيها من السقط. فقال: نعم». وكان محمد بن يحيى الذهلي أحد أبرز شيوخه يسأله عن الأسامي والكنى والعلل ، والبخاري يمر فيه كالسهم ، كأنه يقرأ قل هو الله أحد. وقال أبو بكر المديني: «كنا يوماً بنيسابور عند إسحاق بن راهويه ، ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني ، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله ، كأنك قد شهدت القوم!» وكان مع هذا حريصاً على التثبت ممن يسمع منهم جامعاً لأخباره متفحّصاً لعلمه،

فكان إذا كتب عن شيخ ثبت ضابط سألته عن اسمه وكنيته ونسبة وعلّة الحديث وإن كان ذلك الشيخ ليس بالحافظ القوي سألته أن يريه كتبه. وقد أراد عدد من طلاب العلم والمشايخ في عدد من البلدان اختبار البخاري وسبر قوة حفظه وتثبته ، فروى الخطيب البغدادي بسنده عن حاشد بن إسماعيل قال: «كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معنك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشرة يوماً: إنكما قد أكثرتما علي وألحمتما ، فأعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه ، ثم قال: أترون أني أختلف هذرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد». ومن أشهر الروايات في ذلك ما رواه أبو أحمد بن عدي الجرجاني قال: «سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفَعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل منهم عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري ، وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة وسألته عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري لا أعرفه فسأل عن آخر فقال البخاري: لا أعرفه! ثم سأل عن آخر فقال: لا أعرفه! فما زال يلقي بمثله واحداً بعد واحد ، حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول: لا أعرفه! فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهما ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسألته عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري: لا أعرفه! فسألته عن آخر فقال: لا أعرفه! فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب الثالث إليه والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه! فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثاني فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاة حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسناد إلى متنه ، وفعل الآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ، وأسانيدها إلى متونها ، فأقر له الناس بالحفظ والعلم ، وأذعنوا له بالفضل». وقال محمد بن أبي حاتم: "سمعت سليم بن مجاهد يقول: سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربع مائة مما يطلبون الحديث ، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل ، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين ، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن". وأما عن محنته ، فلقد امتحن الإمام البخاري مرتين ، الأولى كانت مع شيخه محمد بن يحيى الذهلي على رأس جماعة من الفقهاء والمحدثين في عصره ، حيث اتهم البخاري بمسألة القول باللفظ بالقرآن وهل هو مخلوق ، وكانت هذه المحنة واحدة من أسباب محنته الثانية مع حاكم بخاري خالد بن أحمد الذهلي مسألة فتنة خلق القرآن ، فلقد نشأت مسألة القول بخلق القرآن في أواخر عهد الخليفة العباسي المأمون ، واستمرت طيلة عهد المعتصم والواثق ، وبقيت في أوائل عهد المتوكل ، وسببت فتنة عظيمة بين أهل السنة والمعتزلة ، واندلعت نارها وعمّ خطرهما. حيث تمكّن المعتزلة الذين برزوا في عهد المأمون والتفوا حوله كبشر المريسي وثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبي دؤاد من إقناع الخليفة باعتناق

الاعتزال وحمله على القول برأيهم أن القرآن مخلوق ، وتمكّن القاضي أحمد بن أبي دؤاد أن يغري الخليفة بحمل الناس على هذا القول فكتب المأمون إلى أمراء الأمصار أن يمتحنوا علماء الأمة بهذه المسألة ، فمن أجاب فقد سلّم من الأذى ، ومن خالف كان جزاؤه الأذى والتنكيل. وامتنح بذلك أئمة كبار كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، والنضر بن شميل وأحمد بن نصر الخزاعي الذي قُتل ويوسف بن يحيى البويطي الذي مات في السجن وغيرهم ، فصبر بعضهم ورفض أن يقول بخلق القرآن فعُدّب بعضهم وحُبس بعضهم وقُتل البعض وأجابه بعضهم. وشغلت هذه الفتنة المسلمين نحو خمس عشرة سنة إلى أن انتهت في زمن المتوكل. وقد أصاب البخاري طرفاً من هذه الفتنة ، فعندما دخل البخاري نيسابور استقبله الناس بالحفاوة والتكريم والتعظيم ، قال محمد بن يعقوب الأخرم: «سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبانا على الخيل ، سوى من ركب بغلاً أو حماراً وسوى الرجالة.» والتفّ الناس وطلاب العلم والمحدثون حوله حتى هجروا مجالس المحدثين الآخرين مما كان سبباً في إيغار صدور البعض عليه. فأرادوا صرف الناس عنه فشغبوا عليه بمسألة خلق القرآن ، قال أبو أحمد بن عدي الجرجاني: "ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عليه حسده بعض من كان في ذلك الوقت من المشايخ لما رأى من إقبال الناس عليه فقال لأصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتنحوه ، فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثاً فالتفت إليه البخاري في الثالثة فقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه". وقد ذكر العلماء والمؤرخون أن محمد بن يحيى الذهلي كان أحد من دخله الحسد بسبب اجتماع الناس على البخاري ، وكان الذهلي أحد كبار محدثي نيسابور وأحد شيوخ البخاري. قال مسلم بن الحجاج: «لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيت والياً ولا عالماً فَعَل به أهل نيسابور ما فعلوا به ، استقبلوه مرحلتين وثلاثة. فقال محمد بن يحيى في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غداً فليستقبله. فاستقبله محمد بن يحيى وعمامة العلماء ، فنزل دار البخاريين ، فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام ، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه ، وقع بيننا وبينه ، ثم شمت بنا كل حروري ، وكل رافضي ، وكل جهمي ، وكل مرجئ بخراسان. قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل ، حتى امتلأ السطح والدار ، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث ، قام إليه رجل ، فسأله عن اللفظ بالقرآن. فقال: أفعالنا مخلوقة ، وأفعالنا من أفعالنا. فوقع بينهم اختلاف فقال بعض الناس: قال: لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال بعضهم: لم يقل ، حتى تواتبوا ، فاجتمع أهل الدار وأخرجوهم». وعلّق جمال الدين القاسمي على هذه الحادثة قائلاً: «إن نهي الذهلي عن سؤال البخاري عن شيء من الكلام فيه تلقين للفتنة وتعليم لمثارها وفتح لبابها». وروى الخطيب البغدادي قال: "أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب ، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي قال: سمعت محمد بن حامد البزاز ، يقول: سمعت الحسن بن محمد بن جابر ، يقول: سمعت محمد بن يحيى ، يقول: لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور ، قال: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه ، قال: فذهب الناس إليه واقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه". وإثر ذلك وبعد ما صار بين البخاري والذهلي من الاختلاف فقد هجر الكثير من الطلاب مجالس البخاري وأطاعوا الذهلي لما كان له من قدر المكانة والمنزلة

العظيمة في بلده نيسابور. وثبت مع البخاري تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج ، وكان مسلم أيضاً يناضل عن الإمام البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه ، فترك شيخه الذهلي ولازم البخاري. قال الحاكم النيسابوري: "سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ ، ونادى عليه ، ومنع الناس عن الاختلاف إليه ، حتى هجر وخرج من نيسابور ؛ في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه لم يتخلف عن زيارته، فأنتهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً وأنه عوتب على ذلك بالعراق والحجاز ولم يرجع عنه ، فلما كان في يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس ، وخرج من مجلسه ، وجمع كل ما كتب منه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى ، فاستحكت تلك الوحشة وتخلف عن زيارته". وغادر البخاري نيسابور بعد هذه الحادثة درعاً للمفاسد وواداً للفتنة وإيثاراً للسلامة في دينه، قال أحمد بن سلمة النيسابوري: "دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله ، هذا رجل مقبول ، خصوصاً في هذه المدينة ، وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه ، فما ترى؟ فقبض على لحيته ثم قال: (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد). اللهم إنك تعلم أنني لم أرد المقام بنيسابور شراً ولا بطراً ولا طلباً للرياسة. وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين ، وقد قصدني هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لا غير. يا أحمد إنني خارج غداً لتتخلصوا من حديثه لأجلي. قال: فأخبرت أصحابنا ، فوالله ما شيعه غيري. كنت معه حين خرج من البلد. وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره". قال الذهبي معلقاً وموضحاً موقف البخاري من المسألة: «وأما البخاري ، فكان من كبار الأئمة الأذكياء ، فقال: ما قلت: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، وإنما حركاتهم ، وأصواتهم وأفعالهم مخلوقة ، والقرآن المسموع المتلو الملفوظ المكتوب في المصاحف كلام الله ، غير مخلوق. وصنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد ، فأنكر عليه طائفة ، وما فهموا مرامه كالذهلي ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، وأبي بكر الأعيين ، وغيرهم». ونصر ابن القيم مذهب البخاري في المسألة وصرح بأن البخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه. قال: "قول السلف وأئمة السنة والحديث ، أنهم يميزون بين ما قام بالعباد وما قام بالرب ، والقرآن عندهم جميعه كلام الله ، حروفه ومعانيه ، وأصوات العباد وحركاتهم ، وأداؤهم وتلفظهم ، كل ذلك مخلوق بانن عن الله. فإن قيل: فإذا كان الأمر كما قررتم فكيف أنكر الإمام أحمد على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. وبدعه ونسبه إلى التجهم ، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري إلا على ذلك حتى هجره أهل الحديث ونسبوه إلى القول بخلق القرآن. قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الإسلام هذا الظن الفاسد ، فقد صرح البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) وفي آخر (الجامع) بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال البخاري: وقال أحمد بن الحسين حدثنا أبو نعيم حدثنا سليم القاري قال سمعت سفيان الثوري يقول: قال حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه ، وكان يقول: القرآن مخلوق ، ثم ساق قصة خالد بن عبد الله القسري وأنه ضحى بالجعد بن درهم وقال إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه. هذا مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة ، فخفي تفريق البخاري وتمييزه على جماعة من

أهل السنة والحديث ، ولم يفهم بعضهم مراده وتعلقوا بالمنقول عن أحمد نقلاً مستفيضاً أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي: ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع ، وساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت والمحبة في قلوب الخلق واجتماع الناس عليه حيث حل ، حتى هضم كثير من رياسة أهل العلم وامتعضوا لذلك ، فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل ، وتمسكوا بإطلاق الإمام أحمد وإنكاره على من قال لفظي بالقرآن مخلوق وأنه جهمي ، فتركب من مجموع هذه الأمور فتنة وقعت بين أهل الحديث". ولقد توجه الإمام البخاري عائداً إلى بلده بخارى بعد خروجه من نيسابور ، فاستقبله الناس هناك بحفاوة وإكرام بالغين. قال أحمد بن منصور الشيرازي: «سمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم البخاري بخارى نصب له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهل البلد ونثر عليه الدنانير والدرهم والسكر الكثير». فمكث مدة يحدث في مسجده ، فسأله أمير بخارى خالد بن أحمد بن خالد أن يحضر إلى منزله ويقرأ كتبه على أولاده فامتنع البخاري من ذلك لئلا يحابي ناساً دون آخرين ، فروى الخطيب البغدادي قال: «أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع» و«التاريخ» على أولاده فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده ، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضاً وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم» وفي رواية أخرى قال: «بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد ابن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب "الجامع" و"التاريخ" وغيرهما لأسمع منك ، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضرنني في مسجدي أو في داري ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة إنني لا أكرم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار"». فبقى في نفس الأمير من ذلك وكان هذا سبب الوحشة بينهما ، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الوراق ، وغيره من أهل العلم ببخارى عليه ، حتى تكلموا في مذهبه ، واتفق بعد ذلك أن أرسل محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد كتاباً يؤتب فيه الأمير على الإمام البخاري ، فقرأ الأمير كتاب الذهلي على الناس يحرّضهم على مفارقة البخاري فأبى الناس ذلك ، فأمره الأمير بعد ذلك بالخروج من بخارى ، فخرج منها. قال أحمد بن منصور الشيرازي: "فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد أمير بخارى: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة. فقرأ كتابه على أهل بخارى ، فقالوا: لا نفارقه ، فأمره الأمير بالخروج من البلد ، فخرج بعد المحنة التي حصلت للإمام البخاري مع أمير بخارى توجه بعدها إلى خرتك ، وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها ، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم. فأقام مدة من الزمن فمرض واشتد مرضه. وقد سُمع ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: «اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك.» وروى محمد بن أبي حاتم قصة وفاته فقال: «سمعت غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله يقول: أقام أبو عبد الله عندنا أياماً فمرض واشتد به المرض ، حتى جاء رسول إلى سمرقند بإخراجه ، فلما وافى تهيأ للركوب ، فلبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا أخذ بعضده ورجل آخر معي يقود الدابة ليركبها ، فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت. فدعا بدعوات ثم اضطجع ، ففضى رحمه الله. فسأل منه من العرق شيء لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا: أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك. فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة

غالية فدام على ذلك أياماً، ثم علت سوارى بيض في السماء مستطيلاً بحذاء قبره فجعل الناس يخلتفون ويتعجبون. وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر ولم يكن يقدر على حفظ القبر بالحراس وغلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشباً مشبكاً لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر. وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك. وظهر عند مخالفته أمره بعد وفاته وخرج بعض مخالفه إلى قبره وأظهر التوبة والندامة.» وروى الخطيب البغدادي قال: "أخبرنا علي بن أبي حامد الأصبهاني في كتابه قال: حدثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني قال: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه ، وهو واقف في موضع فسلمت عليه فرد السلام. فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته ، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها. وكانت وفاته ليلة عيد الفطر السبت 1 شوال 256هـ عند صلاة العشاء وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر ودفن ، وكان عمره آنذاك اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً. وقبره معروف إلى الآن وله ضريح مشهور في سمرقند. وأما عن ثناء العلماء عليه ، فلقد كان البخاري موضع تقدير من شيوخه وأقرانه فتحدثوا عنه بما هو أهله وأثنوا عليه ، قال النووي: «واعلم أن وصف البخاري، رحمه الله ، بارتفاع المحل والتقدم في هذا العلم على الأماثل والأقران ، متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان ، ويكفى في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون ، والحذاق المتقنون». وكذلك غيرهم ممن عاصره أو جاء بعده ، فمن أقوال العلماء فيه:- قال أحمد بن حنبل: "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري". وقال قتيبة بن سعيد: "يا هؤلاء ، نظرت في الحديث وفي الرأي ، وجلست الفقهاء والزهاد والعباد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل". وقال أبو حاتم الرازي: "محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق". وقال محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم». وقال: "سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعت فإن موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم". وقال مسلم بن الحجاج للبخاري: "دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في عله". وقال الترمذي: "لم أر أحداً بالعراق، ولا بخراسان، في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل". وقال أبو أحمد الحاكم: "كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه. ولو قلت: إنى لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن لرجوت أن أكون صادقاً". وقال ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري". وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: "حدثني حاتم بن مالك الوراق قال: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا ، وفقهنا وفقه خراسان". وقال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: "هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل". وقال أبو الحجاج المزي: "إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام". وقال الذهبي: «البخاري شيخ الإسلام وإمام الحفاظ. كان رأساً في الذكاء ، رأساً في العلم ، ورأساً في الورع والعبادة». وقال: «كان من أوعية العلم يتوقد ذكاء ، ولم يخلف بعده مثله». وقال ابن كثير: «أبو عبد الله البخاري الحافظ ، إمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدى به في أوانه ، والمقدم على

سائر أضرابه وأقرانه». وقال زين الدين العراقي: «البخاري الحافظ العلم أمير المؤمنين في الحديث». وقال تاج الدين السبكي: «كان البخاري إمام المسلمين وقُدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين». وقال شمس الدين الكرماني: «البخاري إمام أئمة الحديث ، والمقتدى به في هذا الشأن». وقال ابن حجر العسقلاني: «أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث». وقال: «هو الإمام العلم الفرد تاج الفقهاء ، عمدة المحدثين ، سيد الحفاظ». وقال ابن ناصر الدين: «تخرج به أرباب الدراية ، وانتفع به أهل الرواية ، وكان فرد زمانه ، حافظاً للسانه ، ورعاً في جميع شأنه ، هذا مع علمه العزيز ، وإتقانه الكثير ، وشدة عنايته بالأخبار ، وجودة حفظه للسنن والآثار ، ومعرفته بالتاريخ وأيام الناس ونقدهم ، مع حفظ أوقاته وساعاته ، والعبادة الدائمة إلى مماته. ولقد كان كبير الشأن ، جليل القدر، عديم النظير ، لم ير أحد شكله ، ولم يخلف بعده مثله». وقال الشوكاني: «البخاري حافظ الإسلام وإمام أئمة الأعلام». وغيرهم كثير. قال ابن حجر العسقلاني: «ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لَفنى القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له». هذا ، ومن أقوال البخاري الماثورة الحكيمة الجميلة: - "ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين". - "لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة". - "ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في عامة كتب الرأي وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبتة إلا ما لم يظهر لي". - "ما أردت أن أتكلم بكلامٍ فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً". هـ. وأشكر (الويكيبيديا & الموسوعة الحرة) أن أمدتني بالكثير الموثق الصحيح من المعلومات عن الإمام البخاري - رحمة الله تعالى عليه -! ورغم كل هذا الذي أوردنا عن إمام أهل الحديث الإمام البخاري ، فهل سلم من تطاول المتطاولين وتعييب المعيبين وتخرص الخراصين وإفك الأفاكين وكذب الكاذبين وتلفيق الملفقين وكيد الخائنين الكائدين وحقد الحاقدين من العلمانيين والحداثيين والجهلاء والمتصوفة والمتشعبة؟! بالطبع لا! وتحت عنوان: (أكاذيب حول البخاري) يتحفنا الأستاذ الدكتور معزز الخطيب أستاذ المنهجية والأخلاق - مركز التشريع الإسلامي والأخلاق - جامعة حمد بن خليفة بقوله بتصريح يسير: (شاع في الأيام الأخيرة فيديو بعنوان "حقائق صادمة عن البخاري" نشره موقع "أصوات مغاربية" ، وشاركه موقع "قناة الحرة" ، وهو ما أثار عدداً من التساؤلات دفعت بعضهم إلى طلب توضيحات علمية حول محتوى الفيديو. يدور محتوى الفيديو على خمس مسائل رئيسية سأوضحها ثم أبين ما فيها:- المسألة الأولى: يظهر الفيديو أن نسب البخاري يُحيل إلى أنه "ليس عربياً" في إشارة مبطنّة إلى موقف عنصرّي من موقع يدعي على صفحته أن مهمته إيصال "صوت الأقليات" ، وهذا الوعي القومي مُحدَث ؛ لأن الإسلام شكّل لقرون طويلة ثقافة شعوب متنوعة الأعراق والثقافات من العرب والترك والفرس وغيرهم ، ففكرة تعريف علماء الإسلام (ما قبل الدولة القومية) بأعراقهم هو إسقاط لمشاكل الحاضر على تاريخ رحب وشاسع! فسببويه إمام العربية لم يكن عربياً بهذا المعنى القومي الضيق). والطريف أن الفيديو يحكي عن البخاري أنه "عاش في أوزبكستان وهي منطقة على الهامش بعيدة عن المراكز الدينية في تلك المرحلة" ، وهذا القول يكشف عن جهل مُعدّي الفيديو بتاريخ بخارى التي تنتمي إلى (تركستان) التي كانت جزءاً من ولاية (خراسان) زمن الأمويين والعباسيين ، وغُذت بعد الفتح الإسلامي من أهم الحواضر الإسلامية ، وخرج منها الكثير من الفلاسفة والفقهاء والمحدثين من أشهرهم البخاري

وابن سينا ، وفي 1924 م قُسمت "جمهورية بخارى" بين طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان ، وباتت مدينة بخارى إحدى المدن المهمة في جمهورية أوزبكستان. ولأهمية بخارى خصَّها عدد من المؤرخين بكتب مستقلة من أقدمها "تاريخ بخارى" لأبي بكر بن جعفر النرشخي (ت348هـ) ، ومن أحدثها كتاب "تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر" للمستشرق المجري أرمينيوس فامبري كتبه سنة (1872م). الثانية: يقول الفيديو: "شككت كتب كثيرة عبر العصور في أحاديث البخاري" ، وهذه مقولة كاذبة فقد وُجدت انتقاداتٌ محدودةٌ زماناً ، ومعدودةٌ أحاديثاً ، فلا الكتب كثيرة ، ولا هي "شككت" في أحاديثه ، وسأوضح هذه المسألة لاحقاً ، ولكن يُهمني هنا مناقشة الأسباب التي لأجلها وقع التشكيك - بحسب الفيديو - في أحاديث البخاري وتتلخص في أربع نقاط: - الأولى: وبينه وبين الرسول حوالي 200 سنة وهي مدة طويلة مات خلالها كل الصحابة! الثانية: رحلات البخاري إلى بغداد ومكة ومصر كانت قصيرة ولم تكن كافية للسمع من كل الرواة. الثالثة: معظم أحاديث البخاري تساعيات بينه وبين الرسول تسعة رواة ما يوسع مجال النسيان والتدليس أو الكذب والتلفيق. الرابعة: أن 16 سنة مدة وضعه لكتابه لا تكفي لتفحيح 600 ألف حديث للتحقق من شرطه ، وهو العدل والصدق وعدم التدليس ، وبحسبة بسيطة يحتاج إلى أكثر من 200 سنة لكي ينقح 600 ألف أي 15 دقيقة لكل حديث وهي غير كافية للقاء الرواة وتطبيق المعايير! ولبيان حجم المغالطة في النقاط الأربع السابقة نقول:- أولاً: طول الفاصل بين البخاري والنبي صلى الله عليه وسلم أو قصره ليس معياراً في الصحة أو الضعف ما دام الاعتماد على آلية الإسناد وعلى معايير علمية للنقد ، كما أن البخاري لم يكن أول من جمع الحديث ودونه حتى يُطرح مثل هذا الإشكال المُفتعل ؛ فقد سبقه أئمة أعلام من أبرزهم معمر بن راشد (ت153هـ) ومالك بن أنس (ت179هـ) ، يضاف إلى ذلك أن آخر الصحابة موتاً كان عامر بن وائلة الكِناني (ت102هـ وقيل 110هـ). ثانياً: أما بخصوص رحلات البخاري فهو يقول عن نفسه: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين" ، وكان قد سمع ببخارى وبليخ ومرزو والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر والشام وغيرها من حواضر الإسلام وأطال الرحلة وتوسع ، وتقول كتب التراجم: إنه كتب عن ألف وثمانين نفساً. ثالثاً: أطول سند في البخاري هو سند شساعي ، وهو حديث "ويل للعرب من شر قد اقترب" الذي أخرجه البخاري في كتاب الفتن وفيه أربع صحابييات ، في حين أن البخاري حين ينزل في الإسناد يصل إلى سداسي أو سباعي ، وذلك لمعنى أو فائدة استدعت الأفراد بالبحث والدراسة ، وفي بعض الأحيان يكون قد روى الحديث نفسه بالإسناد العالي في موضع آخر ، ولا أريد أن أفصل في هذه المسألة التقنية ، ولكن حسبي أن أذكر أيضاً أن للبخاري ثلاثيات (بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة فقط) ، وهي من مزايا صحيحه التي دفعت العلماء إلى العناية بها وممن جمعها أبو الخير محمد بن موسى الصفار (عندي نسخة خطية منه) ، وعلي بيومي (عندي نسخة خطية منه) ، أي أن في أعلى طبقات شيوخ البخاري من حَدَّثه عن التابعين. رابعاً: انتخب البخاري صحيحه في 16 عامًا ، وقد روى أبو علي الغساني عن البخاري أنه قال: "خرَّجت الصحيح من ستمئة ألف حديث". والحسبة الرياضية التي قام بها الفيديو لا تقوم على أساس علمي ؛ لأنها مبنية على تصورات مغلوبة عن مفهوم الحديث وهو هنا الطريق (الإسناد) وليس المتن ، ولذلك كان حفاظ الحديث يجمعون المتن الواحد من طرق كثيرة لاختباره ونقده ويسمون كل طريق حديثاً ، ولا بد من القول: إن هذه الطرق تدور على أسماء شيوخ عددهم محصور لا

يصل إلى ذلك الرقم الضخم المتوهم والذي تمت قسمته ، فعدد رجال البخاري كلهم في الصحيح هو (1525) رجلاً ، وقد درسهم الإمام أبو نصر البخاري الكلاباذي (398هـ) وغيره وأفردوهم بكتب مستقلة). ثم إن الحسبة تقوم أيضاً على تصور مغلوط عن منهج وطرائق نقد الأسانيد ؛ لأن الخبرة بالحديث والتخصص فيه ومعايشته من شخص متفرغ منذ سنينه الأولى لا تُحْتَسَب بهذه الطريقة ، فالفيديو أسقط خبرة البخاري ما قبل هذه الـ (16) سنة ، وقد قال أبو بكر الأَعْيَن: "كتبنا عن محمد بن إسماعيل وهو أمرد" ، وقد بدأ البخاري التصنيف في قضايا الصحابة والتابعين وأقوابيلهم وهو ابن ثمان عشرة سنة. وتتجاهل تلك الحسبة خبرة شيوخ البخاري ومعاصريه ضمن جماعة المحدثين (الجماعة العلمية) ، فالبخاري لم يبدأ من فراغ بل بنى على معارف من سبقوه أيضاً ، وشارك معاصريه كذلك فقد قال الحافظ أبو جعفر العَقِيلِي: "لما ألف البخاري كتاب الصحيح عَرَضَهُ على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم ، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث. والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة". أما بخصوص شرط البخاري فهي مسألة طال فيها كلام العلماء ، والشروط التي ذكرها الفيديو هي اختزال مُخَلَّ لشروط الحديث الصحيح ، فقد كان البخاري أشدَّ المحدثين مذهباً في قبول الحديث ، ففي العنونة مثلاً كان يشترط اللقاء ولو مرةً بين الراويين ولا يكتفي بشرط المعاصرة كالإمام مسلم ، وقد استقر لدى العلماء أن شرط الحديث الصحيح أن يكون إسناده متصلاً بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قاذحة ، وفي تفاصيل هذه الشروط كلام طويل وتطبيقات مختلفة. النقطة الثالثة في الفيديو هي قوله: إن "شخصية البخاري لم تكن - أبداً - موضع إجماع بين علماء المسلمين ؛ فقد جَرَحَهُ عددٌ من أئمة عصره ، منهم: أبو حاتم الرازي ، وابنه عبد الرحمن، ومحمد بن يحيى الذهلي". وهذا تدليسٌ ؛ فالبخاري كان محلَّ قبولٍ وثناء عامة الأئمة عبر التاريخ ، فقد قال أحمد بن حنبل: "ما أخرجتُ خراسان مثلَ محمد بن إسماعيل البخاري" ، وأفاض الحافظ الخطيب البغدادي في بيان مكانة البخاري في حواضر الإسلام: البصريين والحجازيين والكوفيين والبعثيين وأهل الرِّيِّ وخراسان ، وقال الإمامان النووي والطوفي: "تلقب البخاري ومسلم بإمامي المحدثين هو باعتبار ما كانا عليه من الورع والزهد والجد والاجتهاد في تخريج الصحيح حتى ائتم بهما في التصحيح كلٌّ من بعدهما". وقال الحافظ الترمذي: "لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل البخاري". أما الأسماء المذكورة في الفيديو وهي ثلاثة (أبو حاتم الرازي وابنه عبد الرحمن الرازي والذهلي) ، فهي ترجع إلى مسألة محددة ومصدر واحدٍ فقط ، كما يوضح عبد الرحمن الرازي نفسه بقوله: "سمع من البخاري أبي [أبو حاتم] وأبو زُرعة ، ثم تَرَكَا حديثَهُ عندما كَتَبَ إليهما محمد بن يحيى [الذهلي] النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لَفْظَةَ بالقرآن مخلوقٌ" ، وقد تعجب العلماء بعد ذلك من هذا الموقف ، كما فعل الإمام تاج الدين السبكي وغيره ، والمسألة ليست شخص البخاري ولا صحيحه ، وإنما هي مسألة القول بخلق القرآن التي شقت صفوف المحدثين في ذلك الزمان ، وأن مصدر التهمة هو الذهلي نفسه ، ولذلك دأب كل من كتب عن البخاري قديماً وحديثاً على مناقشة هذا الموقف من الذهلي ، وهذا شائع في كتب التراجم. وصحيح البخاري أصحُّ كتابٍ بعد القرآن (فيما يخص نصوص الشرع) فهو محل اتفاق بين عامة العلماء عبر القرون بعد أن أصبح البخاري محل قبولٍ منهم على كثرة دراسته والكتابة عنه أو عن جانب منه. وقد كان الذهلي نفسه يحث الناس على حضور مجلس البخاري ، ثم ساءت العلاقة بينهما ، ووشى الذهلي بالبخاري إلى خالد بن أحمد (أمير بخارى) قائلاً: "إن هذا

الرجل قد أظهر خلاف السنّة" ، يقصد القول بخلق القرآن ، رغم أن البخاري لم يكن يقول بذلك ، قال الإمام السبكي: "فافهم ذلك ، ودع خرافات المؤرخين ... ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة" ، وقد تتلمذ للبخاري كلٌّ من أبي حاتم وابنه عبد الرحمن قبل أن يستجيباً لطلب الذهلي ، واعتمد أبو زرعة الرازي في جرحه لبعض الرواة على كلام البخاري نفسه فيهم ونقل جرحه لهم. النقطة الرابعة في الفيديو هي قوله: "هناك علماء آخرون طعنوا في صحيح البخاري ، كالدارقطني ، والغساني الجياني والحافظ زين الدين وغيرهم". وهكذا يخلط الفيديو بين شخص البخاري وبين صحيحه ، فالرازيان: الأب والابن ، والذهلي لم يتكلموا عن صحيح البخاري أصلاً ، وإنما عن رأيه في مسألة واحدة لا علاقة لها بالحديث ، أما الأسماء الثلاثة المذكورة هنا فهي تلبيس من معدّي الفيديو فلا نعرف من هذا "الحافظ زين الدين" ، والدارقطني (ت385هـ) والغساني (ت498هـ) لم يطعنوا في صحيح البخاري ، بل كانت لهما بعض الانتقادات من حيث الصنعة الحديثية ، وأضيف إليهم أبا مسعود الدمشقي الحافظ (ت401هـ). فالدارقطني نقد منّي حديث فقط (من آلاف!) استدرك فيها على البخاري ومسلم أحاديث رأى أنهما أخلاً بشرطهما فيها وأنها نزلت عن درجة ما التزمها في كتاب سماه (الإلزامات والتتبع) ، أما أبو مسعود الدمشقي فقد كتب استدراكاً أيضاً ، وكتب الغساني كتاب "تفديد المهمل" في نقد (بعض) رواة البخاري ، وقد أجاب الإمام النووي وغيره عن نقد الدارقطني بأن طعن الدارقطني فاسدٌ ومبني على قواعد (لبعض) المحدثين هي ضعيفةٌ جدًّا ومخالفةٌ لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول ولقواعد الأدلة قائلاً: "فلا تغترّ بذلك". وجملة الانتقادات التي وُجّهت إلى صحيح البخاري هي انتقاداتٌ تقيّةٌ لا تتناول ما يسعى إليه الناقدون اليوم من رد أحاديث البخاري أو الطعن في صحيحه ، وهي ترجع في الجملة إلى الاختلاف في بعض قواعد النقد بين المحدثين أنفسهم ، فبعضهم يُشدد فيها ، وبعض يتخفف في كونه شرطاً للحديث الصحيح أو لا ، وهي مسائل اجتهادية لا صلة لها بالطعن أو التكذيب. أما كون صحيح البخاري أصحّ كتاب بعد القرآن (فيما يخص نصوص الشرع) ، فهو محل اتفاق بين عامة العلماء عبر القرون بعد أن أصبح البخاري محل قبول منهم على كثرة دراسته والكتابة عنه أو عن جانب منه ، وقد أقر بهذا أئمة كالحافظ النسائي ، وحكى الاتفاق عليه أئمة كابن الصلاح والنووي والطوفي وآخرين. وقد روى عن البخاري عددٌ كبير من تلامذته كمسلم وأبي زرعة الرازي ، والترمذي وابن خزيمة وخلق كثير. قال ابن خلدون: "البخاري إمام المحدثين في عصره ، فخرّج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، ... أما البخاري – وهو أعلاها رتبة – فاستصعب الناس شرحه ، ... وقد سمعتُ كثيراً من شيوخنا – رحمهم الله – يقولون: شرح كتاب البخاري دين على الأمة" ، أي قبل مجيء الحافظ ابن حجر الذي شرحه شرحاً مستفيضاً سماه "فتح الباري". وقد عدَّ حاجي خليفة (82) شرحاً للبخاري! وقال جمال الدين القاسمي: "لم يبقَ فاضل من علماء المذاهب إلا وعُني به ما بين شارح له وقارئ وساع لتلقيه وحريص على سماعه ومفتخر بالإجازة به وبقرّب السند إلى جامعِه ، حتى إن أرباب الأثبات والمسئلات نَوَّعوا الاتصال بجامعه [البخاري] بأسانيد غريبة ، ما بين شامي وحجازي ومصري وعراقي وهندي ومغربي ورووه مسلسلاً بالشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة. كان الإمام البخاري مجتهداً مطلقاً في الفقه ، ولذلك لا يصح انتسابه إلى أي مذهب فقهي ، وقد استنبط فقهه من عناوين تراجم أبواب كتابه. المسألة الخامسة قول الفيديو: "البخاري صاحب أحاديث

قتل المرتد ، وحد الرجم ، والماعر التي التهمت آيات فُقدت من القرآن. وحديث أن الرسول حاول الانتحار". وهذا أيضاً كذب من عدة أوجه:- الأول: أنه يحاول أن يُلصق كل الأحاديث المُشكلة بشخص البخاري للتفجير منه والطعن في كتابه ، في حين أن البخاري هو أول من صَنف في "الصحيح المجرد" عن غيره من أنواع الحديث ، لا أول من صنف في الحديث مطلقاً. الثاني: أن قصة الشاة التي أكلت في بيت عائشة صحيفةً كان مكتوباً عليها آية من القرآن ليست في البخاري أصلاً ، وتُفرد بها محمد بن إسحاق ولكن البخاري لا يروي عن ابن إسحاق في كتاب الصحيح ، وقد روى هذه القصة أحمد وابن ماجه ولا تثبت ؛ لعدة علل إحداها: مخالفتها لرواية الأئمة الثقات فهي شاذة. الثالث: أن حديث قتل المرتد لم يكن البخاري أول من رواه ، فقد رواه قبله الإمام الشافعي (204هـ) ، وابن أبي شيبة (235هـ) ، وأحمد بن حنبل (241هـ). الرابع: أن حديث أن الرسول بعد انقطاع الوحي حاول أن "يتردى من رؤوس شواهد الجبال" هو من كلام الزهري وليس من كلام عائشة صاحبة الحديث الأصلي ، والبخاري عزاه للزهري (من بلاغات الزهري باصطلاحهم) وهو غير صحيح على شرط البخاري ، ولذلك قال الشيخ ناصر الدين الألباني: "هذا العزو للبخاري خطأ فاحش ، ذلك لأنه يُوهم أن قصة التردي هذه صحيحة على شرط البخاري ؛ وليس كذلك. والخلاصة أن أحاديث البخاري في الصحيح بلغت بالمكرر (سوى المُعَلَّقات والمتابعات) (7397) حديثاً ، وقد انتقد العلماء منها (110) أحاديث ، منها (32) حديثاً وافق البخاري عليها الإمام مسلمٌ، بينما انفرد البخاري ب (78) حديثاً. قال الحافظ ابن حجر: "وليست عَليها كلها قاذحة ، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر ، والقدر فيه مندفعٌ ، وبعضها الجواب عنه مُحتمِل ، واليسيرُ منه في الجواب عنه تَعَسَّفٌ". وقد ناقشها حديثاً حديثاً في كتاب "هدى الساري". وقد فهم بعض الحفاظ من هذا عَظْم البخاري ؛ إذ إن نسبة ما هو منتقد إلى ما لم يُنتقد هي عُشر العشر. أو كما قال القاسمي: ففي كل مئة حديث منها حديثٌ منظورٌ فيه. وكان الإمام البخاري مجتهداً مطلقاً في الفقه ، ولذلك لا يصح انتسابه إلى أي مذهب فقهي ، وقد استنبط فقهه من عناوين تراجم أبواب كتابه ، ومن آرائه الفقهية الرائعة: أن الجُنُب لا بأس بقراءته للقرآن ، وأن الغسل من الجماع لا يجب إلا عند الإنزال ولكنه أحوط ، وأن فخذ الرجل ليس بعورة ، وجواز دخول المشرك المسجد ، وجواز الصلاة في الكنيسة التي ليس فيها تماثيل ، وجواز إمامة المبتدع للصلاة ، وجواز خدمة المرأة الرجال وقيامها عليهم ، وغير ذلك. ولكن هل يعني كل ما سبق أن البخاري معصوم؟ أو أن كل حديث في الصحيح هو صحيح (قطعاً) في نفس الأمر؟ أو أنه يجب العمل بكل حديث في صحيح البخاري؟ الجواب بالتأكيد لا ؛ لأن كتب الحديث لا تعدو أن تكون (مجاميع) للأحاديث المسندة والموثوقة على شرط أصحابها ، ولكن الذي منح البخاري قيمة أعلى هو تلقي العلماء له وتوافقهم عليه ، دون أن يعني ذلك القطع بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا بالحرف ، ودون أن يعني ذلك أن كل حديث في البخاري يجب العمل فيه ؛ لأنه ثمة فارقٌ بين الصحة والعمل ، فقد يصح الحديث ولا يكون موضوعاً للعمل ، كما أن المذاهب الفقهية كلها تأسست قبل وجود صحيح البخاري ، واستقرت بعده من دون أن يكون له إسهامٌ أساسيٌ في تَشَكُّلها. وفي الختام ، لم أكن أرغب في مناقشة الفيديو لولا إلحاح البعض ، وقد اضطررت للرد لأن مثل هذه المعلومات المشوّهة تعوق الفكر النقدي الذي أسعى إليه ؛ فهي تفرض حالةً من السيولة اللا مسؤولة ، ومن نافلة القول بعد كل ما سبق أن نشير إلى أن موقع "أصوات مغاربية" صاحب الفيديو يموله الكونغرس الأمريكي ، ويتبع لشبكة الشرق الأوسط للإرسال التي تدير قناة

الحرّة وراڊيو سوا ، وذلك بحسب التعريف الذي وضعه الموقع لنفسه).هـ. وبناءً على هذا كله كانت هذه القصيدة التي تسأل الإمام البخاري: لماذا كادوا لك؟! ولماذا شنعوا عليك يا إمامنا؟!)

مَدِيحُ (البخاريّ) أَرْجَى القَرَبِ!  
وَدَيْنٌ أَوْفِيهِ أَحْلَى وَفَا  
تَأخَّرْتُ عَنْ رَدِّهِ مُوقِنًا  
وَرَدُّ الْجَمِيلِ يُدِيمُ الإِخْـا  
(بُخاريّ) سَتَفَنِي وَأَصْـقَاعُهَا  
وَيَبْقَى (البخاريّ) فِي ذِي الدُّنَا  
وَذِي (أوزبكستان) كَم فَـاخَرْتُ  
وَإِن (البخاريّ) مِنْ خِيَرِهِمْ  
أَبُوهُ ثُوْفِي مَنْذُ الصَّبَا  
فَرَبَّتْ فَتَاهَا عَلَيَّ عَيْنُهَا  
أَعَارَتْهُ مِنْ عِلْمِهَا حِصَّة  
فَشَبَّ عَلَيَّ العِلْمُ مُسْتَلْهِمًا  
وَعَيَّ فِي الطُّفُولَةِ قِرْآنُهُ  
وَحَازَ الأَحَادِيثَ مُسْتَوْعِبًا  
وَجَلَسِي أَسَانِيدَهَا نَاقِدًا  
وَخَصَّ الرُّوَاةَ بِتَحْقِيقِهِ  
لَهُ مَنَهْجٌ صَارَ مُنْصِفًا  
وَيَكْفِيهِ سِفْرُ (الصحيح) الَّذِي  
وَكَم (للبخاريّ) مِنْ رِحَالَةٍ!  
فَفِي (مكة) وَحَدَّهَا سِتَّةً!

أَسْطَرُّهُ بِمِـدَادِ الذُّهَبِ!  
عَظِيمَ السَّجَايَا رَفِيعَ الأَدَبِ  
بِأَنَّ الأَدَاءَ عَلَيَّ وَجِبْ  
وَيَصْرِفُ عَنَّا سَقِيمَ الرِّيَبِ  
وَيَفْنِي أَعْجَمَهَا والعَرَبِ  
عَظِيمَ المَقَامِ عَلَيَّ الرُّتَبِ  
بِأَعْلَامِهَا الطَّيِّبِينَ النَّجَبِ  
وَسَمِعْتُهُ فِي السُّورَى كَالذُّهَبِ  
فَأَكْمَلْتُ الأُمِّ مِشْـوَارَ أَبِ!  
وَكَانَتْ عَلَيَّ بِذَلِكَ تَحْتَسِبِ  
وَأَعْطَتْهُ مِنْ حَزْمِهَا مَا يَجِبِ  
مِفَاتِيحَهُ مُوَعَّلًا فِي الطَّلَبِ  
وَمَا عَاقَبَهُ لَهْوُهُ وَالْعَبِ  
مَدَاهَا ، وَلَمْ يَخْتَرْمَهُ النُّصَبِ!  
لِمَا قَد حَوَتْ أُمَّهَاتُ الكُتُبِ  
فَلَمْ يَقْبَلِ الرُّوَايَةَ المَضْطَرِبِ  
وَكَزَمَ تَعَجَّبَ مِنْهُ العَجَبِ!  
بِمَا قَد حَوَى حَازَ أَسْمَى لِقَبِ  
وَهَل رِحَالَةٌ لَيْسَ فِيهَا تَعَبِ؟!  
وَطَابَ لَهُ العَيْشُ فِي المُغْتَرَبِ!

وَحَلَّ بِبَغْدَادَ تَنَتَابُهِه  
وَفِي (الْكُوفَةِ) اَزْدَادَ سُلْطَانَهُ  
وَسَانِلَ (دَمَشَقَ) وَأَمْصَارَهَا!  
يُلَاقِي الْخَصُومَ ، وَيُزْرِي بِهِمْ  
وَفِي (مِصْرَ) نَاطِرَ أَعْلَامِهَا  
وَرَا جِعَ (خِرَاسَانَ) عَن نَشْرِهِ  
تَصَانِيفُهُ النَّاشِرَاتُ الْهُدَى  
وَأَسْفَارُهُ الْبَاعِثَاتُ التَّقَى  
و(تَارِيخُهُ) مَا بِهِ مَزَلِقٌ!  
دَوَائِنُهُ فِي الْحَدِيثِ اسْتَمْتَتْ  
لَهُ فِي الْقَبُولِ شُرُوطُ قَضَتْ  
مُعَاصِرَةَ وَالسَّمَاغَ لِمَا  
وَكُونُ الرُّوَاةِ تَقَاةً خَلَتْ  
وَشَرَطَ الْعَدَالَةَ وَالضَّبْطَ فِي  
وَاتَّقَانَهُمْ سَابِقَ عِلْمِهِمْ  
وَلَاقَتْ قَبُولًا كِتَابَاتُهُ  
إِلَى أَنْ بُلِينَا بِهَتَافِهِ  
وَلَا يَتَّقُونَ إِلَهَ السُّورَى  
يَعْبِيُونَ شَيْخَ الْحَدِيثِ الَّذِي  
وَكَمْ شَكَّوْا فِي أَحَادِيثِهِ!  
وَذِي سُنَّةٍ قَدْ خَبَرْنَا بِهَا

نَسَائِمٌ مِنْ عِلْمِهَا تُرْتَغِبُ  
وَفِيهَا الْمُحَدَّثُ أَلْقَى الْخَطْبُ  
وَشَرَحَ (الْبَخَارِي) مِثْلَ الشُّهُبِ  
وَمِنْ سَاحَةِ الصَّدْعِ لَا يَنْسَحِبُ  
وَأَدْرَكَ مَا صَرَخُوا عَن كَثْبِ  
لِعِلْمِ الْحَدِيثِ إِلَيْهِ انْجَذَبُ  
عَلَاهَا (الصَّحِيحُ) يَلِيهِ (الْأَدَبُ)!  
وَفِيهَا الْبَشَارَاتُ لَمَّا تَغِيبُ  
وَكَانَ لَهُ فِي السَّجَالِ الْغَلْبُ  
عَنِ الزَّيْفِ مَا رَحَّبَتْ بِالْكَذْبِ  
بِتَدْقِيقِ مَا خَطَّه أَوْ كَتَبِ  
يَقُولُ الرُّوَاةُ ، وَسَاقَ السَّبَبِ  
تَرَا جِمُهُمْ عَن هَوَى أَوْ شَغْبِ!  
رُوَاةٍ أَجَادُوا لِسَانَ الْعَرَبِ  
وَشَرَطَ التَّوَرُّعَ كَمْ يُطْلَبُ!  
قُرُونًا ، وَمَا رَدَّهَا مُحْتَسِبِ  
يُجِيدُونَ حَبْلَ الْفِرَى عَن رَغْبِ  
وَتَخْرِيفِهِمْ خُفَّ أَنْ يُجْتَنَبِ  
لِتَنْقِيحِهِ كَمْ دَهْتَهُ الْكُورِبُ!  
وَأَشَقَّاهُمْ بِالْأَذَى يَخْتَضِبُ!  
وَجِيلَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا يَنْتَسِبُ

لِيُطَعْنَ مَنقُولَهُ الْمُسْتَحِبُّ!  
بِإِلَاءٍ عَلَى صَالِحِينَا انْكَتَبُ!  
مِنَ الْجَمْرِ إِمَّا تَصَلَى اقْتَرِبُ!  
عَنِ الْعِلْمِ مَرَّتْ عَلَيْهِ الْحَقْبُ  
وَفِيهِمْ غَدَا الرَّأْسُ أَشْقَى ذَنْبُ!  
وَوَصَفَهُمْ مَن عَتَّوْا بِالنَّخْبِ!؟  
وَمَنْ خَيَّرَ الْغَيْرَ أَنْ يَنْتَخِبُ!؟  
وَسَيِّدَنَا ، رَغْمَ أَنْفِ الْعُصْبِ!  
وَتَقَشَّعُ بِالْحَقِّ أَخْزَى السُّحْبِ  
وَنَالَ الْمُنَى وَجَمِيلَ الْقَرْبِ!

فَهُمْ يَطْعَنُونَ بِذَا نِقَالاً  
لِمَاذَا يَنْالُونَ مِنْ شَيْخِنَا؟  
وَلَمَّا تَحْرَقِ النَّارُ غَيْرَ الَّذِي  
أَجَبَ يَا (بَخَارِي) أَشْيَاخَهُمْ  
وَجَاءَ الْأَلَى جَنَدَلُوا كُنْهَهُ  
وَكَيْفَ تَصَدَّرَ جُهِالَهُمْ  
فَمَنْ رَشَّحَ الْبُلَاةَ كَيْ يَسْتَمُوا!؟  
سَيَبْقَى (الْبَخَارِي) أَسْتَاذِنَا  
وَأَسْفَارُهُ سَوْفَ تَمْحُو الدُّجَى  
عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ رَحْمَاتُهُ

## الكتاب الملعون (شمس المعارف)

(أن يُطلق العلماء والفقهاء على كتاب ما بأنه ملعون ، فليس هذا من فراغ! فما كانت اللعنة لتُطلق عليه جُزافاً! إنه كتاب يدعو إلى الفساد والشر ، ليس هذا فقط ، بل يدعو إلى الكفر والشرك بالله رب العالمين! وما أن تُفصح لأحدٍ عن هذا العنوان: (الكتاب الملعون) ، حتى يتطرق ذهنه مباشرة إلى كتاب: (شمس المعارف الكبرى) أو (شمس المعارف ولطائف العوارف)! والله يشهد أنه لا شمس فيه ولا معارف ، ولا لطائف ولا عوارف! إنه الظلمات بعينها! ما ظنك بكتاب يعلم الناس السحر والشعوذة والطلاسم؟! وإذن فكتاب: (شمس المعارف الكبرى) كتاب سحر وشعوذة من تأليف أحمد بن علي البوني المتوفى سنة 622 هـ. وهذا الكتاب مخطوط لأعمال سحر وشعوذة تتعلق بالجن ، وتحرم قراءته بإجماع علماء المسلمين! لأنه من كتب السحر والشعوذة والكفر بالله ، وقد طُبِع حديثاً مع حذف وتحريف ببعض مواضعه ، ولكن ما يزال الكتاب يتناول العديد من أمور السحر غير الواضحة ، ولقد طبع الجزء الأول منه في 577 صفحة في المكتبة الشعبية ببירות عام 1985م. بالإضافة إلى احتوائه على أربع رسائل في نهايته من تأليف عبد القادر الحسيني الأدهمي وهي على الترتيب: (ميزان العدل في مقاصد أحكام الرمل ، وفواتح الرغائب في خصوصيات الكواكب ، وزهر المروج في دلالات البروج ، ولطائف الإشارة في خصائص البداية). وكتاب شمس المعارف الكبرى لأنه يتعلق بالجن والسحر ، فهو ممنوع في كثير من الدول لما فيه من نصوص لتحضير الجن وهي أمور محرمة في الشريعة الإسلامية! وذلك لأن السحر حرام تعاطيه ، وحرام طلبه وحرام تصديق أهله ، بل هو من السبع الموبقات ، ومنه ما هو كفر بالإجماع. ولقد قال الشيخ ابن باز عن كتب السحر عموماً كما في فتاوى نور على الدرب: «ولا يجوز لطالب العلم ولا غيره أن يقرأها أو يتعلم ما فيها ، وغير طالب العلم كذلك ليس له أن يقرأها ولا أن يتعلم مما فيها ، ولا أن يقرأها ، لأنها تفضي إلى الكفر بالله ، فالواجب إتلافها أينما كانت ، وهكذا كل الكتب التي تعلم السحر والتنجم يجب إتلافها». أما عن محتوى هذا الكتاب فهو مزيج عجيب من المعلومات المفهومة وغير المفهومة للشعوذة وتحضير الجن ، وفيه وصفات خطيرة ، وشعوذة كثيرة. والمشعوذ البوني هذا معروف عند المهتمين بالروحانيات والسحر والرمل وما شابه ، وله مؤلفات في هذا الميدان ، ولقد كان البعض يبحثون عنها في المكتبات ويقضون الأوقات في محاولة فك رموزها لتسخير الجن ، وبعضهم كان يتعاطى لهذا السحر والطلاسم غير المفهومة لشفاء المصابين بالمس - حسب زعمهم! هذا ويتوزع الكتاب إلى أربعين فصلاً كما تفيد الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) ، ومن هذه الفصول الملعونة: (- الفصل الأول: في الحروف المعجمة وما يترتب فيها من الأسرار والإضمادات. - الفصل الثاني: في الكسر والبسط وترتيب الأعمال في الأوقات والساعات. - الفصل الثالث: في أحكام منازل القمر الثمانية والعشرين الفلكيات. - الفصل الرابع: في أحكام البروج الإثنى عشر وما لها من الإشارات والارتباطات. - الفصل الخامس: في أسرار البسملة وما لها من الخواص والبركات الخفيات. - الفصل السادس: في الخلوة وأرباب الاعتكاف الموصلة للعلويات. - الفصل السابع: في الأسماء التي كان النبي عيسى يحيي بها الأموات. - الفصل الثامن: في التوقيف الأربعة وما لها من الفصول والدائرات. - الفصل التاسع: في خواص أوائل القرآن والآيات والبيانات. - الفصل العاشر: في أسرار سورة الفاتحة ودعواتها وخواصها المشهورات. - الفصل الحادي عشر: في الاختراعات والأنوار الرحموتيات. - الفصل الثاني عشر: في اسم الله الأعظم وما له من التصريفات الخفيات. - الفصل الثالث عشر: في سواقط الفاتحة وما لها من الأوقاف والدعوات.

- الفصل الرابع عشر: في الرياضات والأذكار والأدعية المستجابات المسخرات. - الفصل الخامس عشر: في الشروط اللازمة لبعض دون بعض في البدايات إلى شمس النهايات. - الفصل السادس عشر: في أسماء الله الحسنى وأوقافها النافعات المجريات. - الفصل السابع عشر: في خواص كهيعص وحروفها الربانيات الأقدسيات. - الفصل الثامن عشر: في خواص آية الكرسي وما فيها من البركات الخفيات. - الفصل التاسع عشر: في خواص بعض الأوقاف والطلسمات النافعة. - الفصل العشرون: في سورة يس وما لها من الدعوات المستجابات). ولا يخفى أن المؤلف الملعون كان قد وضع بعض الآيات والصور والأدعية في كتابه تغريراً بالعامّة والسفهاء والجهلاء! وإلا فإن هذه الآيات وتلك الصور وهاتيك الأدعية ، كانت قد وضعت في غير مكانها ، وليس ينتظمها سياقٌ يُوضّح مراد الله منها! إنما هو الدسُّ والتدليسُ والتمويهُ ليس إلا! والحمد لله تعالى أن جند لهذا الكتاب وأشباهه جنوداً من جنود التوحيد في الغابرين والحاضرين! فبينوا تضليله وتجاوزاته ، وحذروا منه! وإبراءً للذمة قمتُ بكتابة هذا النص لأحذر من هذا الكتاب!

كفأك الحق هزل أولي الخبال	وما أهل الهدى كأولي الضلال!
وليس الحق مُنتبساً ، ولكن	يُحبُّ الحقُّ قلباً لا يُغالي
ويهوئى الحق نفساً تصطفيه	ودركُ الحق يبداً بالسؤال!
ومن يرجُ الحقيقة يلتبسها	لتدركه معونة ذي الجلال
وما ألقى الهداية باجتهاد	يسوق إلى الرّشاد والاعتدال!
وكم يدعو إلى خير كتاب	يدلُّ على المقاصد والفعال!
وكم يدعو إلى السُّوأى كتاب	حوى أخزى الصّنائع في المقال!
ألا (شمسُ المعارف) شرُّ سفر	يُضللُّ به المؤيّد والمُمالي!
يُنالُ سحره من رام كفراً	وكم بالسحر سُربل من رجال!
وكلُّ قال أدرسُ باحتراز	وكان من التأثر لا يُيالي!
قد استهوته أبوابٌ وعرض	وفلسفة تُوصِّلُ للجدال
ولم يدر التلاسيم والأحاجي	ولا الألفاظ غصّت بالخبال!
وأورادٌ يُخالطها عزيّف	وتفسيرُ العزيف من المحال
ولم يك للمعارف أي شمس	وما العنوان جاء بالارتجال
ولم يحو العوارف يشتهيها	سليمُ القلب جَلَّ عن الختبال

ونَدَّ عَنِ الشَّبِيهِ أَوْ الْمِثَالِ  
وساق الشعوذاتِ على التوالي  
بأبواب الكتاب لكل تالي  
وبالشيطان بارقة اتصال  
يُقَيِّضُ مَنْ تَلَا أَشَقَى الْمَالَ  
لِيُلبَسَ مَنْ تَلَا ثوبَ احتيال  
وَمَنْ يَقْرَأُ يُصَابُ بِشَرِّ حَالٍ  
وفيه النصُّ بقاءً بالابتذال  
ونصحي صُغْتُهُ دُونَ افْتِعَالٍ  
ونفرُ منه رَبَعًا والأهالي!  
وسائلُ عنه أصحابُ المعالي  
يَزِيدُ الْوَعْيَ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي  
وأيامي تَمَضَّتْ وَاللِّيَالِي  
تَشِي بِالْإِنْحِطَاطِ وَالْإِرْتِذَالِ  
وهرطقة تُسَبِّبُ جَلَبَ مَالٍ  
مِنَ التَّحْرِيفِ يُسَلِّمُ لِلْوَبَالِ!  
وَسَمَّعَ بِالنِّسَاءِ وَبِالرِّجَالِ!

ولكن للضلال غدا دليلاً  
تَفَرَّدَ فِي الضَّلَالَةِ وَالتَّدْنِي  
وَبَرَطْمَةِ الْعَفَارِيثِ اسْتَقَرَّتْ  
لَهُ بِالْجَنِّ شَأْنٌ لَا يُبَارَى  
وَلِـ (الْبُونِي) فِي التَّبْوِيبِ بَاعٌ  
وخلاله من القرآن آياً  
وعشرون الفصول تشيع كُفْرًا  
كتابٌ ما احتوى خيراً بتاتاً  
هو الملعونُ لا تقراه يوماً  
وَحَذِرْ مِنْهُ أَصْحَابًا وَقَوْمًا  
وَبَيِّنْ حُكْمَهُ دُونَ اِكْتِرَاطِ  
وأهل العلم ما بخلوا بنصح  
وإني قد قرأتُ به فصولاً  
فألفيتُ المَخَارِفَ جَدُّ شَتِي  
يَمِينُ اللَّهِ شِعْوَذَةٌ وَكُفْرٌ  
وقانا الله ما يدعو إليه  
وخذ يا رب من سحر البرايا



يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين». قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفا من الذرية». قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَخْرُقُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتْخَفَرُونَهُ عَدَا ، فَيَعِيدُهُ اللهُ كَأَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَنَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتْخَفَرُونَهُ عَدَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَيُعَدُّونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكَوهُ ، فَيَخْرُقُونَهُ ، فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَنْشَفُونَ الْمِيَاهَ ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ ، فَيُرْمُونَ سِهَامَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجَعُ وَفِيهَا كَهَيْئَةِ الدَّمَاءِ فَيَقْتُلُونَ: قَهْرَنَا أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ! فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا". وفي حديث النّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الدجال ذات غداة فحُفِّضَ فيه ورفع ، حتى ظنناه في طائفة النحل... إلى أن قال: ثم يأتي عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام ، أني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء! ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ومنتهم ، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله عز وجل مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلزقة ، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك. ويتساءل الكثيرون: (أين يأجوج ومأجوج)؟ وحسبما أوردت الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) أنه لا يوجد أدلة قاطعة تعين موقع الردم الذي يحجز يأجوج ومأجوج ، إلا أنه يذكر بعض الناس أنه وراء الصين ، ويذكر بعضهم أنه في جورجيا في جبال القوقاز قرب أذربيجان أرمينيا ، ويدل له أثر مروي عن ابن عباس ، وقيل إنه في أواخر شمال الأرض وقيل غير ذلك ، وقال الألويسي: ولعله قد حال بيننا وبين ذلك الموضوع مياه عظيمة ، كما ذهب بعض المهتمين بمراجعة المصادر غير الإسلامية إلى أن السدين المائيين هما بحر قزوين والبحر الأسود ، ومنطقة بين السدين هي تحديداً الحدود الفاصلة بين ما يعرف حالياً بأوسيتيا الجنوبية (التابعة لجورجيا) وأوسيتيا الشمالية (التابعة لروسيا) ، حيث أن بينهما مضيق جبلي يعرف حالياً بـ مضيق داربال ، يعتقد أن يأجوج ومأجوج كانوا جنوبه ، في حين أن الفرس العُـلان كانوا شماله. وكان الفرس العُـلان لا يكادون يفقهون قولاً ويتعرضون للغارات من الجنوبيين (يأجوج ومأجوج) بشكل مستمر ودموي. وفي خريطة الشريف الإدريسي ، رُسمت أرض يأجوج ومأجوج في الزاوية الشمالية الشرقية (ما وراء شمال شرق آسيا) ومحاطة. وتُظهر بعض خرائط العالم الأوروبي في العصور الوسطى أيضاً موقع أراضي يأجوج ومأجوج في أقصى شمال شرق آسيا (والركن الشمالي الشرقي من العالم). ولقد جاء عنهم في (إسلام ويب) ما نصه: (يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من المَاج وهو الاضطراب ، أو من أجيج النار وتلهبها ، وهما أمتان من بني آدم موجودتان ، بدليل الكتاب والسنة ، قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \* قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا). وخروجهم الذي يكون من أشرط الساعة لم يأت بعد ولكن بوادره وجدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها. وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عيسى بن مريم بعد قتله الدجال: فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء ، فيرد الله عليهم بنشابهم مخضوبة دماً ، فيرسل الله تعالى عليهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة". رواه مسلم.)

أفتى بالباطل ذو الخرف واستسلم عقول للطف  
 كم يبلى غ عبداً خبيته إن دان بفكر منحرف!  
 (يأجوج ومأجوج) أناس عرفوا بالظلم وبالجنف  
 ليسوا رمزاً أو تخيلاً من قال برمز ذو خرف  
 مما ماتوا أو قدر عليهم كحكاية مفتتة الخلف  
 والنص بقدر أن يتألى والسنة وكلام السلف!  
 ولذي القرنين بهم صلة فاقراً تزدد بعض الثقف  
 قص القدر أن روايتهم واقراً في ذا ذيل (الكهف)!  
 والسند يؤكدهم والهدم لهم أسمي همدف  
 ولهم يوماً شراً خروج! قدراً سيكون بلا صدف  
 إن (صحيحنا) قد ذكرنا أخبراً وصفت بالحنف  
 شملت بدعاً ونهياتهم ما بين الياء إلى الألف  
 هم بعثت النار ، ونقروها إذ خلقوا من أشقى النطف  
 (يأجوج) صيغ من الفوضى لصوى مضطرب مرتجف!  
 أما (مأجوج) فمشقق من لهب النار المنجرف  
 والساعة موعدهم مخرجهم وطبيعتهم ستمت الصلف

يُفَنُونَ الْبَشَرَ بِالذَّنْبِ بِأَذَى النَّشَابِ الْمُتَعَفِّفِ  
فَإِذَا اغْتَرُّوا أَتَتِ السُّوَايَ لِتُبَادِ الطَّغْمَةَ بِاللَّغْفِ  
وَمَسِيحِ الْحَقِّ نَجَامَنَهُمْ فِي جَبَلِ (الطُّورِ) عَلَى الشَّغْفِ!  
وَهَذَا كَفَيْتُ مَوْنَةَ! (الطُّورُ) لَهَا أَقْوَى كَنَفِ  
يَنْجُونَ بِرَحْمَةِ خَلْقِهِمْ وَغَدَا الْأَعْدَا أَخْزَى جِيْفِ  
إِنْ حَقَّقَ مَجْتَهَدٌ خَبْرًا وَتَثَّبَتْ فِيهِ بِلا كَأَفِ  
حَتْمًا سَأَسْ يُحَقِّقُ مَطْمَحَهُ لَكِنْ مَنْ يَهْرَفُ يَنْجُرِفُ  
وَإِذَا مَا رَوَّجِعَ لَمْ يَحْلَمْ! بَلْ وَاجِبَةٌ خَصْمًا بِالْأَفِ  
وَتَتَرَاهُ يُغْلِبُ أَهْوَاءَ وَيُشَوِّهُ رُطْبًا بِالْحَشْفِ  
(يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) أَلْوَفِ يَحِيَّوْنَ بِنَهْجِ مُخْتَلَفِ  
لَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا الْفَوْضَى وَيَعِيشُ الْقَوْمُ عَلَى السَّرْفِ  
وَلَهُمْ حَقٌّ شَرُّ صِفَاتِ تَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى الْقَرْفِ  
لَكِنْ نَشِطَاءُ لَهُمْ أَمَلٌ وَلَهُ خَذَقُوا أَعْتَى الْجِرْفِ  
لَمْ يَعْرِفْ جَمْعَهُمْ كَسَلًا مَا مَالُوا يَوْمًا لِلْأَسْفِ  
بَلْ خَبَرُوا الْجَدَّ ، وَمَا فَتَرُوا فَاقْرَأْ عَنْهُمْ بَعْضَ الصُّحْفِ  
تُدْرِكُ يَا صَاحِبَ حَقِيقَتِهِمْ وَيَطِيرُ بِالْحَقِّ لِمَعْتَرِفِ  
تَسَالَى حَقِيقَةُ تَهُمْ رُصِدَتْ لَا تُشْطِطُ ، كَنْ فِي الْمُنْتَصِفِ!  
مَا بَيْنَ فَرِيْقٍ يُثْبِتُهُمْ وَفَرِيْقٍ يَأْوِي لِلطَّرْفِ  
وَاعْرِفْ لِلْحَقِّ أَدْلَتَهُ! مَعْرِفَةُ الْحَقِّ ذَرَى الشَّرْفِ  
أَبْلَغْتُكَ نَصْحِي مُحْتَسِبًا وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ مَا هَدَفِي!

أتظن أنك حينما أخرجتني؟!!

(محاكاة لنص الشاعر مهذل الصَّقور)

(دار حوار بين أحد طلبة العلم الشرعي ، وأحد المبتدعة المرتزقة الجهلاء السفهاء! وراح الثاني (المبتدع) لفضالة علمه بالشرع يجهل على الأول (طالب العلم)! وزاد حبات الطين بلة فأخذ يُعدّد بدعةً وتجاوزاته وخرافاتِه وأباطيلَه! فادّعى جَوَازَ طلب المدد من الموتى. وزعم أن هؤلاء الموتى يضرّون وينفعون. وزعم حلّ الطواف بالقبور والنذر والذبح للأموات. وادعى أن الولي أفضل من النبي. وادعى العلم اللدني والتفسير الإشاري. وزعم لنفسه أنه كالقيامة يأتي بغتة. وزعم أنه كالمسيح عيسى سيعود ليقتل الدجال. وزعم لنفسه أنه يُبرئ الأبرص والأكمه ويشفي السقيم. وزعم أنه سيؤخّذ أديان الأرض الباطلة ودين السماء الحق لتصبح جميعاً ديناً واحداً. وزعم أنه سوف ينسخ الكتب السماوية كلها إلى كتاب واحد! عجباً لهذا المتخرف: يمزج الأديان ويمزج الكتب كأنها عصير كوكتيل! وزعم أنه من أهل الحقيقة فلا يلزمه التقيد بنصوص الشريعة من الكتاب والسنة ، وأن الناس من حوله أهل الشريعة. وادّعى أنه يكلم الأرواح ويهاطف الجن ويداعب الشياطين ويسخر العفاريت. وادعى أنه يعلم الغيب. وزعم صحة التعبد بالتراتيل الجماعية والرقص والطم والموسيقى والطلب. وزعم أن الكعبة تطوف بالأولياء. إلى غير ذلك من الترهات والأحاجي والخزعلات! فانسحب طالب العلم من النقاش العقيم! فظن المعرض جاهل أن هذا هو انسحاب المغلوب المهزوم! فقال له: بل هو انسحاب الغالب المنتصر! وصدق الشافعي: ما جادلت عالماً إلا غلبته ، وما جادلتني جاهلاً إلا غلبني! وعقب قائلاً: أتظن أنك حينما أخرجتني أمام الناس قد هزمتني؟ لا وربّي ، فأنا الحق! وعندما أردت التعبير شعراً عن هذا السجال غير المتكافئ ، حاكيث الشاعر مهذل الصَّقور!)

أتظنُّ أنك عندما أخرجتني	بين الأنام مُعرّضاً بثباتي
وسخرت من أدبي وفرط تخلمي	وهزئت من قيمتي ومن هداتي
وطعنت برهاني وقاطع حجتني	وشككت في صدقي وفي كلماتي
وبدا انتصارك للعيون مظفراً	وأنا هُزمتُ تلوكني دمعاتي
ودعوت موتي في القبور مؤملاً	أن يستجيبوا هذه الدعوات
وجهرت أن فضل الولي على النبي	ي معظّم ، ويفوقه درجات!
ورأيت بالعلم اللدني السورى	حمقى ، وأنت مُطيّب الملكات!
وعشقت تفسيراً إشارياً سما	عن أن يكون له قبيح سمات
وهتفت للدنيا بكل تبجج	أنت القيامة عن قريب آت

مَن كالقيامة يا جهول ، ألا تعي؟!  
هل مسَّ عقلك مِن جنونك هاجسٌ  
وزعمت أنك كالمسيح فعاندٌ  
وقدرت تُبرئ أبرصاً في أهله  
وعلى يدك العمي عافهم العمى  
ولتقتل (الجدجال) عاث بأرضنا  
(عيسى) بريء منك يا متخرصاً  
وشهدت نفسك مُصلحاً بلغ الذرى  
وأتى لكل الناس أعظم مُرشِدٍ  
سثوخذ الأديانَ أديانَ الدُّنا  
لتبيت ديناً واحداً متوحداً  
سثوخذ الكتب التي نزلت لنا  
لتصير القرآن سِيفراً واحداً  
وتكون أنت الفردُ أهل حقيقة  
إذ نحن أهل شريعة أحكامها  
وجهرت بالذكر الجماعي الذي  
وصدحت بالتوشيح يشفعه الغنا  
وأُتيت بالـ (سَيِّط) يصحب فرقة  
وتكلم الأرواح تُدرك سِرّها  
وتُهاتف الجنّ الألى لك سُخروا  
وتُداعب الشيطان تفهراً بأسه

أم غاب وعيك في لظى السكرات؟!  
حتى ابتليت بأشرس المسّات؟!  
لتعيد حقاً مُبتلى بغتاة  
وهرعت تُحيي الآن بعض موات  
وعيونهم سُفيت من النفحات  
سُوءاً ، فعشنا في دنيء حياة!  
ياموغلاً في الزيغ والسقطات  
وبدا بخير عبادة وصلاة  
برسالةٍ جاءت بخير وصاة  
والدين جاء به جميع هُداة!  
صافيته من سَيِّء الهفوات  
من ربنا في سالف الفترات  
وتُجيدُ حبكتها بكل أناة  
لا تحتفي بنصوصنا ورؤاة  
ليست تسير على الولي العاتي  
هو ديدن (الصُّوفي) في الخلوات  
في سامر الجلسات والسهرات  
والعزف يُتحف سامر الندوات  
مرحى بدارس كُنْهها ولغات!  
هم للذي ترجوه خيرُ أساة  
ليكون أرنل ما ترى من ذات

أُتْعِدُّهُ مُسْتَرْسَلًا هَمَزَاتٍ؟!  
إِذَا ابْتُلِيَتْ هُنَا بِمَكْرِ طَغَاةِ  
مِنْ ذَا الْكِتَابِ الْمُشْرِكِ الصَّفْحَاتِ!  
وَخَبِرْتَ مَا فِي السَّحْرِ مِنْ نَفْثَاتِ  
طَرَحَ الْمَخَارِفَ فِي عَقُولِ غَوَاةِ!  
الْعَقْلُ أَيْنَ؟ فَهَلْ شَدَا بِوَفَاةِ؟  
بِدَمٍ يُرَاقُ بِدُونِ أَيِّ شَكَاةِ  
أَسْفِي عَلَى هَتَافَةٍ وَنُوعَاتِ  
بُعْدِي ، وَلَمْ أَعْمَدْ لَأَيِّ أَذَاةِ  
أُخْرِسْتَنِي بِإِثَارَةِ النُّعْرَاتِ؟!  
أَو نَلْتِ مَنْي يَا سَلِيلَ غَفَاةِ؟!  
وَالشَّعْرُ يَقْرُؤُهُ بِهِيْ ثِقَاتِ  
لَا بَدَّ أَنْ يَحْظَى هُنَا بِفَوَاتِ  
مَادِمَتْ مُعْتَزًّا بِمُعْتَقِدَاتِي  
هَذَا السَّجَالُ يَنَالُ مِنْ خَلْجَاتِي  
وَمَتَى اسْتَجَابَ لِعَاقِلِ الصَّرَخَاتِ؟!  
وَلَدِيهِه أَدْرِكُ نَصْرَتِي وَنَجَاتِي!

أُتْبَادِلُ الشَّيْطَانَ بَعْضَ شُعُورِهِ؟!  
وَتُسَخَّرُ الْعَفْرِيَّتَ تَسْتَقْوِي بِهِ  
وَقَرَأْتَ فِي (شَمْسِ الْمَعَارِفِ) صَفْحَةَ  
فَحَذَقْتَ عِلْمَ السَّحْرِ مَزْهُوًّا بِهِ  
وَزَعَمْتَ عِلْمَ الْغَيْبِ ، أَحْقِرَ بِالذِّي  
وَزَعَمْتَ كَعِبْتَنَا تَطْوِفُ بِزَائِرِ  
وَرَأَيْتَ فِي الرَّقْصِ الْبَغِيضِ عِبَادَةَ  
وَاللَّطْمِ يَصْحَبُهُ الْعَوِيلُ مُرْنَمًا  
إِنِّي انْسَحَبْتُ مِنَ الْجِدَالِ مُفْضَلًا  
أَتَظُنُّ أَنَّكَ عِنْدَمَا جَادَلْتَنِي  
أَتَظُنُّ أَنَّكَ بِالْخُصُومَةِ عِبْتَنِي؟!  
أَنَا قَدْ فَضَحْتُكَ بِالْقَرِيضِ حَقِيقَةَ!  
كَيْ يَحْذَرُوا مِنْ جَاهِلِ مُتَعَالِمِ  
أَنَا لَيْسَ لِي بَاعٌ بِإِقْتَاعِ الْغَنَاءِ  
فَالزَّمْ حُدُودَكَ يَا جَهْلًا ، وَعَافِنِي  
أَلْفِيْتُ عَقْلَكَ لَا يُصَيِّخُ لَصْرَخَتِي  
وَاللَّهُ يَحْكُمُ يَا مُفْرَطَ بَيْنِنَا!

## المتنبي لم يبلغ شأواً!

(قام أحد الباحثين بذلك ، وهو الأستاذ إبراهيم بن علي بن محمد الشريم ، وكتب: "المخالفات العقدية في ديوان أبي الطيب المتنبي: جمعاً ودراسة" ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم درمان بالسودان. وهذه الرسالة تتميز عن سواها بالحيدة والموضوعية والإنصاف! وواضح جداً أن صاحبها كان قد بذل فيها جهداً كبيراً ملموساً جداً! ومما وقفنا عليه مما انتقد الباحث على المتنبي: أولاً قوله:-

يرتشفن من فمي رشفاتٍ ... هن فيه أحلى من التوحيد

قال الواحدي: "ويروى أحلى من التأييد ، ورواية (التوحيد) أشهر وأصح! يقال رشفت الريق ، وترشفت: إذا مصصته ؛ يقول: كن يمصصن ريقني لحبهن إياي ، كانت تلك الرشفات أحلى في فمي من كلمة التوحيد ، وهي لا إله إلا الله ، وهذا إفراطٌ وتجاوزٌ حدٌ". انتهى من "شرح ديوان المتنبي للواحدي النيسابوري المتوفى 468هـ ص16". وقال ابن القيم: "فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك ، ثم ضع حالهم في كفةٍ ، وتوحيدهم وإيمانهم في كفةٍ ، ثم زن وزناً يرضى الله به ورسوله وبطابق العدل ، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقته أحب إليه من توحيد ربه تبارك وتعالى ، كما قال العاشق الخبيث: "يرتشفن من فمي رشفاتٍ ... هن أحلى فيه من التوحيد". انتهى من "الجواب الكافي". ، ص211". وثانياً قوله أي المتنبي مثنياً على أحد الناس بمنتهى الغلو مفترضاً فيه أن الله تعالى لم يخلق مثله فيمن خلق! ولو كان ذلك كذلك فهو فيعلن خروجه من الإسلام بكل صراحةٍ وصراحةٍ معاً:

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ ... فبرئت حينئذٍ من الإسلام

قال الواحدي رحمه الله تعالى ص295: "هذا من المدح البارد الذي ، يدل على رقة دين ، وسخافة عقل قائله ، وهو من شعر الصُّبَّا". وليس يُستهان بتحليل وتشخيص الواحدي ، ذلك العالم الفذ. وهو بالطبع محسوب - شئنا أم أبينا - على علماء السلف الواسطيين الأعلام! وثالثاً قوله أي المتنبي:-

لعظمت حتى لو تكون أمانة ... ما كان مؤتمناً بها (جبريلُ)!

قال الواحدي: "جبريل: لغة في جبريل ، بكسر الجيم وحذف الهزمة وتبدل اللام نوناً ، وكذلك يقال إسماعيل وإسمعيل وإسرائيل وإسرانين! يقول: لو كنت أمانة لكنت عظيماً ، لا يؤتمن بها جبريل الأمين على وحي الله وكتبه إلى أنبيائه ، وهذا إفراطٌ وتجاوزٌ حد ، يدل على قلة دين وسخافة عقل قائله". وقال أبو البقاء العكبري (ت616هـ) بعد نقل كلام الواحدي: "بل يدل على زندقة وكفر". هـ. من "شرح ديوان المتنبي" (4/ 208). ورابعاً قوله (أي المتنبي) في مدح أحد الناس مغالياً فيه بفضاعة لا يكاد يصدقها عقل ، خالفاً عليه صفات الله رب العالمين - تعالى الله عن ذلك الذي قاله المتنبي الغالي علواً كبيراً -:

يا من ألوذ به فيما أوئله ... ومن أعوذ به مما أحاذره!

لا يجبر الناسُ عظماً أنت كاسره ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره!

قال ابن كثير: "وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله - أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة ، ويقول: إنما يصلح هذا لجناح الله عز وجل وحده! وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيم - رحمه الله - أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود لله رب العالمين". انتهى من "البداية والنهاية" (15 / 275). وقال ابن القيم في "شفاء العليل" ، ص240: "من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء: أنه وجود ويعطي ويمنح ، فمنها أن يعيد وينصر ويغيث ، فكما يجب أن يلوذ به اللانذون ، يجب أن يعوذ به العاندون. وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ، ويعوذوا بهم ، كما قال أحمد بن حسين الكندي (المتنبي) في ممدوحه (وهذا الغلو يقوله عن علم ووعي ، فلم يكن مغيباً أو

مخموراً غانباً قط عن وعيه ، ولم يرجع عنه ، حتى يعذره فريق من الناس! ذلك أن كثيراً من الناس اليوم يحيون أن يلتمسوا الأعذار ليبرنوا من يحيون على حساب الحق الثابت) وإذن فيمكن الرجوع إليه:

يا من ألوذ به فيما أومله ... ومن أعود به مما أحاذره!

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره!

ولو قال ذلك في ربه تعالى وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله". هـ. وخامساً قوله أي المتنبى:

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مَقْسَمًا ... فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ الْإِلَهِ رَسُولًا

أَوْ كَانَ لَفِظِكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ الـ ... تَتُورَاةً وَالْفُرْقَانَ ، وَالْإِنْجِيلَ

وسادساً قوله أي المتنبى بما لا يحتاج إلى كثير تعليق ، لأنه واضح جداً جداً كالشمس الساطعة:-

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيِيهِ ... لَمَّا أَتَى الظُّلَمَاتِ ، صَرِنَ شَمُوسًا

أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازِرِ سَيْفِهِ ... فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ ، لِأَعْيَا (عَيْسَى)

أَوْ كَانَ لِحِ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ... مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى

وعازر الذي ذكره في نصح ، هو اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام بإذن الله عز وجل! قال الثعالبي بعد نقله هذه الأبيات: "وكان المعاني أعيتته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء". انتهى من "يتيمة الدهر". (1/ 211). وغير خفي أبداً ، أنه هنا يستهين بالأنبياء والمرسلين والصالحين وكراماتهم! وسابعاً قوله أي المتنبى ، مادحاً نفسه مدحاً يستهين فيه بجميع الخلق بكل كبر وصلف وغرور. والبعض يعتبر هذا من أعظم الفخر ، متغافلين عن نهى الله تبارك وتعالى وعز وجل عن ذلك:

أَي مَحَلَّ أُرْتَقِي ... أَي عَظِيمٍ أَتَقِي

وَكُلُّ مَا قَدْ خُلِقَ الـ ... لَهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ

مَحْتَقِرٍ فِي هِمَّتِي ... كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرَقِي

قال الثعالبي: "وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بؤل وعذرة: أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة". انتهى من "يتيمة الدر" (1/ 211). وقال أبو العباس المهلبى (ت644هـ): "هذا غلو نستعيد بالله منه!" وقال غيره: هذا كلام ما خرج من رأس صحيح وعقل سليم! وقلت: إن من الشعراء من يقع منه في حال شبيبته ، أو في حال غضبه أو سُكره (أشعار) يرغب العاقل المستبصر عن إثباتها له ، وروايتها عنه ، فيسقطها عند إفاقة وتأمله ، ولا يكاد يذكرها بعد ذلك. وهذا المتنبى كان يُقرأ عليه ديوان شعره إلى حين هلاكه ؛ ولا يسقط شيئاً منه ، مما يقدح في دينه وعقله ، ويتلم في فضله ومروءته ، ولا يغيره. هذا مع أنه لا يشتمل على لفظ بديع ولا معنى غريب". انتهى من المأخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبى" (1/ 173). وأحيل إلى كتاب "المأخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبى" لأبي العباس أحمد بن علي بن معقل ؛ تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع. - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، 1422 هـ/2001م. -4مج في 5ج.- تحقيق التراث؛ جمع أحمد بن معقل في هذا الكتاب مأخذه على شرح ديوان أبي الطيب المتنبى ، وهؤلاء الشراح هم: ابن جني ، وأبو العلاء المعري ، والتبريزي ، والكندي ، والواحدي ، فجاء كتابه في خمسة أجزاء ، خصص كل جزء لأحد الشراح. والقارىء لكتاب ابن معقل يحس بما يتميز به مؤلفه هذا من طول نفس وصبر وأناة ودقة في الملاحظة على هؤلاء الشراح العلماء المشهورين ، حيث نهج نهجاً

سهلاً ميسراً ؛ فهو يذكر بيت المتنبي ، ثم يذكر شرح الشارح المعني ، ثم يتبعه بمأخذه على هذا الشارح أو ذاك ، فجاء كتابه هذا مختصراً ، نبه فيه على ما أغفلوه ووضّح ما أضلوه ، وبين ما جهلوه ، وهو النزر اليسير ، وأقرهم على ما أصابوه ، وهو الجَمّ الغفير. وقد قام الدكتور عبدالعزيز المانع بتحقيقه ونشره ، وخرّج أبياته ونصوصه ، وعلّق على الكثير منها ، وزوّده بالكشافات اللازمة! تقول الأستاذة مريم مساعدة تحت عنوان: (خصائص شعر المتنبي) ما نصه بتصرف: (عُرف عن المتنبي أنه شاعرٌ طموحٌ ، سعى دوماً إلى تحقيق وجوده رغم كل الصعوبات التي واجهته في حياته ، فكان شعره مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحياته وشخصيته ، ومعظم قصائده ليست إلا ترجمةً لشخصيته المتميزة ومواقفه في الحياة ، فأوجد لغةً جديدةً فريدةً خاصةً به ونوعيةً من الكلمات في مستوى طموحه ، لتلبي حاجات نفسه المتمردة ، ومثل هذه الكلمات ؛ (ثرج ، تهجم ، تتقدم ، تقهر) ، وفي ذلك ذكر محمد زكي العشماوي في دراسته عن المتنبي في كتابه: (موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي): (أن لغة المتنبي تشكيلاتٍ خاصةً يتكون منها نسيجه الشعري ، والتي تبطل معها اللغة أن تكون مجرد مجموعة متألّفة من الأصوات تدل اصطلاحاً على مقابل مادي ، فتصبح صورة صوتية وحسية معاً ، و العلاقة بين معناها ولفظها تقوم إما على اقتران الصوت بالموضوع ، أو الموقف الفكري ، أو الرؤية ، وإما على اقترانه بالحس والحدس). ولقد سعى المتنبي إلى خلق نمطٍ جديدٍ في الشعر مغايراً للنمط التقليدي ، وقد نجح في ذلك ، إذ صاغ الحكمة بأسلوبٍ بديعٍ ظهر جلياً في شعره ، لا سيما في قصائده في مدح سيف الدولة الحمداني ، والتي عبّر فيها عن حبه له وعن إيمانه بصفاته ، فجاءت مقدمات القصائد غايةً في الروعة ، وذات لغةٍ غريبةٍ تدلّ على أنّ الشاعر متمكّنٌ من اللغة ، فيتصرّف بها كيف يشاء ، فتارةً يقدّم وتارةً يؤخر ، وتارةً يحذف ، مستخدماً المحسنات البديعية ببراعةٍ ، والألفاظ القوية التي تُظهر معاني الاعتزاز بالنفس والسمو بدلالةٍ رائعةٍ وإيقاعٍ صوتيٍّ قويٍّ! ومن أهمّ الخصائص اللغوية التي امتاز بها شعر المتنبي ما يلي: أولاً: استخدام أسلوب الإشارة أكثر الشعراء في العصر العباسي من استخدام أساليب الإشارة النداء ، أمثال أبي تمام ، والمتنبي الذي امتلأ ديوانه بهذه الأساليب ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده منها! ثانياً: استخدام أسلوب النداء كما عُرف عن المتنبي إكثاره من استخدام أساليب النداء ، في قصائده المختلفة! ثالثاً: الإكثار من استخدام الضمائر يرى الناظر في شعر المتنبي! وهو بذلك يشابه نهج الأسلوب الوعظي ، على وجه إتيانه بضمائر متتابعة في البيت الواحد ، ممّا يضفي غموضاً على البيت الشعري! رابعاً: كثرة التّصغير في ديوان المتنبي بصورةٍ مبالغٍ فيها ، وقد استخدمه في شعر المدح بهدف تقليل الشأن والإهانة ، لا سيما في مهاجمة أعدائه ، ويشار إلى أنّ استخدام المتنبي للتصغير في شعره عائدٌ إلى تكوين شخصيته المتعالية! ويقال إنّ المتنبي لجأ إلى هذا الأسلوب لبيان مهارته في استخدامها ، وليثبت معرفته الواسعة في اللغة وعلم النحو ، وتقليداً للشعر الجاهلي ، أو أنه قد وجد في استعمال الغريب والشاذ في شعره طاقةً تعبيريةً تمنحه القدرة على التحليق بخياله الواسع ، ومن الجدير بالذكر أنّ مقدرته اللغوية وكفاءته كانت من محاولاته لتعجيز اللغويين الذين كان يتواجد معهم في قصور الملوك والأمراء! ومن الأمثلة على الألفاظ الغريبة والشاذة في شعر المتنبي ؛ (المخشلب الختروانة ، الإتشاك ، الساحي ، الخفش ، قدى وغيرها). يرى ابن جنّي أنّ قول المتنبي للشاذ والغريب في شعره ليس جهلاً أو قلة دراية ، فقال في ذلك: (فلم يكن المتنبي جاهلاً أو غافلاً عمّا يقوله في شعره ويعنيه ، إنما كان خروجه عن الإعراب وإتيانه بالشاذ والنادر من الألفاظ عن وعي ودراية ، وإنما هو الشعر الذي لا يقف عند حدٍّ ولا منتهى لحريته في ملاحقته للمعنى والقبض على الدلالة) ، ومن ناحية أخرى هناك من يشير إلى أنّ هذه الغرائب في مدائح المتنبي قد سببت غموضاً في شعره ، ما دفع النقاد واللغويين إلى شرحه وتفسيره ، فظهرت عدة شروحٍ لديوان المتنبي بلغت الخمسين شرحاً وتزييد ، ويعزو شوقي ضيف ذلك إلى كثرة الغريب في الديوان ، فيصفه (بأنه مستودع للتراكيب الشاذة في اللغة) ، أما ناصيف اليازجي فيرى أنّ السبب في كثرة الشروح للديوان عائد إلى أنّ استعمال المتنبي للغريب من الألفاظ أدى إلى وضع ألفاظٍ في غير مكانها ، كما أدى الحذف إلى حذفٍ في

غير موضعه ، وأدى التقديم والتأخير إلى عدم ربط أجزاء المعاني ببعضها).هـ. من أجل ذلك كان هذا النص لبيان حقيقة (المتنبي) ، وليس لحقدٍ عليه ولا لنفي شاعريته! بل في الوقت الذي نعترف فيه للمتنبي بجودة شعره العظيم وحسن تقسيمه وإبدته فيه بصدق ، نعترف أيضاً بشطحاته العقيدية الفجة!

كُفُوا عَنِ الْمَدْحِ وَالْإِطْرَاءِ ، وَاعْتَرَفُوا أَعْيَتْ مَدَائِحُكُمْ قُلُوبَ مَنْ عَرَفُوا  
لَمْ يَبْلُغْ (المتنبي) عُشْرَ مِدْحَتِكُمْ أَوْ عُشْرَ تَوْصِيْفِ مَنْ غَالُوا وَمَنْ وَصَفُوا  
مَا الشَّعْرُ إِنْ لَمْ تَكُنْ رِسَالَةً رُصِدَتْ لَهَا الْقِصَائِدُ تَنْفِي جَهْلٍ مَنْ خَرَفُوا؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِي لِمَكْرُمَةٍ سَمَا بِهَا النَّصُّ ، ثُمَّ اسْتَشْرَفَ الْهَدَفُ؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ نَالَ مِنْ تَوْحِيدِ خَالِقِنَا وَمَجَّةُ السَّلْفِ الْمَاضُونَ وَالْخَلْفُ؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ نَالَ مِنْ (جبريل) فِي وَضَحٍ تُغْرِي مَسَاءَتَهُ الرَّعْنَا مَنْ انْحَرَفُوا؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ عَظَّمَ الْمَخْلُوقَ دُونَ حَيَا يُعْطِيهِ وَصْفًا بِهِ الرَّحْمَنُ يَتَّصِفُ؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ عَابَ رَسُلَ اللَّهِ مَا احْتَرَمْتَ أَلْفَاظُهُ قِيَمًا تَسْمُو بِمَنْ عَرَفُوا؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ سَبَّ (ذا القرنين) تَحْسَبُهُ ضَاقَتْ بِهِ هِمُّ الْقِرَاءِ ، وَالصَّحْفُ؟!  
مَا الشَّعْرُ إِنْ شَابَهُ فِي نَظْمِهِ بَطْرٌ وَفَرَّخَ الْكِبْرُ فِي الْأَبْيَاتِ وَالصَّلْفُ؟!  
رَأَيْتُمْ (المتنبي) شَاعِرًا شَرَفْتُ بِهِ الدِّيَارُ ، فَأَيْنَ الْعِزُّ وَالشَّرْفُ؟  
إِذَا عَنِتُّمْ بِمَا قَالْتُمْ تَمَكَّنَهُ قَانَا: جَمِيعُ الْوَرَى بِذَلِكَ اعْتَرَفُوا!  
هُوَ الضَّلِيعُ ، فَلَا عَيْبَ يُجَرِّحُهُ وَلَا تَرَى أَحَدًا عَلَيْهِ يَخْتَلِفُ!  
أَجَادَ حَتَّى بَدَتْ شَمْسًا إِجَادَتَهُ وَمَا خَبَا ضَوْوُهَا ، فَلَيْسَ تَنْكَسِفُ!  
وَشَاهِدِي دُرُّ (الديوان) نَاطِفَةٌ وَمَنْ أَحْبَبُوهُ بِالْأَمْدَاحِ قَدْ هَتَفُوا  
يَكَادُ يُجْمَعُ نَقَادُ الْقَرِيضِ عَلَى تَفَرُّدِ (المتنبي) جُلْهُمَ كَشَفُوا  
وَمَا التَّفَرُّدُ إِنْ مَضَى الضَّلَالُ بِهِ مَنْ بِالضَّلَالِ لَهُ بَعْدَ الْهُدَى شَغْفُ؟!  
وَمَا الْإِجَادَةُ إِنْ أَوْدَى الْغُرُورُ بِهَا وَعَشَعَشَ الْهَزْءُ فِي التَّقْصِيدِ وَالْخَرْفُ؟  
يَا قَوْمَنَا طَالَعُوا عَنْهُ النَّصُوصَ سَمَتْ عَنْ التَّزْيِيدِ ، وَأَفَانَا بِهَا السَّلْفُ!

## المنتقبة والمختمة وسواء!

(المنتقبة والمختمة والمحجبة كلهن سواء! فكلهن يسترن وجوههن مع سائر أجسامهن! وسوف أورد شروط الحجاب بشروطه السبعة ، وأورد كذلك النقاب بشروطه السبعة الموجودة في القرآن والسنة! أي حجاب؟ وأي نقاب؟ إنهما اللذان يرضاها الله تعالى ويأجر عليهما! وهذا الحجاب وذلك النقاب لا علاقة لهما بكوتاريللي من قريب أو من بعيد! أما الحجاب والنقاب بشروط بيوتات الأزياء ومنهج كوتاريللي فيرضاه كوتاريللي ويأجر عليه كوتاريللي! وهذا الحجاب وذلك النقاب لا علاقة لهما بالله تعالى ولا بكتابه ولا بسنة نبيه ولا بأبيائه ورسله! ومن هنا فليكن معلوماً أن المنتقبة والمختمة والمحجبة سواء! إن كثيراً من الناس في زماننا يرون أن المنتقبة فقط هي التي تستر وجهها! ويرون أن المختمة تكشفه! ويرون كذلك فيما يرون بأن المرأة المحجبة هي التي تستر شعرها! وليست تشهد لهم بذلك أبداً اللغة العربية فضلاً عن نصوص الكتاب والسنة ؛ في موقع (الإسلام سؤال وجواب) يقول الشيخ المنجد في جوابه عن سؤال عن الحجاب والخمار على النحو الذي أسلفنا ما نصه: (يقول السائل: قال الله تعالى: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ولم يقل على وجوههن ، فدل ذلك على أن وجه المرأة ليس عورة! فهل هذا صحيح؟! أجب فأقول: إنه لا يصح الاستدلال بقوله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) على عدم وجوب ستر المرأة وجهها بل العكس هو الصحيح ، فهذه الآية تدل على وجوب ذلك ، ويبين هذا فعل الصحابيات الجليلات من المهاجرات بعد نزول هذه الآية ، فقد شققن أزهرنَّ وغطين بها رؤوسهن وجوههن ، كما ذكرت ذلك عائشة رضي الله عنها! فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ): شَقَّقْنَ مَرُوطَهُنَّ فَأَخْتَمَرْنَ بِهَا) رواه البخاري! قال الحافظ ابن حجر رحمه الله. قوله: (مروطهن): جمع مرط ، وهو الإزار ، وفي الرواية الثانية: (أزهرن) ، قوله: (فاختمرن) أي: غطين وجوههن وصفاً لذلك: أن تضع الخمار على رأسها ، وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر ، وهو النقع" انتهى. فتح الباري". (8 / 490).

وقال الشنقيطي رحمه الله: وهذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ): يقتضي ستر وجوههن ، وأنهن شققن أزهرن فاختمرن ، أي: سترن وجوههن بها امتثالاً لأمر الله في قوله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) ، المقتضي: ستر وجوههن وبهذا يتحقق المنصف: أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم: ثابت في السنة الصحيحة ، المفسرة لكتاب الله تعالى ، وقد أثنت عائشة رضي الله عنها على تلك النساء بمسارعتهن لامتنال أوامر الله في كتابه ، ومعلوم أنهن ما فهمن ستر الوجوه من قوله: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) ، إلا من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه موجود ، وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن ، والله جلّ وعلا يقول: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ، فلا يمكن أن يفسرنها من تلقاء أنفسهن فالعجب كل العجب ، ممن يدعي من المنتسبين للعلم أنه لم يرد في الكتاب ولا السنة ما يدل على ستر المرأة وجهها عن الأجانب ، مع أن الصحابيات فعلمن ذلك ممثلات أمر الله في كتابه إيماناً بتنزيله ، ومعنى هذا ثابت في الصحيح ، كما تقدم عن البخاري ، وهذا من أعظم الأدلة وأصرحها في لزوم الحجاب لجميع نساء المسلمين ، كما ترى". انتهى. "أضواء البيان" (6 / 250 ، 251). وفي كتاب: "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" لبدر الدين العيني - أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ص 92 الجزء 19: الحديث: 4481 وقال أحمد بن شبيب: حدثنا أبي ، عن يونس ، قال ابن شهاب ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها. والشرح مطابقته للترجمة ظاهرة ، وذكره معلقاً مع أن أحمد بن شبيب

من جملة مشايخ البخاري ، وشبيب بفتح الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة بعدها ياء آخر الحروف ساكنة بعدها باء موحدة ، وهو ابن سعيد يروي عن يونس بن يزيد عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، ووصل هذا المعلق ابن المنذر قال: حدثنا محمد بن علي بن زيد الصائغ عن أحمد بن شبيب ، فذكره ، وكذا أخرجه أبو داود والطبري من طريق قرّة بن عبد الرحمن عن الزهري مثله. قوله: "نساء المهاجرات" أي: النساء المهاجرات ، وهو نحو شجر الأراك ، أي: شجر هو الأراك وفي رواية أبي داود من وجه آخر "النساء المهاجرات" قوله: "الأول" بضم الهمزة وفتح الواو واللام ، أي: السابقات من المهاجرات. قوله: "مروطن" ، جمع مرط بكسر الميم ، وهو الإزار. قوله: "فاخترن بها" أي: غطين وجوههن بالمروط التي شققنها". هـ. وشيخنا ابن باز يقول: "لأن المرأة كانت في أول الإسلام تبدي وجهها وكفيها للرجال ثم نزلت آية الحجاب فمنع من ذلك ، ووجب عليهن ستر الوجه والكفين في جميع الأحوال ثم قال سبحانه: "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ" ، والخمر جمع خمار ، وهو ما يستر به الرأس وما حوله ، سمي خماراً لأنه يستر ما تحته ، كما سميت الخمر خمراً لأنها تستر العقول وتغيرها. والجيب: الشق الذي يخرج منه الرأس! فإذا ألفت الخمار على وجهها ورأسها فقد سترت الجيب ، وإذا كان هناك شيء من الصدر سترته أيضاً ، ثم قال تعالى: "وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ" إلى آخر الآية ، والزينة تشمل الوجه والرأس وبقية البدن ، فيجب على المرأة أن تغطي هذه الزينة حتى لا تفتن ولا تُفتن ، ويدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "لما سمعت صوت صفوان بن معطل فخمرت وجهي ، وكان قد رأي قبل الحجاب" ؛ فلم بذلك أن النساء بعد نزول آية الحجاب مأمورات بستر الوجه ، وأنه من الحجاب المراد في الآية الكريمة ، وهي قوله: "وَإِذَا سَأَلْتَهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ". الآية. وأما ما رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في شأن أسماء: "إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه" فهو حديث ضعيف لا يجوز الاحتجاج به لعل منها: انقطاعه بين عائشة والراوي عنها ، ومنها: ضعف بعض رواياته وهو سعيد بن بشير ، ومنها: تدليس قتادة رحمه الله وقد عنعن ، ومنها: مخالفته للأدلة الشرعية من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب تحجب المرأة في وجهها وكفيها وسائر بدنها ، ومنها: أنه لو صح وجب حمله على أن ذلك قبل نزول آية الحجاب جمعاً بين الأدلة". هـ.

ويقول الإمام الطبري: الطريق الثاني: أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى ، فتعالوا بنا نقف مع هذين الإسنادين لنتعرف على صحتها من ضعفها ؛ حتى يتضح لنا أن هذا القول لا يصح إسناده بحال إلى ابن عباس رضي الله عنهما! أما الطريق الأول: وهو الذي أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في التفسير: هذا لا يصح بحال ؛ لأنه إسناد ضعيف جداً بل هو منكر ؛ لأن في رجاله مسلم الملائي الكوفي ، قال فيه البخاري: تكلموا فيه ، وقال الحافظ الذهبي: ضعفه ، وقال الحافظ ابن حجر في التقریب: ضعيف ، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة ، وقال النسائي: متروك الحديث! إذ: الإسناد بهذا الطريق لا يصح بحال كما هو معلوم لكل علماء الحديث. أما الإسناد الآخر الذي أخرجه الإمام البيهقي ، فهو ضعيف جداً أيضاً ؛ لضعف راويين من رجال سند هذا الطريق الثاني: أحدهما أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب: ضعيف ، وقال فيه الحافظ الذهبي: ضعيف! الطريق الثاني: أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى ، فتعالوا بنا نقف مع هذين الإسنادين لنتعرف على صحتها من ضعفها ؛ حتى يتضح لنا أن هذا القول لا يصح إسناده بحال إلى ابن عباس رضي الله عنهما. أما الكوفي ، قال فيه البخاري: تكلموا فيه ، وقال الحافظ الذهبي: ضعفه ، وقال الحافظ ابن حجر في التقریب: ضعيف ، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة ، وقال النسائي: متروك الحديث. إذ: الإسناد بهذا الطريق لا يصح بحال كما هو معلوم لكل علماء الحديث. أما الإسناد الآخر الذي أخرجه الإمام البيهقي ، فهو ضعيف جداً أيضاً ؛ لضعف راويين من رجال سند هذا الطريق الثاني: أحدهما أحمد

بن عبد الجبار العطاردي ، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب: ضعيف ، وقال فيه الحافظ الذهبي: ضعيف. أما الرجل الثاني فهو عبد الله بن هرمز بن مسلم بن هرمز ، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب: ضعيف ، وقال فيه الحافظ الذهبي: ضعفه ابن معين والنسائي. إذًا: الإسنادان لا يصحان بحال ، ولا يصح أن يحتج بهما في المتابعات والشواهد فضلاً عن أن يحتج بهما عالم في أمر من الأمور الواجبة كما هو معلوم لكل طالب علم مبتدئ في علم الحديث. إذًا: لا يصح الإسناد إلى ابن عباس رضي الله عنهما في أنه فسر الزينة الظاهرة بالوجه والكفين ، ويؤكد صحة ذلك ما ذكرته في أول اللقاء ، حينما فسر آية الإنداء بقوله: "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن لحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة. إذًا: الزينة الظاهرة هي الثياب ، وهي ما يظهر من المرأة من غير عمدٍ وعلى حين غفلةٍ من المرأة ، ومن علم أحوال النساء علم ذلك جيداً ، إذا هبت ريح فتكشف وجه المرأة أو اضطرت المرأة حين شرائها وبيعها لتكشف عن وجهها الغطاء فنظر رجلٌ خلسةً إلى وجهها على حين غرةٍ منها ، هذه زينةٌ تظهر من المرأة من غير عمدٍ ومن غير قصد ، وهي بإذن الله لا تؤخذ عليها بدليل قول الله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}. الموضع الثاني في الآية: هو قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} ، وأوضحنا ذلك بأنه ضرب الخمار على الوجه وتغطية الوجه ، بدليل حديث عائشة الذي رواه البخاري ومسلم: (فخمرت وجهي بجلبابي) وبدليل حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: (كنا نخمر وجوهنا ونحن محرّمات ، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام) والحديث رواه مالك ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان ، ورواه الحاكم في المستدرک من طريقه ، وقال: حديثٌ صحيح على شرط الشيخين البخاري ومسلم ولم يخرجاه ، وأقره الإمام الذهبي على ذلك. ويؤكد ذلك أيضاً قول فاطمة بنت المنذر رحمها الله تعالى الذي أشرت إليه آنفاً ، قالت: (كنا نخمر وجوهنا من الرجال ونحن مع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها) والأثر رواه الإمام الحاكم في المستدرک أيضاً من طريقه ، وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين البخاري ومسلم وأقره الذهبي على ذلك. إذًا: أيها الأحبة! {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} المفهوم من ضرب الخمار: "هو أن تضرب المرأة الخمار من على رأسها على وجهها وما سميت الخمر خمرًا إلا لأنها تغطي العقل ، وقال الحافظ ابن حجر في تعريف الخمر: ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها". أما الموضع الثالث في هذه الآية فهو قوله تعالى: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ}. قلنا: إن كان الإسلام قد حرم على المرأة أن تضرب الأرض برجلها؛ خشية أن يفتتن الرجال بسماع صوت خلخالها ، فبالله عليكم هل يحرم الإسلام على المرأة ذلك ثم يبيح لها أن تكشف وجهها الذي قد امتلأ نضارةً وجمالاً وحسناً وتجميلاً وتزييناً! أي الفتنتين أعظم ، فتنة الوجه أم فتنة القدم؟! {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}. إن الحجاب عفة ، إن الحجاب مكرمة ، إن الحجاب شرف ، إن الحجاب مروعة! إن الحجاب إيمان ، إن الحجاب طاعة ، إن الحجاب امتثالٌ لأمر الله ولأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيا أيتها اللؤلؤة المكنونة المسلمة! يا أيها الدرة المصونة الغالية! والله ما نريد لك إلا العفة ، والله ما أراد الإسلام لك إلا الكرامة وأن يحميك من عبث العابثين ، ومجون الماجنين! وأما ابن عثيمين فيقول:- "وَلْيَضْرِبْنَ" ليس سكون إعراب ولكنه سكون بناء ؛ لأن الفعل متصل بنون النسوة فيكون مبنياً على السكون مهما كان الأمر. هنا أمر الله سبحانه وتعالى أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها ، ولازم من ذلك أن ينزل من رأسها إلى الجيب. فهل المراد ضرب الخمار على الجيب أن يكون من تحت الوجه بحيث يبقى الوجه مكشوفاً والجيب مستوراً؟ أو أن المعنى أن تضرب بالخمار على الجيب مازاً بالوجه؟ لأن هذا هو الأقرب ، الخمار ينزل من أعلى لأنه فوق الرأس ، ثم الجيب إذا وجب ستره فالوجه من باب أولى. وكان النساء في الجاهلية على حسب ما قاله بعض المفسرين كانت تسدل الخمار من ورائها ولا يقرب وجهها ولا جيبها ؛ ولهذا أمر الله تعالى النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن. وعند من يرى أن المراد بالزينة الوجه والكفان أن تضرب بخمارها على جيبها من أسفل تجره هكذا فتغطي الجيب وتكشف الوجه. مع أن الوجه أعظم فتنة من الجيب! (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) أي: يسترن

الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع) وهو جمع مقنعة وهي ما تختمر به المرأة ما تقتنع به المرأة يعني ما نسميه عندنا الآن الغترة. (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية ، وهي ما عدا الوجه والكفين ، (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل أي زوج) إلى آخره. شوف الأولى: (لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) فاستثنى من الزينة ، وهنا: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) استثنى من يُبْدِي له الزينة ، وهناك استثنى الزينة بالذات ، وهنا استثنى من تُبْدِي له الزينة وبينهما فرق. الآن لو أخذنا بظاهر الآية (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) قلنا: المراد بالزينة هي الزينة الأولى تصير: لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، ولا يبدين هذه الزينة أيضًا إلا لبعولتهن. وحينئذ نكون قد خصصنا عموم ما سبق في الآية ، أرجو ننتبه عندنا الآن نَهَى عن إبداء الزينة في موضعين: استثنى من الموضع الأول استثنى الزينة ، ومن الموضع الثاني من يُبْدِي له الزينة فهل نجعل الاستثناءَيْن مُنصِبَيْن على عمل واحد ونقول: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (لِبُعُولَتِهِنَّ) إلى آخره ، وحينئذ يكون غير هؤلاء الذين استثنوا يُحَرِّمُ إبداء الزينة لهم مطلقًا الظاهرة والخفية؟ الجواب: هذا احتمال يعني. احتمال آخر: أن نقول: إن الزينة زينتَان ؛ زينة ظاهرة تُبْدِي لكل أحد ، وزينة خفية لا تُبْدِي إلا لهؤلاء ، وعلى هذا مشى المؤلف على أن المراد بالزينة هذه غير الزينة الأولى؛ فالزينة الأولى عامة ، وأبيح منها ما ظهر لكل أحد. والثانية هذه ليست عامة ، بل المراد بها الخفية؛ الزينة الخفية التي لا تظهر أو التي ليس من الضروري أن تظهر ، هذه الزينة هذا المؤلف يقول: (وهي ما عدا الوجه والكفين) بناء على تفسير الأولى؛ على تفسير قوله: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) بأيش؟ بالوجه والكفين. لكن الصحيح أن المراد الخفية هي التي ليس من الضرورة أن تظهر؛ يعني الثياب الداخلية كما يقول العامة ، هذه لا تُبْدِي إلا لهؤلاء المذكورين ، (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) إلى آخره". هـ. وجاء في الدرر السنية ما نصه: (عن عائشة رضي الله عنها قالت: "يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى؛ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} ، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَأَخْتَمَرْنَ بِهَا". الراوي: عروة بن الزبير | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري. الإسلام دين الستر والصيانة والعفاف ، وقد أمر بستر جسد المرأة ، وأمر بالحجاب والثياب السابغة التي لا تُظهِرُ جِسْمَهَا ، ولا تُفَصِّلُ أجزاءه؛ حفظًا لها ، وصيانةً للمجتمع كله من آثار التبرُّج والسفور الخطيرة المهلكة للمجتمعات. وفي هذا الحديث ثنتي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على المؤمنات السابقات في الهجرة ، فتنرحم عليهن وتضرب بهنَّ المثل في سرعة استجابتهن لأوامر الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك أنه لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ النِّسَاءَ بالحجاب في قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} ، والخمار: وهو ما تُعْطِي به المرأة رأسها وعُنُقَهَا وصَدْرَهَا. والجوب: جمع جيب ، وهو فتحة في أعلى الثياب يبدو منها بعض صدر المرأة وعُنُقَهَا. ومعنى الآية: وعلى النساء المؤمنات أن يسترن رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بخُمُرهن؛ حتى لا يطلع أحدٌ من الأجانب على شيءٍ من ذلك. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ» ، والمروط: أكسية معلَّمة تكون من حرير وتكون من صوف ، والمراد بها: الإزار وهو الملاءة الخاصة بالنساء. «فَأَخْتَمَرْنَ بِهَا» أي: استخدمنها لغطاء رؤوسهن ووجوههن وستر ما أمر الله به. وفي الحديث: منقبة الصحابيَّات المهاجرات الأوائل وسرعة استجابتهن لأمر الله تعالى. وفيه: أن المؤمن الحق لا يسأل عن العلة والسبب في أوامر الشرع ليستجيب لها. بل يُبادِرُ بالاستجابة وإن لم تظهر له العلة والسبب). هـ. ومن هنا كان هذا النص مني ، لإزالة هذه الشبهة الشائنة الفجة المتداولة بين النساء والرجال اليوم!

بِسِتْرٍ وَجِهَيْهِمَا الدَّلِيلُ مُنْعَقِدٌ وَصَحَّ سِتْرُهُمَا إِذْ صَحَّ مُعْتَقِدٌ

فِيمِ الْمَغَالِطَةِ الرَّعْنَاءُ مَرْجِعُهَا عُرْفٌ عَلَى سَيِّئِ الْأَهْوَاءِ يَعْتَمِدُ!

يُصَنَّفُ الْقَوْمُ تَصْنِيفَاتٍ مُرْتَجِلٍ وَلَيْسَ فِي الْارْتِجَالِ الْفَجْحُ يَقْتَصِدُ

أين الدليل على ما تجهرون به؟! هذا التجني إلى البرهان يفتقد!  
هذي الفتاوى التي روجتُم انحرفت عن الاستقامة ، ما في نصّها رشد  
فالانتقَابُ إذن والاختمارُ سوا! وللكلام دليل زانه السند!  
وطالعوا سورة (الأحزاب) دون هوى حيث الدليل بهذا الحكم ينعقد  
وسورة (النور) تهديكم وتمنحكم نور اليقين إذا تغلب الفند  
لا تسامحوا لدعي أن يضالكم باسم التساهل ، فالتميع مُنقَد  
لا تجعلوا أحداً يُدلي بحجته مهما يكون بليغاً ذلك الأحدا!  
كم ضلّ قوم بطاعات لمن جهلوا وحجة القوم أن الصفوة اجتهدوا  
وليس عُذراً لمن يُطعن عن رغب فهل دعا للذي يأتينه الصمد؟!  
بالبينات إذن طاعات من علموا يسألن ثم يلي الإبانة المُجد  
لا شيء في ديننا بدون برهنة والمخلصون عن التعالم ابتعدوا  
إن التبرج كشف الوجه أعلنها فليست من معشر في دينهم زهدوا  
إن الخمار بريء من سُفور نسا ألبابهن عليها الحق لا يرد  
فإن سترن وجوهاً جنن مكرمة بها يزول الخنا والفسق والودب  
تالله ما استويا في الدرب: سافرة تُغري ، وساترة وجهاً له وقد!  
ذات الحجاب لها سمتٌ يميّزها بين النساء ، وفي كيد العدا جلد!  
أما التي أصبح السُفور طابعها فلا يُوقرُها إلا الألى فسدوا  
ذات السُفور وذات الستر بينهما فرق كبير حكاها الماء والزبد!

## أو ولد صالح يدعو له!

(إنها لقصة عجيبة وغريبة! يقول صاحبها: لم أكن قد تجاوزت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي! ما زلت أذكر تلك الليلة ، بقيت إلى آخر الليل مع الأصدقاء في إحدى الاستراحات! كانت سهرة مليئة بالكلام الفارغ. بل بالغيبة والنميمة والتعليقات المحرمة ، كنت أنا الذي أتولى في الغالب إضحاكهم. أذكر ليلتها أنني أضحكهم كثيراً! وكنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد! فبإمكانني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه! أجل! كنت أسخر من هذا وذاك. لم يسلم أحد مني حتى أصحابي! وقرر بعض الناس أن يتجنبوني كي يسلموا من لساني! أذكر أنني تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته يتسول في السوق. والأدهى أنني وضعت قدمي أمامه ، فتعثر وسقط يتلفت برأسه ، لا يدري ما يقول. وانطلقت ضحكتي تدوي في السوق! وعدت إلى بيتي متأخراً كالعادة ، فوجدت زوجتي في انتظاري. كانت في حالة يرثى لها! قالت بصوت متهدج: أين كنت؟ قلت ساخراً: في المريخ. كنت عند أصحابي بالطبع! كان الإعياء ظاهراً عليها. قالت والعبرة تخنقها: أنا تعباً جداً. يبدو أن موعد ولادتي صار وشيكاً! وسقطت دموع صامتة على خدها. أحسست أنني أهملت زوجتي ، فلقد كان المفروض أن أهتم بها وأقلل من سهراتي. خاصة أنها في شهرها التاسع! حملتها إلى المستشفى بسرعة ودخلت غرفة الولادة. جعلت تقاسي الآلام ساعات طويلاً! وكنت أنتظر ولادتها بفارغ الصبر. تعسرت ولادتها. فانتظرت طويلاً حتى تعبت. فذهبت إلى البيت وتركت رقم هاتفي عندهم ليبشروني! وبعد ساعة اتصلوا بي ليزفوا لي نبأ قدوم ابني (سالم)! ذهبت إلى المستشفى فوراً! وعندما رأوني أسأل عن غرفتها ، طلبوا مني مراجعة الطبيبة التي أشرفت على ولادتها! فصيرخت فيهم أية طبيبة! المهم أن أرى ابني سالماً! قالوا: أولاً راجع الطبيبة! فدخلت على الطبيبة ، وكلمتني عن المصائب والرضى بالأقدار ، ثم قالت: ولدك به تشوة شديد في عينه! ويبدو أنه فاقد البصر ، فخفضت رأسي وأنا أدافع عبراتي وتذكرت ذاك المتسول الأعمى الذي دفعته في السوق ، وأضحكت عليه الناس! سبحان الله كما تدين تدان! بقيت واجماً قليلاً. لا أدري ماذا أقول. ثم تذكرت زوجتي وولدي! فشكرت الطبيبة على لطفها. ومضيت لأرى زوجتي! لم تحزن زوجتي. كانت مؤمنة بقضاء الله ، طالما نصحتني أن أكف عن الاستهزاء بالناس! كانت تردد دائماً: لا تغتب الناس! خرجنا من المستشفى. وخرج سالم معنا! في الحقيقة لم أكن أهتم به كثيراً! اعتبرته غير موجود في المنزل ، وحين يشند بكاؤه أهرب إلى الصلاة لأنام فيها! أما أنا فلم أكن أكرهه. لكني لم أستطع أن أحبه! كبر سالم وبدأ يحبو. كانت حبوته غريبة! قارب عمره السنة فبدأ يحاول المشي ، فاكتشفنا أنه أعرج! أصبح ثقيلاً على نفسي أكثر! أنجبت زوجتي بعده عمر وخالداً! مرت السنوات وكبر سالم وكبر أخواه! وكنت لا أحب الجلوس في البيت ، بل دائماً مع أصحابي! لم تياس زوجتي من إصلاحي! كانت تدعو لي دائماً بالهداية. لم تغضب من تصرفاتي الطائشة! لكنها كانت تحزن كثيراً إذا رأت إهمالي لسالم واهتمامي بباقي إخوته! كبر سالم وكبر معه همي! لم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في إحدى المدارس الخاصة بالمعاقين! لم أكن أحس بمرور السنوات. فأيامي سواء. عمل ونوم وطعام وسهر! وفي أحد أيام الجمع ، استيقظت الساعة الحادية عشر ظهراً! ما يزال الوقت مبكراً بالنسبة لي. كنت مدعواً إلى وليمة! لبست وتعطرت وهممت بالخروج! مررت بصالة المنزل. استوقفني منظر سالم كان يبكي بحرقة! إنها المرة الأولى التي أنتبه فيها إلى سالم يبكي مذ كان طفلاً. عشر سنوات مضت لم ألتفت إليه ، حاولت أن أتجاهله هذه المرة! فلم أحتمل ، كنت أسمع صوته ينادي أمه وأنا في الغرفة! التفت إليه وقلت: سالم! لماذا تبكي يا بني؟! وحين سمع صوتي توقف عن

البكاء. وكأنه يقول: الآن أحسست بي! أين أنت منذ عشر سنوات؟ فتبعته ، وكان قد دخل غرفته! رفض أن يخبرني في البداية عن سبب بكائه وحاولت التلطف معه ، ومسحت دموعه بيدي! وبدأ سالم يبين سبب بكائه. وأنا أستمع إليه وأنتفض. ما السبب؟! تأخر عليه أخوه عمر الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد ، ولأنها صلاة جمعة خاف أن لا يجد مكاناً في الصف الأول! نادى عمر ونادى والدته ، ولكن لا مجيب. فبكى ، أخذت أنظر إلى الدموع تتسرب من عينيه المكفوفتين! لم أستطع أن أتحمل بقية كلامه ، ونسيت أصحابي ، ونسيت الوليمة ، وقلت: سالم لا تحزن ، هل تعلم من سيذهب بك اليوم إلى المسجد الآن؟! قال: أكيد عمر ، لكنه يتأخر دائماً! قلت: لا ، بل أنا الذي سأذهب بك! دهش سالم لم يصدق ظن أنني أسخر منه. واستعبر ثم بكى! مسحت دموعه بيدي. وأمست بيده! أردت أن أوصله بالسيارة. رفض قائلًا: المسجد قريب ، أريد أن أخطو إلى المسجد ، إي والله قال لي ذلك! لا أذكر متى كانت آخر مرة دخلت فيها المسجد لكنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والندم على ما فرطته طوال السنوات الماضية! كان المسجد مليئاً بالمصلين ، إلا أنني وجدت لسالم مكاناً في الصف الأول! استمعنا لخطبة الجمعة معاً وصلى بجانبى. بل في الحقيقة أنا صليت بجانبه! وبعد انتهاء الصلاة طلب مني سالم مصحفاً استغربت! كيف سيقراً وهو أعمى! كدت أن أتجاهل طلبه. لكني جاملته خوفاً من چرح مشاعره. ناولته المصحف ، وطلب مني أن أفتح المصحف على سورة الكهف! أخذت أقلب الصفحات تارة. وأنظر في الفهرس تارة. حتى وجدتها أخذ مني المصحف. ثم وضعه أمامه. وبدأ في قراءة السورة ، وعيناه مغمضتان يا الله! إنه يحفظ سورة الكهف كاملة خجلت من نفسي. أمسكت مصحفاً أحسست برعشة في أوصالي. ثم قرأت. ودعوت الله أن يغفر لي ويهديني ، ولم أستطع الاحتمال. فبدأت أبكي كالأطفال ، كان بعض الناس لا يزال في المسجد يصلي السنة. خجلت منهم. فحاولت أن أكتم بكائي. تحول البكاء إلى نشيج وشهيق! إنه سالم! ضممته إلى صدري ونظرت إليه. قلت في نفسي. لست أنت الأعمى بل أنا الأعمى. حين انسقت وراء فسأق يجروني إلى النار عدنا إلى المنزل. كانت زوجتي قلقة كثيراً على سالم! لكن قلقها تحول إلى دموع حين علمت أنني صليت الجمعة مع سالم! ومن ذلك اليوم لم تفتني صلاة جماعة في المسجد ، وهجرت رفقاء السوء. وأصبحت لي رفقة خيرة عرفتني في المسجد! ذقت طعم الإيمان معهم! عرفت منهم أشياء ألهتني عنها الدنيا! لم أفوت حلقة ذكر أو صلاة الوتر ، وختمت القرآن عدة مرات في شهر واحد! وأحسست أنني أكثر قرباً من أسرتي! رطبت لساني بالذكر لعل الله يغفر لي غيبيتي وسخريتي من الناس! اختفت نظرات الخوف والشفقة التي كانت تُطل من عيون زوجتي وحل محلها التفاؤل والابتسام! وأما ابني سالم ، فقد سعد بهذا الموقف سعادة غامرة ملكت نفسه! ومن يراه يظنه فقد ملك الدنيا وما فيها! إن حفظه للقرآن الكريم ، وحرصه على الصلاة يرجح الدنيا وما فيها!

سُروراً خَطِمْ يِلادي

سُررْتُ بخير أولادي

كأن الظلم ميعادي

وكم أجحفتُ في حُكمي

وإن يك رائحاً غادي

ولم أعبأ به يوماً

سَراياً زاد أحقادي

عمّاه أحال تبصرتي

مِنَ الْمَسْتَبْصِرِ الْهَادِي!  
لَأُخْرِجَ خَيْرَ أَوْلَادِي!  
تُنَبِّهَنِي بِأَرْعَادِي!  
لِقَلْبٍ رَأْيُهُ بِهَادِي!  
يَجْرُؤُ إِلَيَّ قَصَّادِي  
وَأَمْتِعْ بَعْضَ أَوْغَادِي!  
يَقُولُ: اسْمِعْ لِأَرْشَادِي!  
وَزَايِلَ شَرِّ أَفْرَادِي!  
تَزِينُكَ بَيْنَ أَشْهَادِي!  
مَبَاهِجُهُ بِأَرْغَادِي!  
نَعَايِنُ بَعْضَ أَضْدَادِي!  
سَيَأْتِي دُونَ مِيعَادِي  
فَصَاحِبُ خَيْرِ أَجْوَادِي  
يَكُونُوا خَيْرَ عِبَادِي!  
فُحْزِ خَيْرَاتِ أَمْجَادِي!  
وَعِفَّتِ الْهَازِلِ الْعَادِي!

كَمْ اسْتَسْخَرْتُ فِي عَمَلِي  
وَكَمْ سَخَّرْتُ تَبَكِّي  
إِلَى أَنْ أَقْبَلْتُ عِظَمَةَ  
أَنَا الْمَقْصُودُ لَا غَيْرِي  
وَلَهُ وَقَدْ بُلِيْتُ بِهِ  
لَأُضْحِكَهُمْ وَأَشْجِيَهُمْ  
إِذَا بَنَى ابْنِي يُسَانِنِي  
أَبِي ، اسْتَدْرِكْ ، وَلَا تَهْزُنْ  
فَكَمْ صَارَ فَوْكَ عَن قِيَمِ  
كَفَاكَ الْعُمُرُ قَدْ ذَهَبَتْ  
وَمِنَ طُورِ إِلَي طُورِ  
سَتَرْحَلُ ، فَاسْتَعِدِّ لِمَا  
نَصَحْتُكَ يَا أَبِي رَوْفَاً!  
وَعَلَّمْ صَاحِبَكَ التَّقْوَى  
وَأَجْرُكَ عِنْدَ خَالِقِنَا!  
عَسَاكَ فَهَمَّتْ مَقْصُودِي

## بين الجوسقي وبونابرت!

(الشيخ سليمان الجوسقي ، الرجل الذي مَدَّ يده وصفح نابليون صفقة قوية قانلاً: "معذرة يا بونابرته ، هذه ليست يدي ، هذه يد الشعب". ولد الشيخ سليمان الجوسقي في منطقة "جوسق" بمحافظة الشرقية ، كان أهله طامحين إلى إلحاقه بالأزهر. ولما التحق الجوسقي بالأزهر الشريف ، تفوق في دراسته برغم أنه كان كفيفاً ، ولكنه قهر الظلام. كان الجوسقي على موعد مع القدر وقت أن اندلعت ثورة القاهرة الأولى ضد العسكر الفرنسيين في أكتوبر عام 1798 م. وعندما اشتد وطيس ضرب المدافع ، لجأ له العامة فطالبهم بالصمود ، وقال مقولته المشهورة: "إنكم بشرٌ مثلكم مثلهم ، فاخرجوا إليهم فإما أن تبيدوهم أو يبيدوكم. ولم يقف دور الجوسقي إلى حد الخطابة ، بل قرر أن يُطَوِّع العميان وطانفتهم التي يترأسها وجيشهم في جيش لمواجهة الغزو الفرنسي ، حيث كان العميان هم حلقة الوصل والجاسوسية لصالح مصر ، حيث كانوا ينقلون أخبار المعسكر الفرنسي لرموز المقاومة الشعبية في مصر وقتها ، كما ساهم الجوسقي في إجراء كتيبة من العميان لإجراء عمليات اغتياالات في صفوف العسكر الفرنسيين. وأخرج الجوسقي ما لديه من مال وكان ثرياً واشترى السلاح ، ووزعه على الناس ، ويحكي المؤرخون أن الجوسقي كان يشق القاهرة بحماره ليتفقد المتاريس والحصون ويتفقد احتياج المجاهدين للسلاح ، ويأمر بإرسال السلاح والمون إلى الأماكن المحتاجة. وكان الجوسقي وراء الكثير من وعلم نابليون أن "الجوسقي" هو كلمة السر في عمليات الاغتيال ، عمليات اغتيال العسكر.. فقرر إلقاء القبض عليه. وحاول نابليون استمالته وقدم له العديد من العروض التي رفضها ، وقابلها الجوسقي بالاستهزاء ، إلى أن قدم له العرض الأكبر ، وهو أن يجعله سلطاناً على مصر ، فأظهر الشيخ قبولاً للعرض ، ومد نابليون يده إليه متنفساً الصعداء ، وكذلك مد الشيخ يده اليمنى مصافحاً إياه ، فكانت المفاجأة أن رفع يده اليسرى ، ليصفع نابليون بونابرت صفقة قوية على وجهه لا ينساها ، وقد سجل الأديب الكبير علي أحمد باكثير هذا الموقف في مسرحيته: "الدودة والنعبان" ، وقال على لسان الجوسقي: "معذرة يا بونابرت هذه ليست يدي. هذه يد الشعب" ، فاستشاط نابليون غضباً ، وأمر بقتل الرجل وإلقاء جثته في النيل. ولم تفلح وساطة المشايخ لبونابرته ، فتم إلقاء الجوسقي رحمه الله من فوق القلعة. رحم الله الشيخ سليمان الجوسقي ورحم الله كل من دفع حياته حباً وإخلاصاً للإسلام وللمسلمين ديناً وداراً وشعباً! إن قصة الجوسقي مع بونابرت تستحق قصيدة تعيد الحق إلى نصابه وتعيد القوس إلى باريها ، لتبئين لكل الطغاة والظالمين أن الحق لا يموت أبداً ولا يفوت ، وأن العاقبة للتقوى ، وأن النصر مع الصبر ، مهما طال الزمن! والجوسقي عليه رحمة الله تعالى ، وبونابرت عليه لعنة الله تعالى سيلتقيان بين يدي الله يوم القيامة! وسوف يسأل الجوسقي قانلاً: يا رب سل هذا فيم قتلني!؟)

جَهْرَتْ بِخَيْرِ أَقْوَالِي!	وَبُوتُ بِخَيْرِ أفعَالِي!
مَعِيَ الْعَمِيَانُ مَا خَضَعُوا	لَطَاغُوتٍ وَدَجَّال!
هَتِفَتْ بِهِمْ أَنْ انْطَلِقُوا	فَمَا رَضَخُوا لِأَهْوَال!
وَكُنَّا قُوَّةَ عَظْمِي	تُعَبِّيْءُ خَيْرَ أَبْطَال!

ولم يعمد لإغفال!  
فقد أغراه منوالي!  
لأدرس بعض أقوالي!  
أكون لمصري (الوالي)!  
فأمسى اليانسن السالي  
أنا - للمعتدي - القالي!  
غزا أرضي وأعمالي؟!  
وقيدني بأغلال!  
وفي حلي وترحالي!  
يصعد الصائل الجالي!  
وأمقت كل محتال!  
وموجد ضنك أحوالي!  
وقدد أودي بأطفالي!  
ومهما ساق من قال  
وقائد جيش جهال  
ولم يك يدرك التالي  
يرد الحاقد القالي  
ككف الثائر الصالي  
فصمتي فيه إنذالي  
جنان الله عقبى لي!

فما هزأ العدو بهم  
لذا استخذي ، فسواؤمني  
وهو ددني ، وعشؤمني  
وأغراني ، وواعدي  
فلم أقبلن تزلفه!  
أنا ابن الثورة العصما!  
وكيف أطيع محمداً  
وشردني ، وسربلني!  
أنا في السلم مدرسة  
ولكن في الحروب فتى  
فـ (بونابرت) أكرهه  
هو الغازي لمملكتي  
متى أعطيته ثقتي؟!  
ومهما كان من خطب  
س يبقى مجرماً جهلاً  
يؤد يدأ يصبافخني  
هوت كفي على وجهه  
فكف الشعب حاسمة  
وإن ألقى الئذي ألقى  
يمن الله أحسن بني

## حسن طوبار!

(جاء في الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) بتصرف يسير ما نصه: (المجاهد الشيخ حسن طوبار ، شيخ إقليم المنزلة بمحافظة الدقهلية والزعيم الشعبي له وشيخ العرب كما أطلق عليه القادة الفرنسيون ، أحد أغنياء مصر في عهده ، والقائد والمحرض لأعنف مقاومة شعبية ضد الحملة الفرنسية وجيشها المحتل في نهاية القرن الـ 18. كان حسن طوبار زعيماً على إقليم المنزلة بالدقهلية وشيخاً له ، وكان من أكثر الأقاليم التي واجه الفرنسيون فيها مقاومة شعبية عنيفة ، وكان محور هذه المقاومة هو هذا الرجل. كتب المسيو «ريبو» أحد كتاب فرنسا السياسيين في كتاب تاريخ الحملة الفرنسية في مصر ، يصف فيه سكان هذه الجهات بقوله: "إن مديرية المنصورة التي كانت مسرحاً للاضطرابات تتصل ببحيرة المنزلة ، وهي بحيرة كبيرة تقع بين دمياط وبيروز القديمة (الطينة) ، والجهات المجاورة لهذه البحيرة وكذلك الجزر التي يسكنها قوم أشداء ذوو نخوة ولهم جلد وصبر ، وهم أشد بأساً وقوة من سائر المصريين! ثم هم أغنياء بما ينالون من الصيد ، ولهم في البحيرة خمسمائة أو ستمائة مركب ، تجعل لهم السيادة في البحيرة ، ولهؤلاء 40 رئيساً ، وكل هؤلاء الرؤساء يتبعون حسن طوبار شيخ المنزلة وهو الزعيم الأكبر لهذه المنطقة". وذكر الجنرال «لوجيه» في يومياته: "إن عدد المراكب التي ببحيرة المنزلة وتخضع للشيخ حسن طوبار تبلغ الألف". وكان حسن طوبار واسع الثروة والنفوذ محبوباً من سكان إقليمه من الصيادين، وكان في حالة من الرواج كفيلة بأن تقعه عن اتخاذ أي موقف يمكن أن يهدد ثروته ، إذ كان يملك أسطول صيد قدرته بعض المصادر الفرنسية بنحو خمسة آلاف مركب ، وعدد لا بأس به من مصانع نسج القطن ، والمتاجر ، ومساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ، وكانت له ثروة طائلة لأغنى رجل في مصر ، كما أشار الجنرال الفرنسي «أندريوس» في تقرير قدمه إلى المجمع العلمي ، في حين قدم الجنرال «لوجيه» تقديراً لثروته بأنها في حدود خمسة ملايين فرنك! وكان إلى جانب ذلك ينتسب إلى أسرة عريقة ، تداول أفرادها مشيخة المنزلة مئات السنين ، ولهم نفوذ قوي هناك ، فاسم العائلة جاء من «طبرة» على بحيرة طبرية بالشام ، فقد نزحت منها ، ونزلت على شاطئ بحيرة المنزلة ، فأقاموا بالمنزلة بجوار منزل «الشيخ أبو نصر شهاب الدين شريف» وكان من قضاة الإقليم ، ثم تصاهروا مع هذا الشيخ وسكنوا إلى جواره ، وبنوا بيتاً عُرف بالبيت الكبير قبل أن يبني «شلمي طوبار» القصر المعروف باسمه ، وقد اشترت العائلة بعض أملاك الأمير «محمد الشوربجي» الشهير بمحمد بن حسون ، وكانت تُعرف المنزلة باسمه منزلة حسون! يقول الجنرال «أندريوس» أحد قواد الحملة الفرنسية والذي ارتاد بحيرة المنزلة وقدم عنها تقريراً إلى المجمع العلمي بمصر ، يقول: "إن لسكان هذه الشواطئ أربعين رئيساً يتبعون الشيخ حسن طوبار الذي احتكر الصيد في البحر لقاء جعل - أجر - للحكومة ، وحسن طوبار من أكبر أغنياء القطر المصري ، وربما كان أغناهم ، وهو من المنزلة ، وفي أسرته مشيخة البلد يتوارثونها من أربعة أو خمسة أجيال ، وله سلطة واسعة تقوم على مكانته في النفوس وثورته وعصبيته من ذوي قرياه وأتباعه ، وعلى مؤازرة العرب الذين أعطاهم الأراضي ليزرعوها ويغدق على رؤسائهم بالهدايا والتحف". ولقد اهتم «نابليون» بإخضاع بلاد البحر الصغير (بحر أشمون) الكائنة بين المنصورة وبحيرة المنزلة وإحكام قبضته على الجهات الموصلة إلى البحيرة ، وكان يهدف من جهة إلى إخضاع هذا الإقليم ، ومن جهة أخرى إلى تأمين المواصلات بين دمياط والمنصورة والصالحية وبلبيس حتى يتمكن من نقل الجنود والمدفعية لهذه الجهات لتأمين احتلال حدود مصر الشرقية ، وقد بعث إلى الجنرال «دوجا»

بعده رسائل تظهر مبلغ اهتمامه بهذا القطاع وعينه قائداً عاماً ، وأنفذ لهذا الغرض الجنرال «دستنج» والجنرال «داماس» في قوة من الجنود الفرنسية ، وعهد إلى الجنرال دستنج معاقبة بلدي «منية محلة دمنة» و«القباب الكبرى» الواقعتين على بحر أشمون ، إذا جاهر أهلها بالعصيان والامتناع عن دفع الضرائب والغرامات التي فرضت عليهم ، وعهد إلى الجنرال داماس أن يحتل بحيرة المنزلة واخضاعها ، وكان لهذه المهمة شأن وخطر في تلك الجهات لما ظهر من أسماء تحرض الأهل على مقاومة الفرنسيين ، وقد تكرر في كثير من رسائل وتقارير القواد الفرنسيين في مديرتي المنصورة ودمياط اسم «حسن طوبار» شيخ بلد المنزلة في ذلك الحين كزعيم للمحرّضين ضد الفرنسيين وخصم عنيد لا يستهان به ومدبر لحركات المقاومة في هذه الجهات ، كما تردد اسم «الأمير مصطفى» بمنية محلة دمنة و«على العديسي» بالقباب. فقد كان حسن طوبار زعيماً لإقليم المنزلة ، وكان هذا الإقليم جيشاً بمتاعب كثيرة للفرنسيين ، وقد شرع حسن طوبار في مقاومة الفرنسيين منذ بداية الحملة تقريباً ، فكان يذهب بنفسه إلى البلاد والقرى يُحرّض أهلها على الحرب ، ويطمئن على وسائل الدفاع لديهم ، وجهاز من ماله الخاص الأسطول البحري الذي حارب الفرنسيين في البحيرة ، وأوشك على إخراجهم من دمياط! ولنحلل دوره في الحملة الأولى:- حيث إنه بأوامر من بونابرت وبقيادة عامة للجنرال دوجا ، بدأت تتحرك الحملة على البحر الصغير من المنصورة يوم 16 ديسمبر سنة 1798م وقد أصدر الجنرال دوجا بعض التعليمات لكل من الجنرالين داماس وديستنج ليتبعها ، قال فيها: "إن منية محلة دمنة والقباب الكبرى ، هاتان القريتان واقعتان تحت تأثير رجلين يجب أسرها ، وهما على العديسي والأمير مصطفى ، وقد وصلتنى رسالة من الجنرال فيال «كومندان مديرية دمياط» ينسب إليهما تهمة الاتصال بالشيخ حسن طوبار شيخ بلد المنزلة وانتظارهما النجدة منه ، فيجب أن لا يترك له الوقت لإمدادهما". وكانت هناك رسالة للجنرال داماس ، جاء فيها "تعليمات خاصة للجنرال داماس - مساعدة الجنرال دستنج في معاقبة منية محلة دمنة والقباب الكبرى ، وثانياً إخضاع المنزلة". ورسالة أخرى جاء فيها: "إن الجنرال فيال منزعج من مقاصد الشيخ حسن طوبار شيخ بلد المنزلة ، ومن حشده عدداً كبيراً من المراكب في المطرية ، فإذا كان هذا صحيحاً ، فمن الواجب أسر الشيخ حسن طوبار وتحطيم أسطوله". وتنفيذاً لهذه التعليمات تحرك الجنرال داماس على رأس الجنود الفرنسية من المنصورة ، متوجهاً للمنزلة ومعه 300 جندي بسلاحهم وذخيرتهم وفي طريقه وعند الجمالية قابلتهم مقاومة عنيفة من الأهالي في معركة ذات شأن وخطر ، وبعد قتال استمر 4 ساعات انسحب الجنرال داماس بقواته لَمَّا رأى أنه لا يمكنه الثبات ولا متابعة السير في بحر أشمون ، فأضرم النار في الجمالية وعاد أدرجه إلى المنصورة يوم 21 سبتمبر ومعه جرحاه وقتلاه. واتضح فيما بعد أن وراء هذه المقاومة وهزيمة الحملة الفرنسية في معركة الجمالية هو الشيخ حسن طوبار ، فقد كتب الجنرال «لوجيه» القائد الأعلى للحملة في يومياته: "لقد تأكدنا أن حسن طوبار كان يجوب البلاد الواقعة على بحر أشمون يحرض الأهالي على الثورة ، وكان يرسل إلى بعض البلاد الأخرى رسله وأتباعه لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين ، وأنه هو الذي دبر واقعة الجمالية ، غير أنه من الصعب أن نلقى يدنا على هذا الرجل مع نفوذه العظيم بين الأهالي وأن في استطاعته أن يحشد علينا قواتٍ كبيرة جداً ، وقد جاءتنا الأخبار أن أهالي بعض القرى الواقعة على النيل أطلقت النار على السفن المقلّة للجنود الفرنسية وأن الدلائل تدل على أن الثورة عامة". قال المؤرخ عبد الرحمن الراجحي أن الحملة الأولى على البحر الصغير لم توفق في اتمام مهمتها ، وبقي حسن طوبار قوياً يثير البلاد ويستفز الناس للمقاومة ، وكان الفرنسيون يحسبون له حساباً كبيراً ويسعون بمختلف الوسائل أن يخضعوه أو يجتذبوه إلى صفوفهم ، خاصة وأن نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية أدرك أهمية وأبعاد المركز الجغرافي الذي يسيطر عليه الرجل ، لأن تحكمه في الممرات المائية بين البحر المتوسط وبحيرة المنزلة كان كفيلاً بتسهيل مهمة السفن العثمانية في

دخول مصر في حالة اتفاق رجال السلطان العثماني مع الزعيم حسن طوبار! وحاول نابليون استمالت حسن طوبار فأرسل الجنرال «فيال» الذي عين حاكماً علي دمياط ومعه هدايا للشيخ حسن طوبار ومنها سيف مذهب ، لكن حسن طوبار رفض لقاء الجنرال فيال ، وقابل ذلك بالسخرية الشديدة وقال: "إنه لا يريد أن يرى أحداً من الفرنسيين" ، وامتنع عن قبول الهدايا الثمينة التي أرسلها له نابليون. في هذه الأثناء ، كان حسن طوبار يخادع الفرنسيين عن خطته ومقاصده ، ففي الوقت الذي أبلغ فيه رسول الجنرال داماس أنه لا يأبى دفع الضرائب العادية إذا ما ترك حراً ، كان يستعد للقتال ، كما كان على اتصال بإبراهيم بك زعيم المماليك الذي كان مرابطاً بفلول جيشه في جنوب الشام ، وقد كان على اتصال مستمر أيضاً بقواته المنظمة لمقاومة الفرنسيين. ويحكي المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي كيف كان حسن طوبار يشعل الثورة في مختلف البلاد الواقعة بين دمياط والمنزلة والمنصورة. وبينما كان يثير الأهالي في بلاد البحر الصغير كان في الوقت نفسه يجمع مراكبه في بحيرة المنزلة لمهاجمة دمياط لتخليصها من يد الفرنسيين. وأرسل الجنرال فيال إلى زميله الجنرال دوجا ينذره بقرب هجوم الثوار على مدينة دمياط ، لأن حسن طوبار يحشد أسطولاً كبيراً في بحيرة المنزلة لهذا الغرض ويطلب المدد ، وبالفعل قام الثوار بهجوم فعال على دمياط في 16 سبتمبر سنة 1798م ، واشترك فيه أهالي البلاد المجاورة لدمياط ، كما اشترك فيه أيضاً أسطول حسن طوبار ، ونجح المهاجمون الثوار في قتل الحراس الفرنسيين في المواقع الأمامية للمدينة ، وظل القتال متواصلاً ليلة 16 سبتمبر ، غير أن عدم تكافؤ الأسلحة والتنظيم دفع المهاجمين إلى التقهقر والالتجاء إلى قرية الشعراء حيث اتخذوها معسكراً تحصنوا به. فأدرك نابليون أن طوبار لن يخضع إلا بالحرب خاصة بعد أن نجح في مقاومة الفرنسيين في دمياط وبعد أن رفض أن يلتقي بالفرنسيين في أي مفاوضات حيث رفض مقابلة الجنرال داماس ودعوة الجنرال دوجا للصلح. ونتيجة لخرج مركز الفرنسيين في دمياط تحت نفوذ حسن طوبار ومقاومة الأهالي اضطر نابليون إلى إرسال الجنرال أندريوس ليعاون الجنرال فيال في توطيد سلطان الفرنسيين في تلك الجهات، وتقدم الفرنسيون في 20 سبتمبر للاستيلاء على قرية الشعراء، وبالرغم من استيلاء الفرنسيين عليها فإن الثورة تفاقمت في البلاد الواقعة بين المنصورة ودمياط، وتعددت حوادث مهاجمة الثوار للسفن الفرنسية المقلدة للجنود في النيل، ما دفع الفرنسيين إلى التنكيل بالبلاد التي هاجمت السفن كما حدث في ميت الخولي حيث اعتدوا على الأهالي ، واستولوا على ما بها من مواشٍ وطيور وحلي. فماذا عن دوره في الحملة الثانية؟! رأى نابليون أن نفوذ حسن طوبار يخلق للفرنسيين كثيراً من المصاعب في البلاد ويزعزع سلطتهم في جهات البحر الصغير (بحر أشمون) ، والمنزلة ودمياط ويثير في نفوس الأهالي روح الثورة ، وأنه لن يكون له سلطان على بلاد هذه المنطقة ، ولن تنتهي مقاومة أهلها وثوراتهم على جنوده إلا بالقضاء عليه، فعزم أن يجرده عليه حملة ثانية لإخضاعه والاستيلاء على المنزلة ، واستجمع نابليون فيها كل طاقاته لمحاربة حسن طوبار ، فأمر بتجهيز حملتين كبيرتين إحداهما برية والأخرى بحرية لمهاجمة ، تحت إشراف الجنرال «دوجا» قائداً عاماً. وبدأ الجنرال دوجا في تنفيذ الخطط العسكرية المكلف بها ، فعهد إلى الجنرال «أندريوس» أن يذهب إلى المنزلة عن طريق البحيرة كما عهد إلى الجنرال «داماس» أن يسير إليها بالبر ، وبذلك تطبق القوتان على المدينة من البر والبحر. غير أن الجنرال أندريوس لما وصل إلى دمياط وجد مركز الفرنسيين مزعزعا وتعذر عليه أن يرتاد بحيرة المنزلة لأن الثورة شبت في القرى المجاورة لها وكان من نتائجها أن أوغل اصحاب المراكب في عرض البحيرة بحيث لم يجد مكاناً لمركبه منها. وكتب الجنرال أندريوس إلى نابليون يخبره: "إنه لاسبيل إلى تسلط الفرنسيين على بحيرة المنزلة إلا بعد سحق حسن طوبار والقضاء على قوته الكبيرة ، وانه بالاستيلاء على مدينة المنزلة التي يسكنها تصبح مركزاً حربياً للحركات العسكرية في البحيرة". فأرسل نابليون المدد إلى الجنرال دوجا وكلفه في رسالة بتجريد

حملة عسكرية على مدينة المنزلة للاستيلاء عليها ، وإرسال كتيبة أخرى إلى الجنرال أندريوس للاستيلاء على جميع الجزائر الواقعة في بحيرة المنزلة ، "وشدد عليه في هذه الرسالة أن يأخذ حسن طوبار ولو بالخديعة ، وأن يرسله إلى القاهرة ، وأوصاه بالقسوة على الثائرين واخضاع البلاد الكائنة بين المنصورة ودمياط إخضاعاً تاماً ووصاه بتجريد القرى من السلاح وقطع الرؤوس وأخذ الرهائن". فالتقى الجنرال أندريوس في دمياط بالجنرال دوجا التي جاءها من المنصورة وتوجهوا بقوتيهما إلى المنزلة وجهاتها ، واستطاعت هذه الحملة القوية وبعد جهد جهيد أن تدخل المنزلة واحتلتها في 6 أكتوبر عام 1798م ، غير أن حسن طوبار كان قد غادر المنزلة ومعه معظم أهلها إلى غزة ، لإعادة تنظيم حركة المقاومة مرة أخرى! قال الجنرال لوجيه أحد قادة الحملة في يومياته: "في كل جهة مررنا بها من المنصورة إلى المنزلة كنا نسمع نداء الأهالي على حسن طوبار ، وهو محبوب منهم حباً شديداً ، وهو غنى تقدر ثروته بالملايين من الفرنكات ، يملك الأراضي الواسعة ومصانع نسيج القطن ومصانع الصباغة والمتاجر الكثيرة". وقال أيضاً في يومياته: "إن الجنود جابوا طرقات المنزلة وأزقتها ، واستوقف نظرم منازل حسن طوبار التي تسترعى النظر لسعتها وجمال منظرها وبنائها على الطراز الشرقي ، وكانت مقفلة الأبواب خالية من السكان ، وأنه وبعض الضباط أرادوا أن يدخلوها ، فقبل لهم من الأهالي إن مفاتيح الابواب غير موجودة ، ففتحوا مدخل أحدهما ، ولكنهم لاحظوا أن انتهاك حرمة مساكن حسن طوبار يثير غضب الأهالي ، فانسحبوا منها واحتلوا داراً أخرى جعلوها المعسكر العام للحملة". فماذا حدث بعد احتلال المنزلة؟ لقد قضى احتلال المنزلة والمطرية على قوة المقاومة التي كان يديرها حسن طوبار ، فلم يجد أمامه سوى الهجرة إلى غزة ، وبذلك انتهت تلك الحركة الواسعة المدى التي أفلقت بال الفرنسيين زمناً ، وطويت صحيفة مقاومة ذلك الرجل الذي أزعج قواد الجيش الفرنسي ، وتردد اسمه في تقاريرهم ورسائلهم وورد اسمه مرات عديدة في رسائل نابليون نفسه كعنوان للمقاومة الأهلية القوية ، وقد ظل حسن طوبار بعد هجرته إلى غزة مصدر قلق للفرنسيين وخشوا أن يفكر في الرجوع إلى شواطئ دمياط وبحيرة المنزلة ويستأنف مقاومته ، فقد جانتهم أنباء بأنه يعد فعلاً قوة من المشاة في غزة وعزم على نقلها في خمسين سفينة يحتل بها دمياط ، ولكن لم يتحقق شئ من هذا العزم ، وبالرغم ان الظروف لم تمكن طوبار من إتمام هذه الحملة ، فإن رعب الفرنسيين منها جعل نابليون بعد انتهاء الحملة الفرنسية على سوريا يسمح له بالعودة إلى مصر ، ليأمن هجومه على دمياط وتحريضه لأهل بلده على الثورة ، ولم يأذن نابليون بعودة حسن طوبار إلى مصر إلا بشرط أن يبقى ابن الشيخ عنده في القاهرة ، ويعود حسن طوبار إلى دمياط مع التزامه بالهدوء في منطقته ، ولكن يؤخذ من رسائل الجنرال «كليبير» أن السلطات الفرنسية لم تكن تثق به ولا تطمئن إليه ، وكان الجنرال كليبير بعد أن أصبح قائداً عاماً للحملة الفرنسية يوصي قائده في دمياط الجنرال «فرديه» بمدارة حسن طوبار وتوخي الحذر منه ، وأن يراقب هذا الشيخ ولا يغفل عنه أبداً! وبعد عودته عاش حسن طوبار في دمياط فترة قصيرة ، وفي يوم 29 يونيو 1800م رحل القائد والزعيم والمجاهد حسن طوبار ، واحتفت بوفاته صحف فرنسا لتنتشر جريدة «كورييه دليجيت» الجريدة شبه الرسمية للحملة الفرنسية نبأ وفاته في العدد 75 الصادر بتاريخ 28 يوليو سنة 1800م ، وكتبت عنه ما خلاصته: "في 29 يونيو مات فجأة حسن طوبار كبير مشايخ إقليم المنزلة مصاباً بالسكتة القلبية ، وكان هذا الرجل عظيم المكانة لأصله العريق وغناه الواسع ، وقد هاجر من بلاده في الأشهر الأولى من الحملة وعاد إليها بعد الزحف على سوريا ، وأذن له الجنرال بونابرت في الرجوع إلى مصر ، فأذعن من يومئذ وأخذ للسكون ، وقد خلفه في شياخة إقليم المنزلة أخوه شلبي طوبار". هذا ولا يزال حسن طوبار يذكره كبار السن إلى الآن في جهات البحر الصغير والمنزلة ، ويسمونه "حسن طوبار الكبير

الذي حارب الفرنسيين") هـ. من أجل ذلك ، كتبت من شعري هذه القصيدة ، أصف بطولة وشهامة  
وحب حسن طوبار ، لمصر وأهلها! تلك البطولة التي نفتقدها اليوم ، في الكثيرين ، من حولنا!

حَيَّ البطولة حازت ذروة المجدِ ما قال صاحبها يوماً: أنا وحدي!  
أو قال: تقهرُنِّي الخطوبُ عاتيةً ولأعادي بلاءً بالغ الكيد!  
أو قال: كيف أخوضُ الحربَ أشعلها رأسُ (الفرنسيين) في الأصقاع والبُلْد؟  
أو قال: شَيبي تغشَّاني ، فسَربلني فقابَ قوسين أو أدنى من اللحد!  
أو قال: نحن غشا في وجه مُرتكن إلى العتاد وطول الباع والجُند!  
أو قال: أرجو ، ووضعِي ليس يُسعِفني فهل رجائي سيَهديني إلى الرُّشد؟!  
أو قال: في بلدي الأحزابُ ما اتحدتْ وما لفرقتها - في الدار - من حَدِّ!  
أو قال: ما خُططي؟ وأين تجربتي؟! حتى أواجه بالتصميم والعِند!  
أو قال: ما نفعُ فردٍ يلتقي أمماً فهل ستهزُمها شجاعة الفرد؟!  
أو قال: بالخطب التحريزُ مرتصدٌ وليس تحتاجُ مني أعظمَ الجهد  
بل قام في الناس يستجدي مقاومة تُصلي (الفرنسيين) ناراً جمَّة الوقد  
وعبَّأ الشعبَ ضد الغاصبين حمىً وصاح في الخُرِّ محتججاً ، وفي العبد  
وفي (البُحيرة) لم تتركْ مراكبُةً إلى البُغاة ، فَمَن للدفع والصد؟!  
وخط (ريبو) عن البسالة انفلتتْ كالبحر فاضلٌ بين الجَزُر والمد!  
سِفرًا تناولَ أبطالاً لهم جَلدٌ يأوون للشرف الرفيع والمجد!  
في أربعين رئيساً شيخهم (حسنٌ) في البأس سيُدْهم ، والأمر والصيد  
زمانه عَز عن مثل وعن شَبه! وإن يكنْ جاد بين الخلق بالضد!  
لا في الأعراب إن فتشت ، أو عَجَم وليس في الصَّين لو تدري ولا الهند!  
مستبسلٌ في لقاء الأعداء عن رغب والسيفُ في الكَفِّ لا يَأوي إلى الغمد  
واقراً أماديح (لوجيه) تُبجله من أن (طوبار) وافى ذروة المجد!

أحصى المراكب والمتاجر اشتهرت بالجود تشفعه طهارة اليد  
وللمصانع سيط ليس يجهاله أهل المروءة عن قرب وعن بُعد  
وللمزارع تشجير تدل به وبالعطا عُرفت ، والبذل ، والرّفد  
وإن قرأت لأندريوس يمدحه مدحاً صفا من بقايا الكره والحقد  
(طوبار) من خير إقليم وعائلةٍ وخير أصل إلى الشام مُمتد  
وإذ أتى قُدماً (داماس) زلزاله (طوبار) في فيلق الوحوش والأسد  
و(الجمالية) بالأحداث قد شهدت إذ لقيت درساها كتائب الوغد  
و(الرافعي) جنى الأخبار قد رُصدت من مثله يا ترى في الجمع والرصد؟  
أما (فيال) فأهدى (الشيخ) يحسبه للمال يطمع في التوفير والزيد!  
فلم يُقابله (طوبار) ، وخادعه وكيف يُوفي له في القول والوعد؟!  
وردّ سيفاً لـ (نابليون) أرسله هديّة ، والعليمُ الله بالقصد  
وللجبرتيّ أخبارٌ نتيته بها تفوح مسكاً يُهادينا شذى الرند  
من أن (دوجا) دعا للصلح مُعترفاً بقوة الخصم في الإثخان والرد  
وفرّ (طوبار) نحو الشام يجعل من ديار (غزة) مأوى الشيخ والجند  
وعندما عاد كان الموت منتظراً والناسُ عانوا من الرحيل والفقد  
عليه رحمة ربّ الناس صبح مساً وأسعد الله هذا العبد في اللحد!

## حل مشكلة الغلاء!

(في الهند حدث غلاءً شديداً للأسعار في ستينات القرن الماضي ، وكان الناس قبل ذلك في عز وغنى! وكان وقتها الداعية الشيخ "محمد يوسف الكاندهلوي" رحمه الله صاحب كتاب (حياة الصحابة) مشهوراً بزهده وورعه هناك. ذهب إليه الناس واشتكوا ارتفاع الأسعار والغلاء الفاحش وقالوا له: هل نحتج ونغضب؟ فقال لهم: الناس والأشياء عند الله مثل كفتي الميزان ، فإذا ارتفعت قيمة الإنسان عند الله بالإيمان والأعمال الصالحة قلت قيمة الأشياء. وإذا قلت قيمة الإنسان عند الله بسبب الذنوب والمعاصي ، ارتفعت قيمة الأشياء وزادت الأسعار وعم الغلاء! فعليكم بجهد الإيمان والأعمال الصالحة ، حتى ترتفع قيمتكم عند الله وتقل الأسعار. ولا تخوفوا الناس من الفقر فهذا شغل الشيطان ، فلا تكونوا من جنوده وأنتم لا تشعرون! فوالله لو أن هناك في قاع البحر صخرة صماء ملساء فيها رزق لعبد لاتفقت حتى تؤدي إليه رزقه ، فالغلاء لا يمنع عنك رزقاً ساقه الله إليك! إن الذي فتح لك فاك لن ينسأك! قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ، بالإيمان والتقوى تسعد المجتمعات وتعم عليها النعم والرخاء! لا تشغلوا أنفسكم بأسعار صرف العملات ولا بالغلاء! الرزق عند الله مضمون ، ولكن أشغلوا أنفسكم بأسباب الرزق وهي: التوبة ، والندم على المعاصي ، والاستغفار. وصدق الشيخ الكاندهلوي – رحمه الله رحمة واسعة -! جاء في (إسلام ويب) ما نصه تحت عنوان: (المعاصي تزيل النعم): (إن من عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم ، وتحل النقم ، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ، ولا حلت به نعمة إلا بذنب ، كما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة! وقد قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). وقال تعالى: (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). فأخبر الله تعالى أنه لا يُغير نعمه التي أنعم بها على أحد ، حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه ، فيغير طاعة الله بمعصيته ، وشكره بكفره ، وأسباب رضاه بأسباب سخطه ، فإذا غير غير عليه ، جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد! فإن غير المعصية بالطاعة ، غير الله عليه العقوبة بالعافية ، والذل بالعز وقال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال). وفي بعض الآثار الإلهية ، عن الرب تبارك وتعالى أنه قال: (وعزتي وجلالي ، لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ، ثم ينتقل عنه إلى ما أكره ، إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره ، ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره ، ف ينتقل عنه إلى ما أحب ، إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب). هـ. ومن هنا أنشدت هذه القصيدة مشيداً بصحة تشخيص وفراسة الشيخ الكاندهلوي! الذي جعل الطاعات سبيلاً إلى اليسر والفرج وسعة العيش! كما جعل المعاصي والموبقات سبيلاً إلى ضيق العيش وغلانه ، والكرب والضنك والذل والقهر والبؤس! والله لا يظلم الناس شيئاً! بل الناس هم الذين يظلمون أنفسهم ببعدهم عن شرع ربهم!)

وَتَقْتَنَا إِلَىٰ أُنْسِنَا وَالسَّـمْرُ	إِذَا مَا أَرَدْنَا هِنَا وَالظَّفْرُ
وَكَشَفَ الَّذِي صَابِنَا مِنْ ضَرَرِ	وَدَرَكَ الْخِيَمُورِ مَضَىٰ عَهْدُهَا
وَسَاقَتْ لَنَا عَيْشَهَا الْمُسْتَعْرِ	وَفَوْزاً بَدْنِيَا تَسَلَّتْ بِنَا

حياة تُشَرِّفُ مَنْ يَنْتَظِرُ  
إليه - وقد قالها - المُستقر!  
وشرعاً به في الوري نفتخر  
ويجلبُ كل الهنا للبشر  
هل الدين في عيشكم يزدهر؟!  
لربّ السماء؟! لماذا اندثر؟!  
ورفع الذي صابكم من كدر؟!  
وما تحوي ذي الكدى من أثر  
لنا فاسألوا الواحد المقتدر!  
ألحوا ليرحم أهل الخفر!  
تكاد من التّرك أن تستتر!  
فما أخرجت وفق شرع عطر  
يحاكم جيلاً بفطر جهر  
يؤبّخ أهل القرى والحضر  
ويُسي السّفور هو المُعتبر؟!  
وفيهم طغى اللؤم ، بل والدّبر  
تُخان ، ولم يتفضّ مُدّكر  
وجور الغلا ، والمصير الأشير  
عن الشرع يُهدي إليها الظفر  
به يأكلون شهى الثمر!

وفوزاً بأخرى لنحيابها  
علينا بتقوى المليك الذي  
علينا بتطبيق أحكامه  
هو العدل يكفل كل الرخا  
وأسأل من يشكون الغلا  
أسئلتهم أين توحيدكم  
ألم تسألوا الميّتين العطا  
ولو أنطق الله أجسادهم  
لقالوا لكم: أمطرونا دعاء!  
سألوه لنا محو عصياننا  
أسئلتهم عن صلاة غدث  
أسئلتهم عن زكاة ثوت  
أسئلتهم عن صيام غدا  
أسئلتهم عن حجاب النسا  
لماذا التبرج يغزو الدنا  
أسئلتهم عن وصل أرحامهم  
أسئلتهم عن أماناتهم  
وتأتون تشكون مُرّ البلا  
بما قدمت أنفس أحجمت  
ويجعل أصحابها في الذرى

## زوجتي أحييتني وماتت!

(كتب أحدهم ، وهو من سكان مكة المكرمة: انفصلت أُمي عن والدي وسافرت إلى أهلها مسافة 1200 كم ، وكان عمري أربع سنوات ، عشت الضياع متنقلاً بين بيوت أعمامي إلى أن وصلت سن ستة عشر سنة ، وانفصلت من المدرسة بسبب سلوكي الإجرامي ، وبعدها حصلت على لقب: {الفوضوي} . ولقد أعبت والدي بالمشاكل! قدّمت في دورة تأهيلية وتخرّجت برتبة ساعي بريد فقط ، بدأ وضعي يتحسن ، خطب لي والدي بنت عمي ، دون أن يستشيرني ، وهي معلّمة دين ، طبعاً وافقت لأنني لازلت أحمل لقب {الفوضوي} ، ومن يزوّج الفوضوي؟ ولم أكد أصدق أن أحداً يزوجني ، ولا أخفيكم كنت طمعان في راتبها! المهم تم الزواج وكان هذا عام 1428 هجرية ، ودخلوا عليّ زوجتي قبل الفجر بساعتين تقريباً! فسألتم عليّ وسألتمني عن حالي ، وهذه أول مرة يسألني أحد عن حالي ، بدلت ملابس الزفة ، وتوضّأت وطلبت مني أن أتوضأ ، توضّأت ورحنا المجلس! طلبت مني أن أصلي بها وتلعّثت ، آخر صلاة صليتها قبل سبعة أشهر في رمضان. المهم الله ساعدتني وصلّيت بها ركعتين فقالت لي: باقي ساعة ونص على الفجر ، ما رأيك نذهب لنصلي في الحرم ، وبعدها نأخذ فطوراً ونفطر وننام؟ طبعاً وافقت ، ولو تطلب أي شيء راح أوافق ، من تتزوج {الفوضوي} وعندها راتب؟ الله يسرها ، وصلينا الفجر ، وهذه الصلاة التي قلبت حياتي مائة وثمانون درجة درجة ، صلّى بنا الشيخ الشريم أنا لا أعرفه ، هي قالت لي اسمه ، قرأ في الركعة الأولى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ، رحمت في عالم ثاني وقلت في نفسي: والله أنا المقصود! خلصنا صلاة أخذنا فطور ونمنا ، بعد أسبوعين قالت: ما رأيك أراجع معك القرآن؟ أي قرآن يا بنت الحلال؟ كل الذي أحفظه أربع سور ، الفاتحة والإخلاص والمعوذتين ، وبقراءة مكسرة! حفظتني جزاها الله خيراً عدداً من قصار السور! بعدها عرفت أن هناك حلقة تحفيظ في الحرم بين المغرب والعشاء ، فطلبت مني أن أسجل فيها! طبعاً وافقت ، ولو تطلب أي شي راح أوافق ؛ زوجة مثالية في كل شي! كنت أقول هذه حرام يأخذها واحد فوضوي مثلي ، كل ما يبحث عنه الرجل فيها ؛ عقل ، دين ، جمال ، بنت ناس وراتب! صرنا نروح كل يوم قبل المغرب ، نصلي المغرب ، وأنا أروح حلقة التحفيظ وهي في قسم النساء! بقينا على هذه الحالة حتى حفظت ثلاثة عشر جزءً ، كنت سريع الحفظ وصوتي حلوا! وجاءتني ترقية في مدينة أخرى بعيدة عن مكة. كنت أتحين فرصة غياب إمام مسجدنا وأصلي بدلاً عنه إماماً للمسجد! وفي هذه الفترة ألحّت عليّ زوجتي حتى أكملت الثانوية (مسائي) ، ثم ألحّت عليّ وقرّمت في الجامعة منتسب في كلية الشريعة! وتفاجأت في أحد الأيام بإعلان وظيفة إمام وخطيب جامع ، وتم بحمد الله تعييني إماماً وخطيباً في مسجد صغير وكان هذا عام 1433 هجرية ، وهناك تفاصيل كثيرة جداً أختصرها! أصبحت زوجتي عندي بالدنيا ، ولو تطلب عيوني أعطيتها. تحوّلت من [الفوضوي] المشرد في الشوارع إلى خريج كلية شريعة ، وإمام وخطيب! فمن يصدق هذا؟ ولكن الصدمة التي لا أنساها كانت عام 1438 هـ حيث كانت تشتكي من صداع شديد ، وتبيّن بعد ذلك أنه ورم في الدماغ ، لم تكمل سنة مع هذا المرض ، وانتقلت إلى رحمة الله. ولي منها ثلاث بنات نسخة من أهمهم! وبعدها بسنة طلب إخواني أن يبحثوا لي عن زوجة ، فرفضت رفضاً قاطعاً ، وقفلت هذا الباب لأنني سأظلم الزوجة الجديدة ، وقلت لهم: رحلت وعوضني الله بثلاث! باختصار ، زوجتي أحييتني ثم ماتت. حوّلتني من [الفوضوي] إلى رب أسرة جامعي ومحل تقدير الجميع في عملي! وصدق الله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). فمن أجل اعتراف هذا الزوج المخلص بجميل امرأته عليه كانت هذه القصيدة ، تمتدح الإخلاص من جهة ، وتحض الآخرين عليه من جهة أخرى! والأمر على قاعدة: لا يشكر الله من لا يشكر للناس! إن ثقافة الشكر لا تصدر إلا عن أناس ظهرت نفوسهم ، وأدركوا ما للآخرين عليهم من حقوق ، فراحوا يقدرونها ويشكرون لأصحابها! ثقافة الشكر ، تلك الثقافة المهضومة المظلومة في زماننا! حيث ما عدنا نجد كثيراً

من هذا الصنف من الناس! وكأنه انقرض ، وكبرنا عليه أربع التكبيرات التي لا سجود لهن! وعموماً  
الله تعالى العفو والعافية! فرحمة الله تعالى على هذه الزوجة المباركة ندره الشيء لا تعني انعدامه! نسأل  
الطيبة التي لا نزيها على الله! وأنا إذ أكتب هذه القصيدة فأحث النساء المؤمنات على أن يكن مثلها!

يا زوجتي العصما عليك سلامي  
مازلت أذكر ما بذلتِ رضية  
من يوم عرسك والجمائل تزدهي  
علمتني معنى الحياة وأنسها  
لما أعدتني (الفوضوي) لحبشة!  
لولا التخبُّط في متاهات الهوى  
فأتيت لي في ذي الدغول نجدة  
أنقذتني من خيبتني وضالتي!  
فعرفت قدرك ، واحترمتك حسبة  
وصبغت عيشي بالموودة والهناء  
أكملت تعليمي ، ونلت شرافتي  
ووعيت من قرآن ربي حصاة  
ورزقت منك ثلاث عادات يقيم  
ثم اشتهت صداع رأس قاتل  
ورحلت عناد دون أي توقع  
أنا والبنات نجب قرب خلية!  
قالوا: تزوج! قلت: ليس كمثلها  
سأعيش تملوني بناتي عزة  
ولأمهن جميلها وعطاؤها  
ماتت ، وأعطتني الحياة ، ولم أكن  
للهم فارحنها ، وأعظم أجرها!

متوشحاً بتوجُّدي وغرامي  
والبذلُ يأسِرُ صافوة الأنام  
وتميسُ في بحبوحه الأتسام  
وغمرتني بمحبةٍ ووئام  
لقب جنيث به أسى استدامي  
مانال من عرضي لظي إجرامي  
فأخذت بالأيدي وبالأقدام!  
وهديتني لحقيقة الإسلام!  
يا فخر أهل طيبين كرام  
والقلب ودع سبي الألام  
وعلت كذلك رثيتي ومقامي  
وغدوت بين الناس خير إمام  
من بواجبي - والله - خير قيام!  
متدثر بتوجُّع وحمام  
والعيش أظلم غاية الإظلام!  
وفراقها ما كان في الأحلام!  
فضلي ، فكفوا اللوم يا أقوامي  
الأهل هن ، وسائر الأرحام  
والرد دين مفعم بسلام  
أحيا لأي مطامح ومرام  
واغفر لها ما كان من آثام!

## سفينة وسفينة!

(سفينة التايانيك) صنعها منات الأشخاص! وقال قائدها: حتى القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة! فغرقت في أول رحلة لها! بينما سفينة نوح عليه السلام صنعها شخص واحد ، وقال: (بسم الله مجراها ومرساها). فغرق العالم كله وهي الوحيدة التي نجت! عليك أن تعرف لمن تلجأ ، وبمن تستعين ، وبمن تُعَلِّق قلبك ، وعلى من تتوكل ، وإلى من تتجه! قال تعالى: "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ". أما سفينة نوح صلى الله عليه وسلم فقد خلدها القرآن ، كما خلدها السنة! وقد قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله له أمره أن يغرَس شجراً ليعمل منه السفينة فغرسه ، وانتظره مائة سنة ، ثم نجره في مائة أخرى. وقيل: في أربعين سنة. فالله أعلم. قال محمد بن إسحاق ، عن الثوري: وكان من خشب الساج. وقيل: من الصنوبر. وهو نص التوراة. قال الثوري: وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعاً ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار ، وأن يجعل لها جُوجواً أزور يشق الماء. وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً. وهذا الذي في التوراة على ما رأيته! وقال الحسن البصري: ستمائة في عرض ثلثمائة. وعن ابن عباس: ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع. وقيل: كان طولها ألفي ذراع ، وعرضها مائة ذراع ، قالوا كلهم: وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً ، وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشر أذرع ، فالسفلى للدواب والوحوش ، والوسطى للناس ، والعليا للطيور ، وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها. قال الله تعالى: "قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا". أي ، بأمرنا لك ، وبمرأى منا لصنعتك لها ، ومشاهدتنا لذلك لnrشذك إلى الصواب في صنعتها! "فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرِقون". فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه إذا جاء أمره ، وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات ، وغيرها لبقاء نسلها ، وأن يحمل معه أهله أي: أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم ، أي إلا من كان كافراً فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ، ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد ، وأمره أن لا يراجعه فيهم إذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد ، كما قدمنا بيانه قبل. المقصود بالتنور! والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض أي ، نبعث الأرض من سائر أرجائها حتى نبعث التناير التي هي محال النار ، وعن ابن عباس: التنور عين في الهند. وعن الشعبي : بالكوفة. وعن قتادة: بالجزيرة. وقال علي بن أبي طالب: المراد بالتنور فلق الصبح. وتنوير الفجر أي: إشراقه وضياؤه أي: عند ذلك فأحمل فيها من كل زوجين اثنين ، وهذا قول غريب! وقوله تعالى: "حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل". هذا أمر ثان عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين. وفي كتاب أهل الكتاب أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج ، ومما لا يؤكل زوجين ذكراً وأنثى ، وهذا مغاير لمفهوم قوله تعالى في كتابنا الحق: اثنين. إن جعلنا ذلك مفعولاً به. وأما إن جعلناه توكيداً لزوجين ، والمفعول به محذوف فلا تنافي. والله أعلم. وذكر بعضهم ، ويروى عن ابن عباس: أن أول ما دخل من الطيور الدرة ، وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار ، ودخل إبليس متعلقاً بذنب الحمار. وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه: وكيف نطمئن أو كيف تطمئن المواشي ومعنا الأسد؟ فسלט الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت

في الأرض ، ثم شكوا الفأرة فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى الأسد فعضت فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها. وهذا مرسل. وقوله: وأهلك إلا من سبق عليه القول. أي من استجبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه الذي غرق ومن آمن ، أي واحمل فيها من آمن بك من أمتك قال الله تعالى: "وما آمن معه إلا قليل". هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ، ودعوتهم الأكيدة ليلاً ونهاراً بضروب المقال ، وفنون التلطفات ، والتهديد والوعيد تارة ، والترغيب والوعد أخرى! وعدة من كان مع نوح في السفينة وقد اختلف في عدة من كان معه في السفينة! فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم نساؤهم. وعن كعب الأحبار كانوا اثنين وسبعين نفساً. وقيل: كانوا عشرة. وقيل: إنما كانوا نوحاً وبنيه الثلاثة ، وكنائنه الأربع بامرأة يوم الذي انخزل وانعزل وسلك غير طريق النجاة فما عدل إذ عدل. وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية ، بل هي نص في أنه قد ركب معه من غير أهله طائفة ممن آمن به. كما قال: "ونجني ومن معي من المؤمنين". وقيل: كانوا سبعة. وأما امرأة نوح ، وهي أم أولاده كلهم ، وهم حام ، وسام ، ويافث ، ويام ، وتسميه أهل الكتاب كنعان ، وهو الذي قد غرق ، وعابر. وقد مات قبل الطوفان. قيل: إنها غرقت مع من غرق ، وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها. وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة ، فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها أنظرت ليوم القيامة ، والظاهر الأول لقوله: "لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً". قال الله تعالى: "فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين". وأمره أن يحمده ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها ، وفتح بينه وبين قومه ، وأقر عينه ممن خالفة وكذبه ، كما قال تعالى: "الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون". وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة ، وأن تكون عاقبتها محمودة ، كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حين هاجر: "وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً". وإلى هنا أضرب الذكر عن سفينة نوح - صلى الله عليه وسلم - صفحاً! وأتجه إلى السفينة الإنجليزية: (التايتانيك) التي تتحدى القدر! والتي كان أول إبحار لها في 10 أبريل 1912 م ، من لندن إلى نيويورك عبر المحيط الأطلسي ، وبعد أربعة أيام من انطلاقها في 14 أبريل 1912 م اصطدمت بجبل جليدي عند الموقع 41°44' شمالاً و 49°57' غرباً قبل منتصف الليل بقليل ، مما أدى إلى غرقها بالكامل بعد ساعتين وأربعين دقيقة من لحظة الاصطدام في الساعات الأولى ليوم 15 أبريل 1912م. كان على متن الباخرة 2,223 راكب ، نجا منهم 706 شخص فيما لقي 1,517 شخص حتفهم. والسبب الرئيسي لارتفاع عدد الضحايا يعود لعدم تزويد الباخرة بالعدد الكافي من قوارب النجاة للمسافرين الذين كانوا على متنها ، حيث احتوت على قوارب للنجاة تكفي لـ 1,187 شخص على الرغم من أن حمولتها القصوى تبلغ 3,547 شخص. غرق عدد كبير من الرجال الذين كانوا على ظهر التايتانيك بسبب سياسة إعطاء الأولوية للنساء والأطفال في عملية الإنقاذ! برغم أنها صنعت وصممت على أيدي أمهر المهندسين وأكثرهم خبرة ، واستخدم في بنائها أكثر أنواع التقنيات تقدماً حينذاك! وكان غرقها صدمة كبرى للجميع حيث أنها مزودة بأعلى معايير السلامة! وكانت تحتوي على محركين بخاريين ذوي أربعة اسطوانات ثلاثي التوسع بالإضافة إلى توربين بخاري منخفض الضغط ، والذي بجانب المحركين البخاريين يعملون على تحريك المراوح ، والتي بدورها تدفع السفينة

إلى الإبحار. وهنالك 29 مرجل يتم تشغيلها باستخدام 159 فرن لحرق الفحم والقادرة على دفع السفينة بسرعة قصوى تبلغ 23 عقدة (43 كم/ساعة ؛ 26 ميل/ساعة). ثلاثة من الأربعة مداخن البالغ طول كل منها 19 متر (62 قدم) فقط هي التي تعمل ، أما الرابعة والمستخدمة في التهوية فقد وضعت بالأصل لجعل شكل السفينة مثيراً للإعجاب. الحمولة القصوى للسفينة تبلغ 3,547 شخص بما فيهم الطاقم! وتفوقت التيتانيك على منافساتها من حيث الفخامة والترف ، حيث تحتوي الدرجة الأولى على حوض سباحة وصالة رياضية وملعب اسكواش وحمام تركي وحمام كهربائي ومقهى ذي شرفة. كانت غرف الدرجة الأولى مزينة بتلابيس الخشب المزخرف والأثاث لركاب الدرجة الأولى مطبخ الباهظ الثمن وزخارف أخرى. بالإضافة إلى ذلك وفر مقهى باريسي مع شرفة مشمسة مزينة بالأزهار. بالإضافة إلى ذلك كان هناك مكتبات ومحال الحلاقة لركاب الدرجتين الأولى والثانية. أما غرف الدرجة الثالثة فقد كانت مزينة بخشب الصنوبر واحتوت على أثاث مصنع من خشب الساج الصلب! واحتوت السفينة على أحدث التقنيات المتوفرة في ذلك الوقت ، فقد كان هنالك ثلاثة مصاعد كهربائية في الدرجة الأولى وواحد في الدرجة الثانية. واحتوت أيضاً على نظام كهربائي شامل مع مولدات كهربائية بخارية ومصابيح كهربائية في أرجاء السفينة وجهازين لاسلكيين قدرة كل منهما 1,500 واط يعمل على تشغيلهما شخصين بنظام التناوب مما يضمن اتصال ثابت وإيصال الرسائل الصوتية للركاب في أي وقت. قام ركاب الدرجة الأولى بدفع مبلغ ضخم لأجل هذه المرافق ، فتكاليف الرحلة لأفضل جناح على متن السفينة باتجاه واحد عبر المحيط الأطلسي كانت تصل إلى \$4,350 (أكثر من \$95,860 في عام 2008). أما تكاليف باقي الغرف فقد بلغت \$150 لغرف الدرجة الأولى ، و\$60 لغرف الدرجة الثانية ، و\$40 لغرف الدرجة الثالثة. كانت السفينة تيتانيك أضخم سفينة ركاب شهدها العالم في ذلك الوقت حيث بلغ وزنها 52310 طناً ، وبلغ طولها 882 قدماً ، وبلغ عرضها 92 قدماً ، ويمكنك تصور هذه الضخامة بشكل آخر فالسفينة تيتانيك يمكن أن تعادل في ارتفاعها ارتفاع مبنى مكون من أحد عشر طابقاً علاوة على طولها الكبير الذي قد يعادل أربع مجموعات من الأبنية المتجاورة. ضمت سفينة التايتنك على ظهرها نخبة من أثرياء إنجلترا وأمريكا ، فكان من ضمن هؤلاء الأثرياء بل أتراهم جميعاً الكونيل جون جاكوب آستور البالغ من العمر 47 عاماً وهو حفيد عائلة آستور الألمانية الشهيرة بتجارة الفراء ، وقد مثل جون بنشاطه التجاري الضخم امتداداً لهذه التجارة إلى جانب امتلاكه لعدد من الفنادق العالمية. وفي هذه الفترة من الزمان كان آستور هو موضع أحاديث كثيرة خاصة في المجتمع الإنجليزي بعد الفضيحة الكبيرة التي تعرض لها فقد طلقته زوجته وتزوج بعد ذلك من فتاة صغيرة من نيويورك في عمر أحفاده ، فكانت تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً! وخلال هذه الرحلة كان آستور وزوجته الحامل مادلين في طريقهما إلى نيويورك بعد رحلة شتوية قاما بها في مصر وأوروبا ، لكنهما اختصرا جزءاً من زيارتهما لأوروبا وقررا العودة سريعاً للإقامة في أمريكا بعد حملة التشنيعات التي واجهها آستور خلال إقامته في أوروبا. كما ضمت نخبة الأثرياء بنجامين جاجنهيم سليل عائلته جاجنهيم الأمريكية ذات النشاط التجاري الضخم في استخراج المعادن! كما كان هناك الثري المعروف أزيدور ستروس وزوجته! وأزيدور هو صاحب أكبر مجمع تجاري في العالم (ميكيز) ، وبجانب هذه المجموعة السابقة والتي تمثل أثري العالم كان هناك مجموعة أخرى من الأثرياء ، ولكن بدرجة أقل قليلاً مثل الوجيه الأمثل آرثر ريرسون! وجون تاير مساعد رئيس هيئة السكك الحديدية بولاية بنسلفانيا ، وتشارلز هايز رئيس مجموعة الشاحنات الكندية ، وهاري مولسن سليل إحدى

العائلات الثرية بمونتريال والتي تعمل في مجال البنوك ومن أبرز طبقات المجتمع الإنجليزي ، وكان هناك سير كوزمو وزوجته ليدي دوف جوردن ، وكوزمو هو أمير إنجليزي ينتمي للعائلة المالكة ، أما زوجته دوف فهي مصممة أزياء شهيرة وصاحبه أكبر مجلات للأزياء في فرنسا والولايات المتحدة! وطبعاً السينما العالمية قامت بتقديم التايتانيك في فيلم رقيق يحمل الطابع الرومانسي الغربي المنحل الإباحي المرذول! وتدور أحداث فيلم "تيتانيك" الملعون في عام 1912م ، حيث تروي قصة روز ديويت بوكاتر (كيت وينسلت) ، وهي فتاة منحلة ثرية من الطبقة العليا ، تسافر على متن السفينة آر إم إس تيتانيك إلى أمريكا مع والدها القاسي (بيرت لانكستر) وخطبتها المستبد (بيلي زين). وفي الليلة الأولى من الرحلة تحاول روز الانتحار بالقفز من مقدمة السفينة ، لكن جاك داوسون (ليوناردو دي كابريو) ، وهو رسام فقير قادم إلى أمريكا لتحقيق حلمه ، ينفذها! وهنا تقع روز في حب جاك ، ويقع جاك أيضاً في حب روز. ومع ذلك فإن علاقتهما محظورة ، حيث لا يرى والد روز أن جاك مناسباً لروز! ويحتوي الفيلم على كثير من المشاهد التي تستحيي منها أشد العواهر والمومسات دعارة وعهراً وانحطاطاً وسفولاً! وفي ليلة 14 أبريل 1912م ، اصطدمت تيتانيك بجبل جليدي وغرقت. ونجا جاك وروز من الغرق الأول ، لكنهما وجدا نفسيهما محاصرين في حجرة صغيرة مع ارتفاع المياه! في النهاية يقرر جاك أن يبقى في الماء حتى تتمكن روز من البقاء على سطحها. يتجمد جاك حتى الموت ، وتتمكن روز من إنقاذ نفسها ، وتنتهي القصة بعودة روز إلى أمريكا لكنها تبقى على اتصال مع ذكرى جاك الرومانسية الحاملة! فأين من أين؟ أين سفينة نوح - عليه السلام - تلك السفينة التي صنعت على عين الله تعالى وبارشاد وتوجيه ورعاية منه ، تلك السفينة التي تحرسها الملائكة بأمر ربهم تبارك وتعالى ، سفينة النجاة والتسبيح والتكبير والتحميد والبركة والنعاء ، التي كتب الله لها السلامة لتبدأ البشرية بعد رسوها على جبل الجودي - عهداً جديداً! أين سفينة بهذا القدر من سفينة التايتانيك ، سفينة الهلاك التي اتخذت من السفول والإباحية والانحطاط سبيلاً لها؟! تلك السفينة التي كانت تحرسها الشياطين وترعاها العفاريت ، وليست من رعاية الله ولا من حفظه في شيء! أين سفينة السفول والتهلك تلك من سفينة الإيمان سفينة نوح النبي الرسول - صلى الله عليه وسلم -؟! يقول الله تعالى في وصف رحلتها: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ \* وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزَلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ سَأُوبِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ \* وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ!) ومن أجل المقارنة بين السفينتين والرحلتين ، كانت هذه القصيدة! شتان بين سفينة وسفينة! سفينة نوح عليه السلام ، وسفينة تايانك عليها اللعنة!

شـتـانَ بـينَ الطـهـرِ والإسـفـافِ	والوَعِي أخبـرُ بالدليل الوافي
الطـهـرُ يَبْقَى بـعدَ رحـلـةِ أهـلـه	والرَّجْسُ يَفْضَحُ أهـلـه ، ويُجـافي
شـتـانَ بـينَ سـفـينـةٍ وسـفـينـةٍ!	هـل حانـة كـالروضـة المئـناف!؟

فسفينة (نوح) تكلف صنعها  
وبوحي رب الناس كان بناؤها  
حملت بأمر الله أضخم حملها  
وجرت ، ومجريها الخبير بشانها  
ورست على (الجودي) أرساها الذي  
والظالمون المشركون ، فأبعدوا  
هل هذه يوماً كـ (تأيتك) الألى  
بنس السفينة جاهرت بفجورها!  
وتحدت الأقدار دون تحفظ  
إذ راها نبت دوماً على تصنيعها!  
وتعلقت بالخلق في إبداعهم  
وتقسمت غرفاً بضاعتها الهوى  
في غرفةٍ سُكَّرَ تدور كؤوسه  
أما الزناة فمارسوا في غرفةٍ  
وقمارهم في غرفةٍ حمت الربا  
وسباحة الركاب في أحواضهم  
ومراقص الأقوام تختل ناظراً  
لا شيء يستر راقصات مجونهم  
عفاً إذا صرحت! ما هو ديدني!  
عرواً نساءهم بدون مبرر  
عجباً لأعطاف النساء تشاحت!

موسومة التصنيع والأهداف  
معروفة الأبعاد والأوصاف  
والموج كالأجبال في الرجاف  
سبحان ربي ذي الجلال الضافي  
خلق الأنعام ، الله ذو الألطاف!  
أقصاهم المولى المليك الكافي  
عمدوا إلى الإفساد والإسفاف!  
وتحدت المولى بكل تجاف!  
وأوتت إلى التبجيل والإسراف  
والجذق في التصنيع ليس بخاف!  
وتفاخرت بالسادة الأشراف  
ولهزلها كل القلوب هواف  
وقد احتوت طبعاً لذيد سلاف!  
عهرًا مظاهره بدت ، وخوافي!  
فيها تبدد ثروة المستاف!  
ونسأوهم يختلن في الأفواف!  
فالعريُّ محتفلٌ بجعر هتاف!  
بدعاً من الأعناق للأرداف  
لكن كرهت تبجح الأجلاف!  
متصنعين فضول الاس تخفاف  
أوليس من أهل لذي الأعطاف!؟

أوليس من خُمِر على الأكتاف؟!  
رَسَّامُه متخبط أو غاف!  
بالفحم يرسم لاهثاً ويوافي  
في شعرها ، عجباً للاستظراف!  
هذي السفينة مَدْفُن الأضياف!  
وتسيرُ في كِبَر وفي استشراف  
والماء مثل الوابل الغرَّاف!  
بلغت نهايتها بغير (عوافي)!  
والله ما استويا سَوا وتكافي!  
أما الشُّراعُ ففوق سطح طافي  
ورحيل (جاك) غاية الإنصاف!  
من سيئ الأخلاق والأعراف!  
بنجاتها ، وعد الإله الكافي  
فأذاقها منه الدَّواء الشافي!

وتعرت الأكتاف في سُوق الخنا  
وعلى السفينة مرسم مُتهتك  
اعتاد رسم العاريات بلا حيا  
لا يستر الغيذاء إلا (توكاة)  
ماخورُ إغواءٍ يُصارغ بحرَه  
وتريدُ من ربِّ السماء نجاتها  
مخرتُ عباب الماء ، لم تعبأ به  
حتى إذا اصطدمت بصخر جليدها  
جبل الجليد أذاقها جبروته  
هو شققها نصفين دون تردُّدٍ  
ونجاة (روز) وحدها مقصودة  
حتى تُعاني وحدها ما قدمتُ  
شنتان بين سفينة موعودة  
وسفينة كفرت بأنعم ربِّها

## طبع القط أن يخمش!

(إذا كان من طبع القط أن يخمش ، فمن طبعي أنا كإنسان أن أحب وأعطف! لهذه الكلمة مناسبة وقصة! ذات يوم جلس عجوز حكيم على ضفة نهر ، وفجأة لمح قطاً وقع في الماء ، وأخذ القط يتخبط ؛ محاولاً أن ينقذ نفسه من الغرق ، قرر الرجل أن ينقذه ؛ مد له يده فخرمشه القط! فسحب الرجل يده صارخاً من شدة الألم! ولكن لم تمض سوى دقيقة واحدة حتى مد يده ثانية لينقذه ، فخرمشه القط ثانية فسحب العجوز يده مرة أخرى صارخاً من شدة الألم ، وبعد دقيقة راح يُحاول للمرة الثالثة! وعلى مقربة منه كان يجلس رجلٌ آخر ويراقب ما يحدث! فصرخ الرجل: أيها الحكيم ، لم تتعظ من المرة الأولى ولا من المرة الثانية ، وها أنت تحاول إنقاذه للمرة الثالثة؟ لم يأبه الحكيم بتوبيخ الرجل ، وظل يحاول حتى نجح في إنقاذ القط ، ثم مشى الحكيم باتجاه ذلك الرجل وربت على كتفه قائلاً: يا بُني من طبع القط أن يخمش ، ومن طبعي أنا أن أحب وأعطف ؛ فلماذا تريدني أن أسمح لطبعه أن يتغلب على طبعي؟! يا بني: عامل الناس بطباعك لا بطباعهم ، مهما كانوا ومهما تعددت تصرفاتهم التي تجرحك وتؤلمك في كثير من الأحيان ، ولا تأبه بتلك الأصوات التي تعتلي متن كبريائك طالبة منك أن تترك صفاتك الحسنة ، لمجرد أن الطرف الآخر لا يستحق تصرفك النبيل! جاء في إسلام ويب ما نصه: (الطبع: ما جبل عليه الإنسان ، جاء في لسان العرب: طبع: الطنُّع والطبيعةُ: الخليفةُ والسَّجِيَّةُ التي جُبِلَ عَلَيْهَا الإنسان. انتهى. وأما التطبع: فتكلف طبع لم يجبل عليه الإنسان ، جاء في شمس العلوم: التَّطْبِعُ - تَطْبَعُ أمرًا: إذا تَكَلَّفَ غيرَ طَبْعِهِ ، يقال: الطَّبِعُ يَغْلِبُ التَّطْبِعُ. انتهى. فإذا جُبِلَ الإنسان على النشاط ، والحلم ، والكرم ، والشجاعة ، وحب العلم ، ونحوها ، فهو طبع ، وأما إذا جُبِلَ على الكسل والعجلة ، والبخل ، ونحوها ، فتكلف أن يكون نشيطاً حليماً ، كريماً ، فهذا من التطبع ، وحيث إن الله شرع لنا حسن الخلق والعفو ، ونحو ذلك ، فهو مقدور لنا ، وإن لم يُطبع بعضنا عليه ، ولكن يمكنه اكتسابه).هـ.

وتحت عنوان: (الطبع والتطبع) يقول الأستاذ علي سلطان علي السيد ما نصه بتصرف يسير: (الأشياء لها صفات ثابتة (فطر) لا تتغير بمرور الزمن ، فالنار تحرق ، والثعبان يلدغ ، والكلب يعض ، والأسد يفترس. فلم نسمع يوماً عن تغير حقائق (جواهر) هذه المخلوقات إلا في حالة معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء! فالنار فقدت خاصية الإحراق بأمر الله ، فلم تحرق خليل الرحمن ؛ (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) والثعبان ذو السمّ الناقع جاء يوماً إلى العابد الزاهد (إبراهيم بن أدهم) وهو نائم ، جاءه الثعبان وفي فمه طاقة نرجس. والكلب كان أنيساً لأهل الكهف ؛ (وَكَلَبُهُمْ بِأَسْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ). ولعلنا نلاحظ أن الله تعالى راعى طبيعة الكلب ، وجعل مكانه (الوصيد) ؛ أي: باب الكهف ؛ حتى يتسنى للملائكة دخول هذا الكهف ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب. والأسد كان دليلاً لأحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم "سفينة" مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كُسِرَ به المركب ، وخرج إلى جزيرة. أما في غير المعجزات والكرامات فطباع المخلوقات وخواصها لا تتغير ، ثابتة على ما فطرها الله تعالى حتى قيام الساعة ، فلا يعقل أن يكون (الثعبان) صديقاً للإنسان ، أو يكون الذئب حارساً للأغنام ، إن من عنده مسكة عقل يستنكر ذلك).هـ. من أجل هذا الموضوع الفذ ، الذي هو غلبة الطبع على التطبع ، كانت هذه القصيدة العصماء الفذة ، لتبين غلبة الطبع على التطبع! وهذا الأمر مشاهد!

هل لطبع في الخلق كانت نهاية ثم خصت يوماً سواه بداية!؟

بين طبع فرق يُرى والدَّعاية  
ما يُغطي سَرداً لألف حكاية  
إنما الرفسُ للحمير هواية  
إنما النطخُ جُنّة ووقاية!  
كل نبح له سِجالٌ وراية!  
إن طبع التخميش للقط آية!  
في سبيل العطاء أعتى نكاية  
من أساها يطغى الجفا والشكاية  
واضعاً للمعروف أخزى نهاية!  
ليس نارٌ تكوي كِنار الوشاية!  
عيشةٌ يحلو باختلاق الإذاية  
أفسدتها بين الأنام الغواية!  
فالصفا يدعونا لبذل العناية  
واحتسابُ الجهود أنبل غاية  
ربما أجدتُ في الخِلاف الوصاية  
لم يمتُ حتى خصّنا بالهداية  
إن صنّع الأهواء أنكى جناية  
إن بذل الخيور أجدى سِعاية!

الطباعُ تبقى ، وتمضي الدَّعاوى  
من يعيشُ يُدركُ من طباع البرايا  
هل حمارٌ لم يرفسَ الناسَ يوماً؟!  
كيف يحيا ثورٌ بدون نطاح؟!  
هل كلابٌ تحيا بغير نباح؟!  
هل يعيشُ قط بلا خرمشات؟!  
فاصبروا يا أهل العطا ، واستطيبوا  
كل بذلٍ تتناهبه عرقلات  
كم جهولٌ يُسيئُ في الناس ظناً  
كم غشيمٌ يُوشي لئوقد ناراً!  
كم سفيةٌ يُؤذي بغير اكتراث!  
كم غوي ضاقتُ به ذاتُ بين  
فاعتنوا يا أقوامنا بالتصافي  
إن لمَّ الشممُ المُبعثر فرضاً  
واذكروا ما أوصى (النبيُّ) مراراً  
هل كمثل هدي (النبيِّ)؟! أجيبوا!  
واحدروا من أهواء تجني علينا  
قوم فاسعوا إلى الخيور احتساباً

## عجوز مباركة!

### (بركة الوالدين وقصور فهم الأبناء)

(تروي طبيبة تحاليل شابة ، ذات يوم دخلت علي المعمل شابة ومعها ابنتها الصغيرة وسيدة أخرى كبيرة! وكانت الشابة تجر السيدة الكبيرة جرًا من يدها ، فشعرت الطبيبة بالغضب لكنها تماكنت نفسها وقالت للشابة: رفقا بالسيدة العجوز لماذا أتيت هنا اليوم؟ قالت الشابة: أريد أن أجري لها تحليلاً لمرض السكري وأتمنى أن تكون مصابة به وتموت لأرتاح منها ، على الفور خمنت الطبيبة أن تلك السيدة هي أم زوج الشابة فقالت لها: رفقا بأم زوجك فهي مثل أمك ، ولا يجب أن تتعامل معي معها بمثل تلك الطريقة ، فقد أنجبت لك زوجك وسهرت عليه وربته ، وكانت المفاجأة أن قالت لها الشابة: إنها ليست أم زوجي ، بل هي أمي ، لكنها لم تجلب لي سوى المشاكل ، فهي تعيش معي منذ خمس سنوات ، منذ أن كان زوجي عامل بناء بسيط ، واليوم أصبح زوجي مقاولاً كبيراً ، وهذه السيدة تسبب لي الكثير من المتاعب ، وأخشى أن يطلقني زوجي بسببها! هل تتخيلي أنها تقوم برش الماء من الشباك على المارة ، ثم قالت الابنة: هل تعرفين مكان دار مسنين لأضعها فيها ، ففكرت الطبيبة بعض الوقت وقالت: عندي لك حل ؛ سيرحك ويريحها! إنني أعيش مع أمي وأخي الصغير فقط ، ومنزلنا كبير ، وأنا أستطيع رعايتها ، وعندما تشاقين إليها يمكنك المجيء لزيارتها في أي وقت ، ففرحت الابنة ، وغادرت العيادة على الفور ، وكأنها قد تخلصت من عبء ثقيل ، وعندما انصرفت قالت الأم بكل براءة: أيرضيك يا ابنتي أن تضربني على وجهي لأنني أرش ماءً على المارة في الأيام الحارة لأخفف من حرارة الجو ، قالت الطبيبة: لا يرضيني يا أمي ، ومن اليوم سوف تقيمين معنا ، وسوف تفرحين كثيراً مع أمي ، وبعد انتهاء العمل اصطحبت الطبيبة السيدة معها ، وطلبت من أمها أن تكرمها ، وقد فرحت الأم أنها ستجد شخصاً يؤنسها في وحدتها ، وأصبحت تعاملها كأخت لها ، وبعد أسبوعين فقط من إقامة السيدة مع الطبيبة ، زارتها إحدى قريباتها وأخبرتها أن هناك خاطين يريدان التقدم لرويتها ، وتمت ترقية الطبيبة ، فقالت الطبيبة لأمها: سبحان الله يا أمي لقد تقدم لي خطيبان وأنا في الثلاثين من عمري ، وترقيت في عملي وكل ذلك ببركة تلك السيدة العجوز ، وقبل أن يمر شهر أتت الابنة لمنزل الطبيبة ، وقالت لها: أريد أمي أيتها الطبيبة ، فمنذ أن تركت أمي والمصائب تطاردني ، فقد سقط أحد المنازل التي بناها زوجي دون أن نعرف السبب ، وهو الآن محبوس في قسم الشرطة وابني مريض بالمستشفى ، لقد رزقنا الله عز وجل المال والأولاد والهناء وراحة البال عندما كانت تعيش معنا ، أما الآن فقد زالت البركة من منزلنا بسبب عقوبي لها ، وعندئذ خرجت الأم من حجرتها التي خصصتها لها الطبيبة ، وقالت لابنتها: أهلاً بك يا ابنتي لقد اشتقت لك كثيراً ، وسوف استأذن ابنتي الطبيبة لأعود معك حتى أهتم بك وبأبنائك ، حتى يزيل الله الكرب عنك وعن زوجك بإذن الله! والحكمة من هذه القصة المؤثرة: أن من خسر رضى والديه خسر الدنيا والآخرة فهما حقاً تأشيرتك إلى الجنة ، فتأملها وراجع نفسك يا هذا قبل فوات الأوان! والعاقل من وعظ بغيره! جعلنا الله جميعاً من البارين بأبائهم وأمهاتهم لوجه الله!)

ملها الكليل ، وقالوا: شائنة

ولعرف الناس ليست صائنة

تبذر الشحاء تستعدي بها

ما تلاقى من نفوس حاقة

وَمِنَ التَّوْبِيخِ تُمَسِّي أَمْنَةَ  
وَارْتَجَيْتِ مَوْتاً لَأُمِّ شَانِنَةَ  
قَبَلْتُ بِالطَّوْعِ دَوْرَ الْحَاضِنَةِ  
ثُمَّ زَوَّيْتُهَا بِدَارِي الشَّاطِنَةِ!  
فَرَصَةَ لَاحِتْ لِبْنَتِ غَابِنَةَ  
وَانْقَضَتْ بِلَوِي ، وَزَالَتْ شَاجِنَةَ  
وَأَمُورُ الْعَيْشِ أَمَسَتْ سَادِنَةَ  
فَاسْتَحَالَتْ لِلْبِرَايَا دَانِنَةَ!  
بَعْدَ أَحْوَالِ الْبِلَاءِ الطَّاحِنَةَ  
بِسُنَا الْمَعْرُوفِ كَانَتْ زَائِنَةَ  
بِحَيَاةٍ بِالتَّرْدِي آسِنَةَ  
لَمْ تَكُنْ لِلوَدِّ يَوْمَ صَانِنَةَ  
ثُمَّ صَارَتْ بِالتَّعَدِّي طَاعِنَةَ  
عِيشَةَ فِيهَا السَّجَايَا بَانِنَةَ  
عَزَمْتُ أَنْ لَا تَكُونَ الْخَانِنَةَ  
ثُمَّ بَاتَتْ بَعْدَ لَأَيِّ سَاكِنَةَ  
أَنْكَرْتُهَا دُونَ وَعِي رَاعِنَةَ  
لَيْتَهَا كَانَتْ لِهَذَا فَاظِنَةَ!

تَزْرَعُ الْبَغْضَاءَ فِي أَوْسَاطِنَا  
صَاحِبَتُهَا لِلتَّوْبِيخِ بِنْتُهَا  
وَهَنَارَقَتْ لَهَا (دِكْتُورَةَ)  
إِيهِ يَا أَخْتُ اجْعَلِينِي بِنْتَهَا  
فَارْتَضْتُ فَوْرًا ، وَلَا لَمْ تَعْرَضُ  
فَإِذَا بِالْخَيْرِ يَأْتِي مُقْبَلًا  
وَاهْتَمْتُ فِي عَيْشِهَا (دِكْتُورَةَ)  
كَمْ أَدَلْتُهَا دِيُونِ أَمَحَلْتِ  
وَإِذَا التَّيْسُ يُرِيغُ شَيْءَ أَهْلَهَا  
وَالْعَجُوزُ عَاشَتْ رَتْنَهُمْ عِشْرَةَ  
لَكِنِ الْبِنْتُ ابْتَلَاهَا رَبُّهَا  
وَاعْتَلَى الضَّنْكَ ذَرَى أَيَامِهَا  
ابْنَةُ الْعِشْرِينَ ، لَكِنِ شُيْبَتْ  
أَرْجَعْتُهَا دَارَهَا ، تَرْجُو بِنَا  
نَدِمْتُ أَنْ فَرَطْتُ فِي حَقِّهَا  
فَالْعَجُوزُ لَقَنْتُهَا دَرَسَهَا  
بِرَكَاتِ السُّنْتِ تُزْرِي بِأَلْتِي  
سَلَفٌ مِنْ بَعْدِ دَيْنِ بِنَانَا

## فرعون وملأه وجنده!

(يخطيء كثيراً من يظن أن شخصية فرعون قد انتهت وذهبت إلى مزبلة التاريخ وانتهى خبرها! بل إنها متكررة على كر الدهور وتعاقب العصور! وهي باختصار تتمثل في كل من يتجاوز حده فيستطيل على الحق ويعلو بباطله وينتفش بصولجانه وقوته ، زاعماً أنه قد أعجز الله رب العالمين! ومن هنا فليس عجباً أن يظل ذكر فرعون مع موسى عليه السلام في إحدى وثمانين سورة من سور القرآن الكريم من أصل مائة وأربعة عشر سورة! فهل كان ذلك من فراغ؟! وتحت عنوان: (وقفات وعبر في قصة موسى وفرعون) يقول الأستاذ عمر بن عبد الله بن مشاري المشاري ما نصه بتصريف زهيد: (إنه في العاشر من هذا الشهر شهر الله المحرم نصر الله نبيه موسى - عليه السلام- ، بمعجزة إلهية ، بأن أغرق فرعون وجنوده في البحر ، وفي هذه القصة من المواعظ والعبر ما فيه مُدَكَّر ، وهي على وقفات: الوقفة الأولى: أنَّ التكبر والطغيان وسفك الدماء المعصومة صفة من صفات فرعون ، فقد كان يُذَبِّح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم. ومما اتصف به فرعون أنه جعل الناس طوائف متفرقين ليسهل عليه التصرف فيهم وتنفيذ ما أراده بينهم ، وهكذا هم جبابرة الأرض من الأعداء يسعون لتفريق شمل الأمة الإسلامية يجعلهم فرقاً وشيعاً وأحزاباً يتناحرون فيما بينهم. ونحمد الله الذي ينصر أوليائه ويؤيدهم ، ويهلك الطواغيت بقوته ويقهرهم بقهره ، واعتبروا بما حصل للجبابرة الطواغيت من عذاب الله وسخطه ونقمته وأليم عقابه. قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهَا شَيْعاً يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ) ، قال الإمام السعدي معللاً ذبح فرعون لأبناء بني إسرائيل بقوله: "خوفاً من أن يكثرُوا ، فيغمروه في بلاده ، ويصير لهم الملك". (تفسير السعدي ص: 612). ومما اتصف به فرعون أنه جعل الناس طوائف متفرقين ليسهل عليه التصرف فيهم وتنفيذ ما أراده بينهم ، وهكذا هم جبابرة الأرض من الأعداء يسعون الوقفة الثانية: لتفريق شمل الأمة الإسلامية يجعلهم فرقاً وشيعاً وأحزاباً يتناحرون فيما بينهم. أن فرعون لما طغى وكذب رسول الله موسى - عليه السلام- وادعى أنه إله قومه في جرأة عظيمة على الله تعالى لم يبلغها أي إنسان ، ونفى أن يكون يعلمُ إلهاً غيره لهم ، ولما كان في سابق علم الله أنه لن يهدي فرعون ولا من تبعه ، فإن موسى - عليه السلام- دعا عليه وعلى أتباعه بقوله: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمَسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتِكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). الوقفة الثالثة: أن الله استجاب دعاء نبيه موسى - عليه السلام- ، قال السعدي: "أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً وأخبره أنهم يُتَّبَعُونَ ، وأرسل فرعون في المدائن حاشرين فجمع جنوده قاصيهم ودانيهم فأتبعهم بجنوده بغياً وعدواً باغين على موسى وقومه ومعتدين في الأرض وإذا اشتدَّ البغي واستحكم الذنب فانتظر العقوبة ، وذلك أن الله أوحى إلى موسى ، لما وصل البحر ، أن يضربه بعصاه ، فضربه ، فانفلق اثني عشر طريقاً وسلكه بنو إسرائيل ، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين ، فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر ، وفرعون وجنوده داخلين فيه ، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجزم بهلاكه (قَالَ وَجَنُودِهِ فَأَغْرَقَهُمْ ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ فِرْعَوْنَ الْغُرُقُ أَمْنَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ). ولكن لن ينفعه إيمانه كما جرت عادة الله ، أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة

الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم ؛ لأنَّ إيماناً مشاهدًا كإيمان من ورد القيامة ، والذي ينفع ، إنما هو الإيمان بالغيب". (تفسير السعدي، ص: 372). الوقفة الرابعة: أنَّ مصير العتاة والجبابرة والظلمة والمفسدين في الأرض ، إنما هو الهلاك ، فلقد أهلك الله فرعون وهامان وجنودهما وأهلك عاداً الأولى ، وتمود فما أبقى ، وأغرق قوم نوح ، وأنَّ الله -جلَّ في علاه- سيهلك كلَّ من سار على ما سار عليه أولئك المكذبون الطواغيتُ المجرمون ، فكلمًا زاد طغيانهم وإفسادهم كلما قُرب هلاكهم وزوالهم. الوقفة الخامسة: أنَّ الله -تعالى- أهلك فرعون وقومه في يوم عاشوراء فصامه اليهود شكرًا لله على نجاة موسى وقومه وغرق فرعون وقومه ، في الحديث المتفق عليه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ" ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: قَدِمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟" قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَصَامَهُ مُوسَى ، قَالَ: "فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ" فَصَامَهُ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ". وفي صحيح مسلم عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، يَقُولُ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ" ، قَالَ: فَلَمَّ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ ، حَتَّى تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .هـ. ولعل هذه الوقفات الدقيقة كانت قد بينت شيئاً من طبيعة الصراع المزمع بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة! لقد كان موسى عليه السلام يواجه طغياناً تمثله دولة منظمة بكل عتادها وقوتها وبطشها وجبروتها! فلم يكن يواجه عصاباتٍ أشبه ما تكون بقطاع الطريق كعرب الجاهلية الذين أحرقتهم الثارات وأكلتهم الإغارات بلا هدفٍ ولا غاية! وتحت عنوان: (ذكر خبر فرعون) يقول الأستاذ إسماعيل القاسم ما نصه بتصريف: (تقف وقفات مع أحداثٍ عظامٍ مرت على نبي الله موسى -عليه السلام- حيث عانى أشد المعاناة مع رجل لم يمر في التاريخ مثله ، إنه فرعون ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن المعلوم أن قصة موسى -عليه السلام- وما جرى ولهذا هي أعظم قصص له مع فرعون وغيره ، أعظم وأشرف من قصة يوسف! بكثيرٍ كثير الأنبياء التي تذكر في القرآن ، ثناها الله أكثر من غيرها ، وبسطها ، وطولها أكثر من غيرها". نعم! قص الله في القرآن الكريم ، قصصاً متنوعة ، تمثل الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، بين الحق والباطل ، وذكر قصص الأنبياء والمرسلين ، وأعمال الطغاة الظالمين ، على اختلاف وسائلها ، وتنوع أساليبها ، وتعدد أسبابها ، وتباين قدراتها ، ولكن نهايتها واحدة في جميع الأحوال ، قال -سبحانه-: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ). وقد ذكر الله قصته في كتابه المجيد مفصلةً وموجزةً ، لناخذ منها الدروس والعبر ، ولنا فيها وقفات: الوقفة الأولى: أن مشيئة الله نافذة على كل أحد -الملك والمملوك ، والصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، والغني والفقير - ، حيث قدر الله لموسى -عليه السلام- ما يخشاه فرعون من زوال ملكه - أن يعيش في قصر فرعون ، يشرب من شرابه ، ويطعم من طعامه ، ويلهو في قصره ، وكان قبل ذلك يقتل الولدان كلهم ، لما أثار في كتب أهل زمانه أنه ستخرج من ذرية إبراهيم -عليه السلام- من يكون هلاك ملك مصر على يديه ، وقيل: لرؤى رآها فرعون ، ولكن لا يغني حذر من قدر ، والله غالب على أمره ، وامتّم نوره ولو كره الكافرون. الوقفة الثانية: أن الله بعث موسى -عليه السلام- إلى فرعون وقومه ، وقد بلغ فرعون في الطغيان مبلغه ، وادعى لنفسه الربوبية ، فقال لقومه: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) ، وقال: (مَا عَلِمْتُ

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ، وقال لموسى - عليه السلام -: (قَالَ لَنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوتِينَ). ووصف الله حاله: (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) ، ووصفه الله (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) ، فبعث الله موسى - عليه السلام - وهو صفوة خلقه في ذلك الزمان إلى أردأ خلقه فرعون ، فدعاه موسى وهارون بأجمل عبارة ، وألطف كلمة ، عملاً بقول الله لهما: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى). وهكذا خطاب الداعي ثريته الحكمة والموعظة الحسنة ، عملاً بقول الله - تعالى -: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). الوقفة الثالثة: أن فرعون حين ادعى الربوبية لم يستطع مواجهة موسى وهارون - عليهما السلام - بها ، حيث قال لقومه: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) ، زاعماً أنه لا يعرفه ، وأنه لا يعلم لهما إلهاً غير نفسه ، كما قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي). وهذا تجاهل عارف بأنه عبدٌ مريبٌ لرب العالمين ، وذلك في قوله - تعالى -: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ) ، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ، (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى). فألقمه الحجة ، فلم يملك فرعون أي مناقشة لهذه الإجابة ، فانتقل مباشرة للسؤال الثاني: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) ، ثم ذكر موسى - عليه السلام - لفرعون الآيات الدالة على كمال قدرة الله (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكٌ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى). الوقفة الرابعة: أن الله - عز وجل - لم يعذر قوم فرعون في طاعتهم المطلقة له حين قال لهم: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) ، لذا قال: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) ، أي: خارجين عن طاعة الله. بل قال عن موسى - عليه السلام - ودعوته: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ) ، ولو اتبعوا دعوة موسى لنجوا من عذاب الله ، ولكن اتبعوا أمر فرعون: (وَمَا أُمِرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) ، وقوله - تعالى -: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى) ، و(وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ). وعند دخول النار فإن فرعون يتقدم قومه لدخولها (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ \* وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَّ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) ، والنار يعرضون عليها صباحاً ومساءً قال - تعالى -: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِالْأَرْضِ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ). الوقفة الخامسة: حيث دعا موسى - عليه السلام - ربه أن من أعظم ما يستعين به المسلم في شؤون حياته الدعاء حين أمره بدعوة فرعون فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي). وموسى - عليه السلام - لم يتكل على قوة بدنه فحسب ، بل دعا الله والتجأ إليه ، وإلا موسى - عليه السلام - وهبه الله قوة في البدن ، ذكرها الله في حالة قتل الفرعوني: (فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) ، ورفع صخرة ماء مدين لتسقي منه المرأتان ، وكان رفعه لها وحده. قال ابن كثير - رحمه الله -: "ولا يطبق رفعها إلا عشرة رجال ، وفيه من قوة القلب ما جعله يفتق عين ملك الموت كما في الصحيحين حين جاءه في صورة بشر". ومع كل ذلك دعا موسى - عليه السلام - ربه أن يبسر له المهمة ، فخاف على نفسه فطمأنه الله (قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) ، فدارت رحى المحاجة ، وألقت الحجة ، وبلغ البلاغ المبين ، ولم يتطاول فرعون على موسى - عليه السلام - بأذى ، لا بقول ولا بفعل ، حيث معية الله الخاصة لأبيانه - عليهم السلام - نصرًا وتأييدًا ، وكذا حفظ نبيينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه في الغار

حين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا). ومن الوقفات: أن الله أيد نبيه موسى -عليه السلام- بالمعجزات الباهرات ، قال -سبحانه-: (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والمعجزات دليل على إثبات الخالق وعلى صدق رسوله ، كما كان إظهار موسى للآيات -مثل العصا ، واليد- دليل على الصانع وصدق الرسول" لكن فرعون وقومه تناولوا على موسى -عليه السلام- فكان صنيعهم أنهم: (مِنْهَا يَصْحَكُونَ). فأرسل الله عليهم صنوفاً من الابتلاء ، قال -سبحانه-: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) ، وكان من تطاوله على كلهم الرحمن موسى -عليه السلام- أن قال متهمكاً: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ). وقال محققاً لبني إسرائيل: (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) ، فلم تنفعهم هذه الآيات والبراهين في قبول الحق وقد بالغوا في الكفر والعناد والاستهزاء بموسى -عليه السلام-: (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ). ومن الوقفات: لما بلغ موسى -عليه السلام- فرعون وقومه ، أوحى الله لموسى وهارون -عليهما السلام-: (أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ، أي: تكون بيوتهم مميزة عن بيوت الأقباط ، ليكونوا على استعداد للرحيل إذا أمروا ، وأن يكثرُوا من الصلاة فيها ليستعينوا على ما هم فيه من الشدة والكرب. كما قال -سبحانه-: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ). وكان النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حزبه أمر صلى" (رواه أبو داود). ثم دعا كلهم الله على فرعون وقومه بقوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ). فأوحى الله لموسى -عليه السلام- بالخروج: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ) وتبعهم فرعون وجنوده (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ): عند طلوع الشمس (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) ، أي: رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه ، (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ). وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى البحر ، فصار البحر أمامهم ، وفرعون وجنوده خلفهم ، (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) ، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى -عليه السلام- أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه فانفلق ، (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ). فجعل الله البحر المتلاطم الأمواج برًا يابسًا يسير عليه موسى ومن معه: (فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) ، قيل: انفلق اثني عشر طريقًا لكل سبط طريق يسرون فيه ، من غير خوف من أن يدركهم فرعون ، أو أن يغرقوا. فلما خرجوا منه متكاملين ولحقهم فرعون وجنوده ودخلوا فيه متكاملين ، غشيهم من اليم ما غشيهم ، فجعل الله نجاتهم موسى ومن آمن معه وهلاك فرعون وجنده آية: (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ). وفي هلاك فرعون آية وعبرة ، فقد هلك بما كان يفتخر به بقوله: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) ، قال الله في هلاكه: (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ). وكان في هلاكه عبرة لأهل زمانه ، قال الله -عز وجل-: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً) ، فخرج عدو الله فرعون إلى مكان هلاكه تاركًا النعيم والمقام الكريم ، قال -سبحانه-: (فَأَخْرَجْنَاَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ). وانتقلت النعم منهم إلى بني إسرائيل: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) ، فأنزلهم الله منزلاً مرضياً ، قال -تعالى-: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ). وقد فعل -تعالى- ذلك بهم،

وهذا حكم الله في الظالمين (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ). هـ. ومن هنا يتبين لنا أن سنة الله تعالى جرت بأنه لا تمكين قبل تمحيص ومواجهة وغرلة لأهل الحق! وأن العاقبة للتقوى في نهاية المطاف! فهما علا شأن الباطل وانتفخت أوداجه وكثر أنصاره ، فإن هذا لا يعني أبداً أنه المنتصر في النهاية! إنما هي جولات من الصراع بين الحق والباطل! وللحق في النهاية الانتصار والتمكين! وتلك سنة يقر بها التاريخ في كل معركة بين حق وباطل! مهما كانت قوة الباطل وضعف الحق! النصر والتمكين في النهاية للمؤمنين! وليس هذا قاصراً على قصة موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة! إنما هذه سنة مضت في الأنبياء والمرسلين ، وهي باقية في الصديقين والشهداء والصالحين إلى قيام الساعة. وتحت عنوان: (اعتبروا يا دعاة الضلالة من فرعون) يقول الأستاذ أحمد شريف النعسان ما نصه بتصريف: (كونوا على ثقة بأن الشرق والغرب وأذناهم من المنافقين يكيدون لكم كيداً من أجل فتنكم في دين الله - عز وجل- ، وجعلوا السلاح ضدكم النساء السافرات المتبرجات ، فأنتم ترون النساء المتبرجات في كل مكان ، في الطرقات وفي الأسواق وفي الدوائر وفي المؤسسات ، وعلى أجهزة الإعلام بأنواعها ، وضيقوا عليكم أسباب الزواج فما أنتم فاعلون؟ هل تنزلق أقدامكم من خلال رسالة أو صورة أو مقطع فيديو تُرسل إلى جوالكم؟ أم تعصمون بالله -تعالى- وتطلبون منه الحفظ والعناية كما حفظ عباده الصالحين؟ يا عباد الله: قولوا لدعاة الضلالة: يا دعاة الضلالة: اعتبروا من فرعون ، حيث كان رأساً في الضلالة والإضلال ، حيث قال: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى). وقال: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي). وقال: (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ). وقال في حقه وحق قومه مولانا -عز وجل-: (وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ \* الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ \* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ). قولوا لدعاة الضلالة الذين يريدون الفساد في الأرض: هذا الطاغية لقد أرسل إليكم رسالة عندما وقع سياق الموت ، فهل تنبّهتم لها؟ رسالته أرسلها إلى كل طاغية من بعده ، فقال عندما أدركه الغرق: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ). تذكروا -يا دعاة الضلالة- بأن التوبة لا تنفع عندما يقع أحدكم في سكرات الموت ، وذلك لقوله تعالى: (وَلَيْسَتِ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا). يا دعاة الضلالة: اعلموا بأن الطاغية فرعون عندما قال عند سكرات الموت: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) جاءه الرد صريحاً واضحاً: (الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) وهكذا تكون نهاية الظالمين والمفسدين في الأرض). هـ. وهذا النداء الخالد: (اعتبروا يا من أصبحتم في مكان فرعون واتخذتم منهجه سبيلاً في الحياة ، واتبعتم الفرعونية أسلوباً ترهبون به الحق وأهله!) فهل يعتبرون ويتعظون ويعودون إلى رشدهم؟! والحقيقة أن هذا قائم في بعض الأفراد! أما في الأنظمة الفرعونية الدموية الباطشة ، فيصدق في أهلها قول الله تعالى: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)! وهل يُصيخ إلى استماع الحق سدنة الفراعنة ممن يُضفون الشرعية على الفرعنة والفرعونية بالآية والحديث؟ بل بلغ من بعضهم التوقح في الدعاء لفراعنة هلكوا ونفقوا بالجنة ، كما يدعو فريق آخر لفراعنة أحياء بالعز والنصر والتمكين بينما هم على فرعونيتهم وظلمهم! إن هؤلاء المرتزقة ليضحكون على أنفسهم عندما يزعمون أنهم مغلوبون على أمرهم وأنهم لا يستطيعون أكثر من هذا! إنهم يستطيعون بيان الحق ، ولكنهم إن فعلوا ضاعت الامتيازات التي يغدقها عليهم الفراعنة من البيوت التي لا يدفعون إيجارها ولا يسددون استهلاك كهربائها ولا مائها ولا صيانتها! ومن هنا تسقط حججهم من أنهم لا يستطيعون

قول كلمة الحق خوفاً من الظالمين ، بل خوفاً على الانتفاع الخسيس القدر الدنيء! وإذا روجعوا في ذلك احتجوا بأنهم لا يستطيعون ، وراحوا يكملون دورهم في تضليل الجماهير وإضفاء الشرعية على الجاهلية والفرعونية! وتحت عنوان: (فوائد من قصة موسى - عليه السلام- مع فرعون) يقول الأستاذ عبد العزيز بن داود الفايز ما نصه بتصريف: (كان في مصر -يا عباد الله- قسمين من الناس: الأقباط وبني إسرائيل ، وفرعون من الأقباط أخذ يستعبد بني إسرائيل ، ويمتهنهم في خدمته وفي إذلاله ، ونمى إلى علمه قيل في رؤيا عُبرت له أنه يخرج من بني إسرائيل صبياً يكون زوال ملكه على يديه ، فأخذ يقتل الأطفال ، فكان كلما ولد طفلاً من بني إسرائيل قتله -والعياذ بالله-. ثم جاءه زبائنته ومستشاروه ، وقالوا: إذا قتلت بني إسرائيل لم يبق منهم أحد لخدمتك ، فاقترحوا عليه أن يقتل عاماً ويترك عاماً. فولد بأمر الله موسى بالعام الذي يقتل فيه تحدياً لفرعون وإظهار لعظمة الله -تقدس أسماءه وصفاته- ، وفيه من الاحترار والإذلال لفرعون وما ادعاه من الربوبية والإلهية فخافت أمه عليه وحزنت عليه حزناً شديداً. ثم أوحى الله إليها أن تلقيه في اليم: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فيه بشارتان: البشارة الأولى: أن الله طمأن قلبها بأن موسى سيعود إليها وأنه سوف يكون من المرسلين ، ولكن كيف يكون الماء بأمواجه المتلاطمة مكاناً آمناً لطفل صغير رضيع في تابوت لا يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً؟ فسبحان القادر ، العناية الإلهية أحاطت بموسى فألقته بإيمانها بقول الله ، فأخذته الأمواج إلى بيت فرعون: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ). فألقى الله محبة موسى في قلب زوجة فرعون ، والمحبة هي التي يضعها الله في القلوب ، لو جاء شخص ووزع الأموال الطائلة على الناس ويريد منهم أن يحبوه وقد نزع الله محبته من القلوب لا يمكن أن يدرك مبتغاه ، فربنا هو الذي يطرح المحبة والقبول في قلوب العباد ، فأحبته حباً شديداً: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). فوافق فرعون على طلب زوجته لحكمة قد أدها الله لزوال ملك هذا الطاغية على يد هذا الغلام الذي سوف ينشأ في بيته ، فنشأ في بيته وأكل من مأكله ولبس من لباسه وشرب من مشربه وسكن في قصره وشاء العليم الحكيم أنه لا يقبل المراضع: (وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ). انظروا وتأملوا -يا عباد الله- حتى يتحقق لأمه الوعد أن يرجع إليها ، ولما أرسلته أمه ووضعته في البحر أرسلت أخته تتبع أثره: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ \* فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). فأعاده الله إلى أمه وأصبحت ترضعه وتطمئن عليه بأجرة من فرعون ، إنه تقدير الله ، ونأخذ من ذلك يا عباد الله أن قدر الله نافذ، فلو اجتمعت الجن والإنس على أن يردوا قضاء الله ما استطاعوا ، فرعون وجنوده اجتهدوا أن يببدوا ذلك الغلام الذي يخشون أن يزيل ملك فرعون ولكن إرادة الله نافذة. ونرى حنان الأم وعطف الأم واستجابتها لأمر الله: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتُنْبِئِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). نعم ، لتكون من المؤمنين بوعد الله -جل في علاه- ، فأصبح قلب أم موسى فارغاً إلا من التفكير بموسى ، ماذا حدث له؟ هل هلك في البحار؟ هي مؤمنة بوعد الله ، ولكن الشيطان تسلط عليها وخافت على ابنها ، ولا يلام -يا عباد الله- من فقد عزيزاً عليه أو غاب عنه عزيز عليه أن يتألم قلبه لفراقه أو لموته! نأخذ من هذه القصة: أن موسى لما أيس من فرعون وعلم أنه لم يستجيب لأمر الله دعا عليه وقال موسى: (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنَّا

سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ). وتأملوا -يا عباد الله- الآية التي بعدها، قال الله: (قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فإذا دعوت -يا عبد الله- ورفعت يديك لله فاترك الأمر لله. قال بعض المفسرين: إن الله استجاب لموسى وهارون بعد أربعين سنة، فأنت مأمور -يا عبد الله- أن تدعو الله: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) ارفع يديك لله وثق بوعده الله ، "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. وتأملوا -يا عباد الله- أن التوكل على الله وحده ينجي العبد ، قال الله لما أمر موسى بالهجرة وترك مصر: (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) قلها -يا عبد الله- بآيمان ويقين في كل حدث ينزل بك ، قل: (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ). أما فرعون فماذا حصل له؟ أطبق الله عليه البحر ولما رأى الهلاك قال الله عنه: (حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ). هـ. ألا إن بشارة الله تعالى لأم موسى بشارة متكررة لأهل الحق من أن النصر موعدهم والتمكين لكم مهما طال عمر الباطل وانتفش الشر في الأرض! ولا بد من أن يتحقق موعود الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون! وإذا تم ذلك فليس يقبل من الفراغة صرف ولا عدل! لأنه سيقال لهم كما قيل لأعتاهم الأول: (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)؟! وقانا الله سبحانه - بفضله ومنه وجوده ورحمته - الفرعة وأهلها! وجعلنا جميعاً ممن يتعظون ويعتبرون بمصائر المجرمين والظالمين ومآلاتهم!

كم بسيف التاريخ من طغيان! في قديم الزمان ، أو في زماني!  
إنه الظلم يس تطيل ويطغى مستعيناً بالقهر والعدوان  
يفسد العيش من جميع النواحي موعلاً في الإفساد والعصيان  
ولله الأمجاد الكذوبة صيغت! صاغها البلاء جوقاة البهتان!  
أفرذوه بالسودد العف زوراً فافتري في التضليل والشنان  
فرعنوه ، والأصل فيه الترددي فتمادي في الجور والطغيان  
ذبح الأولاد الذين استجاروا ثم أبقى الحياة للنسوان!  
فرق الناس في المداين حتى يستقر حكم أتى بالهوان  
إصر رؤيا جاءت له في منام حيث جاء ما ليس في الحسبان  
أي عقل هـذا؟ وأي رشاد؟! عقل غر ما فيه من رجحان!  
والتقت أهواء الطغاة ، وكادوا ليس هذا يحتاج للبرهان  
ملا أغرى رأسه بالأماني! والجنود من أحقر الأعوان!

قال: إنني أرى الذي غاب عنكم لكم اخترت أفضل الأديان  
جاء (موسى) بالسحر ، لا تمهلوني إن تبديل الـدين كالخسران  
فإذا بالفرعون يجمع كيداً ثم يلقى (الكليم) في الميدان  
وإذا بالسحر جأؤوا تباعاً ينصرون الفرعون دون تواني  
بيذلون في نصرة الكفر جهداً أظهروا فيها وازع الإحسان  
قال (موسى): لا تفتروا واستجيبوا! لا تبوءوا بالكبر والنكران!  
ثم زاد: ألقوا الحبال ، ولا لن تفلحوا ، إن السحر للبطلان  
ثم ألقى (موسى) عصاه مجيباً دون إبطاءٍ مطلبٍ الرحمن!  
فإذا بالعصا تفضُّ التحدي واستحالت فوراً إلى ثعبان!  
وإذا بالإيمان يغشى فيناماً أعلنوه ، اعتزوا بهذا الإعلان!  
وإذا بالفرعون يُعلن حرباً سَمَّتها لم يخطر على الحسبان  
ولديه الأجناد فيها عبيداً والملاقاة حازوا من السلطان  
واستماتوا في حرب قوم تقاة جالدوهم ظلماً بأعتى سينان  
ثم ساروا وراء (موسى) انتقاماً عند بحر مستحکم الشيطان  
فإذا بالعصا تشق طريقاً جانباه في بحر جيلان!  
جاز (موسى) ، والمؤمنون تباعاً سالمين في غبطة وأمان  
والفراعين البحرُ أغشى عليهم طانعاً أمر الواحد الـديان  
هل وعى الـدرس الظالمون الطواغي دون تأويل قبل فوت الأوان!؟

## لماذا تُخجلنا الحقيقة؟

(كان هناك ثلاثة أصدقاء: الأول غني ميسور ، والثاني والثالث في عداد الفقراء! فقرر الغني أن يكون إفطارهم كل يوم في بيت واحد منهم ، فكان اليوم الأول من نصيبه ، فأخبر الخدم أن ينظفوا البيت ، وأوصى الطباخ أن يهييء لهم أطيب الأكلات ، وفعلاً تم له ما يريد ، وحضر أصدقاؤه ، وأكلوا ما لذ وطاب من الطعام. ثم جاء اليوم الثاني ، وكان من نصيب الصديق الثاني! فأخبر والدته وطلب منها أن تهييء له من الطعام ما لا يقل عن صديقه الغني ، فقالت له: من أين تأتي بأرقي الطعام ونحن لا نملك نقوداً ، فصرخ في وجهها. وقال لها: دبري حالك ، لا أريد أن أكون أقل منه ، فذهبت الأم واستدانت من جارتها ، وقامت بشراء أطيب الفواكه وطبخت أطيب الطعام ، وتمت الدعوة بسلام. وفي اليوم الثالث وكان من نصيب الشخص الثالث ، فأخبر والدته بالأمر ، فغضبت من تصرفه قائلة: عليك أن لا تحضر دعوتهما من البداية حتى لا تضطر لهذا الموقف المحرج! فمن أين سنأتي بالطعام والشراب الذي يليق بهما؟! فاعتذر لها وقبل رأسها وقال: لقد أخرجت من الموقف يا أمي ، ولم أستطع أن أرفض فقد وضعت أمام الأمر الواقع ، صدقيني لم أكن أرغب بأن أكون في موقف كهذا ، ولكن ما باليد حيلة ، لذا أحضري ما نأكله كل يوم وسياكلون مما هو موجود ، هذا حالي ولا أخجل منه ، فلا تقلقي يا والدتي العزيزة! فأتيا ولم يكن في سفرة الإفطار سوى صحن فيه تمر وكاسات لبن وماء وبعض الخبز وبيض مسلوقة ، ودخلوا للغرفة فإذا بهما يتفاجآن بما هو موجود في السفرة ، فجاء الصديق الثاني وهو الفقير ونظر الى الطعام وقال: أهذا هو احترامك لنا؟! لو كنا نعلم أن دعوتك لنا ستكون هكذا لما أتينا ، وفي هذه الأثناء تقدم الغني إلى السفرة وشكر صاحب الدعوة وبدأ يأكل قائلاً: صدقني إنني لم أذق طعم البيض من سنوات؟! كم هو لذيذ! وبدأ يأكل بشراهة! فتعجب الثاني من كلام الغني وانزعج ، وقال: سأذهب إلى أقرب مطعم حتى أأفطر فطعامك هذا لا يفي بالغرض. فخرج وبقيا وحدهما يأكلان ، وبعد أن انتهى من الطعام ، سأل صاحب البيت صديقه الغني عن سبب بقاءه ولماذا لم يفعل كما فعل صديقهما؟! فقال الغني: يا أخي المال والطعام لا يُحددان قيمة الشخص. فهذه الأمور وقتية وسيأتي يوم ربما ستكون أنت أغنى مني. بالمناسبة أنا تعمدت أن يكون إفطارنا كل يوم في بيت واحد منا ، وأنا أعلم بحالتكما المادية ، ولكنني أردت أن أختبر وجهيكما! وأود أن أشكرك جداً على عزومتك للذي كان صديقنا ، ففي هذا اليوم عرفت وجهه الحقيقي ، وعرفت أنه لا يستحق الصداقة! فكما شاهدته بأعينك أخرجك أمامي وتخلي عنك وباع الصداقة بطعام لا يعجبه رغم أن وضعك ووضعنا متساويان لكنه لبس ثوب التكبر ليوهمني أنه غني ولا يعلم أن والده وإخوته يعملون في مصنع يعود لوالدي أما أنت فأنتك شخص واقعي يعيش حياته بدون أي تصنع أمام الجميع ، لم تخجل من كونك أقل مني وهذا ما أعجبنى فيك جداً! لذلك قررت أن تكون شريك في مشروع الجديد كوني كنت حائراً من اختار منكم! ولكن موقف اليوم قد خدمني كثيراً في الأمر. إنها حكمة فذة! نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في أقوالنا وأفعالنا!)

نَفِرُّ مِنَ الْحَقِيقَةِ دُونَ عُنْدٍ!      وَتَكشِفُنَا الثَّوَابِثُ بِالْتَحْرِی!  
وَنُظهِرُ لِلوَرَى مَا لَیْسَ فِیْنَا      وَتُهَدِیْنَا الْمَظَاهِرُ كُلَّ شَرِّ  
وَيَقْتَنُنَا التَّرَائِی وَالتَّجَنُّی      وَیُورِدُنَا التَّكْلِیْفُ كُلَّ ضَرِّی

ويكذبُ جُلنا في كل أمر!  
فكم بالصدق نحصدُ كل خير!  
وصدقُ المرءِ يَرجحُ أي هتر  
فجَنبتِ الخلائقَ شرَّ خُسر  
ويُلبسُنا التَعَفُّفُ ثوبَ فخر  
بحالِ ذِكره يُخزي ويُزري؟!  
لثُخفِي عن فقيرٍ قبحَ فقر؟!  
وهل يُزري الوضوحُ بزِين خُر؟!  
ويَدريها الذي هو ليس يدري  
وإن يكُ ليس عندك لا تُورِّي!  
ولا تُخبرُ بشيءٍ ليس يجري  
وإن وجدَ الذي بالطوعِ يُطري  
ولا يرضى بصدقِ أهلٍ مكر  
وحقق عزةً في ظلِ نصر  
يُجوسون الجِلادَ بدونِ حذر  
وفي الهيجا يقومُ بخير دور  
لذاك صدقتُ في نثري وشعري!

نخادعُ بعضنا دون اعتبار  
وإن الصدقُ مصدرُ كل عِز  
يُزيلُ الصدقُ غائلةَ التدني  
وكم بالصدقِ كم خُلتُ قضايا!  
وتُلبسُنا الحقيقةَ ثوبَ مجدٍ  
لماذا لا نواجهُ كل فردٍ  
وهل تبقى الزخارفُ كل حين  
وهل يُخفي التجمُّلُ شينَ عبدٍ؟!  
ألا إن الحقَّ نائق لا تُوارى  
لديك الشيءُ قل: عندي ، وواجهة!  
وجابرةً بالحقيقة مَن تلاقى  
ولا تكذبُ ، فإن الكذبَ عارٌ  
رأيتُ الصدقَ يعيشُه النشامى  
وما من صادقٍ إلا تسامى  
هي الدنيا صِراعٌ ، والبرايا  
ويُفليحُ صادقٌ يحتاطُ دوماً  
وإنني قد بلوتُ الصدقَ دهرًا

## مصر تتحدث عن نفسها! (معارضة لحافظ)

(متى كانت مصر فرعونية يا قوم؟! أصلاً هؤلاء - الذين يقولون بفرعونية مصر - جهالٌ معرضون ضالون لا يذكرون التاريخ! مصر بعد الطوفان أقام فيها جدنا المسلم المؤمن الموحد (مصرام بن كنعان بن نوح) وإليه نسبت (مصر) فمتى كانت فرعونية؟ وأيها أقدم: مصرام بن نوح أم فرعون؟ هذا ليس كلامي! هذا ثابتٌ في كتب التاريخ التي كتبها الغابرون والحاضرون! والمستشرقون والمؤرخون! قرأته بالعربية والإنجليزية والفرنسية! وجاءها من الأنبياء إبراهيم ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وهارون والمسيح عيسى وأمه مريم ابنة عمران صلى الله عليهم جميعاً وسلم! وجاء إلى مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه غازياً فاتحاً منقذاً لها من ظلم وبطش الرومان! ودفن في مصر 5000 صحابي في (بقيع مصر) بمحافظة المنيا! فلماذا لا تُنسب لهؤلاء المسلمين الذين قامت حضارتهم على (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله)؟! ولماذا ينسبوننا إلى فرعون وحضارته الفرعونية التي قامت على (أنا ربكم الأعلى & ما علمت لكم من إله غيري & ما أرىكم إلا ما أرى)؟! عودوا إلى صوابكم يا قوم ، واعدلوا في الكلام ، أو قولوها صريحة أنكم تُحبون الكفر والشرك وأهلها؟! وعندما نقول (مصرام بن نوح) يعني من نوح عليه السلام! وكان مصرام بن حام هو الأخ الأصغر لكوش والأخ الأكبر لفوت وكنعان اللذين شكلوا مع عائلاتهم الجنس البشري الذي ينحدر من نسل نوح كسلوحييم ، ولوديم ، وعناميم ، وتروسييم! ونسأل: لماذا ركز الغرب على (مصر)؟ والجواب: لأن الغرب من سنة 565هـ حتى سنة 923هـ ، كان يسمى مصر (رأس الأفعى)! فهي التي هزمت الحملة البحرية الصليبية الرومية سنة 565هـ بقيادة "صلاح الدين". ولأن مصر هي التي لدغت الغرب لدغة مميتة في (حطين) بقيادة "صلاح الدين" ، واستردت القدس وكل فلسطين من الغرب الصليبي وصدت بقيادته الحملة الثالثة. ولأن مصر هزمت الحملة الصليبية الخامسة سنة 618هـ ، وهزمت ملك فرنسا "لويس التاسع" في حملته السابعة على مصر سنة 648هـ ، وأخذته أسيراً ذليلاً حقيراً. ولأن مصر هي التي لدغت الغرب بالقضاء على دولة (أنطاكية) الصليبية بقيادة "الظاهر بيبرس" في رمضان سنة 666هـ التي كانت من أغنى الدول الصليبية. ولأن مصر هي التي لدغت الغرب بالقضاء على دولة (طرابلس) الصليبية سنة 688هـ بقيادة السلطان المملوكي "قلاوون" ولم يبق بيد الغرب إلا مملكة (عكا)! ولأن مصر لدغت الغرب لدغة ظل يتألم منها عدة قرون ، وهي القضاء على مملكة (عكا) الصليبية سنة 690هـ بقيادة "خليل بن قلاوون" وأزالت جذوره من الشام. ولأن مصر هي التي فتحت المملكة الصليبية في (قبرص) بقيادة السلطان المملوكي "برسباي" سنة 829هـ ، وأسرت ملكها "جانوس" وأحضرتة الى القاهرة حقيراً ذليلاً. ومن حوالى 400 سنة عندما اجتاحت المجاعات بلاد المغرب والجزائر هرب من هذه البلاد الآلاف ، ولم يجدوا مكاناً آمناً لهم سوى مصر. وعندما طرد الأسبان المسلمين لم يجدوا بلد تستقبلهم غير مصر! وعندما قامت الحرب الأهلية في لبنان هرب الكثيرون ، ولم يجدوا مكاناً آمناً لهم غير مصر! وفي القرن العشرين حدثت مذابح الأرمن على يد الأتراك ، فهرب الأرمن ولم يجدوا مكاناً آمناً لهم غير مصر! وأما اليونانيون في الحرب الأهلية والإيطاليون في الحرب العالمية الأولى والثانية هربوا من بلادهم ولم يجدوا أحلى ولا أجمل من مصر ليعيشوا فيها حتى آخر ملوك إيطاليا اختار مصر ليموت بها! وكذلك آخر ملوك إيران الشاه محمد رضا بهلوى لم يجد غير مصر تستقبله وقضى آخر سنة من عمره بها. أما أعظم ثائر كونغولى وهو بياتريس لومومبا عندما قامت بلجيكا بقتله

تم تهريب أبنائه إلى مصر ليعيشوا بها. أما أظهر من هربت من الجحيم فكانت السيدة زينب حفيذة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وعائلتها ولم يجدوا أفضل وآمن من مصر لتستقبلهم! أما السيدة مريم وابنها عيسى عليه السلام هرباً من ظلم الرومان واليهود ولم يجدوا آمن من مصر لتستقبلهما! وعندما هربت عائلة نبي الله يوسف من المجاعة لم يجدوا سوى أخيهم ليستقبلهم في مصر ويعيشوا بها. أما الهجرة السودانية إلى مصر فكانت مستمرة عبر التاريخ! أما الآن في بلادنا العربية سوريا والعراق وليبيا واليمن لم يجدوا آمن من مصر لتستقبلهم ويعيشوا بها كأنهم مواطنين مصريين تماماً! كل العالم كان يعاني إما من حروب أو من مجاعات فلم يجدوا غير مصر ليهربوا إليها وتستقبلهم بكل سرور! في حين أن مصر لاقت المصير عبر تاريخها في الحروب ، ولم تحدث أي هجرة خرجت من مصر بالعكس في الحروب أهلها المقيمين في الخارج يرجعون لها في حالة الحرب! وهذا مقال للصحفي السعودي الأستاذ جميل فارسي عن مكانة مصر يقول ما نصه بتصرف: (يُخطئ من يقيم الأفراد قياساً على تصرفهم في لحظة من الزمن أو فعل واحد من الأفعال ، ويسري ذلك على الأمم فيخطئ من يقيم الدول على فترة من الزمان! وهذا للأسف سوء حظ مصر مع مجموعة من الشباب العرب الذين لم يعيشوا فترة ريادة مصر. تلك الفترة كانت فيها مصر مثل الرجل الكبير تنفق بسخاء وبلا امتنان ، وتقدم التضحيات المتوالية دون انتظار للشكر. هل تعلم يا بني أن جامعة القاهرة وحدها قد علمت حوالي مليون طالب عربي ، ومعظمهم بدون أي رسوم دراسية؟ بل وكانت تصرف لهم مكافآت التفوق مثلهم مثل الطلاب المصريين؟ هل تعلم أن مصر كانت تبعث مدرسيها لتدريس اللغة العربية للدول العربية المستعمرة ، حتى لا تضمحل لغة القرآن لديهم وذلك كذلك على حسابها؟ هل تعلم أن أول طريق مسفلت من جدة إلى مكة المكرمة كان هدية من مصر؟ وحتى حركات التحرر العربي كانت مصر هي صوتها وهي مستودعها وخزنتها ، وكما قادت حركات التحرير فإنها قدمت حركات التنوير. كم قدمت مصر للعالم العربي في كل مجال! في الأدب والشعر والقصة وفي الصحافة والطباعة وفي الإعلام والمسرح وفي كل فن من الفنون ، ناهيك عن الدراسات الحقوقية ونتاج فقهاء القانون الدستوري! جنني بأمثال ما قدمت مصر؟ كما تألقت في الريادة القومية تألقت في الريادة الإسلامية! فالدراسات الإسلامية ودراسات القرآن وعلم القراءات كان لها شرف الريادة. وكان للأزهر دور عظيم في حماية الإسلام في حزام الصحراء الأفريقي. وكان لها فضل تقديم الحركات التربوية الإصلاحية. أما على مستوى الحركة القومية العربية فقد كانت مصر أدواتها ووقودها. وإن انكسر المشروع القومي في 67 ، فمن الظلم أن تحمل مصر وحدها وزر ذلك. بل شفع لها أنها كانت تحمل الإرادة الصلبة للخروج من ذل الهزيمة! إن صغر سنك يا بني قد حماك من أن تذوق طعم المرارة الذي حملته لنا هزيمة 67م. ولكن دعني أؤكد لك أنها كانت أقسى من أقسى ما يمكن أن تتصور ولكن هل تعلم عن الإرادة الحديدية التي كانت عند مصر يومها؟ أعادت بناء جيشها فحوّلتها من رماد إلى مار. وفي ستة سنوات وبضعة أشهر فقط نقلت ذلك الجيش المنكسر! إلى أسود تصيح الله أكبر وتقتحم أكبر دفاعات عرفها التاريخ. مليون جندي لم يثن عزمهم تفوق سلاح العدو ومدده ومن خلفه! بالله عليك كم دولة في العالم مرت عليها ستة سنوات لم تزدها إلا اتكالاً؟ وستة أخرى لم تزدها إلا خبالاً! ثم انظر بعد انتهاء الحرب فتحت نفقاً تحت قناة السويس التي شهدت كل تلك المعارك الطاحنة أطلقت على النفق اسم الشهيد أحمد حمدي ، اسم بسيط ولكنه كبر باستشهاد صاحبه في أوائل المعركة انظر كم هي كبيرة أن تطلق الاسم الصغير. هل تعلم انه ليس منذ القرن الماضي فحسب ، بل منذ القرن ما قبل الماضي كان

لمصر دستوراً مكتوباً ، شعبها شديد التحمل والصبر أمام المكاره والشدائد الفردية ، لكنه كم انتفض ضد الاستعمار والاستغلال والأذى العام! مصر تمرض ولكنها لا تموت. إن اعتلت ومرضت اعتل العالم العربي. وإن صحت واستيقظت صحا العالم العربي! ولا أدل على ذلك من مأساة العراق والكويت فقد تكررت مرتين في العصر الحديث! في أحداها قتلت المأساة في مهدها بتهديد حازم من مصر للزعيم عبد الكريم قاسم حاكم العراق عندما فكر في الاعتداء على الكويت ذلك عندما كانت مصر في أوج صحتها أما في المرة الأخرى فهل تعلم كم تكلف العالم العربي برعونة صدام حسين في استيلاءه على الكويت. هل تعلم إن مقادير العالم العربي رهنت لعقود بسبب رعونته. وعدم قدرة العالم العربي على أن يحل المشكلة بنفسه. إن لمصر قدرة غريبة على بعث روح الحياة والإرادة في نفوس من يقدم إليها! انظر إلى البطل صلاح الدين بمصر حقق نصره العظيم. انظر إلى شجرة الدر مملوكة أرمنية تشبعت بروح الإسلام ، فأبت ألا أن تكون راية الإسلام مرفوعة فقاتت الجيوش لصد الحملة الصليبية. لله درك يا مصر الإسلام! لله درك يا مصر العروبة! إن ما تشاهدونه من حال العالم العربي اليوم هو ما لم نتمنه لكم. وإن كان هو قدرنا فإنه أقل من مقدارنا وأقل من مقدراتنا. وهذه نبذة قبل اكتشاف البترول ، هنا في الحجاز حيث توفيق جلال كان رئيس تحرير جريدة الجهاد المصرية ، وتوفيق نسيم كان رئيس وزراء مصر ، حدثت مجاعة وأمراض أزهدت آلاف من الأرواح بأراضى الحجاز. كتب توفيق جلال في صدر صحيفته إلى توفيق نسيم رئيس وزراء مصر ، كتب يقول: من توفيق إلى توفيق في أرض رسول الله آلاف يموتون من الجوع وفي مصر نسيم! أصدر توفيق نسيم أوامره فوراً ، وعبرت المراكب تحمل آلاف الأطنان من الدقيق والمواد الغذائية وآلاف من الجنيهات المصرية والتي كانت عملتها أعلى وأقوى من العملة البريطانية! غير الصرة السنوية التي كانت تبعث بها مصر وكانوا يشكرون مصر كثيراً على ذلك! أما في الكويت فكانت مصر تبعث بالعمال والمدرسين والأطباء والموظفين لمساعدة الإخوة بالكويت بأجور مدفوعة من مصر! وفي ليبيا كانت جزء من وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية! كل هذا لم يكن منة من مصر ، لكن كان دعماً وواجباً وطنياً لأشقائها العرب! هي أم البلاد وهي أم المجاهدين والعباد قهرت قاهرته الأمم ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم هي بلاد كريمة التربة مؤنسة لذوي الغربة فكم لمصر وأهلها من فضائل ومزايا وكم لها من تاريخ في الإسلام وخفايا منذ أن وطنتها أقدام الأنبياء الطاهرين ومشت عليها أقدام المرسلين المكرمين والصحابة المجاهدين! إذا ذكرت المصريين ذكرت الكعبة والبيت الحرام ، فإن عمر رضي الله تعالى عنه أرسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة فصنعت الكسوة من عهد عمر رضي الله عنه وظلت كسوة الكعبة تصنع هناك في مصر سنة تلو سنة حتى مرت أكثر من ألف سنة وكسوة الكعبة ترسل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المائة سنة! إذا ذكرت المصريين ذكرت الحجاج والمعتمرين فإن البعثة الطبية المصرية كانت في الحج لسنوات طويلة هي أبرز ما ينفع الحجاج في علاجهم يأتون من أقطار الدنيا لأجل أن يلتقوا بهذه البعثة المصرية! إذا ذكرت المصريين ذكرت الدفاع عن فلسطين وذكرت الجهاد والمجاهدين ، فصلاح الدين أقام بمصر ، وكثير من قواده منها وأبرز المعارك مع اليهود قادها مصريون! إذا ذكرت المصريين ذكرت أمنا هاجر ، ومارية القبطية ، ذكرت أحوال رسولنا وأصهار نبينا ، لا لن أشهد اليوم لمصر ، فما مثلي يشهد لمثلها بل سأخطب عن كوكبة العصر ، وكتيبة النصر وإيوان القصر ، سأتكلم عن أم الحضارة وأم المهارة ومنطلق الجدارة. نعم سأخطب عن أرض العز وعن بلاد القطن والبن! ذكر الله تعالى مصر في القرآن وبين الله جل وعلا اسمها

صريحاً في أربعة مواضع في كتابه تشریف لها وتكريماً فقال الله جل وعلا: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ) ، وقال سبحانه (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ). وقال جل وعلا: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا). وقال تعالى قاصاً عن فرعون لما قال: (أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ). ليس هذا فقط ، بل أشار الله تعالى إلى مصر ، ولم يصرح باسمها في ثلاثين موضعاً في القرآن كقوله جل وعلا: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ) يعني: مصر. وقوله جل وعلا: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) إلى آخر هذا الموضع. إن مصر فيها خزائن الأرض بشهادة ربنا جل وعلا لما قال عن يوسف عليه السلام: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ). ولم يذكر الله تعالى قصة نهر في القرآن إلا نهر النيل قال جل وعلا: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يعني في نيل مصر. قال الكندي لا يعلم بلد في أقطار الأرض أنى الله تعالى عليه في القرآن بمثل هذا الثناء ولا وصفه الله بمثل هذا الوصف ولا شهد له بالكرم غير مصر. نعم إنني أتكلم عن مصر وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الأمة كلها بمصر وبأهلها فقال بأبي هو وأمي: [إذا افتتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً] وفي لفظ قال: [فإن لهم ذمة وصهرأ] رواه مسلم. هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام وهي أم إسماعيل جد نبينا عليه الصلاة والسلام هي مصرية من القبط ومارية سرية رسول الله عليه الصلاة والسلام وأم ولده إبراهيم هي مصرية أيضاً ولذلك قال عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قبط مصر هم أحوال قريش مرتين ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: [إنكم ستفتحون مصرأ أحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً] رواه مسلم! فهي وصية للأمة كلها لكل من تعامل مع المصريين أن يحسن إليهم ، وأن يكرمهم ، وأن يعرف قدرهم ، وأن يقف معهم عند حاجتهم ، وأن ينصرهم عندما يؤذون. والهدية إليهم من أفضل الهدايا ، وأذيتهم من أعظم الرزايا ، ولم يكتف نبينا صلى الله عليه وسلم بمدح مصر وأهلها ، بل أمر بالإحسان حتى إلى أقباطها فقال عليه الصلاة والسلام: [اللَّهُ اللهُ فِي قِبْطِ مِصْرَ فَإِنَّكُمْ سَتَنْظُرُونَ عَلَيْهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْكُمْ عِدَّةً وَعَوْنًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ] رواه الطبراني وصححه الألباني! نعم وكم يسرنا اليوم والله من تآلف بين مسلمي مصر وبين أقباطها ونسال الله جل وعلا أن يجمعهم جميعاً على العقيدة الصحيحة التي بعث بها الله تعالى بها عيسى وبعث بها محمد وبعث بها جميع الأنبياء عليهم السلام وهي أن يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئاً! يا أهل مصر ، إن في أرضكم الوادي المقدس طوى وفيها الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وفيها الجبل الذي تجلى الله سبحانه إليه فانهج الجبل دكاً ، وهي مبوء الصدق الذي قال الله تعالى عنه: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ)! وفي أرضكم يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع من أصله من الجنة: [قال عليه الصلاة والسلام: النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة] رواه مسلم! وفي أرض مصر الربوة التي أوى إليها عيسى عليه السلام وأمه! قال جل وعلا: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ). وعلى أرض مصر ضرب موسى عليه السلام بعضاه فانفلق الحجر له ماءً ، وانشق البحر له فكان كل فرق كالطود العظيم! نعم إنها مصر! إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر. إذا أردت اللغة والفصاحة فأنك تنتهي إلى مصر. إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزاماً إلى مصر! إننا لا نتحدث عن بلد عادي ، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر جليل الجناح ، أشار الله تعالى لكبر مصر ، وأشار لعظم مساحتها فقال جل وعلا: (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ). وهذا يدل على

كثرة مدنها ولعظم قدر مصر! ومنذ القديم افتخر الهالك فرعون أنه يملكها دون غيرها فقال كما حكى الله جل وعلا عنه: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ). قال عمر بن العاص رحمه الله ورضي عنه قال: [ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة] يعني أن كل بلاد الإسلام في كفة وأن الذي يلي على مصر يكون قد أخذ الكفة الأخرى! وقال سعيد ابن هلال: [إن مصر أم البلاد وغوث العباد ، إن مصر مصورة في كتب الأوائل وقد مدت إليها سائر المدن يدها تستطعمها ، وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان] ، قال الجاحظ: (إن أهل مصر يستغنون بما فيها من خيرات عن كل بلد ، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ما ضرهم. وفي مصر رباط الإسكندرية الذي رابط فيه العلماء والزهاد والعُباد والمجاهدون والأبطال والشجعان). قال أبو الزناد صاحب أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (خير سواحلكم رباطاً الإسكندرية). وقال سفيان بن عيينه يوماً لأحمد بن صالح قال له: (يا مصري أين تسكن؟ قال: الفسطاط! قال فأت الإسكندرية ، فإنها كنانة الله التي يجعل فيها خير سهامه). وعند المصريين جامع عمرو بن العاص صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو أول جامع بني في قارة إفريقيا وقد ضبط قبلته جماعة من الصحابة قدروا بثمانين صحابي اجتمعوا عنده عند بنائه وقدروا قبلته يوجهوه إليها وعند المصريين جامع الأزهر الذي له الفضل المشهور العلم المنثور والتقدم الكاسر والارتفاع القاهر العلماء فيه متكثرون والعباد فيه قائمون والزوار إليه متوافدون! مصر قادت الأمة الإسلامية أكثر من 265 سنة ، كانت الخلافة في مصر من بعد انقطاع الخلافة من بغداد في عام 656 للهجرة ، إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين بتركيا في عام 924 بينهما أكثر من 265 سنة ، كانت الخلافة في مصر وهي التي تقود بلاد الإسلام! أما أهل مصر فيكفيهم شرفاً وفخراً أن الله تعالى اختار منهم الأنبياء! وجعل الله تعالى الأنبياء يسكنون بين ظهرانيهم فهذا الخليل إبراهيم شيخ الموحدين وأفضل المرسلين وجدّ خاتم النبيين أتى مصر مع زوجه سارة وتزوج هاجر المصرية ، وهذا يعقوب عليه السلام دخلها مع أبنائه الأنبياء فيها توفوا ودفنوا فيها ، وهذا يوسف عليه السلام سكن مصر وحكم فيها وتوفي ودفن فيها ، وهذان موسى وهارون - عليهما السلام - ولداء في مصر وعاشا فيها ، وهذا يوشع ابن نون ولد في مصر وعاش فيها ، وهذا الخضر ، وهذا أيوب وإشعيا وإرميا - عليهم أفضل الصلاة والسلام - كلهم دخل مصرأً ومنهم من مات فيها! وقد ضرب الله تعالى أبطال مصر أمثلة في كتابه! فمن المصريين مؤمن آل فرعون البطل الثابت على الحق الذي قال الله جل وعلا عنه (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) وهو مصري! ومن المصريين الرجل المؤمن الذي حذر موسى عليه السلام (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ). ومن المصريين السحرة الذين ذكر الله تعالى قصتهم لما آمنوا وصدقوا ، وكانوا في أول النهار سحرة فجرة ، وصاروا في آخر النهار شهداء بررة. إنها بلاد الأبطال! أما نساء مصر فيكفي المصريات فخراً وعزاً وشرفاً أن سيد الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت جدته هاجر مصرية ، وأم ولده مارية مصرية ، ويكفي المصريات فخراً أن ماء زمزم تفجر إكراماً لامرأة مصرية ولابنها هاجر وابنها إسماعيل ، ويكفي المصريات فخراً أن هاجر المصرية لما سعت بين الصفا والمروة خلد الله تعالى فعلها ، وأمر الله تعالى الأنبياء وسائر الأولياء والحجاج والمعتمرين بأن يسعوا كسعيها! ويكفي المصريات فخراً أن أم موسى عليه السلام مصرية ، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية ، تلك التي قال الله عنها (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ

وَنَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). ويكفي المصريات فخراً أن المرأة الصالحة التي كانت ماشطة لبنت فرعون كانت مصرية ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام [لما كان الليلة التي أسري بي فيها أتت عليه رائحة طيبة ، قلت: يا جبريل ما هذه الرائحة؟! قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها]. رواه الحاكم وصححه! إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملاً وأحسنهم أخلاقاً وأدباً ، قال تاج الدين الفزاري: (من أقام في مصر سنة واحدة وجد في أخلاقه رقة وحسناً!) وقال ابن ظهيرة عن أهل مصر قال: (حلاوة لسانهم وكثرة مودتهم للناس ومحبتهم للغرباء ولين كلامهم وحسن فهمهم للشريعة ، مع حسن أصواتهم وطيب نغماتهم وشجاها ، وطول أنفاسهم وأعلاها ، فمؤذنهم إليهم الغاية في الطيب ووعاظهم إليهم المنتهى في الإجابة والتطريب ، ونساءها أرق نساء الدنيا طبعاً وأحلاهن صورة ومنطقاً وأحسنهن شمائل وأجملهن ذواتاً ، ومازلت أسمع قديماً عن الشافعي أنه قال: من لم يتزوج بمصرية لم يكمل إحصائه. ولقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من صحابة سيدي - رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى لما أحصي عدد الصحابة الذين دخلوا مصر ، أو سكنوا فيها ، أو زاروها أو حكموها أو دفنوا في ترابها فتعدوا أكثر من 350 صحابياً! كلهم قد أتوا إلى مصر منهم من جاءها رسولاً إليها أو حاكماً لها ، أو مجاهداً فيها أو معلماً لأهلها منهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكلهم قد ولي مصر! منهم جابر بن عبد الله بن حرام ، ومنهم الزبير بن العوام ، وعبد الله بن الزبير ومنهم سعد بن أبي وقاص ، ومنهم عبادة بن الصامت ، ومنهم عبد الله بن عباس ، ومنهم عمار بن ياسر ، ومنهم أبو أيوب الأنصاري ، ومنهم أبو ذر الغفاري ، ومنهم أبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي وهو آخر صحابي مات بمصر! 350 صحابياً تخيرت أبرزهم ، لكن كلهم قد سكن مصر أو زارها). في مصر ولد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى! إذا تكلمنا عن مصر فإننا نتكلم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم إلى كل الدنيا ، منهم صحابة كرام وتابعون أعلام ، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين ، الذي قال فيه الشافعي: [الليث بن سعد أعلم من مالك] ومنهم القارئ ورش ، إذا سمعت من يقول على قراءة ورش فاعلم أنه مصري! اليوم أكثر أهل إفريقيا وأهل المغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري ، ومنهم الإمام المحدث عبد الله ابن لهيعة ، ومنهم الشافعي الإمام وله أئمة كثر كلهم من طلابه وكلهم من المصريين ، ومنهم سعيد بن كثير بن عفير وكان إماماً عالمياً ، قال عنه يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل لما سئل عن مصر قال: [رأيت في مصر ثلاث عجائب النيل والأهرام وسعيد بن كثير ابن عفير] وكان عالمياً إماماً. ومنهم عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة ، ومنهم الإمام الطحاوي الذي ألف العقيدة الطحاوية وهي تدرس اليوم في كل الدنيا وتدرسها الجامعات في المملكة العربية السعودية لطلابها ، وتدرس في أنحاء الدنيا ألفها الإمام الطحاوي المصري ، ومنهم الإمام بن النحاس ، ومنهم القاضي عبد الوهاب المالكي ، ومنهم شيخ الحنابلة الحافظ عبد الغني المقدسي ، فإذا ذكرت الحنابلة وذكرت الفقه الحنبلي رجعت لزماً إلى عبد الغني المقدسي وكان قد خرج من الشام وسكن في مصر. ومنهم الإمام البطل العز بن عبد السلام ، ومنهم ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، ومنهم والقارئ العظيم الذي تحفظ منظومته طلاب وطالبات كثر في أنحاء الدنيا الإمام الشاطبي ، ومن الذي لا يعرف الشاطبي وهو الذي ألف منظومة في ألف بيت في تلاوة القرآن وقراءته ثم أخذ المنظومة وألفها وطاف ألف أسبوع حول الكعبة. والأسبوع هو سبعة أشواط طافها ثم جعل يدعو الله تعالى وهو يطوف أن يبارك في هذه المنظومة ، وقد انتشرت انتشاراً عظيماً! ومن المصريين مؤلف كتاب

[الترغيب والترهيب] عبد العظيم المنذري ، ومن المصريين الإمام القرافي وهو من أذكى العالم ، ومن أئمة الدنيا ومن أعيان المذهب المالكي ومن المصريين ابن دقيق العيد الذي لم تر الدنيا مثله أبداً ، ومنهم خليل المالكي إذا سمعت [بمختصر خليل] الذي يعول عليه المالكية اليوم في دروسهم وجامعاتهم فاعلم أنه مصري ، ومنهم ابن هشام النحوي ، ومنهم الإمام الهيثمي صاحب كتاب [مجمع الزوائد] ، ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي ألف [فتح الباري في شرح صحيح البخاري] ومنهم محمود العيني الذي ألف [عمدة القاري في شرح صحيح البخاري] وإليه ينسب اليوم القصر العيني في مصر! ومنهم المقرئ ومنهم الإمام صاحب كتاب [تفسير الجلالين] الإمام جلال الدين المحلي الذي أتمه بعد ذلك الإمام السيوطي وكلاهما مصري ، ومنهم الحافظ السيوطي ، ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الذي وصل عمره مئة سنة والذي لم يترك صلاة الليل إلى أن مات! ومنهم الإمام الشيخ علي بن أحمد الصعدي العدوي من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنهم الشيخ أحمد الدردير وكان عبداً عالماً صالحاً جلس في الأزهر يوماً يعلم طلابه ، فلما دخل أحد الولاة وكان يريد أن يستميل المشايخ لبعض الفتاوى التي يريدها لإلزام بعض الناس بأمور فقام الطلاب خائفين من كثرة الجند ومبجلين لهذا الوالي فأخذ مصحفاً ووضع في حجره ، وجعل يتلو القرآن وقد مد رجله فمر به الوالي فقال: من هذا؟ قالوا: هذا الشيخ أحمد الدردير ، قال: فلماذا لم يقم لما رأيته؟ فحاولوا أن يعتذروا له ، فحنق عليه هذا الوالي ، ثم ذهب الوالي إلى قصره وأخذ صرة أرسلها مع أحد العبيد ، قال: أعطها ذلك الشيخ الذي كان ماداً لرجليه لما مررنا به ، فلما أقبل إليه ذلك العبد وناوله الصرة علم الشيخ أن ذلك الرجل أراد أن يذله بقبول المال ، فنظر إلى هذا الرسول وقال له: ارجع إلى من أرسلك ، وقل له إن الذي يمد رجله لا يمد يديه! أما أبطال مصر ومجاهدوها فالكلام عنهم يطول كثير من القادة مع صلاح الدين الأيوبي كانوا من المصريين منهم القائد: حسام الدين ، وكان قائداً للأسطول البحري المصري ، كان شوكة في حلق الأفرنجية ، قال عنه الإمام ابن كثير: كان البحر في البحر ، فكم من شجاع أسر ، وكم من مركب كسر ، وكم من أسطول فرق شمله ، وقارب غرق أهله مع كثرة الصدقات ، قال: ولما عمل أرناط الصليبي مراكب وأسطول ، وجعلها في البحر الأحمر ليغزو مدينة - رسول الله صلى الله عليه وسلم - انطلق إليه حسام الدين بأسطوله المصري ودك أسطول الفرنجة حتى قتلهم عن آخرهم! ومن أبطال مصر الذين سكنوها صلاح الدين الأيوبي الذي فتح بيت المقدس! لن ينسى التاريخ أبطال مصر الذين ردوا الحملة الصليبية التي قادها ملك فرنسا ، واستولى على دمياط فكم له الأبطال في مصر وأذاقوه سوء العذاب ، وأبادوا جيشه وكانوا عشرات الآلاف ، ثم أخذوا هذا القائد الفرنسي وحبسوه في دار تسمى دار ابن لقمان في المنصورة ، ووضعوا القيود في يديه ورجليه ، ووكلوا به حارساً يسمى صبيح ثم فدى نفسه بأموال كثيرة عظيمة ، فأطلق ثم لما وصل إلى بلده حدثته نفسه أن يعود مرة أخرى لغزوا مصر وجعل يجند الجند لذلك. ومن المصريين الأبطال سلطان المماليك قطز ، وهو الذي قاد معركة عين جالوت ومن المصريين الأبطال ضباط وجنود شاركوا في حروب فلسطين وغيرها من مواضع الجهاد في سبيل الله. وإذا ذكرت مصر وتاريخها ذكرت العباد والزهاد ذكرت حياة ابن شريح وذكرت أبا محمد بن سهل وكان عبداً صالحاً أمراً بالمعروف داعياً إلى العقيدة الصحيحة ، وكان يذم العبيديين الشيعة الذين حكموا مصر فترة فجاء به الخليفة العبيدي وقال له: سمعنا أنك تقول لو أن معي عشرة أسهم لرميت الصليبيين بواحدٍ ورميت العبيديين بتسعة ، فهل هذا صحيح؟ فقال: لم أقل هذا! فقال: إذاً ماذا قلت؟ قال: قلت: لو كان معي عشرة أسهم لرميت العبيديين بتسعة

، ورميت العاشر فيهم أيضاً فإنكم غيرتم الملة ، وتنقصتم القرآن ودمتم صحابة رسول الله ، ووقعتم في عرضه ، وغيرتم الدين وقتلتم أهل السنة! قال فغضب علي فأمر به وربط ثم دعا رجلاً يهودياً فقال: قطع لحمه حتى يموت ، فجعل يقطع لحمه قطعة قطعة وهو يتلو القرآن وذلك اليهودي يسلخ جلده سلخاً كما تسلخ الشاة ، وهو يتلو القرآن ، وذلك العبيدي ينظر إليه حتى رق له اليهودي وطغنه بالسكين في قلبه ليقتله حتى يريحه من كثرة العذاب! المصريون لا تكاد تجد أحداً من القراء في العالم من قراء القرآن وممن معهم إجازات وأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفظ القرآن ، إلا وجدت للمصريين عليه يداً ، إما اقرأه مصري أو حفظ القرآن على مصري أو ضبط تجويده مصري أو كتب له هذا السند مصري ، وما تكاد تجد إلى اليوم حتى المشايخ والعلماء في الأرض كلها إلا وتجد منهم من قرأ على مصري ، أو درسه في الجامعة مصري أو صلى به إماماً في يوم من الأيام مصري! ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد مدرسوهم وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين! بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم ، ولمصر من العلماء في الطب وفي الذرة وفي الهندسة وفي الدعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يدرك شأوه أبداً!..هـ وفي حديث له مطول عن مصر تحت عنوان: (مصر مصنع الرجال) يقول الدكتور محمد العريفي ما نصه بتصريف: (إنني أتحدث اليوم عن بلد البطولات وأرض الرجال والمروءات ، إنني أخطب عن بلد كانت ولا زالت للإسلام عزاً وكان أهله لها مجداً ، إنني إذ أخطب اليوم عن مصر في مصر كحامل تمر إلى هجر! كيف أتحدث اليوم من مصر عن مصر ، بالله عليكم أي كلمة تنصروني ، وأي عبارة تنساق على لساني وأنا اتكلم في أرض مشايخي الكرام ومعلمي الأعلام؟! المصريون هم أهل العلم والتبيان والذكاء والبيان! هم أهل صبر عند النزال وثبات في المعارك والقتال إنني أتحدث اليوم عن مصر ، أتحدث عن المصريين الذين أمرنا نبينا صل الله عليه وسلم باكر أهمهم كلهم مسلمهم وقبطيهم لحسن أخلاقهم وكرم طباعهم! روى مسلم أن النبي صل الله عليه وسلم قال: [إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً!] وقال عليه الصلاة والسلام: [إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمةً ورحماً] وفي لفظ "فإن لهم ذمةً وصهرًا". نبينا صلوات ربي وسلامه عليه بشر بفتح كثيراً من البلدان فبشر بفتح العراق وفتح الشام وفت مصر وفتح اليمن كما في حديث سهل بن سعد كما عند البخاري أن الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يحفرون الخندق كرضت لهم كُدِيَّة (صخرة شديدة) ، فنزل نبينا صل الله عليه وسلم ليساعدهم في هدمها ، فلما ضرب بالفأس على الصخرة الصماء التمتع الشرار فقال عليه الصلاة والسلام: "الله أكبر أوتيت مفاتيح الشام! ثم ضرب ضربة أخرى والتَّمَع الشرار فقال: الله أكبر أوتيت مفاتيح فارس! ثم ضرب ضربة ثالثة والتَّمَع الشرار فقال: الله أكبر أوتيت مفاتيح اليمن". إذاً بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام ، كان يعلم أن أمته ستفتح الشام واليمن والعراق ومصر ، ومع ذلك اختاركم أنتم ليوصي النبي صل الله عليه وسلم بكم ، لم يوص النبي صلى الله عليه وسلم وصية خاصة بأهل بلد معين إلا بكم! قال عليه الصلاة والسلام: "إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً!" بل لم يوص النبي صلى الله عليه وسلم بنصارى في الأرض كلها إلا بالقبط الذين سكنوا في مصر ، وذلك أن القبط هم أحوال قریش مرتين فهنيئاً لكم أيها القبط إذ أوصى بكم نبينا عليه الصلاة والسلام. إن مصر هي الأرض الوحيدة في العالم التي تجلى ربنا جل وعلا لها! فإن ربنا جل وعلا تجلى لجبل الطور فجعله دكاً وجبل الطور هنا في أرض مصر في سيناء. وقد ذكر ربنا جل وعلا مصر في القرآن فمدح أرضها ، وأمر أنبيائه بسكناها فقال ربنا جل وعلا: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ

تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُبُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ". إن ربنا جل في علاه لما ذكر المسجد الحرام في كتابه قال سبحانه وتعالى: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ". ولما ذكر مصر قال الله تعالى: "ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ". وكان من دعاء يوسف عليه السلام لما دخل مصر: "اللهم إني غريب فحببها إلي وإلى كل غريب". فمضت مع يوسف ، فليس يدخل مصر غريب إلا أحب المقام بها ، واحتوته ألفة أهلها! وقال الله تعالى عن المسيح عيسى وأمه مريم الصديقة: "وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآيينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين". نعم اختار الله تعالى مصر على غيرها ، وقدمها لطيبها وفضلها ، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "مصر أطيب الأرضين تراباً ، وعجمها أكرام العجم أنساباً" ، وكان كعب الأحبار يقول: "لولا رغبتني في الشام لسكنت مصر! قيل له: ولم ذاك يا أبا إسحاق؟! قال: "أحب مصر وأهلها ، إنها بلدة معافاة من الفتن". فهي بلدة لا تقع فيها حروب أهلية ولا طائفية ، بلدة معافاة من الفتن ، وأهلها أهل عافية ، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه في النار. قد مدح الله أرضكم في كتابه! وطهرها منذ سالف الدهر ، فقال جل وعلا كم تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ مَادِحًا لِأَرْضِ مِصْرَ: طَهَّرَهَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ قَالَ تَعَالَى مَا دَحَا أَرْضَ مِصْرَ وَغُيُوثٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكْهِنُوا". قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "من أراد أن ينظر إلى الفردوس فليُنظر إلى أرض مصر ، وذلك حين تخضر زروعها ، ويزهر ربيعها ، وتكسى بالنوار أشجارها وتغني أطيارها". نعم إن مصر مهيبة الجنب ، مُحِبَّةٌ لِلأهل والأصحاب ، مُؤْنَسَةٌ لِلزَّائِرِينَ وَالْأَغْرَابِ ، العرب مُقْرُونَ بِفَضْلِهَا وَالْعَجَمُ يَتَذَكَّرُونَ عِزَّهَا ، والناس كل الناس يأنسون بسكنائها ، بل إن التاريخ يشهد بالعلاقة القوية بين مصر وبين بقية العالم عامة ، بل بينهم وبين العرب خاصة ، إن العرب قحطانيهم وعدنانيهم أخوالهم مصريون! فالصديقة هاجر المصرية ساقها الله تعالى من مصر إلى مكة لم يسق امرأة لإبراهيم من الشام أو من العراق أو من اليمن أو من مكة أو من المدينة ، إنما جاء إبراهيم إلى مصر وأخذ منها هاجر وساقه الله تعالى إلى مكة ليفجر الله زمزم تحت قدمي مصرية! ولتتناسل العرب كلها من ذريتها! المصريون أخوال العرب! ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه يرمون بالنبل فقال عليه الصلاة والسلام: [ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً] ، يعني إسماعيل عليه السلام ، وهو ابن الصديقة هاجر المصرية! ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذكر هاجر المصرية قال صلى الله عليه وسلم مُكَلِّمًا أَصْحَابَهُ مُكَلِّمًا أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ، بل مكلم كل العرب قال: [فتلكم أمكم يا بني ماء السماء]. أنتم أخوال الصحابة الذين سكنوا في مصر ، كلا بل أنتم من أحفاد الأنبياء. وتقديراً لعزة أهل مصر وبطولتهم في كل أمر ضرب الله ربنا بكم الأمثال في كتابه ، هذا رجل مؤمن مصري لَمَّا رَأَاهُمْ يَنْتَقِصُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَخْطِطُونَ لِأَذَاهُ ، أَقْبَلَ بِكُلِّ قُوَّةٍ مَدَافِعًا وَعَنْ مُوسَى مَنَافِحًا: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ". وذلك رجل مصري أقبل منافحاً محذراً لما وجد فرعون والملأ الفرعوني ياتَمرون لِقَتْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمِنَ النَّاصِحِينَ". أهل مصر هم أهل النصيحة والحب ، وأهل المساعدة عند الكرب ، وكان سيدنا ومولانا نبينا صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثلة لأصحابه بأهل مصر! فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خرج في حاجة فنزل برجل أعرابي ، فأضافه ذلك الأعرابي ، ووضع له من القرى ما يوضع للضيف عادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مكافئاً: إذا جئت المدينة فأتنا! فلم يمض أيام حتى أقبل ذلك الأعرابي إلى

المدينة ، فاقبل إلى سيدي ومولاي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنزل عنده فأكرمه ، ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يكافئه فقال له: سلني: يعني اطلب مني شيئاً ، قال ذلك الأعرابي: أسألك ناقة أركبها وأعز أحلبها" ، لم يقل: أسألك مرافقتك في الجنة أو الشفاعة عند عظيم المنة ، وإنما مالت نفسه لناقاة وعنوز ، وهي غاية التفريط والعجز ، فعجب النبي صلى الله عليه وسلم من دنو همته ونزول عزيمته ، والتمس له قدوة يذكرها أنموذجاً ليتخذها الناس منهجاً فما المثل الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ليضرب به مثلاً؟ جال به فكره الوقاد حتى نزل به في مصر خير البلاد ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من نساء مصر فقال عليه الصلاة والسلام: [أعجزت أن تكون كعجوز بني اسرائيل]؟! قال الصحابة: يا رسول الله ، وما عجوز بني اسرائيل؟ فقال: إن موسى عليه السلام لما ارتحل بقومه ، أصابتهم ظلمة ، فسأل قومه عن ذلك فقالوا له: إن يوسف يعنون النبي الذي قبله قد أخذ علينا العهد والميثاق أن لا ننتقل من مكاننا ، حتى نأخذ عظامه معنا ، فقال موسى عليه السلام: فأين قبر يوسف؟ قالوا: لا ندري! لا يعرفه إلا عجوز منا! فدعا موسى عليه السلام تلك العجوز ، فلما وقفت بين يديه سأله عن قبر يوسف عليه السلام! قالت: لا أخبرك به حتى تعطيني حكمي" ، عندي طلب سأطلبه منك حتى تعطيني حكمي ، قال: وما حكمك؟! قالت: مرافقتك في الجنة! لم تقل تعطيني مالاً ولا طعاماً ولا تبني لي بيتاً ولا تهربي عزاً ولا لباساً. وإنما تعلق قلبها هناك ، قالت: مرافقتك في الجنة! فكان موسى عليه السلام استعظم مكافأتها وطلبها. الناس يبذلون للجنة أرواحهم وينهرون دماءهم ، ويبذلون أنفسهم ويفارقون ديارهم وأوطانهم لأجل الدخول في الجنة ، وأنت بمعلومة صغيرة حفظتها عن آباتك تريد أن تكوني في الجنة؟! لا ، بل أن تكوني مع الأنبياء في الجنة ، كأن موسى عليه السلام استعظم ذلك ، فإذا ربنا جل وعلا من السماء ينظر إلى هذه المرأة المصرية ، ثم يوحي الله تعالى إلى نبيه موسى أن أعطاها سؤالها! فيقول لها موسى عليه السلام: لك حكمك ، تكونين مرافقة للأنبياء في الجنة! وفدلتهم على بحيرة "موضع ماء" قالت: انضبوا هذا الماء ففضبوا الماء ، ثم استخرجوا ما تبقى من يوسف عليه السلام ، فأضأ لهم الطريق جداً. والحديث حسن رواه أبو يعلى والحاكم وصححه! إنها مصر! أهلها اليوم هم أحفاد الأنبياء بالأمس! وفدأت أكباد الصحابة الأولياء! فقد جاء مصر وزارها وسكنها أكثر من 350 صحابياً بل رحل إليها الصحابة لطلب العلم ، ففي الصحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه ذكر له حديث عند عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ، فسأل أين عبد الله بن أنيس؟ قيل له: هو في مصر! وفي روايات قيل هو في الشام قال فارتحل جابر على بعير ، ومضى يخط به الخطا ، حتى وصل إلى مصر ، ثم أقبل إلى بيت عبد الله بن أنيس ، ثم طرق الباب عليه ، فخرج غلام أسود قال: من أنت ، قل لسيدك ، جابر بالباب ، فدخل الغلام إلى عبد الله بن أنيس وقال له: من بالباب؟! قال: جابر بالباب! قال: عجباً صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فخرج الغلام وقال: من جابر؟ قال: جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم! ولا عجب أن يرحل جابر رضي الله عنه إلى مصر لطلب العلم ، فخرج إليه عبد الله بن أنيس وأعتقه! وسأله عن سبب مجيئه فقال: حديث في القصص عن رسول الله صلى الله عليه يوم القيامة! سمعت أنك تحدث به عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، فقال عبد الله بن أنيس: نعم ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عن جميع الناس يوم القيامة: "إذا كان يوم القيامة حشر الله الناس حفاة غرأة غرلاً بهما ، ثم ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يقول: أنا الملك الديان لا ظلم اليوم"! وليس جابر فقط رحل إلى مصر لطلب العلم ، بل السائد بن خالد الانصاري قدم إلى عقبة بن عامر الجهني في مصر ، فلما

وقف إليه قال له: ليس لي أي حاجة إلا أن أسألك عن حديث ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الستر فقال: نعم! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من ستر مسلماً ستره الله". هكذا كانوا يرحلون إلى مصر وكانوا يزدحمون فيها! إنها مصر! أرض العلماء الأذكياء والمبدعين النجباء! إنها مصر التي اشتهرت من قديم الزمان بحفاوتها بالطائرين عليها، وفرحتها بالمقبلين إليها، الغرباء فيها يُكرمون، والموهوبون يشجعون بلدة طيبة تصنع العلماء وترفع الأولياء! جاء الشافعي من العراق إلى مصر، فبرز وألف وصنف وصار إمام زمانه! وجاء القرطبي من قرطبة إلى مصر فصار إمام المفسرين! وجاء الشاطبي من الأندلس فلما دخل مصر صار إمام القراءات! وجاء رشيد رضا من لبنان إلى مصر فبرز، وأنشأ مجلة المنار! وجاء محب الدين الخطيب من الشام إلى مصر، فأنشأ مجلة (الفتح)! وجاء علي باكثير من إندونيسيا، فلما نزل في مصر صار الروائي والأديب! وجاءها محمد الخضر الحسين من تونس فصار شيخ الأزهر! جاءها صلاح الدين من العراق فخرج منها فاتحاً لفلسطين! وأخرج العز بن عبد السلام من دياره، فنزل مصر فجعله أهلها سلطان العلماء! نعم. يا أهل مصر أنتم مصنع الرجال، ولا تزال مصر إلى اليوم يأتيها الطلاب صغاراً فيخرجون منها أساتذة كباراً، إنها مصر! بلدة إذا مشيت في شوارعها تذكرت إمام الدنيا الشافعي لما كان يقول قبل مجيئه لمصر: أصبحت نفسي تتوق إلى مصر! مصر إذا دخلت مساجدها لاح أمام ناظريك شيخ المالكية خليل وهو يولف مختصره في فقه المالكية الجليل، ليصبح عمدة للفقهاء المالكي إلى يومنا هذا! وإذا التفت في نواحيها رأيت شيخ الحنابلة المقدسي يصنف المؤلفات في الفقه الحنبلي، فتكون عمدة للفقهاء وحجة للقضاء! ولا يغيب عنك في مصر السخاوي والطحاوي وأئمة الحنفية العظام وفقهاؤها النجباء! إنها مصر إذا مررت في أسواقها تذكرت كبار الشعراء والبلغاء الذين سكنوها! تذكرت المتنبي وكثير عزة وجميل بثينة يغردان! وفيها كل ناجح ظهر للدنيا! إنها مصر التي اشتهر أهلها بطيب الأخلاق واللطف مع الغرباء والرفاق! ولقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمه هاجر المصرية لما سكنت في مكة وتفجر عندها زمزم، وقبلت إليها قبيلة جرهم العربية فصارت معهم كريمة صفية! وصف نبينا صلى الله عليه وسلم هاجر فقال: فألف ذلك أم اسماعيل تحب الأوس، تحب المؤانسة ولطف المعاشرة والمجالسة والله لا تزل هذه الصفة في أغلب المصريين إلى اليوم! المصريون أهل أنس في المجالسة ولطف في المؤانسة! شعب يألف ويؤلف، ويحب ويحب! وقديماً كتب سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدنيا! كتب إلى هرقل، وكتب إلى كسرى، وكتب إلى ملك اليمن، وكتب إلى ملوك الدنيا! نعم كتب كتباً، فكل واحد منهم تعامل مع الكتاب بأسلوب مختلف عن الآخر! منهم من غضب وسب وأرعد وأزبد، ومنهم من مزق الكتاب وقتل الرسول الذي جاء بالرسالة، ومنهم من حفظ الكتاب ورد رداً خفيفاً! لكن المقوقس صاحب مصر وكبير القبط في ذلك الحين، وصل إليه كتاب سيدي صلى الله عليه وسلم فأخذه بكل رفق وإكرام! وأما حاطب بن أبي بلتعة الذي جاء به فوضع له من طيب الطعام والشراب وأسكنه في أحسن المساكن، وجعل يسأله برفق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لما أراد حاطب أن يرتحل إلى المدينة زوده بما يزود به المسافر من أطيب الطعام وأعطاه هدية وأعطاه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وولدت له ولده إبراهيم، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الهدايا وأهدى إلى المقوقس هدايا! وكان أهل مصر من ذلك الحين يعرفون ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام وهو يعرف لهم فضلهم! وأنواع الإحسان التي أجزتها مصر عبر التاريخ كثيرة ومتعددة!

بل حتى في عام الرمادة التي أصابت المسلمين في عهد عمر رضي الله تعالى عنه ، حيث أصابهم قحط أكل الأخضر واليابس وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول: والله لا أدوق سمناً ولا سميناً حتى ترتفع هذه الكربة عن المسلمين ، وأصابه همّ لو قسّم على أهل الأرض لو سعههم يمشي في أنحاء المدينة فيسمع بكاء الصغير وأنين الكبير ، وزاد الطين بلة أن الأعراب حولهم المدينة أقبلوا ونزلوا في المدينة ، وصار عمر مسؤولاً عن هؤلاء كلهم ، ينظر يمناً ويسرة فلا يجد شيئاً يطعمهم! وصار يجمع الفتات ويمضي به في أطراف المدينة يطبخ لليتامى مع أمهاتهم ، يطبخ بنفسه ليطعمهم! تَلَفَتَ عمرُ في البلدان يبحثُ عن أهلِ بلدٍ يغيثونه ، فتذكّر أنّ مصر هي أرض الطيبين ، هي أرض الكرم ، تذكّر أنها أطيب البلدان منزلاً ، وهي أحسنها موطئاً ، فأخذَ عمرُ رضي الله عنه كتاباً وكتب إلى عمر بن العاص! قال: السلام عليك من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أمير مصر السلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد واغوثاه.. واغوثاه.. واغوثاه إليك! والسلام! فلَمَّا وصل الكتابُ إلى عمر بن العاص جمع أهل مصر ، جمع أهل الكرم ، جمع أهل الجود والإحسان. وعمرو رضي الله عنه يعلم أنه يضع يده في سمنٍ ودقيقٍ وعسل ، يعلم أنه إن استنجد وإن طلب المساعدة ، فإنما أمامه كرماء قرأ عمرو أمامهم كتاب أمير المؤمنين. فوالله ما بخلوا ولا تراجعوا ولا ترددوا ، مضى أهل مصر إلى بيوتهم فمنهم من يأتي بدقيق ، ومنهم من يأتي بتمر ، ومنهم من يأتي بثمارٍ مجففة ، ومنهم من يأتي بأنواع الخبز ، حتى جمعوا من ذلك شيئاً عظيماً وبعث عمرو إلى عمر كتاباً قال فيه: "أما بعد: فيا لبيك.. يا لبيك.. يا لبيك! أنتك عيرٌ أولها عندك وآخرها عندي". وبعثتم أيها المصريون في ذلك الحين إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أيتامهم ، إلى محتاجيهم ، إلى أراملهم ، بعثتم بيض الله وجوهكم ، بعثتم قافلةً تزحف كالسيل وتسير كالليل حتى وصلت إلى المدينة ، فقسّمها عمر بينهم ورفع الله عنهم كربتهم! فعلمَ عمرُ بكرم أهل مصر ، وعلمَ أنّ الكريم لا يرُد ولا يبخل وإن تكرر عليه الطلب. فكتب كتاباً إلى عمرو قال فيه: "يا عمرو إن الله قد فتح علينا مصر ، وهي كثيرة الخير والطعام ، وقد ألقى في روعي لما أحببت من الرفق بالناس والتوسعة عليهم أن أحفر خليجاً من نهر النيل حتى يصب في البحر ، فهو أسهلّ لِمَا نريدُ أن نحمل عليه الطعام أسهلّ من أن يحملها الرجال على أكتافهم أو العير على ظهورها". فاجتمع عمرو مع أهل مصر. فوالله ما قال أحدٌ من أجدادكم: لا. ولا قال أحدٌ من أجدادكم: هو طعامنا فلماذا نرسله إلى غيرنا؟ ولا قال أحدٌ منكم: نخشى أن تنقص زروعنا إذا صدرناها إلى غيرنا. كلا وإنما أنتم سلاله الأنبياء ، سلاله موسى عليه السلام لَمَّا ركب في السفينة ، وقد خرقتها الخضرُ عليه السلام قال له موسى: أخرقتها لتغرق أهلها؟ ونسي أنه سيغرق هو. ولَمَّا رأى الضعفاء فكّر فيهم قبل أن يفكّر في نفسه! أنتم سلاله موسى عليه السلام لَمَّا وقف عند المرأتين وهو المجهد المتعب ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امرأتين تَدُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ! والله ما طلب منهما مكافأة ، كلا فليس هو طبع المصريين ، ولا طلب منهما طعاماً ، ولا مُدَقَّةَ لبنٍ! وإنما فعلها لله! فأخذ المصريون يحفرون بأيديهم ومساحيهم ويصنعون هذا الخليج حتى صنَعَ الخليج ، وصار يحمل الأرزاق من نهر النيل حتى تسيح في الأرض. وظلَّ هذا الخليج موجوداً حتى طمره أبو جعفر المنصور ، لَمَّا أراد أن يضيقَ على بعض من خرجوا عليه! لقد استمرَّ كرمُ المصريين في مكة والمدينة والحرمين ، ففي كل موسم حجٍ وبعده لا يفقد الناس والله منذ سنين التكيّة المصرية. يأتي الحجاج المصريون معهم طعامٌ ليس لهم فقط ، بل كل واحدٍ يحمل طعاماً يكفيه ويكفي المئات معه ، ثم يضعون تكيّةً - يعني أماكن معدة للضيوف كالفندق - يضعون

تكيّة ثمّ يأتي الفقراء والمحتاجون من أنحاء الأرض. هذا جاء من أوزبكستان فيأكل من تكيّة المصريين ، وهذا جاء من الهند فيطعمه المصريون ، وهذا جاء من باكستان ، وهذا جاء من اليمن ، ومن العراق ، ومن بلاد الشام ، وأهل مكة يأتون إلى المصريين يأكلون بالمجان. فلماذا يفعلون مثل ذلك؟ إلا لأنكم أهل الكرم وأهل الجود أيها المصريون! بل حتى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحبّاب سيدنا رسول الله ، الطيبون الطاهرون ، هم أحبّاب نبينا ، وأحفاد رسولنا نزل بعضهم في مصر فوجدوا والله من الاحتفاء والحب والكرامة والقرب ما يليق بهم! المصريون هم أكثر الناس إكرامًا لآل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام! المصريون هم أكثر الناس احترامًا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم! المصريون هم أكثر الناس غيرة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم! المصريون هم أعظم الناس إعظامًا وتقديرًا لكتاب رب العالمين. وما مواقف شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - وفقه الله - ومواقف علماء مصر إلا شاهدة على إكرام صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام! ما أفلح الفاطميون في تغيير عقيدتكم ، والله ما أفلحوا في أن يوغروا صدوركم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما أفلح الفاطميون في أن يغيروا عقائدكم أنتم أهل العقيدة أيها المصريون! المصريون هم أهل القوة والثبات رغم الفتن ها هم السحرة يأتي فرعون بهم لحرب موسى عليه السلام ، فلمّا رأوا آيات النبوة ألقوا السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين ، فهددهم فرعون بالعذاب والقتل الشنيع! "فَلأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ وَأَلْصَلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى" فردّ المصريون المؤمنون: "لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"! فمدحهم الله تعالى وأثنى عليهم! بل أيها الناس في كل الدنيا: إن ارتباط مصر بالعالم ، وإن فضل مصر على كل العالم لا ينكره أحد! أنتم الذين درستم العرب في كل الدول ، درستم العرب صغارًا ، ودرستمهم في الجامعات كبارًا ، ولا تكاد تجد اليوم بلدًا في العالم إلا وجدت المصريين فيه مبرزين علمًا وطبًا وفلكًا وهندسةً وفي كل ذلك. أنتم لكم فضل لا يُنكر حتى على المملكة بلاد الحرمين! إن ارتباط المملكة بلاد الحرمين بمصر هو ارتباط وثيق ، وحبل عتيق. قبل عشرات السنين أول ما فُتحت المدارس الحكومية في المملكة بلاد الحرمين والخليج والله ما درّس فيها إلا المصريون. درّسوني ودرّسوا غيري ، أول جامعة فُتحت في السعودية رأسها رجل مصري والله ما تجد اليوم في المملكة ولا في غيرها من دول الخليج وزيرًا ولا أميرًا ولا مسؤولًا ولا عالمًا إلا وجدت لمعلم مصري عليه فضلًا! بل إن بدايات المناهج الحكومية التي أُلّفت في أكثر الدول العربية أول ما بدأت المدارس أخذت المناهج منكم أيها المصريون! فلمّا أُلّفت البلدان الأخرى لأنفسها مناهج جاءها مستشارون مصريون يؤلّفون معهم! لا يزال إلى اليوم يتذكّر وجهاء مكة ووجهاء جدة أنّ أول طريق معبّد صنع ما بين جدة ومكة عملته مصر! لا يزال نتذكّر أنّ أول البعثات العلمية السعودية للتعليم كانت إلى مصر ولا ننسى والله أبدًا الإمامة في الحرمين الشريفين التي لم يتولها أحدٌ أبدًا من خارج المملكة إلا المصريون! الشيخ عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله تعالى إمام الحرم المكي جاء من الإسكندرية في عام - 1345 للهجرة وصلّى إمامًا في الحرم المكي ، وأنشأ العلم فيه وهو أول من استعمل مكبر الصوت في الحرم المكي ثم توفي في مستشفى الجيزة في مصر! الشيخ عبد المهيم أبو السمح مصري الجنسية تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام عام 1369 للهجرة ، وكان له أثر في إنشاء رابطة العالم الإسلامي وهو صاحب أقدم تسجيل تلفزيوني بين أئمة الحرم! بل إن علماء مصر كان لهم التأثير الكبير على كل الدول العربية والإسلامية. الشيخ عبد الرزاق عفيفي ارتحل إلى المملكة -

مصري - فتتلمذ كبار العلماء ثنوا ركبهم عند قدميه ، وهم علماء الآن هم قد شابته لحاهم في هيئة كبار العلماء ، هم من طلاب رجلٍ مصري الشيخ عبد الرزاق عفيفي. وتمَّ اختياره ليصبح عضوًا في هيئة كبار العلماء ، ثمَّ أصبح عضوًا في اللجنة الدائمة للإفتاء ، ثمَّ أصبح نائبًا لرئيسها الشيخ عبد العزيز بن باز. والكل إلى اليوم يتذاكر هذا المصري بالعلم والفضل والزهد والورع والديانة والحرص والبلاغة والفصاحة والعلم! لا ينسى أحد مشايخ مصر الذين علّموا في السعودية وفي بقية الخليج! المصريون اليوم هم الأئمة ومقرؤو القرآن في أكثر دول الخليج ، بل أكثر دول العربية بل أكثر دول العالم. بل هم أساتذة جامعاتها وهم المستشارون عند كبار مسؤوليها المصريون: لهم بالمملكة العربية السعودية وبالخليج وبجميع الدول العربية علاقة وطيدة. والله والله والله لا يستطيع أن يُفسدها أي مفسد! إنَّ مصر لا بد أن تعود للقيادة والريادة تحمل هموم الأمة ، وتصعد بها إلى القمة ، وتدرأ في نحور أعدائهم ، وتدفع شروهم. هذا قدر مصر منذ أن حملت راية الخلافة في العالم فقد استقلت مصر بالخلافة الإسلامية لمدة مائتين وخمسة وستين سنة! كانت قيادة الأمة هنا في مصر لما انقطعت الخلافة في بغداد إبّان الغزو التتري عام 656 للهجرة! انتقلت الخلافة إلى مصر ، ومكثت الخلافة في مصر! تُديرون العالم الإسلامي كله بعقولكم وحكمتمكم أيها المصريون ، حتى انتقلت بعد ذلك إلى تركيا في عام 1924م. مصر تولّت القيادة العلمية والثقافية في البلدان العربية قرابة أربعمئة سنة كانت الكتب والأمر - كما يقولون: "تولّف الكتب في مصر وتُطبع في مصر والأساتذة يخرجون من مصر يعلمون الناس ، وطلبة العلم يأتون إلى مصر ليستفيدوا منها". بل حتى عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب جاء إلى مصر ، ولبتَّ فيها أربع سنين يطلب العلم من مشايخها وهو حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب! ثمَّ من إعجاب ذرية محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بمصر وأهلها ، أرسلوا أيضًا عبد اللطيف بن عبد الرحمن الذي جدّه ابن عبد الوهاب ، أرسلوه إلى مصر ، ومكث فيها ثلاثين سنة يطلب العلم على أيدي علمائها ، حتى عاد إلى السعودية وتحديداً إلى نجد ، يعلم العلماء ما تعلّمه من علماء مصر ، ويفقّهم من فقه علماء مصر ، ويعلمهم البلاغة والبيان التي تعلّمها في مصر ، حتى إنه كان يلبس الجبّة وما يلبسه مشايخ الأزهر لا يزال يلبسه بهذه الهيئة حتى مات رحمه الله! إنَّ ارتباط العلم بمصر ارتباط وثيق. بلدكم مصر والله ليست للمصريين فقط ، كلا بل هي للمسلمين كلهم عربهم وعجمهم ، بل للعالم كله! أنتم وقفتم ببطولة أمام غزو التتار لمّا تجرأوا على مصر ، فدحرتموهم أيها الأبطال في معركة عين جالوت بقيادة الأمير قُطز ، ولم يذق التتار أبداً هزيمةً مثلها طوال خمسين سنة! أنتم دحرتم الحملة الصليبية لمّا تجرأ لويس التاسع على غزو مصر وأدقتموه الأسر والهوان. أنتم رفعتم راية العز بانتصاراتكم المتكررة على اليهود! إنَّ مصر مهينة لتصبح بلداً عظيمة فيها طاقات طبيعية وعقولٌ بشرية! والله إنَّ مصر ليست أقل من كوريا ، ولا أقل من ماليزيا ، ولا أقل من تركيا. مصر فيها من المقدرات الطبيعية والعقول البشرية والقدرات المتفننة ، وفيها من المبدعين ما ليس في دول كثيرة ، شريطة أن تُستثمر قدرات أهلها وتوحّد صفوفهم وتُحترم كرامتهم وتُضمن حقوقهم وتجتمع كلمتهم! إنَّ مصر هي الركن الركين الداعم للدول العربية والإسلامية ، إنها بلدٌ تاريخيٌ مجيد. هـ. وإذا برحنا ساحة العريفي إلى ساحة الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) فماذا قالت عن مصر فيما قالت؟! تقول الويكيبيديا عن مصر: (تواكبت على مصر العديد من العصور والحقب التاريخية ، مروراً بالفرس (نحو 343 قبل الميلاد) ، ثمَّ قدوم الإسكندر الأكبر (323 قبل الميلاد) ، والذي تأسست بعده الدولة البطلمية ، وبعدها غزاها الرومان (31 قبل الميلاد) ، وظلّت تحت حكمهم 600 عام. وفي فترة

حكم الرومان شهدت مصر ظهور النصرانية وانتشارها في مصر ، وبعدها جاء الفتح الإسلامي (نحو 640 بعد الميلاد) ، وتحولت مصر إلى دولة إسلامية. وتأسست في مصر العديد من الدول مثل: الدولة الطولونية ثم الإخشيدية ثم الفاطمية ثم الأيوبية ثم المماليك وبعدها أصبحت تحت حكم العثمانيين حتى عام 1914 م ، عندما أعلنت السلطنة ، ثم تحولت إلى مملكة (1922م) ، ثم تحولت بعد ذلك إلى جمهورية (1953م). (طبعاً هذا الكلام من الويكيبيديا فيه نظر كبير ، لأنه يورخ لمصر من عهد الفرس والرومان! ويتغافل مجيء (مصر ايم بن كنعان بن نوح) المسلم المؤمن الموحد الذي أقام الإسلام في مصر وأهلها ، وذلك بعد طوفان نوح وبدأت مصر عهداً جديد ككل بقعة في الأرض!) وتكمل الويكيبيديا كلامها عن مصر فتقول: وتشتهر مصر بالعديد من الآثار ؛ مثل أهرام الجيزة وأبي الهول ، ومعبد الكرنك والدير البحري ووادي الملوك وآثارها القديمة الأخرى ، مثل الموجودة في مدينة منف وطيبة والكرنك ، ويُعرض بعضٌ من هذه الآثار في المتاحف الكبرى في جميع أنحاء العالم. وقد وجد علم خاص بدراسة آثار مصر سمي بعلم المصريات ، وكذلك هناك الآثار الرومانية والإغريقية والقبطية والإسلامية بمختلف عصورها! وتعدُّ اللغة المصرية القديمة من أقدم لغات العالم واستمرت أكثر من 3000 سنة ، واخترع المصريون القدماء الكتابة الهيروغليفية. وتعدُّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية لها. وتتكون أرض مصر من نواة أركية قديمة ، هي جزء من الكتلة العربية النوبية والتي تُعد جزءاً من الدرع الإفريقي ؛ والذي كان يُمثل قلب قارة جوندوانا في العصر الأركي. وقد تعرّض الدرع الإفريقي بمختلف أجزائه لتأثيرات العديد من العوامل عبر العصور ، لذلك أخذت أرض مصر تنمو صوب الشمال على حساب بحر تيثيس. وبلغت مصر عند منصرم الزمن الجيولوجي الثالث مساحتها الحالية ، وتشكلت ملامح سطحها وسواحلها كما هي الآن في الزمن الرابع. وقد تكونت التربة المصرية في وادي النيل ودلتاه من تراكم طمي النيل الذي أُشقت أصلاً من فتات صخور هضبة الحبشة ، والذي بدأ يرد إلى مصر منذ نحو 10 آلاف سنة ، ويُمكن تقسيم التربة المصرية إلى أنواع هي: التربة الصلصالية السوداء الثقيلة القوام العميقة ، والتربة الصلصالية السوداء الثقيلة القوام الضحلة والتربة الصلصالية الرملية الخفيفة ، والتربة الرملية الحصوية! وتُعد الحدود السياسية الحالية لمصر حديثة للغاية فأقدم اتفاقية للحدود ترجع إلى عام 1899م. أما قبل ذلك فكانت تخوماً ، وبحكم طبيعة موقع مصر الجغرافي الرابط بين قارتي آسيا وإفريقيا ؛ فكانت تخوم مصر تتمدد وتنكمش حسب درجة قوة الدولة المصرية. والحدود البرية المصرية فلكية هندسية ، وتتجاوز مصر مع 4 دول: فلسطين (قطاع غزة) والشمال الشرقي ، وليبيا جهة الغرب ، والسودان جهة الجنوب. فيحد جمهورية مصر العربية اليوم من الشمال البحر المتوسط بساحل يبلغ طوله 995 كم ، ويحدها شرقاً البحر الأحمر بساحل يبلغ طوله 1941 كم ، ويحدها في الشمال الشرقي منطقة فلسطين (الضفة وقطاع غزة) بطول 265 كم ، ويحدها من الغرب ليبيا على امتداد خط بطول 1115 كم ، كما يحدها جنوباً السودان بطول 1280 كم. أما عن المناخ فإنه يتأثر بعدة عوامل أهمها الموقع ومظاهر السطح والنظام العام للضغط والمنخفضات الجوية والمسطحات المائية ، حيث ساعد ذلك كله على تقسيم مصر إلى عدة أقاليم مناخية متميزة فتقع مصر في الإقليم المداري الجاف فيما عدا الأطراف الشمالية التي تدخل في المنطقة المعتدلة الدفيئة التي تتمتع بمناخ شبيه بإقليم مناخ البحر المتوسط الذي يتميز بالحرارة والجفاف في أشهر الصيف وبالاعتدال في الشتاء مع سقوط أمطار قليلة تتزايد على الساحل. وبحسب الموقع الفلكي للبلاد فإن أطرافها الشمالية تقع على مشارف العروض الوسطى ، كما أن باقي أجزائها

تقع داخل العروض المدارية الحارة والجافة حيث يسيطر الضغط المرتفع دون المداري وما يصحبه من هواء هابط يقلل من فرص سقوط الأمطار. كما أن هذه العروض تسود بها على السطح الرياح التجارية الجافة والتي تتميز بقابليتها لحمل بخار الماء؛ لأنها تسخن كلما تقدمت جنوباً إلى خط الاستواء. وخلال فصل الشتاء تغلب على شمال مصر الرياح الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية والغربية؛ خاصةً الساحل الشمالي الغربي والدلتا. وفي مصر الوسطى ومصر العليا تسود الرياح الشمالية. أما في الربيع فتبدأ الرياح الغربية في التراجع بينما تتقدم الرياح الشمالية وذلك بشكل عام. ولفصل الصيف نمطاً مختلفاً للرياح السطحية، فالرياح الشمالية وأفرعها تطفئ على كل الاتجاهات وتستحوذ على أكبر نصيب من اتجاهات الرياح، وتعرف بالرياح التجارية وهي رياح جافة وتعرف بين العوام بالهواء البحري. ويعد فصل الخريف فترة انتقالية بين ظروف الصيف والشتاء في مصر، فتبدأ الرياح الشمالية بالتراجع وقد يحدث بعض الخلل في توزيعات الرياح. وأما بالنسبة للرطوبة، فإنها ترتفع في فصل الشتاء خاصةً في القسم الشمالي للبلاد؛ ويصل متوسط الرطوبة النسبية إلى 80% شمال البلاد، و40% في أقصى جنوب البلاد، وتصل ما بين 60% و70% على سواحل البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء. أما في فصل الصيف فإنها تنخفض في شهر يوليو، وتصل الرطوبة النسبية في المناطق الساحلية ما بين 60% و70% في يوليو وأغسطس، بينما تنخفض إلى 20% في أقصى جنوب البلاد. أما في الفصول الانتقالية وهما الربيع والخريف فتكون الرطوبة النسبية وسطاً بين الشتاء فمن الموارد المائية بها ساحلي البحر والصحراء؛ تتمتع مصر بالعديد من الموارد الطبيعية الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى وجود 10 بحيرات طبيعية منها بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس وبحيرة قارون إضافة إلى بحيرة ناصر الصناعية، بالإضافة إلى مورد المياه العذبة الرئيسي وهو نهر النيل الذي يمتد بطول مصر وينتهي بشطريه رشيد ودمياط، ويبلغ حجم الموارد المائية المتاحة عام 2000 / 2001 حوالي 68 مليار متر مكعب يستخدم منها في الزراعة نحو 85% سنوياً، وفي الصناعة 9.5% وفي الشرب 5.5%. ساهم وجود نهر النيل أيضاً في انتشار الرقعة الزراعية على طول ضفتيه، كذلك يوجد بمصر سلاسل جبلية تمتد في جبال البحر الأحمر وجبال سانت كاترين في سيناء، وتوجد مساحات واسعة تتمثل في الصحراء الشرقية والغربية (والتي تتميز بوجود عدد من الواحات بها مثل: سيوة والفرافرة والداخلة والخارجة) بالإضافة إلى شبه جزيرة سيناء. وهذا التنوع في التضاريس والأماكن الجغرافية ساهم أيضاً في توفر العديد من الثروات الطبيعية مثل الحديد والذهب والمنجنيز والفوسفات، وكذلك الأحجار مثل: الجرانيت والبازلت والرخام والحجر الجيري ورمل الزجاج، بالإضافة إلى الفحم والبتروك والغاز الطبيعي! وتعد مصر من أقدم الحضارات بالعالم التي ظهرت قبل كتابة وتدوين التاريخ، حيث استوطنتها الشعوب البدائية منذ القدم تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم، واستخدم فيها الإنسان المصري القديم أدوات من الحجر المنحوت نحتاً بسيطاً، وكان يستخدم الأخشاب والأحجار كأسلحة للصيد والدفاع عن نفسه! ولقد عرف المصريون الأوائل الكتابة، واستقروا في مجتمعات صغيرة وبدؤوا في تكون نواة المدينة قبل أربعين قرناً تقريباً، وبدأ تكوين الدولة أثناء تلك الحقبة فكانت كثير من المدن القديمة على جانبي نهر النيل مثل طيبة وممفيس وبوتو وهيراكونوبوليس وأليفاتانين وبوباستيس وتانيس وأبيدوس وسائس وأكسويس وهليوبوليس، ولكنها تقلصت على مر القرون إلى ثلاث مدن كبيرة في صعيد مصر هم: ثينيس ونخن ونقادة! ويقسم عصر ما قبل الأسرات إلى ثلاث أجزاء رئيسية نسبة إلى الموقع الذي توجد فيه المواد

الأثرية: المواقع الشمالية من حوالي عام 5500 قبل الميلاد وخلفت آثار تدل على استقرار ثقافي ولكنه ليس كمثلها في الجنوب ، وتدل الآثار على أنه في حوالي عام 3000 قبل الميلاد تواجدت قوة سياسية كبيرة كانت العامل الذي أدى إلى اندماج أول مملكة موحدة في مصر القديمة حيث تعود إلى هذه الفترة أقدم الكتابات الهيروغليفية المكتشفة ، وبدأت تظهر أسماء الملوك والحكام على الآثار ، واستمر الحال كذلك حتى القرن الحادي والثلاثين 3200 قبل الميلاد حيث جاء مينا أو نعرمر موحد القطرين الشمالي والجنوبي (الدلتا والصعيد) ، ويعتقد كثير من علماء المصريات بأن الملك نعرمر هو آخر ملوك هذا العهد ، والبعض الآخر يضعه في الأسرة الأولى! هذا ، ويبدأ تاريخ مصر القديمة من عام 3150 ق.م ، عندما وحد الملك نارمر مصر العليا والسفلى ونشأة الأسرة الأولى ، ضمت تاريخياً سلسلة من الممالك المستقرة سياسياً ، يتخللها فترات عدم استقرار نسبي تسمى الفترات المتوسطة. بلغت مصر القديمة ذروة حضارتها في عصر الدولة الحديثة ، وبعد ذلك دخلت البلاد في فترة انحدار بطئ ثم التدهور. ولقد استمد نجاح الحضارة المصرية القديمة في القدرة على التكيف مع ظروف وادي نهر النيل. وساعد التنبؤ بالفيضانات والسيطرة على أضرارها في إنتاج محاصيل زراعية وافرة أسهمت في التنمية الاجتماعية والثقافية. وقامت السلطات ومع توافر المواد اللازمة باستغلال المعادن الموجودة في منطقة الوادي والمناطق الصحراوية المحيطة به! وقامت بوضع نظام كتابة مستقل ، ونظمت البناء الجماعي والمشاريع الزراعية ، بالإضافة للتجارة مع المناطق المحيطة بها ، وتعزيز القوى العسكرية للدفاع العسكري ضد الأعداء الخارجيين وتأكيد الهيمنة الفرعونية على البلاد. وقد كان تنظيم تلك الأنشطة وتحفيزها يتم من خلال نخبة من البيروقراطيين والزعماء الدينيين والإداريين تحت سيطرة الفرعون الذي حرص على التعاون والوحدة للمصريين في سياق نظام محكم للمعتقدات الدينية. وتضمنت إنجازات قداماء المصريين استغلال المحاجر إضافة إلى المسح وتقنيات البناء التي سهلت بناء الأهرام الضخمة والمعابد والمسلات بالإضافة لنظام رياضيات عملي وفعال في الطب ، وأنظمة الري وتقنيات الإنتاج الزراعي ، وأول ما عرف من السفن ، والقيشاني المصري وتكنولوجيا الرسم على الزجاج ، وأشكال جديدة من الأدب ، وأول معاهدة سلام معروفة. تركت مصر القديمة إرثاً دائماً. ونُسخت وقُلدت الحضارة والفن والعمارة المصرية على نطاق واسع في العالم ، ونقلت آثارها إلى بقاع بعيدة من العالم. وألهمت الأطلال والبقايا خيال المسافرين والكتّاب لعدة قرون ، وأدت اكتشافات في مطلع العصر الحديث عن آثار وحفريات مصرية إلى أبحاث علمية للحضارة المصرية تجلت في علم أطلق عليه علم المصريات ، ومزيداً من التقدير لتراثها الثقافي في مصر والعالم. وفي عصر الدولة القديمة بنى الملوك أهراماً كثيرة ليُلقَّب هذا العصر بعصر بناء الأهرام ؛ من أشهرهم الملك زوسر وهرم سقارة المدرج الذي بناه المهندس إمحوتب والملك خوفو والهرم الأكبر الذي يعد من عجائب الدنيا السبع. وفي عام 1786 ق.م قام الهكسوس الذين قدموا إلى مصر كتجار وأجراء في القرن المضطرب السابق ، باحتلال شمال مصر واستقدموا الحصان والعجلات الحربية وقوي نفوذهم بسبب المشاكل الداخلية بمصر ، ولكن في عام 1560 ق.م قام الملك أحمس بطرد الهكسوس وباقي القبائل الآسيوية ، مؤسساً الدولة الحديثة وأصبحت مصر إمبراطورية سيطرت على الشام والنوبة وأجزاء من الصحراء الليبية وشمال السودان لتصبح مصر أول إمبراطورية في تاريخ البشرية لكنها سقطت بعد أن دخل الآشوريين مصر ؛ وكانت الأسرة الثلاثون آخر الأسر الفرعونية بعد أن أسقطها الفرس عام 343 ق.م. وفي عام 332 ق.م استطاع الإسكندر الأكبر غزو مصر وإنهاء حكم الساسانيين فيها

، ولكن بعد وفاة الإسكندر الأكبر قُسمت إمبراطوريته بين كبار قادته ، حيث تولى «بطليموس الأول» حكم مصر وأسس فيها الدولة البطلمية. اهتم بطليموس الأول ببناء مدينة الإسكندرية التي أسسها الإسكندر الأكبر قبل مغادرته مصر في حملة عسكرية إلى بلاد الشرق ، وجعل بطليموس الأول الإسكندرية عاصمة لمصر ، وصل نفوذ الدولة البطلمية إلى فلسطين وقبرص وشرق ليبيا ، وتكونت أسرة البطالمة من 16 حاكماً ، وظلت أسرة بطليموس تحكم مصر حتى دخلها الرومان في عام 30 ق.م ، وآخر البطالمة كانت الملكة كليوباترا وابنها بطليموس الخامس عشر (قيصريون). وعرفت مصر ازدهاراً خلال عهود بطليموس الأول وبطليموس الثاني وبطليموس الثالث. كون البطالمة ذوى أصول إغريقية لم يمنعهم من التشبع بالتقاليد والعادات المصرية ، فمعمارهم المصري ومعابدهم للآلهة المصرية وطريقة عيشهم مصرية وساعد على ذلك تزواجهم من المصريين. جميع ملوك البطالمة حملوا اسم بطليموس. واتخذوا من الإسكندرية عاصمة لهم ، وظلت كذلك حتى معركة أكتيوم البحرية عام 31 ق.م عندما انتصر أكتافيوس على أنطونيوس وكليوباترا لتصبح مصر ولاية رومانية منذ ذلك التاريخ. وبعد انتصار أوكتافيوس في معركة أكتيوم عام 31 ق.م أصبحت مصر تابعة للدولة الرومانية ، واعتمدت روما في توطيد سلطانها على مصر بالقوة العسكرية فأقامت الثكنات في أنحاء البلاد ، فكان هناك حامية شرق الإسكندرية وحامية بابليون وحامية أسوان وغيرها من الحاميات التي انتشرت في أرجاء البلاد ، ولم يهتم الرومان كثيراً بتحسين الأوضاع في مصر فقد كانوا ينظرون لها على أنها «سلة الغلال» بالنسبة للإمبراطورية الرومانية. وكان يتولى حكم مصر والي يبعثه الإمبراطور نيابة عنه ومقره الإسكندرية يهيمن على إدارة البلاد وشؤونها المالية وهو مسؤول أمام الإمبراطور مباشرة ، وكانت مدة ولايته قصيرة حتى لا يستقل بها ، وهذا ما جعل الولاة لا يهتمون بمصالح البلاد بل صبوا اهتماماتهم على مصالحهم الشخصية وحرموا المصريين من الاشتراك في إدارة بلادهم مما جعلهم كالأغريباء فيها ، بالإضافة إلى منعهم من الانضمام للجيش حتى لا يدفعهم ذلك إلى جمع صفوفهم ومقاومة الرومان في المستقبل. وأدت هذه السياسة الجائرة إلى توتر الأوضاع واشتعال الثورات ضد الرومان ، وكانت الحاميات الرومانية تقضى على هذه الثورات بكل عنف ومن أخطر هذه الثورات ما حدث في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161-180 م) وعرف بحرب الزرع أو الحرب البكولية (نسبة إلى منطقة في شمال الدلتا) وتمكن المصريون من هزيمة الفرق الرومانية وكادت الإسكندرية أن تقع في قبضة الثوار لولا وصول إمدادات للرومان من سوريا قضت على هذه الثورة. ازدادت حدة الثورات مع دخول النصرانية إلى مصر ، والتي قوبلت بأشد أنواع الاضطهاد للنصارى بالتعذيب والصلب والقتل حتى لم ينج منهم إلا من فر إلى الصحاري أو التجأ إلى المقابر والكهوف ، استطاعت الملكة زنوبيا ملكة تدمر «بالميرا» من الاستيلاء على مصر (269 م) لمدة عامين فقط ثم نجح الإمبراطور أوريليانوس (270 – 275 م) في القضاء على نفوذ تدمر في مصر بل واستولى على تدمر نفسها ، ثم استطاع الفرس مجدداً السيطرة على مصر لفترة وجيزة عام 618 ميلادية ، قبل أن يستردها منهم البيزنطيون عام 629 م ، وعندما تولى الإمبراطور قسطنطين (323 – 337 م) أصبح أول إمبراطور نصراني للإمبراطورية الرومانية واعترف رسمياً بالديانة النصرانية ، ويعدّ هذا هو بداية العصر البيزنطي الذي انتهى تماماً مع دخول الإسلام مصر مع قدوم عمرو بن العاص عام 641 م. وفي عام 639 ميلادية ، قاد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جيشاً إسلامياً قدم من الشام عدده 4 آلاف جندي ، واستطاع هزيمة البيزنطيين في مصر والاستيلاء عليها عام 641 م بعد معارك استمرت لسنتين ، وقام بإنشاء مدينة الفسطاط وأصبحت ولاية إسلامية تابعة للخلافة وقاعدة لانطلاق الفتوحات الإسلامية في شمال

إفريقيا ، وبدأت عملية أسلمة السكان في مصر. وتعاقبت ممالك ودول على مصر ، فبعد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية حكمها العباسيون ، واستطاع أحمد بن طولون تأسيس أول دولة في مصر (الدولة الطولونية) ثم أعقبه الإخشيديون ، حتى انتزعها منهم الفاطميون وجعلوا عاصمتهم القاهرة التي أسسها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي ، وذلك حتى أعادها الأيوبيون اسمياً إلى الخلافة العباسية ، وأسس صلاح الدين الدولة الأيوبية التي كانت تحكم مصر والحجاز وأجزاء من الشام والعراق. شهدت مصر بداية من العصر الأخشيدي جلب العديد من المماليك وهم رقيق من عدة مناطق في آسيا! زاد شأنهم في عهد الدولة الأيوبية واستعان بهم الحكام ، ثم ما لبثوا أن ارتفع شأنهم وتولوا المناصب في الدولة وأمور الجيش ، وعقب وفاة نجم الدين أيوب تمكن المماليك من الوصول للسلطة عام 1250 م ، وشهدت مصر وقتها معركة عين جالوت والتصدي لخطر المغول ، ثم أعقبها استعادة العديد من المدن من الصليبيين ، وتم نقل مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة عام 1260 م ، واستمر حكمهم حتى بعد أن فتحها العثمانيون ، لتصبح مصر ولاية عثمانية عام 1517 م ، واستمر حكم العثمانيين لمصر حتى قدوم الحملة الفرنسية والتي أعقبها تولي محمد علي حكم مصر فانتقل الحكم بعدها إلى سلالاته. وتميزت الفترة العباسية بفرض ضرائب جديدة ، وثار الأقباط مرة أخرى في العام الرابع للحكم العباسي. تمكن عبد الله بن طاهر من إعادة الحكم العباسي في مصر في بداية القرن التاسع ، لكنه قرر الإقامة في بغداد وإرسال نائب إلى مصر ليحكم نيابة عنه. قامت ثورة أخرى في 828 ، وفي 831 انضم الأقباط إلى العامة المسلمين وعرفت بثورة البشموريين ، ولجأ الوالي للبطريك يوسف الأول لإرسال رسائل وأساقفة لمناشدة البشموريين للتصالح ، لكن البشموريين أساءوا معاملة الأساقفة ورفضوا التصالح ، تدخل الخليفة المأمون بنفسه وشن هجوماً كبيراً من شبرا بالقرب من سمنيد وتم القضاء على التمرد وأدى ذلك لاضطهاد للنصارى في مصر بسبب تهديدهم السياسي للسلطة. في نهاية المطاف ، أدى ضعف سلطة العباسيين في بغداد إلى تكليفهم لولاة عسكريين الواحد تلو الآخر حكم مصر ، ومع ذلك فقد كانت السلالة الطولونية (868-905) و سلالة الأخشيديون (935-969) من بين أكثر السلالات نجاحاً في تحدي الخليفة العباسي! وظل الحكام المسلمون مسيطرين على مصر على مدى القرون الستة التالية ، نشأت بعدها حركات تمرد شعبية تركية فتأسست الدولة الطولونية في مصر وامتدت للشام لاحقاً ، كانت القاهرة مقراً للدولة العبيدية الفاطمية. مع نهاية السلالة الأيوبية ، سيطر المماليك وهم طائفة عسكرية تركية شركسية ، على حوالي عام 1250م. وبحلول أواخر القرن الثالث عشر ، ربطت مصر البحر الأحمر والهند والملايا وجزر الهند الشرقية. قتل الموت الأسود في منتصف القرن الرابع عشر حوالي 40٪ من سكان البلاد. ولما غزا الأتراك العثمانيون مصر بقيادة السلطان سليم الأول عام 1517م ، أصبحت مقاطعة تابعة للإمبراطورية العثمانية. لقد أضرت العسكرية الدفاعية بالمجتمع المدني والمؤسسات الاقتصادية. ضعف النظام الاقتصادي مقروناً بآثار الطاعون جعل مصر عرضة للغزو الأجنبي. استغرق التجار البرتغاليين على تجارتها. شهدت مصر ست مجاعات بين عامي 1687 م و1731م كلفت المجاعة عام 1784م ما يقرب من سدس سكانها. وكانت مصر دائماً مقاطعة يصعب على السلاطين العثمانيين السيطرة عليها ، ويرجع ذلك جزئياً إلى استمرار قوة وتأثير المماليك ، الطبقة العسكرية المصرية التي حكمت البلاد لقرون. وظلت مصر شبه مستقلة تحت حكم المماليك حتى غزاها الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت عام 1798م (انظر الحملة الفرنسية على مصر). بعد هزيمة البريطانيين للفرنسيين ، نشأ فراغ في السلطة في مصر ، وتبع ذلك صراع ثلاثي على السلطة بين الأتراك العثمانيين والمماليك المصريين الذين حكموا مصر لقرون ، والمرزقة الألبان في خدمة العثمانيين. ويعدّ الوالي العثماني محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة لما قام به من إصلاحات شملت جميع نواحي الحياة بما يتفق مع روح العصر الحديث بما في ذلك تبنيه العلمانية وفصل الدين

عن الدولة نتيجة تأثره بالأوروبيين خاصة الفرنسيين خلال شبابه وتأسيس الدولة على النمط الأوروبي ، فبدأ ببناء جيش مصر القوي وأنشأ المدرسة الحربية ، ونشأت صناعة السفن في بولاق ، والترسانة البحرية في الإسكندرية ، وأصلح أحوال الزراعة والري وأنشأ القناطر والسدود والترع ، وأنشأ المصانع والمعامل لسد حاجة الجيش وبيع الفائض للأهالي! وفي مجال التجارة عمل محمد علي باشا على نشر الأمن لطرق التجارة الداخلية وقام بإنشاء أسطول للتجارة الخارجية حيث ازدهرت حركة التجارة في مصر. ونشر التعليم لسد حاجة دواوين الحكومة فأنشأ المدارس على اختلاف مستوياتها وتخصصاتها وأرسل البعثات إلى أوروبا ونقل العلوم الحديثة. كما كان له أثر في ازدياد استقلالها عن الإمبراطورية العثمانية وإن ظلت تابعة لها رسمياً ، مع استمرار حكم أسرته من بعده ، وازداد نفوذها السياسي والعسكري في منطقة الشرق الأدنى إلى أن هددت المصالح العثمانية ذاتها. (وهذا لا يعني طهارة يد ونظافة حكم محمد علي باشا من العلمنة وحرب الإسلام ويكفيه سوءاً محاولته القضاء على الدعوة الوهابية في بلاد الحرمين)! ثم أحتلت مصر خلال الحرب الإنجليزية المصرية الثانية التي دارت رحاها عام 1882م بين القوات المصرية بقيادة أحمد عرابي ، والقوات البريطانية والأيرلندية ، بدأ الأسطول البريطاني بقصف الإسكندرية ثلاثة أيام في الفترة بين (11 يوليو – 13 يوليو) واقتحمت قوات البحرية الإسكندرية بعد أن دمرتها بالكامل. أعلن أحمد عرابي رفضه ، واستصدر من شيوخ الأزهر فتوى بتكفير الخديوي توفيق وخيانتته للدولة ومساعدة العدو لاحتلال أرض مصر ، وصرح بوجود التعبئة العامة والتجنيد لمحاربة بريطانيا. وظلت مصر ولاية عثمانية ظاهرياً حتى الحرب العالمية الأولى ؛ وأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية والحماية البريطانية الجبرية على مصر. وأنشئت في ظل الحماية البريطانية على مصر السلطنة المصرية وكان أول السلاطين هو السلطان حسين كامل (1914-1917م) وقد نُصّب سلطاناً على مصر بعدما عزل الإنجليز ابن أخيه الخديوي عباس حلمي الثاني وأعلنوا مصر محمية بريطانية في 1914م في بداية الحرب العالمية الأولى. وبتغيير اسم الخديوية المصرية للسلطنة المصرية أنهت السيادة الإسمية للعثمانيين على مصر ، ووظفت لذلك رمزية تغيير اسم الخديوية لسلطنة لمضاهاة لقب رأس الدولة العثمانية ؛ «السلطان». تلك الخطوة أنهت السيادة الإسمية للعثمانيين على مصر! ثم تولى الحكم من بعده فؤاد الأول الذي لقب بسلطان مصر حتى عام 1922م وتغير لقبه إلى ملك المملكة المصرية. وبعد إبعاد سعد زغلول وبدء ثورة 1919م والاضطرابات التي تبعتها ، أعلنت بريطانيا من طرف واحد إنهاء حماية المملكة المتحدة على مصر بما عرف ب «تصريح 28 فبراير 1922م» ليصبح هذا التاريخ هو تاريخ تأسيس المملكة المصرية. وفي عام 1923م شكّلت «لجنة الثلاثين» التي صاغت دستور 1923م ، وغُيّر لقب فؤاد الأول من سلطان مصر والسودان إلى ملك مصر والسودان. تم عقد معاهدة 1936م لمدة 20 عاماً بين مصر وبريطانيا ، وألغتها مصر من طرف واحد يوم 8 أكتوبر 1951م ، وألغت معها اتفاقية الحكم الثنائي للسودان الموقعة عام 1899م ، ثم بدأت حرب القنال الفدائية لمدة 3 شهور حتى حريق القاهرة وإقالة آخر حكومة وفدية يوم 27 يناير 1952م ، ثم انقلب ضباط من الجيش المصري في 1952م على الملك فاروق الأول (الذي كان ملكه ممتداً ليشمل مصر والسودان ودارفور وجزرة) ، وأجبروه على الرحيل عن مصر ، والتنازل لابنه الرضيع أحمد فؤاد الثاني آخر ملوك مصر ، ثم أعلنت الجمهورية يوم 18 يونيو 1953م. وبقيت على ما آلت إليه ، إلى يوم الناس هذا! حفظ الله مصر! قال الشيخ ناصر العمر عن مصر وأهلها: (إنَّ مصر مقبرة الغزاة ، ويتميز أهلها بقتال المعتدين والمحتلين ، وكانت تُرسل المجاهدين لمقاومة الحملات الصليبية ، وتصدّت للحملة الفرنسية حتى أخرجتها وهي صاغرة ، ووقفت للاستعمار البريطاني وأخرجته رغماً عن أنفه ، وواجهت العدوان الثلاثي الغاشم عليها بكلِّ قوّة وعنفٍ وصلفٍ ، ويوجد في أهل مصر من العاطفة الدينيّة الجياشة ؛ لو قسمت على المسلمين جميعاً لوسعتهم ، لو

قلت لواحد منهم واعظاً له: اتق الله! رجف قلبه ، ودمعت عينه ، وتراجع عن خطئه. وأنا على ثقة تامة بأن الجيش المصري ، سيكون يوماً ما في مقدمة الجيوش الرَّاحفة ، لتحرير الأقصى السليب من أبناء القردة والخنازير ، وسيلقن الجيش المصري اليهود درساً لن ينسوه بحول الله وقوته).هـ. والأستاذ أحمد هاشم يقول في فضائل مصر كذلك: (إن لمصر في الإسلام فضلاً عظيماً ، حيث تكرر ذكر مصر والثناء عليها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، فمن نصوص القرآن قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) ، وقوله أيضاً: (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) ، وقوله كذلك: (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ، ومن الكتب التي اهتمت بذكر فضائل مصر كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي ، والذي جاء فيه (1/ 27): "ذكر ما ورد في فضل مصر من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية: قال الكندي وغيره من المؤرخين: فمن فضائل مصر أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز في أربعة وعشرين موضعاً ، منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دلت عليه القران والتفاسير! ومما ورد في فضلها من السنة ما رواه أبو ذر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسْمَى فِيهَا الْقَيْرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا) ، أو قال: (ذِمَّةٌ وَصِهْرًا). أخرج مسلم في صحيحه ، وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الله الله في قبض مصر ؛ فإنكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عُدَّةً وأعاوناً في سبيل الله). أخرج الطبراني في المعجم الكبير ، وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ) فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: (لِأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر (167/1) وابن عساکر في تاريخ دمشق (163/46) ، والحديث ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة! وأما حديث: ((مِصْرُ كِنَانَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَا طَلَبَهَا عَدُوٌّ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللَّهُ) ، فقد قال السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص609): "لم أره بهذا اللفظ في مصر ، ولكن عند أبي محمد الحسن بن زولاق - في فضائل مصر له - حديثاً بمعناه ، ولفظه: (مِصْرُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، مَنْ يَرُدُّهَا بِسُوءٍ قَصَمَهُ اللَّهُ) ، وعزاه المقرئ في الخطط لبعض الكتب الإلهية". وذكر السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص609) أيضاً: عن عمرو بن الحمق مرفوعاً: (تَكُونُ فِتْنَةٌ أَسْلَمَ النَّاسُ أَوْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا الْجُنْدُ الْعَرَبِيُّ) ، قال: فلذلك قدمت عليكم مصر. أخرج الحاكم في مستدرکه 495/4 ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - ووافقه الذهبي).هـ. حفظ الله مصر وأهلها الطيبين! وجعلها الله راندة الشرق!)

وقف الخلق بين أخذ وردّ ينظرون آيات عزي ومجدي  
يرقبون فخراً يروح ويغدو مثل بحر ما بين جزر ومد  
يرصدون الأمداح تختال زهواً كالهيا عشاق وطلاب ودّي  
يعجبون ممن يحبون أهلي حاملين باقيات زهر وورد  
واسألوا التاريخ الموثق عنني والنصوص تحوي صدوق السرد  
واسألوا الاستشراق عن كل خببر بعض أهليه بالغوا في الحيد!

واسألوا جيل الباحثين النشامى إنهم خطوا باقتناع ورشد  
 كم بأسفار العلم كم من خبايا! أظهرتها كف تعاف التعدي!  
 كم أعاد ساقوا شهادة صدق لم تملهم عنها بوادر حقد!  
 من سيحصي أندى البراهين عدداً أو يوافي جهاننا بالحصد؟!  
 من يعد مناقباً ليس تُحصى مالها من رد يفي أو رصد  
 قصتي من سالف الدهر لغز حله يأتي بعد فكر وجهد  
 والحكايا طويلة لا تُبارى نصها كم يأوي لعمق السرد  
 منذ فجر التاريخ كان ابتدائي في روايات مالها من عد  
 كنت بعد الطوفان معقل سلم إذ أهل (مصريم) الخير عندي!  
 وأقام الإسلام فوق ربوعي خير دين أتى به خير مهدي  
 واقتطعت اسمي منه رغم الأحاجي! ذي ادعاءات مالها من حد  
 أنبياء الرحمن خلوا بأرضي سبعة زانوا مسلمي وبليدي  
 و(المسيح) والأمم جعاء بأرضي شرفاني ، مرحى بأكرم وفد!  
 سائلوا (الهكسوس) الذين غزوني وانتصرت في ردهم والتصدي  
 فإذا (النوبيون) خلوا غزاة! شر قوم كانوا ، وأتعس عهد!  
 وبنو (آشور) أتوني غزاة مؤغلين في بطشهم والتحدي  
 وكذا (الحيثيون) جاؤوا غزاة جندلوني في شر غزو وخردي!  
 و(المجوس) الفرسُ اعتدوا دون حق أشعلوا ناراً أجاتني لخدم  
 وكذا (الإغريق) الدهاقين جاروا! قوم سوء خلوا وأشرس حشد  
 والطفاة (الرومان) شر طباعاً إذ أتوني أحسنت ظني وقصدي!  
 أكرهوني على اعتناق الخطايا دون تمحيص أو إثارة نقد

فاستغثتُ (الفاروق) يُنقذ أهلي من بلاءٍ من بعد سجنٍ وقيد!  
 فأتاني (ابن العاص) غوثاً مغيثاً ولربي أكثرُ سُكري وحمدي  
 فاتحاً للإسلام داراً تُقاسي وطأة الروم المعتدين المُرد!  
 ثم دارتُ معاركُ جَمَّاتني وصحابُ (المختار) أشرفُ جُند  
 خمسة الآلاف احتواهم ثرابي كل فذٍ وراه أطيّبُ لحد!  
 وابتليتُ بالـ (فاطميين) حرباً تجتني توحيدٍ وديني وسعدي!  
 أفسدوا عيشي بالضلالات شتى أشركوا جهراً بالمليك الفرد  
 إذ أجازوا دعاء غير إلهي ثم دانوا المولى بدين (الجعد)!  
 ببني (أيوب) تجاوزتُ ضنكي إذ أتاني الشهم الشجاع الكُردي  
 يا (صلاح الدين) افتديت صلاحي إذ مددت للخير أعظمَ يد  
 قدت جيشَ التحرير ، لم تألُ جهداً يوم عز في مصرَ بذلُ الجهد!  
 و(المماليك) أكملوا الدورَ لَمَّا مُكَّنوا ، ما ارتأوه ضدّاً لضد  
 حرروا الأرض والديارَ احتساباً لم يذوقوا من أجلها أي رقد  
 وارتأيتُ في (آل عثمان) نجداً لا يُدانيه في الورى أيُّ نجد!  
 حققوا من أمجادهم ما استطاعوا رغم ميل نحو المعالي وزهد  
 ثم حلت أرضي (فرنسا) انتقاماً بقيتُ عقداً ، كان أسوأ عقداً!  
 ذقتُ فيه العذابَ سِراً وجهراً ثم أقصيتُ شانني بالعمد!  
 ثم جاعتُ (إنجلترا) كالمنايا عسكرتُ قرناً فيه أشرسُ كيد  
 ثم أجليتُ المعتدين ببأس عندما فاضتُ أحجياتُ التردّي!  
 كم قهرتُ الأعداءَ دون اكتراثٍ ليس من تهجير العدا أي بُد  
 كم حباني ربُّ الورى من نعيم يخطفُ الأنظارَ اصطفته ليُجدي!

كم ذكرت في (الذكر) ذكراً صريحاً جعل اسمي يرنو لمسحة خلد!  
إن قومي أخوال (يعرب) قطعاً أي مجدٍ من بعد هذا المجد؟!  
وادرسوا أقوال (المصطفى) إذ يوصي عاملوني بالخير ، هذا قصدي!  
واقدرُوا قدرِي ، لي عليكم حقوقٌ ثبتت منذ أمس حتى الغد!  
يُشرقُ الشرقُ إنْ نْشرتُ خيوري وإذا ما جُنْدِلتْ لا يسْتهدي!  
ما بخلت يوماً عليكم بشيءٍ إنْ وَعَدتْ وفيثْ صادقَ وَعدي!  
أو تراني عاهدتْ ما خنت يوماً كيف يحيا خُراً خُؤونَ العهد؟!  
والفقيه (عبد اللطيف) سألوه عن سِماتي ، يُدلي بأصدق سَرد!  
(ابن عبد الوهاب) حصّل علماً من شيوخي أملئ هُداةً بـ (نجد)!  
قوم كُفوا عن نْياكم من شوؤني يجلبُ النيْلُ عاجلاتِ البيد!  
أسألُ المولى أنْ يُقيِلَ عثاري كي يعودَ الرخاءُ أثْمَرَ عود!

## مَيِّتٌ لَا قَبْرَ لَهُ! (الشيخ العربي التبسي)

(العالم المسلم الذي أُديب في الزيت المغلي والذي لا قبر له! إنه الشيخ العربي التبسي فخر الجزائر الذي تحمل الكثير من العذاب في سبيل الله تعالى! وهو أحد أعمدة المسلمين وشعب الإصلاح في الجزائر وأمين عام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تخرج من جامعة الزيتونة بتونس سنة 1914م ، ثم رحل إلى القاهرة عام 1920م ، ودرس العلوم الشرعية في الجامع الأزهر! ثم عاد إلى الجزائر عام 1927م ، ليبدأ نشاطه الدعوي ، وعند اندلاع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار عام 1954م كان يدعمها ، وكان يتواصل معهم ويحثهم على الثبات! وقد حاول الكثير من أصدقائه إقناعه بالخروج من الجزائر بعد أن أصبح هدفاً ضخماً وواضحاً للفرنسيين ، فكان جوابه دائماً: إذا كنا سنخرج كلنا خوفاً من الموت ، فمن يبقى مع الشعب. وعندما علم المستعمرون أنه يتمتع بشعبية كبيرة أرسلوا إليه عن طريق إدارتهم في الجزائر عدة مبعوثين للتفاوض معه ، وبعد رفضه المستمر للتفاوض باسم الأمة ، رأى المستعمرون أنه من الضروري التخلص منه ، فتم خطفه وتكفل بتعذيبه فرقة السنغاليون في الجيش الفرنسي. والشيخ بين أيديهم صامد صابر محتسب لا يتكلم إلى أن نفذ صبر قاندهم. وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أُعد للشيخ قدرٌ كبيرٌ مليءٌ بزيت السيارات والشاحنات والأسفلت الأسود ، وأوقدت النيران من تحتها إلى درجة الغليان. والجنود السنغاليون يقومون بتعذيبه دون رحمة وهو صابر محتسب. ثم طلب منهم القائد أن يحملوا الشيخ ، فحملة أربعة من الجنود وأوثقوا يديه ورجليه ، ثم رفعوه فوق القدر المتأجج ، وطلبوا منه الاعتراف وتهذنة الثوار ، والشيخ يردد بهدوء كلمة الشهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ثم وضعوا قدميه في القدر المتأجج ، فأغمي عليه على الفور ، ثم أنزل شيئاً فشيئاً إلى أن دخل بكامله ، فاحترق وتبخر وتلاشى. وعند الله الجبار القهار ، المنتقم ، العزيز ، الغالب - أيها الفرنسييس الجبناء الأوباش الأراذل - تجتمع الخصوم!)

مات جسماً ، والصَّيِّثُ للتخليدِ  
لم تُمُتْ ذِكْرِي الفارس الصَّنِيدِ  
في رُبَا (النموشية) الخَيْرُ وافي  
في مكان خصب الثرى كالصعيد  
و(النماميش) فآخروا بهمَام  
مستنير يحيى على التوحيد  
إيه يا (تبسي) نلت أسمى فخار  
وابتليت مجداً رفيع البنود  
كم وعظت الأنام في كل صُقع  
مُقتعاً من غالى برأى سديد!  
كم نحضت التضليل دون اكتِراثٍ  
رغم كيدٍ يفوق كيد اليهود!  
كم أبنت النصوصَ خيرَ بيان!  
ثم وافي البيان بالمقصود!  
فانبرى عبَّادُ القبور لليِّثِ  
بأذلين أعتى الفرى في الجُود  
لم يُطيقوا حقاً يَروحُ ويغدو  
طالبين تقييده بالقيود!

و(ابن باديس) أدلى بنصح ورأي  
فابق فيها ، وسوف تلقى كراماً  
فالتقى (الشيخ) في الديار فناماً  
ثم أمضى في (تبسة) بعض عُمُر  
و(الفرنسيين) عارضوا ، واستماتوا  
حاولوا إثناء المجاهد دَهراً  
فإذا بالخطف الجبان سبيل  
ثم جاء (لاقيارد) ينشرُ ذعراً  
عذبوا (الشيخ) ، لم يُراعوا مشيباً  
ثم جاؤوا بالقدِر ، والزيت يغلي  
ساوموه ، و(الشيخ) لم يأل جهداً  
ثم ألقوا به (الشيخ) في الزيت غدراً  
ربنا ارحمه رحمة لا تُبارى!

قال: (سائق) فيها خيار الجنود  
لن تكون في أهلها بالوحيد  
أيدوه بالعزم قبل النقود  
ناشراً من إرشاده المحمود  
في التحدي خافوا من التهديد  
فاستمات في صدهم بالصمود  
للخلاص من شبيبة مجهود  
بجنود من تلكم الأرض سود  
أو سقاماً ، سُحقاً لتلك العبيد!  
والقلوب تغلي بحقدٍ شديد  
كيف يرضى ذو العنفوان العنيد؟!  
ثم أمسى له (الشيخ) وصفُ الشهيد  
من سندعو لذاك غيرُ المجيد!؟

## هنري فورد والطموح!

(إن قصة نجاح هنري فورد أشهر مبتكرى السيارات ومؤسس شركة فورد للسيارات تعتبر من أعجب القصص. فلم يكن هنري فورد مبتكراً للسيارة (وفي الواقع ليس هناك أحد بمفرده ابتكر السيارة) ، إلا أن ابتكاراته في مجال تقنيات خطوط الإنتاج والتجميع وطرحه لفكرة الأجزاء وقطع الغيار موحدة المعايير والمواصفات قد أفضت إلى نشوء أول مصنع لإنتاج السيارات على نطاق واسع في العالم ، مما مهد الطريق أمام السيارات الرخيصة التي حولت الولايات المتحدة إلى أول دولة متخصصة في صناعة السيارات. فلننش قصة الطموح هذي منذ ولادة هنري فورد حتى مماته ، لنعلم أن الطموح والاجتهاد ليسا حكراً على أحد! وأن عطاء الربوبية يمنحُ الله تعالى لكل مجتهدٍ مسلماً له مؤمناً به أم كان غير مسلم ولا مؤمن! ولد فورد وهو أكبر الأبناء الستة لمزارع غني ، في 30 يوليو 1863 م في مدينة (ديربورن) بولاية ميشيغان. ودفعه كرهه منذ البداية لحياة المزرعة والمدرسة إلى أن يسافر وهو في عمر 16 عاماً إلى مدينة (ديترويت) القريبة ليعمل ولمدة ثلاث سنوات كمتدرب ميكانيكي. وبعد أن حصّل الخبرة اللازمة في هذا المجال عاد إلى مدينته ديربورن ليعمل بدوام غير كامل في شركة "ويستينغهاوس إنجنيز" الهندسية وليقضي أوقات فراغه في العمل بمحل صغير لبيع المكنائ أقامه على أرض في مزرعة العائلة! وتم زواجه من كلارا براينت في عام 1988 م ، تطلب هذا الزواج منه أن يحصل على وظيفة أفضل من الناحية المالية. وفي عام 1989 م بدأ العمل كمهندس في شركة "إيديسون إيمونيتينغ" ليحصل على ترقية فورية ويصبح رئيس المهندسين في الشركة. وقد تطلبت تلك الوظيفة من فورد أن يكون متاحاً على مدار 24 ساعة في اليوم ، في واحدة من المرات التي تمت فيها دعوته إلى العمل بدأ فورد بتجربة على مكائن الاحتراق الداخلي أفضت إلى قيام ما يعرف بـ "الدورة الرباعية" التي مثلت أول عربة تسيير بدون أن جرها من قبل الخيول وتعمل على البنزين وترتفع على أربعة عجلات لدراجة هوائية. هذا الاختراع قاد فيما بعد إلى تأسيس شركة "فورد موتورز". وقام فورد بعدة محاولات لتأسيس الشركة. ولكن في عام 1903 م ، وبمبلغ مقداره 28 ألف دولار وبمساعدة أحد عشر رجلاً ، تم تأسيس شركة "فورد موتورز" ليحتل فورد منصب نائب الرئيس ورئيس المهندسين فيها. ولم تنتج هذه الشركة سوى ثلاث سيارات في اليوم حيث كان يعمل على كل سيارة ثلاثة رجال. وفي عام 1908 م أنتجت الشركة طرازاً شهيراً أسمته "موديل تي" الذي هو عبارة عن سيارة موثوقة ورخيصة نسبياً ، ويمكن بيعها في السوق الكبير. وقد قام فورد بنفسه بقيادة هذه السيارة وبالتسابق فيها من أجل أن يثبت مدى قوتها واعتماديتها. بحلول عام 1918 م مثل طراز "موديل تي" نصف إجمالي السيارات الموجودة في الولايات المتحدة! واستجابة إلى تنامي الطلب ، قام فورد ببناء مصنع يستخدم القطع ذات المواصفات الموحدة والتي يمكن استبدالها من سيارة إلى أخرى. وقام ببناء ما يعرف بـ "الحزام النقل" داخل خط الإنتاج. وقد تمكن هذا المصنع من إنتاج السيارة خلال فترة لم تزيد عن 93 دقيقة ، مما مكّنه من إنتاج مليون سيارة في السنة (أي سيارة واحدة في كل 24 ثانية). وبفضل هذا التقدم الكبير في الإنتاج ، استطاع فورد أن يسوق سياراته ويبيعها على عامة الناس. وقد كان لدى المصنع كل ما يريده لصنع السيارة ، بما في ذلك مصهر للحديد ومصنع للزجاج وأو خط لتجميع السيارات. واتسم فورد بشخصية معقدة ومتناقضة وربما دكتاتورية. فالغالبية من المشاكل التي واجهت الشركة ارتبطت حسب العديد من المؤرخين بأسلوب فورد المتصلب

والعنيد في الإدارة. إذ رفض تشكيل نقابات للعمال في قطاع صناعة السيارات. ومن أجل منع موظفيه من ذلك ، قام بتشغيل جواسيس وشرطة خاصة بالمصنع من أجل يعرف ما يدور في صفوف العمال. ولكن عندما أصبح العمل في خط الإنتاج رتيباً وشاعت ظاهرة تخلي العمال عن وظائفهم ، أقدم فورد على مضاعفة أجر العامل إلى 5 دولارات مما مكنه ومن شراء ولأنهم وزيادة إنتاجيتهم! وأصبح عطوفاً عليهم رؤوفاً بهم فيما بعد! كان فورد مسؤولاً عن خفض يوم العمل من تسع ساعات إلى ثمان ساعات ، ليس نزولاً عند مطالب العمال ولكن من أن يتمكن المصنع من التحول إلى ثلاث ورديات في اليوم ، حتى يستمر تشغيله على مدار 24 ساعة. كما استمر فورد في اختراعاته الهندسية التي تمثلت واحدة منها في آلية الانتقال ، والتي حصل على براءة اختراعها في عام 1911م. وتمثل اختراعه الآخر في السيارة ذات الهيكل البلاستيكي. كما اخترع فورد أول مولد للسيارة يتألف من قطعة واحدة أسماه "في 8". ودخل فورد في نزاع قضائي ، انتهى بفوزه ، مع جورج بي سيلدين ، الذي كان يتلقى رسوماً من قبل جميع مصنعي السيارات الأمريكيين على اختراعه المتمثل في "مولد الطريق". وفي عشرينيات القرن الماضي ، بدأت شركات مثل "جنرال موتورز" وغيرها بطرح سيارات بأنواع مختلفة من الألوان وبمواصفات إضافية جذابة إلى جانب إقدامها على منح القروض حتى يتمكن المستهلكون من شراء سياراتها. غير أن فورد ألح على الحفاظ على التكاليف عند أدنى مستويات لها مما جعله يكتفي بتقديم مواصفات محدودة ولون واحد هو الأسود. وبعد أن خسرت حصة كبيرة لها من السوق لصالح شركة "جنرال موتورز" ، أقدمت شركة فورد على غلق مصانعها لعدة أشهر بغية الانتقال إلى سيارة "موديل أي" الذي جرى تصميمه بطريقة حديثة. بعد ذلك طرحت الشركة سيارة "في 8" التي كانت ناجحة لكن نجاح هذا الطراز لم يساعد الشركة على استعادة مركزها بل بقيت تحتل مرتبة متأخرة عن مرتبة "جنرال موتورز". وأخيراً توفي هنري فورد في إبريل 1947 م ، وألت رئاسته للشركة إلى حفيده هنري فورد الثاني. وقد أصبحت شركة "فورد" اليوم واحدة من أكبر الشركات المصنعة للسيارات في العالم حيث تقوم بإنتاج سلسلة واسعة من الموديلات الشهيرة التي تتضمن "فورد" و "لينكولن" و "ميركوري" و "مازدا" و "جاغوار" و "لاند روفر" و "أوستين مارتين" و "فولفو". ويعد متحف هنري فورد الواقع في مدينة جرينفيلد فيليج وهي مدينة ريفية رعا فورد إحياءها ، واحداً من أهم المقاصد التاريخية في أمريكا. من أجل ذلك كله وسواه ، كانت قصيدتي عن قصته الطموحة بقطع النظر عن عقيدته! فلم أصح له ديناً قط! ولم أؤيد أو أصح له مذهباً! إنما قصة طموح أولى بها كل مسلم مؤمن!

كم يَبْشُرُ للكادحين الطمُوحُ!	ثم يأتي - بعد النجاح - المديحُ!
كل إنجاز فيه بَذْلٌ وسعيٌّ	منهما أشدُّاء التَحَدِّي تفوح
والنجاح لم يَحْتَكِرْهُ أناسٌ	كي يُقال: النجاحُ صِدْقاً شَحِيحُ!
واسألوا (فورداً) عن نجاح تأتي	بعد كدح ذاقَتْ لظَاهِ الرُّوحُ!
لم تكنْ في (ديربورن) بُشْرَى انطلاق	إنما ضنكٌ يَغْتدي وَيَروحُ!

إنما النجح جاء في (ديترويت)!  
ثم كان إيقاد شعلة (فورد)  
طوّر الفذ صنعة مستعينا  
ثم كان بالعاملين رحيماً  
لم يهينهم ، ولم يضيق عليهم  
لم ينل منهم دون حق بتاتاً  
قصة للطموح ليس تُبارى  
بدأت من صفر ، ونالت مداها  
نصّها مثل البحر مداً وجزراً  
وتوالي الأحداث يسبي فوئاداً  
عشت يا (فورد) عبقرياً هماماً  
واجتهاداً في العيش يختال زهواً  
واعترافاً يعنى بدرك الأماني  
لم يملك الخصوم عن نيل فوز  
والمليك يُعطي جميع البرايا

والأمارات للمجد أضحت تلوح!  
والفلاحات أقبالت ، والفتوح!  
بأناس تطوّرهم ممدوح!  
كل حزم بعطفه مجدوح  
كل شرط قالوا به مسموح  
وبقدر الجهد العطا ممنوح  
أسها الكدح والعطا والطموح!  
كل فصل فيها بهيج مليح  
ثم إن الأسلوب راق رجح  
ليس يحيا كما تسير الريح  
همة قعسا ، ثم عزم جموح  
وارتقاء سام ، ورأي صحيح  
واصطفاء يتلوه بأس صريح  
إنما الباب للمضا مفتوح  
إنما قصدي ها هنا التصحيح!

## يكفيني حب الأولاد!

(كثيراً ما تستهويني القصص فأحول أحداثها إلى نص شعري! أو أتحدث عن الدروس المستفادة منها! ذهبت سيّدة ضخمة وطويلة وعريضة المنكبين ، ووجهها ذميم ومخيف إلى مكتب حمامة ، فبدأ المحامون الرجال يتسلّلون واحد تلو الآخر إلى الخارج ، ولم يتبق سوى فتاة لاستقبالها ، وكانت قلقة فمن شكلها وتتجنّب النظر إليها ، حتي بدأت حديثها فقالت: أنا سيّدة كان الرجال ينفرون منّي حتي وصلت لسن الأربعين ولم أتزوّج ، وفي يومٍ زارني جرتي وعرضت عليّ الزواج من مقول أرمل ولديه أربعة أطفال بشرط أن أخدمهم وأن لا يكون لي طلبات كزوجة ، فوافقت وتزوّجت ، ومرّت سنوات وأنا أرعي الأولاد كأنهم أبنائي ، وغمرتهم بحناني حتي أصبحت لهم أمّاً يحبّونها ويقدّرونها ، وحدث أن نجح زوجي وأغنيتي أكثر ، والغريب أنّه أحبّني وبدأ يعاملني كزوجة ، وقد أتيت إليكم لأنّ زوجي مات ، وكتب لي عقارات تُقدّر بالملايين ولم يعترض أولاده ، ولكنّي أريد أن أعيد إليهم أملاكهم ، وأخرجت الأوراق والعقود التي تُثبت صحّة كلامها! فصمتت السيّدة وتجمّد الكلام على شفّتي الفتاة التي كانت تشمنز منها ، وعندما رأت سيّدة ترفض هذه الملايين بجرّة قلم ، فسألته وهي تشعر بالخجل من نفسها بعد أن شعرت نحوها بحبٍ غريب لمس قلبها: أليس أفضل لك أن تحتفظي ببيت تحسباً للزمن؟ فقالت: لا ، إنما يكفيني حبّ الأولاد لي ، والله الذي رزقني الحب بعد الجفاف سوف يرزقني ويهيني معه كل شيء! وصدق المثل الإنجليزي: ليست كل امرأة جميلة طيبة ولكن كل امرأة طيبة جميلة! والله إنها لقصة جميلة ومعبرة! وكنت قد جعلت إجابة المرأة عنوان لقصيدتي: (يكفيني حب الأولاد)! فهي إذن تراهن على الحب ، وترفض امتلاك المال! ومثل هذا الشعور نادر جداً! حيث طغت الماديات على الناس! ولست أدري أيعبدون اليورو في مستقبل أيامهم أم لا؟ لقد أصبح الإسلام بشريعه غريباً!)

وثماره - رغم الصوارف - تُورقُ	خُلِقَ العطا شمسٌ تُضِيّ وتُشرقُ
عجباً تعاضمَ لا يكادُ يُصدّقُ	ولكم عجبٌ من العطاء وأهله
من حُرٍّ ما ملكت تجودُ وتنفقُ	والجودُ أجملُ إذ أتى من حُرّةٍ
أتِ يهدّده مُصابٌ مُخدقُ	ليست تخافُ الفقرَ في مستقبل
إن رابها من دهرها ما يُوبقُ	لم تدخِرْ للدّهرِ وافرَ مالها
شمسٌ محبتهم عليهم تُشرقُ	وعلى المحبة راهنت في معشر
فيها المرورة غضة تترقرقُ	في قصة ندرت ، وقلّ حُدوثها
ترعى العيال الضائعين ، وتشفقُ	فيها تزوجت المُعيّلة أرملاً
أمّاً تكونُ ، بها الهنا يتحققُ	في أمّهم فجعوا ، وهذي دورها

والزوج أكرمها ، وقدرَ جهدها  
من أجل ذلك خصَّها بعطيةٍ  
حتى إذا رحل الحليلُ تأيَّمت  
أبنائها ورثوا الكثيرَ ، وأحسنوا  
لم يحقدوا يوماً على ما نالها  
فتنازلت عن كل ما ملكت يدُ  
قيل: ارجعي عن ذا القرار وأجملي  
قالت: كفاني حُبُّ أولادي إن!  
إن صحَّ هذا الحُبُّ فاجأنا بما  
الحبُّ يصنعُ معجزاتٍ جمَّة  
بالحب نبلغ ما نريدُ تجمُّلاً

فأقد غدا بحنانها يتعلق!  
ومضى يؤكِّدُ حقها ويوثق  
والمالُ نهرٌ عندها يتدفق!  
للأم ربَّتهم ، وعاشت ترفق  
بل ضاعفوه ، وبالوفاء تخلقوا  
لثعيد ما ملكت لكي لا يحنقوا  
فأقد يصيبك ما يضُرُّ ويمحق  
والحُبُّ يوجدُ ما له نتشوق  
نهفو إليه ، ونشتهيهِ ، ونعشق!  
يوماً إليها الذهنُ لا يتطرق!  
ويزولُ ما يؤذي الأنام ويقلق!

## شَقَقْنَا عَنْ أَفْلَامِهِ!

(نفق أحد المفسدين في الأرض بعد إصلاحها وهلك! فقال أحد الصالحين المنصفين: اللهم بعدلك لا برحمتك مع هذا المفسد الفاجر! فأنكرَ عليه أحدُ الغفاة الجهلة المعرضين السفلى قائلاً: "أشقت عن قلبه؟!") يُذَكِّرُنَا بحديث أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - ، طبعاً مع الفارق! فإن الرجل الذي قتله أسامة وقد قال: لا إله إلا الله أعظم شأناً وأقل فساداً وحرماً لدين الإسلام من هذا المفسد الفاجر موضوع قصيدتنا! سواءً قبل إسلامه أو أثناء حربه لأسامة أو بعد إسلامه إن كان الله تعالى قد قبل منه! فكان الرد عليه: ما شققنا عن قلبه بالطبه ، فلقد شققنا عن أفلامه الداعرة الماجنة التي لم يتبرأ منها! بل بالعكس كان يفاخر بها ويعتبرها رصيماً إنسانياً إبداعياً! وكما كانت الأفلام متداولة يعلمها القاصي والداني ، فكذلك التوبة منها ، كان ينبغي أن تكون معلنة يشهد بها القاصي والداني! ولا يكفي ادعاء واعتزال الفن دون البراءة من ماضي الجاهلية والتحذير والتنفير منه! لقد كان آخر افتخاره بتلك الأفلام الفاجرة قوله متفاخراً بتقبيل العواهر والمومسات في تلك الأفلام! ومن هنا كان الأمر بحاجة ماسة إلى الإيضاح ، والقول الراجح الفاصل هنا هو أن الشق عن الأفلام أغنانا عن الشق عن القلب! فلقد حكّت الأفلام ما كان في القلب! ولنا الظاهر ، والله تعالى يتولى السرائر! وإن كانت له توبة بينه وبين ربه لم يعلنها على الملأ ، فهذه لا شأن لنا بها! لماذا؟ والجواب لأننا لا نعلمها! وإنما أجرينا الأحكام على ظاهر أمره في الدنيا! فلقد لقي الله تعالى ولم يبرأ علانية من هذه الأفلام ولم يقاطع أهل الفن ولم يفاصلهم على العقيدة ولم يدعهم إلى البراءة من الفساد والمُجُون! بل ظلوا أصدقاءه ويذهبون إلى بيته ويذهب إلى بيوتهم ويؤاكلهم ويشاربهم دون الإنكار عليهم! فكان له حكم المقر لما هم عليه من الفساد! وتحت عنوان: (التمثيل لعبة خطيرة أضاعت الكثير) تقول الأستاذة الأدبية عادة الشافعي ما نصه: (تذكر بعض المصادر أنّ التمثيل عُرف قديماً في بلاد الإغريق وعند القدماء المصريين ، وأنه كان يُستخدَم في أداء الطقوس الدينية والعبادات! أمّا في الإسلام حيث الحق المطلق والبيان الواضح ، فلم يكن هناك حاجةً للتخيّل أو لتقمّص الأدوار ، فضلاً عن أهميّة الوقت الذي هو عُدة المسلم في تحصيل ما ينفعه في الدنيا والآخرة. بل لقد روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص: "أنزل على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القرآن فتلاه عليهم زماناً ، فقالوا: يا رسول الله ، لو حدثتنا ، فنزل: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا). وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: "قالوا: يا رسول الله ، لو قصصت علينا ، فنزلت: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ)! ومع ذلك وجد التمثيل طريقه إلى بلاد الإسلام في العصر الحديث ، وكان يُعدُّ في البداية لهواً لا يفعله أو يُشاهده أهل المروءات ، حتى لم يكن يُؤخذ بشهادة الممثلين في المحاكم ، ولا يستخرج لهم بطاقات إثبات هويّة - فيما علمنا. وباتتشار دور السينما ودخول أجهزة التلفاز كلّ بيت ، أصبح جزءاً من حياة الناس ، وبعد ما كانوا يحقرونه ، أصبحوا لا يستنكرونه ، ثم باتوا يعشقونه ، وجعلوا أهله رموزاً ونجوماً للمجتمعات! فكان حرياً بامر كهذا أن يوضع في الميزان ، وكان لا بُدّ لنا من وقفةٍ نتبين فيها مواضع أقدامنا ، ونحكّم فيها عقولنا ، ونمسك من خلالها بزمام أمورنا ، قبل أن تنفّلت من أيدينا حبات العمر الغالية ؛ فلا نستطيع من بعد لها جمعاً ولا تعويضاً. من يبرئ ساحتنا من ذنب الفنانين؟ قالت: عندما أعودُ بذكرتي إلى أيام قعودي الطويل أمام شاشات التلفزيون أشاهد الأعمال التمثيلية المختلفة ، وذلك قبل أن يفكّ الله أسري وأقف على قدمي عازمةً على التحرك نحو تحقيق ذاتي ، وتفعل دور الحقيقي في الحياة ، والمساهمة في حلّ مشكلات واقعي ومجتمعي ، بدلاً من متابعة الأدوار والمشكلات

الوهمية على الشاشات. أجد أن أصعب ما يواجهه الغافل عندما يستيقظ أن العمر الذي كان يسير معه منذ لحظة ميلاده لم ينم معه عندما نام ، وإنما استمر في انطلاقه ، وأن عليه أن يضاعف جهده لإثمار الباقي من أيام عمره! واستطردت: والعجيب أنني لم أكن راضية عن كل ما أشاهده ، بل أحياناً غير مستمتعة ، وإذا سألت نفسي عن الفائدة المرجوة؟ فلا شيء يُذكر ، اللهم إلا إذا كنت أحتاج لفهم كلمة طبيب أن يقوم أحدهم بارتداء المعطف الأبيض ، ووضع السماعة على أذنيه ، أو كان أحدهم يحتاج ليدرك شناعة قتل النفس وسرقة المال أن يشاهد قاتلاً يقتل ، وسارقاً يسرق! ألا يسعنا ما وسع الممثل من فهم ما نقروه أو يروى لنا ، كل منا وفق خلفياته الثقافية وقدراته العقلية ، بدلاً من إنفاق الشهور الطويلة في تمثيله ، ثم تضييع الساعات في مشاهدته؟ فأني لعبة تلك التي سرقت منا الأعمار ، البعض يلعب والآخر يشاهد؟ وهل من سبيل لمعرفة خطورتها قبل أن تنتهي منها ، أو تنتهي منا؟ قلت: وإنني مع تفهمي لمكانة هذه الأعمال التمثيلية في قلوب الكثيرين ، وتسريهم بها في مواجهة مرارة واقعهم ومشكلات حياتهم ، ومن ثم محاولتهم ملء الفراغ العاطفي والاجتماعي الذي يعيشونه من خلالها ، إلا أنني لا أعطيهم العذر في تناول السم بدلاً من الدواء للتخلص من الألم. يقول الله - عز وجل -: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى). فهل من مستكفٍ من مداواة الضنك بالضنك ، باحثاً عن الحياة الطيبة ، مشمراً للحصول عليها؟ والله - تعالى - يقول: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). فنحن نخطئ إذا في حق أنفسنا حين نضيع هذه الأيام الغالية والتي لا عوض لنا عنها فيما لا يسعدنا في حياتنا الدنيا أو الآخرة. ثم إننا من بعد ذلك لسنا في مآمنٍ من تحمّل وزر ما تحويه هذه الأعمال من مخالفات شرعية ، ووزر تشجيع القانمين بها على إنتاج المزيد منها ، وما يحمله ذلك من مزيد إضلال للناس وتضييع للزمان عليهم ، وإلا فمن أين يأتي الفنانون بهذه الأموال الطائلة التي "تزغلل" العيون الفارغة ، وتزلزل القلوب الخاوية؟ أليس من جيوب المشاهدين والمستمعين أو متابعتهم للأعمال الفنية التي تتنافس عليها شركات الإعلانات لتتخللها بدعاياتها ، حتى صار التمثيل الذي كان يلعبه الأطفال ، والغناء الذي كان يفعلُه الناس بتلقائية تجارة ، ولها منتجون وموزعون ومحتكرون؟ ومن الذي عظم عمل هؤلاء الفنانين ، فعلق صورهم ، وجرى خلف سياراتهم ، وألهب يديه تصفيقا ، وصنع منهم النجم المحبوب ، والأوحد والمعبود؟ أعادنا الله وإياكم. حتى كادت عقول البعض أن تطير خلف أو هام الشهرة والنجومية وأحلام الثراء والمجد ، فسمعنا عن يترك التعليم أو دراسة الطب ، ومن يضيع أهله وولده ، ومن تهرب من عائلتها العريقة ؛ جرياً خلف سماسرة الأعمال الفنية وشركات الإنتاج؟ إنها باختصار لعبة الصغار مضيعة الكبار! ولعلّه من المفهوم أن يقلد الطفل الكبار ؛ تعجباً لأن يكون له دورٌ فعّال في الحياة - كأدوار الكبار من حوله - مع ضعف قدراته وظروف واقعه عن تحقيق ذلك. ولكنني لا أجد تفسيراً ولا مبرراً لشخص كبير لديه من الإمكانيات الجسمية والعقلية والنفسية ما يؤهله للقيام بدوره في الحياة ، ثم هو ينسحب مفضلاً الاستمرار في تقليد شخصيات الآخرين ، مستمتعاً بتخيّل الناس له في هيناتهم وإعجابهم به في مشاهد قوتهم ، وتعاطفهم معه في مشاهد ضعفهم ومعاناتهم ، دون أن يحمل حقيقة هذه الشخصيات التي يقلدها أو جوهر أعماقها. بل قد يُنفق في سبيل استمتاعه بهذا الخيال عمره وماله ووجاهته ويقطع رحمه ، كما سمعنا وقرأنا عن كثيرين من طلائع هذه المهنة الذين قدّموا لنا على أنهم رموز الفن المجاهدون في سبيله ، والذين يحسنون أن يُحتذى بهم في حبّ الفن ويُقتدى. فإذا ما كان ولع الممثل بالتمثيل لا للتقليد والتقمص ، وإنما

لإعجابه بصورته ورغبته في أن تتعلّق بها الأبصار وتنشغل بها القلوب ، بغضّ النظر عن حقيقة موهبته واستمتاعه بالتقليد ، يظلّ طوال حياته قلّقاً من انصراف الناس عنه إلى الأحداث والأجمل والأقوى ، وما هو واقع لا محالة ، فإذا ما وقع أصابه الحزن والاكتئاب وانعزل عن الناس ، وربما دخل في طور من الاضطراب النفسي ، كما قرأنا جميعاً وسمعنا عن مُعاناة كثير من الفنّانين. ولست أقول فقط: إنّ التفكير في الحياة بهذه الطريقة يتعارض مع السبب الذي خُلِقنا من أجله ؛ إذ يقول - تعالى -: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، ويقول - تعالى -: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). وهو ما يقتضي الحرص على العمل الصالح وأن يكون خالصاً لله - تعالى - سواء أكان عبادة أو عادة ، طاعة أو مباحاً! وإنما أقول أيضاً لشبابنا وفتياتنا الذين يظنّون أنهم يسيرون على طريق البطولة: عفواً ، فلست بطلاً! إنّ كثيراً من الشباب الذين انخدعوا بوهم البطولة التمثيلية ربما كانوا أكثر نفعاً لأنفسهم وأمتهم ، لو أنهم تعلّموا وتربّوا منذ صغرهم على معنى البطولة الحقيقي. وكان سهلاً على الطالب الحاصل على الثانوية العامة عند تقديم أوراق اعتماده إلى أحد معاهد التمثيل، أن يتخذ قراره بالعدول عن الأمر ، بمجرد مطالعة طبيعة الامتحانات والأدوار التي يطلبون منه أداءها لاجتياز مرحلة القبول. فليس بطلاً من يُطلب منه أن يزحف على الأرض كالسحفاة أو يُقلد الخنفساء ، ولن يكون! فكيف وهذا ليس الامتحان الأول ، وإنما هو الدرس الأول ، وهو الخروج من الذات مُقابل الحصول على ما تُريده من نجاح؟ ثم يأتي الدرس الثاني وهو الانقياد الأعمى لأوامر المخرج ، فلا يعود للمرء حقّ لأن يعترض ، ولا أن يتحدّج بوجاهة وكرامة ، أو بدين ومجتمع أمام رغبة المخرج في تجسيد خيال المؤلف على أرض الواقع ، وتحقيق أحلام المنتج والمورّع في الأرباح الطائلة. ولست بطلاً يا من قبلت أن يُلطم وجهك ، ويُجلد ظهرك أمام أهلك والناس. فالفتاة الكريمة لو تعرّضت لمثل هذا الموقف في الواقع قدراً ، لسترته على نفسها ، ولأوجعتها ذكراه كلّما مرّت بخاطرها ، فكيف تكون بطلاً من فعلت هذا بنفسها مختارةً من أجل شهرة أو ثراء ، وقد عرفت أنه سيعرض على الملايين مراراً وتكراراً؟! إنّ المرأة الكريمة تأبى الإهانة واقعاً أو تمثيلاً. والعجيب أن تجد من بين القابلات بالإهانة على الشاشات من تُطالب بمزيد من حرية المرأة وكرامتها ، فأى كرامة سيمنحها المجتمع لمن قبلت على نفسها هذا الهوان؟! وحسبي أن أقول لشبابنا وفتياتنا: إنّ من جعل مثله الأعلى نجم السبعينيّات ونجم الثمانينيّات ، لن يعدو أن يكون - وقد لا يكون - نجم التسعينيّات. أمّا من جعل مثله الأعلى وقدوته وأسوته من أمرنا الله - عزّ وجلّ - بالافتداء به واتّباعه ألا وهو محمدٌ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم من بعده صحابته والتابعون لهم بإحسان ، فحريّ به أن يفود الأمم ، ويُعليّ الهمم ، وتُحقّق به الدماء ، وتُردّ المظالم ، وتُحترّم المقدّسات ، ويُبارك في الأرزاق ، وتُفتَح له أبواب البلاد وقلوب العباد. لماذا يعنزل الفنّانون؟ هناك مقولة مشهورة لممثل قديم أوجزَ فيها رأيه في الفن فقال: "إنّ الفن كالنار يحسبها من خارجها جنة ، فأهلها يتمنّون الخروج منها ، ومن خارجها يتمنّون الدخول فيها". بل صرّحت إحدى كبار الفنّانات في الجيل القديم بأنها ما كانت تحلم إلا أن تكون أمّاً ، وأن تعمل كمعلمة ، ولقد صدقت قولها باعتزالها الفن في أوج مجدها ، بل قبل إعلان إسلامها! فلمّا سألتها إحدى صديقاتها عن ذلك - كما تروي صديقتها - قالت: إنّ الله قد منحها نعمًا كثيرة ، ولقد أصبح لديها الآن الزوج والبيت والأولاد. بل كثيرات من أهل الفن بالجيل القديم يعترفون بأن دخولهم للفن لم يكن إلا بسبب الحاجة ، وأنّ اختياره كان بديلاً عن الجوع أو الضياع ، وليس بالضرورة لموهبة فذة يفتقدونها غيرهم من غير العاملين بالفن ؛ لذا نجد كثيرين منهم ما أن تُتاح لهم فرصة الحياة

بعيداً عن الفن حتى يعتزلونه ، ولو كانوا في ذروة نجاحهم فيه. بل ليس سرّاً أنّ أكثر النجوم شهرةً وقبولاً عند الناس وأكثرهم تمتعاً بالقامة في هذا المجال ، متى ما عرفوا الحقّ هم أسرع الناس عُزُوفاً عنها ، واستغلالاً لمواهبهم الفطرية التي أوصلتهم إليها فيما ينفع دنياهم وآخرتهم. هل لأنهم تدبّروا قول الله - تعالى - : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ، ولم يجدوا في هذه القمّة ما يستحقّ بيع الآخرة بها ، فتركوها لهؤلاء الذين لم يكونوا ليبلغوها ما لم تكن خلّت من أهلها؟ ربما! أم لأنّ مقومات شخصياتهم التي أوصلتهم لهذه القمّة تمكّنهم من رؤية الأشياء بوضوح ، واتّخاذ القرارات المصيرية بحزم ، والتفوق فيما يقتنعون أنّه الحق ، فما أن فُتِح لهم طريق العلم والهداية حتى أسرعوا ينافسون من سبقهم إليه ، ويسابقون الزمن في تحصيل ما فاتهم فيه؟ ربما أيضاً! ولكن الشيء المؤكّد هو أنّ النفس الإنسانية لا تهدأ ما لم تحترم آدميتها ، وتحفظ لها كرامتها ، وتعرف الغاية من وجودها ، وتطمئن إلى أنها قادرة على الوصول إليها. وإنّ النفس في طاعة الله - عزّ وجلّ - يرضيها القليل ؛ إذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلّم - : (من أصبح آمناً في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه - فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها). فكيف بالكثير من الرزق والبركة ، واجتماع القلب وهدوء البال ، وعيش السعداء الذي يمتنّ الله - عزّ وجلّ - به على الطائعين من عباده ؛ إذ يقول - تعالى - : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). وإنّ المغرور لمن ظنّ أنّه يمكنه أن يعصي الله - عزّ وجلّ - ثم هو يسعد في حياته ، ويأمن في آخرته ، والله - تعالى - يقول : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ). فهل يمكن استخدام الفنّ كوسيلة للدعوة ونصرة الدين؟ إنني لو بحثت عن إجابة لهذا السؤال ، فربما لا أجد أجمل من ردّ الداعية الكندي د. أبي أمينة بلال فيليبس ، حينما سُئل عن جواز استخدام الموسيقى في الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - فأجاب مُشيراً إلى عدم جواز ذلك قائلاً: "إنّ الإسلام شيء نبيل ، ولا تكون وسائله إلا نبيلة". وإذا كانت الوسائل تأخذ حكم الغايات ، فهل يمكننا مشاهدة عملٍ فني دون مخالفة أمر الله - عزّ وجلّ - لنا بغضّ البصر: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ). وهل يمكننا تجسيد الواقع بعملٍ فني يخلو من أدوار النساء في الحياة؟ فنجعل الممثلين كلهم من الرجال ، أم سنجعل الرجال يقومون بأدوار النساء فيقع علينا حكم الشرع الوارد في حديث النبي - صلى الله عليه وسلّم - إذ يقول: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال) ؛ إنسانه صحيح! فإن كان لا بُدّ من الاستعانة بالنساء لضرورة نقل الواقع بكفاءة ، وهو ما يتطلّب بالضرورة كشف وجوههن ، مع العلم بأنّ من شروط جواز كشف الوجه عند من جوّزوه هو أمان عدم النظر إليه ، والألّا يكون فتنة! (مع العلم بأنّه لا يجوز كشف وجه المرأة لغير محارمها إلا من ضرورة حدتها الشرعية وليس الفن ضرورة!) فهل يجوز للنساء وضع مستحضرات التجميل اللازمة للظهور أمام الكاميرات ؛ حتى لا يبدو الوجه شاحباً بسبب الإضاءة الشديدة؟ وماذا عن ضرورة استخدام الصوت في التأثير على المتلقّي ، وتنويع النبرات في المواقف المختلفة ، أليس يخشى معه الخضوع بالقول؟ وهل ستتعامل الممثلات مع الممثلين باعتبار المحرمية الشرعية ، أم التمثيلية؟! فإن كانت الأولى اختلّ العمل الفني ، وإن كانت الثانية اختلّ دينهم ، فضلاً عمّا يتطلّبه العمل الفني من بقاء المرأة لفترات طويلة خارج بيتها ، ناهيك عن الاختلاط الذي لا مفرّ منه ، والتعرّض لمواطن الفتن؟ (ناهيك عن

القبليات والأحضان والمراقصات والتعري الفاضح المخزي الذي قد تتورع منه أم جميل امرأة أبي لهب رغم شركها وكفرها)! فَإِنْ قَالَ أَحَدُهُمْ: سنُكافِح ونقاوم ونجاهد من أجل خروج العمل خالياً من المحذورات الشرعيّة ، ولو كلفنا ذلك الجهد والوقت والمال - لكان السؤال الحاسم هو: لماذا؟ لماذا تتحمّل كلّ هذه المشقّة من أجل التمثيل؟ أفرض هو تقيّمه أم سنّة تحيّيها؟ فإن قيل: وهل نترك الإعلام لليهود ينشرون من خلاله أفكارهم ، ويثبتون به دعاواهم؟ قلت: أمّا ما وافق منه الشرع فلا نتركه ، بل ننافسهم عليه بكلّ ما نستطيع من قوّة ، حتى تكون كلمة الله هي العليا! وأمّا ما خالف شرع الله - عزّ وجلّ - فنعم نتركه ، كما نترك لهم الربا والزنا ، وكما نترك لهم كلّ ما يحاولون السيطرة به على العالم من أساليب غير شريفة ؛ لأننا نعلم أننا لا ننتصر بالإعلام ولا بغيره ، وإنما بتحقيق مراد الله منّا ، وبمودة الله - عزّ وجلّ - لنا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ تَنصَرُوا لِلَّهِ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ). فهل يفهم أحدٌ من هذه الآية الكريمة أنّ النصر يكون بغير شرع الله - عزّ وجلّ؟ إنّ اتّباع أيّ منهج يُخالف شرع الله - عزّ وجلّ - هو انتصار لمبادئ أعداء الدين ووسائلهم ، واعتراف لهم بما يزعجونهم من أنّ الدين لا يصلح لكلّ وقت ، وكذبوا، وإنه لدين الله في أرضه لكلّ زمان ومكان ، منذ مبعث النبي - صلى الله عليه وسلّم - وحتى قيام الساعة. وإنّ كلّ حيدٍ عنه - ولو قلّ - لإطالة الليل طويلاً يعيشه المسلمون في غير مكان ، وحقبة صعبة في تاريخ الأمة. وإنّ المسلمين الذين أنهمكهم القتل والتشريد في أماكن عدّة من العالم ، لينتظرون يوماً تشرق عليهم فيه الشمس ، وهم يتمتعون ببعض ممّا نتمتع نحن به - والحمد لله - من أمن واستقرار عيش ، أنظالهم بالمزيد من الانتظار حتى نحقق أحلامنا بإقناع الرأي العالمي بقضيتهم من خلال ممارسة هواياتنا؟ أم نهض إليهم في جدّ واجتهاد عازمين على نصرتهم، متجاوزين ما يتنازع نفوس البشر في وقت الدعة والرّخاء؟ إنّ الرجل إذا رأى العدو يدخل بيته ويمسك بولده وأهله يريد أن يفتك بهم ، لا يتركه ويذهب لبحث عمّن يقنعه بخطأ موقفه ، وإنما يدفع عن أهله أولاً ما هم فيه من بلاء وشر. فإذا كان لديه وعدّ من ملك الملوك بالنصر إنّ هو اعتصم به ، فماذا ينتظر ليفعل؟ وإنّ في هذه اللحظات التي أكتب فيها هذه الحروف ، يعلم الله وحده كم مسلم يقتل! وكم مقدّس يُنتهك! وكم حق يُسلب! وكم دعوة مظلوم تخترق السماء تشكو إلى الله حال الأمة. فلنعدّ إلى أصل ديننا أولاً ؛ لتحقن الدماء وتحفظ الأعراس والمقدّسات وتعود الحقوق ، ثم يكون لدينا من بعد ذلك وقتٌ لمناقشة الأمور الخلافية وتقريب وجهات النظر ، هذا إذا كنّا نعتقد حقيقة أنّ النصر من عند الله ، وليس من عند أحدٍ سواه. أمّا إذا كان قد بلغ بنا الأمر أن نظنّ أنّه لا نصر يأتينا إلا بإذن أعدائنا وموافقهم ورضاهم عنّا ، واقتناعهم بموقفنا ، فلنجمع الأموال إذا وأهلنا جياح مجوعون ، ولنشخّذ الهمم جرياً وراء المهرجانات والجوائز والتي لن تكون إلا بموافقة أربابها وبشروطهم. ولست أحسب كثيراً من المسلمين الذين يُنادون باستغلال العمل الفني التمثيلي في الدعوة إلى الله ونشر قضايا الأمة إلا مخلصين ، ولديهم مهارات وطاقت يُريدون توظيفها في خدمة أمتنا ، والله حسيبهم ، لكنني على يقين من أنّه ليس الطريق. وإنما طريق النصر هو الانتصار لدين الله - عزّ وجلّ - بتحقيق التوحيد واتّباع النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - وإقامة الشرع ، وهذا ليس بالأمر السهل وإنما يحتاج إلى المؤمنين الصادقين الذين لا يبدلون ولا يغيرون ، وإنما يعملون ويجتهدون وما يزالون متّبعين. (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا). فَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ يَرَىٰ فِي نَفْسِهِ هَمَّةً وَمَوْهَبَةً فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ - عزّ وجلّ - وبيان الحق

واقناع الناس به ، فليكن ذلك بضوابط الشرع الذي يدعو إليه ، وأن يكون برهان ذلك في أعداد اهدتوا إلى الحق على يديه وعرفوا طريق التوحيد والاتباع ، في الداخل والخارج وفق ما تيسر له. وليس الإعلام تمثيلاً وحسب ، وإنما لكل مجتمع ما يناسبه ، وما بلغنا عن الغرب أنهم قوم يقرؤون أكثر مما يشاهدون الأعمال التمثيلية - إن شاهدوها - فالفرصة سانحة لدينا إذا ، وإنما ينقصنا اليقين بما لدينا من حق ، وأنه لا يصل إلا بضوابط الشرع ؛ لأن هداية التوفيق ليست بيد أحد إلا الله ، وما النصر إلا من عند الله. لماذا يفوتون علينا أعمارنا؟ وماذا تركنا من أعمارنا لنستمتع بما وهبنا الله من حياة ونعم لا تعد ولا تحصى ، إذا أنفقنا في كل يوم ساعة لمسلسل وساعتين لفيلم وثلاث لمسرحية ، وغناء لا يتوقف إلا عند النوم ، والبعض لا ينام إلا عليه؟ حتى صار الصحيح كالمريض كلاهما نيام أو فعود. وماذا بقي لنا من وقت وقد انشغلنا حتى عمّا يصلح دنيانا وأمر معاشنا ، وصار التقصير في حياتنا وأعمالنا أمراً طبيعياً ، واعتاد الناس لوم بعضهم بعضاً بلانية صادقة في الإصلاح ، وركن كثيرون إلى الكسل والصمت أمام الشاشات حتى تباعدت أرواح أفراد الأسرة الواحدة وغاب الحوار بينهم ، وأصبح على كل واحد منهم أن يواجه حياته ومشكلاته بمفرده؟ وماذا تركنا لأبنائنا وقد ذهلنا عن تربيتهم ، وأقعدناهم بجوارنا نستقي جميعاً القواعد والتوجيهات الفكرية والاجتماعية بل والدينية من خلال كتاب الأعمال التمثيلية التي نشاهدها من غير علم سابق لنا بدينهم أو علمهم أو توجهاتهم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وماذا ادخرنا لدار الجزاء وقد أضعنا دار العمل؟ وأين نحن من قول الله - تبارك وتعالى - : (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ). فأي قلوب خليناها من المعاصي والمنكرات ، وخليناها بالطاعات والقربات؟ وأي عقول تضيع علينا فرصتنا في دفع الكربات ورفع الدرجات وسكنى الجنات ، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، والله - عز وجل - يقول: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ، و(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). ولدينا عمل كثير. فحري بنا أن نعمل مواهبنا وطاقتنا وكل ما نملك في اقتلاع أشواك النفس والشيطان والناس من طريقنا ، وأن ننشر على الطريق ورود الطاعة من دعوة إلى الله - عز وجل - وتعليم الناس دينهم ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإنفاق وإطعام ، ورعاية ذوي الحاجات ، وصلة أرحام وحسن جوار ، وإعمار مساجد وإرجاع حقوق ، وإقامة العدل في مجتمعاتنا ولو بالانتصار من أنفسنا ، وصيام وقيام ، وتعهد للقرآن وإحياء للسنن. حتى تتوحد أمتنا على قلب رجل واحد ، فلا يكون مجالاً للشقاق والنزاع بيننا ، ولا طريق للعدو إلى ديننا وأرضنا. ووقتها لن يحتاج أحد منا في بيان الحق إلى كثير كلام ولا برز أقلام ، وإنما سيكون الحق عندنا جميعاً هو ما أمر الله - تعالى - به ، وأمر به رسوله - صلى الله عليه وسلم. ولن يحتاج الكثيرون منا إلى كثير جهد لتكوين أحكام عادلة مستنيرة تجاه كثير مما يواجهنا في حياتنا من قضايا. وسيصبح من السهل علينا أن ندير ظهورنا لكل ما يشغلنا عن غايتنا الكبرى وسعادتنا العظمى. وسيصبح من الصعب أن نجد من بيننا نائماً أو غافلاً أو متخادلاً على أرض السباق إلى الخير والجنان حيث يطيب المقام). هـ. إنه لا بد من إبراء الذمة وبيان الموقف الواضح من الفن وأهله واعتقاد الفساد الواقعي! أقول من شعري لمن يُصدرون الأحكام اعتباطاً بلا دليل ولا برهان!

سَلُوا إِنْ جَهَلْتُمْ يَا غَفَاةَ زَمَانِي      وَلَا تُطْلِقُوا الْفِتْوَى بِغَيْرِ اتِّزَانِ  
أَلَا إِنَّمَا الْأَحْكَامُ تَحْتَاجُ دِقَّةَ      فَهَلَا اطَّلَعْتُمْ دُونَ أَيِّ احْتِقَانِ

ومن هنا فلا بد من براءة الذمة أمام الله تعالى! فلست أدعي من نفسي علماً ووعظاً، وإنما رأيتُ بكلِّ ما أحمله في قلبي من حرصٍ على المسلمين وحبِّ لهم - سواء كانوا من المشاهدين أو من القائمين على هذه الأعمال التمثيلية والفنية - أن أودِّي واجب النصح بما يصلح حالهم ويثمر أعمارهم. فلعلَّ كلمة أن تكون مفتاح باب سعادة أحدنا، ولعلَّ جملة أن تكون حبل نجاة لآخر، ولعلنا إذ تحمّلنا أمانة الكلمة أن نُبرِّئ ساحتنا من ذنب المشاهدين والفنانين، وأن ندخل في زُمرَة من استثناهم الله - عزَّ وجلَّ - من الخسران؛ إذ يقول: (وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). اللهم الطف بنا جميعاً!

فِيمِ التَّلَاحِي بِلا إيرادِ بُرْهَانٍ؟!      وَهَلْ يَطِيبُ نِقَاشٌ دُونَ مِيزَانٍ؟!  
وَهَلْ نَوْمٌ خَيْرٌ فِي مُجَادَلَةٍ      تُغْلِبُ الْجَهْلَ لِمَ تَعَمَّدُ لِرُجْحَانٍ؟!  
وَتُحْسِنُ الظَّنَّ بِالْمُنْحَلِّ تَجْعَلُهُ      مُبَرَّراً بَيْنَنَا مِنْ كُلِّ عِصْيَانِ  
وَنَحْنُ نَسْأَلُ مَنْ أودى بِصَحوْتِنَا      وَمَنْ تَفَحَّشَ فِي سِرِّ وَإِعْلَانِ  
وَمَنْ دَعَا قَوْمَهُ لِكُلِّ مَهْزَلَةٍ      تَقْوُدُ صَفْوَتَهُمْ لِدَرْبِ خُسْرَانِ  
مَنْ أَفْسَدَ النَّاسَ بِالْأَفْلَامِ مَا جَنَّةَ      تَرَوِّجُ الْفَسْقَ فِي أَصْقَاعِ بُلْدَانٍ؟!  
مَنْ نَاولَ الدُّعَرَ مَيْسُوراً لِرَاغِبَةٍ      حَتَّى يُسْأَلَهُ لِكَيْدِ شَيْطَانِ  
مَنْ قَدَّمَ الْعُهْرَ فِي سِرِّ وَفِي عِلْنِ      وَأَفْحَشَ الْعُهْرَ مَا اسْتَعْلَى بِإِعْلَانِ!  
وَمَنْ تَعَمَّدَ بَثَّ الرَّجْسِ فِي وَطَنِ      وَنَارُ فِتْنَتِهِ اسْتَشْرَتْ بِأَوْطَانِ  
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ حُبَّ الْمُوبِقَاتِ بِلا      تَخَرُّجٍ أَوْ حِيَا بِكُلِّ إِعْمَانِ  
وَمَنْ بَزَوِجَتِهِ بَارَى مَنْ انْحَرَفُوا      فَأَصْبَحَتْ سِلْعَةً فِي سُوقِ ذُؤْبَانِ  
تَخْتَالُ مَائِسَةً لَا عُرْفَ يَرُدُّعُهَا      وَلَيْسَ تَكْبُحُهَا أَرْكَانُ إِيمَانِ  
بِضَاعَةَ رَخَصَتْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمٍ      كَنَجْوَةٍ ذُؤُولَتْ مَا بَيْنَ ذُؤْبَانِ  
وَمَنْ تَوَسَّسَ فِي أَوْهَامِ شَهْرَتِهِ      خَيْرٌ أَوْ يَوْمَلُهُ بِدُونَ خُسْبَانِ  
خَلَفَ النُّجُومِيَّةَ امْتَدَّتْ مَطَامِحُهُ      وَحَوْلَهُ جَوْقَةٌ مِنْ شَرِّ خِلَانِ

وللشراء سعى عساه يُدرِكُه      وللغنى بذلٍ مَجْهُودٍ وأثمان  
 والفنُّ أهْدَاهُ ألقاباً مُزَيَّفَةً      حروفها نَقَشَتْ قِطْعاً بْبُهْتَان  
 كان الطبيبَ فخلَى طِبَّه عَجْلاً      حتى يُقالَ له يا خَيْرَ (فنان)!  
 كان المهندسَ لكنْ عافَ هندسة      من أجل فن ببيع الوهم مُزدان  
 ظن البطولة في التمثيل قد حُصِرَتْ      فصَدَّقَ الظنَّ مَشْفوعاً ببرهان  
 فانقادَ يُنْفِقُ عُمرًا في تَبْذُلِه      والعُمُرُ إنْ لم يكنْ في طاعة فاني  
 واسألْ مَنْ اعتزلوا الفنونَ عن رَغْب      لم اعتزلنَّمْ؟ وهل بُؤثمُ بَعْدوان؟!  
 فبعضُهم للورى أبْدَى صراحته      فقال ما لم يَجُلْ في أي أذهان  
 من المهازل ياباهما مَنْ اتبعوا      هُدى الإله بإخلاص وإحسان  
 والبعضُ بيَّنْ ما في الفن من ضلال      بكل صدق وتفصيل وتبيان  
 وألِفَتْ كِتابَ بالخير تذكُرهم      غدوا لنشر الهدى من خير أعوان  
 قالوا: لقد تاب (زيدٌ) عن تخالِّه!      والدمعُ تذرْفُه في التوبِ عَيْنان  
 فهل تَبَرَّأَ مِنْ أفلامه أَمْلاً      في محو ذنب وفي تحقيق غفران؟!  
 وهل تخلَّى عن الأعمال أكملها      بعد المتاب وما استعلَى بنكران؟!  
 قالوا: يرى هذه الأعمال مَرَحلة      من عُمره بدرتْ ككل إنسان  
 وما ارتأها فجوراً خابَ فاعله      ولا ارتأها ضلالاً يُوبِقُ الجاني  
 لم يتخذ موقفاً من أهل صنْعته      إذ لم يكنْ عنده بُعِيضُ فرقان  
 ما الاعتزالُ إذا زاغَتْ بصيرته      والأمْرُ مُشْتَهَرٌ بغير كِتمان  
 يُقِرُّ أهلُ الخنا والدُّعْرُ دون حيا      وكان أولى بهم إشهار هجران  
 أو دعوة تنتوي تصحيح باطلهم      فُجُلٌ ما فعلوه مَحْضُ بطلان  
 حتى إذا لقيَ الرَّحْمَنَ قلتُ لنا:      ثوى الفقيدُ ، وأضحى عند رحمن!

سألوا له رحمة المولى ومغفرة هو الفقير إلى عفو وغفران  
قلنا: هو العبد لم يصلح سريره وموته لو ترى من خير سلوان  
ندعو عليه ، ولا ندعو له أبداً لمثل هذا أعدت شر نيران  
فقلت: عن قلبه شققتم ولذا قلتم مقاتكم بكل إتقان  
قلنا: شققنا عن الأفلام قد قتلت جيلاً ، وطال أذاها خير نسوان  
وأحرقت بالتردي من يشاهدها أمسى ضحيته آلاف شبان  
عليه من ربه الجبار نقمته ما أومض البدر في سماء أكون!

## داووا مرضاكم بالصدقة!

(إنها قصة من الواقع ، لخدمته تدخل الحمام لتفرغ حليب صدرها! وكفيلتها ماذا فعلت؟ إلا إن هذه قصة عجيبة لا يصدقها إلا مؤمن بما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم! رواها أحد الأحابيب الصادقين من بلدة 'حريملاء' وهي بلدة قريبة من العاصمة السعودية الرياض! وبدأيتها أن إحدى النساء وتُدعى (نظلة) من نفس البلدة أصيبت 'بمرض سرطان الدم' وتركز أكثر في معدتها ، ومنها انتقل إلى الدم! أعادنا الله وإياكم منه! ولحاجتها للرعاية استقدمت خادمة إندونيسية مسلمة حشيمة ، فكانت هذه المرأة بكل صراحة وصدق صاحبة دين وخلق! وبعد مرور أسبوع تقريباً على حضور الخادمة لاحظت هذه المرأة أن الخادمة تمكث طويلاً في دورة المياة! وأكثر من المعتاد وتتردد كثيراً على دورة المياة! وفي إحدى المرات سألتها عن سبب بقائها طويلاً في الحمام؟ فأخذت تبكي بكاءً شديداً! وعندما سألتها عن سبب بكائها؟ قالت: انني وضعت ابنتي منذ عشرين يوماً فقط ، وعندما اتصل بي المكتب في إندونيسيا أردت اغتنام الفرص والحضور عنكم لحاجتنا الماسة للمال! وسبب بقائي طويلاً في الحمام هو أن صدري يمتليء بالحليب وأقوم بتخفيفه! حيث إنني فور الحجز لأقرب رحلة إليكم! لم يكن أمامي أي خيار سوى السفر تاركة طفلي مع أبيها عند أهلي! وعندما علمت المرأة (أي نظلة) بذلك قامت فوراً بالحجز لها في أقرب رحلة لأندونيسيا ، وصرفت لها المبلغ الذي سوف تتقاضاه خلال السنتين بالتنام والكمال! ثم استدعتها وقالت له: هذه رواتبك لمدة سنتين مقدماً ، فاذهبي وأرضعي طفلك واعتني بها! وأعطتها أرقام الهواتف في حال رغبتها للعودة بعد سنتين مستصحبة زوجها وطفلتها! وسافرت الخادمة ، وذهبت (نظلة) لمتابعة حالتها المرضية وفحص الدم الدوري الروتيني ولتعرف إذا كان العلاج بالكيماوي يوتي ثماره أم لا! وهناك كانت المفاجأة المذهلة! حيث اكتشفت الطبيبة المتابعة لحالتها أنه لا يوجد أدنى أثر لسرطان الدم لا في المعدة ولا في الجسم كله! فذهبت بنتائج التحليل إلى رئيس القسم الذي أمر بإعادة التحليل عدة مرات! وذهل عندما وجد أن النتيجة لا تتغير! هذه الحالة غير مريضة بالسرطان! والنتيجة صفر! واستيقن الطبيب من شفائها التام! فسألها ومعه لفيف من الأطباء والطبيبات عن العلاج الذي استخدمته ، فأجابت: علاجي هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (داووا مرضاكم بالصدقة)! وقصت المرأة قصتها مع الخادمة كاملة! فأيقنوا جميعاً أن الله تعالى له في خلقه شؤون! وأن المرأة التي تعد شهوراً وتستعد للموت قد منحها الله عمراً مديداً! وتحت عنوان: (وقفات وتأملات مع حديث داووا مرضاكم بالصدقة) يقول الأستاذ محمد السقا عيد ما نصه بتصريف زهيد: (عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (داووا مرضاكم بالصدقة). حسنه الألباني في صحيح الجامع لأول وهلة قد يستغرب قارئ أو سامع هذا الحديث بلسان حاله أو مقاله "ما علاقة الصدقات بعلاج الأمراض؟" ، والجواب أن علاج الأمراض له صلة وثيقة بالعقيدة وحسن التوكل على الله تعالى يقول سبحانه عن إبراهيم عليه السلام (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ). أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه. تفسير ابن كثير. والقرآن كما أخبر الرحمن علاج لأهل الإيمان إذا صدق القلب وأنشرح الصدر بالقبول والإذعان قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ). قال ابن القيم: "فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواء الدنيا والآخرة وما كُلُّ أحدٍ يُؤهَّل ولا يُوفَّق للاستشفاء به ، وإذا أحسن العليل التداوي به ، ووضعَه على دائه بصدق وإيمان ، وقبول تام ، واعتقادٍ جازم ، واستيفاءٍ شروطه ، لم يُقاومهُ الداءُ أبداً". زاد

المعاد في هدي خير العباد. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الصدقة تداوي الأمراض! وهذا الإخبار الهام لا يصدر إلا بوحي رباني ، فعلاج المرضى بالصدقة جزء من ذلك. فإن الطب نوعان جسماني وروحاني! فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأول آنفاً ، وأشار الآن إلى الثاني فأمر بمداواة المرضى بالصدقة ، ونبه بها على بقية أخواتها من القرب كإغاثة ملهوف وإغاثة مكروب! وقد جرب ذلك الموفقون فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية. فيض التقدير شرح الجامع الصغير. والإسلام دين شمولي يحض على التكافل الاجتماعي والاقتصادي ، وإخراج المال وبذله للآخرين مآله إسعاد فئات متنوعة من المجتمع وسد حاجاتهم وبالتالي الجزاء من جنس العمل (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ، فالله سبحانه تكفل لمن أنفق دون رياء وبذل بلا منّ وأذى ، أن يداوي مرضاه ويعافي مبتلاه. والعلاج بالصدقة لدفع الأمراض والبلاء عام قد ينتفع منه غير المؤمن كالفاجر والظالم والكافر! قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في (الوابل الصيب ، ص 49 – 50): (فإنَّ للصدِّقة تأثيراً عجبياً في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو من ظالم ، بل من كافر ، فإنَّ الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء ؛ وهذا أمرٌ معلوم عندَّ الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهل الأرض كلهم مُقرُّون به لأنهم جرَّبوه) انتهى. والصدقة تُزكي النفوس وتطهرها من أدران الشح والبخل والطمع والانتكباب على الماديات فينعكس ذلك على راحة البال وطمأنينة النفس وانسراح الصدر ، ولهذا علاقة قوية وثيقة بكثير من الأمراض التي معظمها ناتجة عن اضطرابات نفسية كالقرحة وعسر الهضم والتهاب القولون بل كثير من الأمراض تتأثر بشكل كبير بالحالة النفسية ، كارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين ، والتهاب المفاصل وغيرها). هـ. نسأل الله تعالى الشافي المعافي أن يشفي مرضى المسلمين!

رَبِّحَ الْبَيْعَ ، وَزَالَتْ عِلَّةُ	وَمِنَ السَّرَطَانِ نَجَتْ (نظافة)!
أَنْجَاهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ	أَنْقَذَ مَعْدَتَهَا الْمُعْتَلَّةَ
وَلَكَّمْ أَبْكَيْتَنِي قِصَّتُهَا	وَسَبَّتْ قَلْبِي مِنْهَا فِعْلَةٌ
فَشَرَعْتُ لِأَنْقَشَها شِعْرًا	كَغْنِيَّةٍ رِيَّةٍ يُطْرِي (عبادة)!
فَجَعَلْتُ الْبَدَأَ نَهَايَتَهَا!	وَالْعَنَوَانَ أَتَى مِنْ قَوْلَةٍ!
عَانَتْ (نظافة) مِنْ سَرَطَانِ	لَمْ يَمْنَحْهَا يَوْمًا مُهْلَةً
وَالكِيمِ أَوْيُّ تَعَقَّبَهَا	وَالصَّحَّةَ بَاتَتْ مُخْتَلَّةَ
وَالطَّبُّ حَبَاهَا كَلِمَتُهُ	بَعْدَ شَهْوَرٍ تُنْهِي الرِّحْلَةَ
لَنْ تُصْبِحَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا!	مَالَ السَّقْمِ عَلَيْهَا مِيلَةً
رَضِيَتْ بِمَقَادِيرِ الْمَوْلَى	غَادَتْنَا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ
فَاحْتَجَّاجَ الْبَيْتِ لَخَادِمَةٍ	فَأَتَتْ تَعْمَلُ ذَاتَ الْعَيْلَةِ

جهداً يُربح هذي النبالة  
عن أمر يبدو كالمثالة  
هل سُقم يستوجبُ عزلة؟!  
حيث ولدتُ بداري طفالة  
أنني قد آثرتُ الشغلة  
يغفرُ ربي هذي الزلة  
وطوتُ طرحتها المبتالة  
ما أقسى هاتيك الرحالة  
عامين وأهدتها سالة  
وأقامتُ لوداع حفالة  
غادرتُ الأسرة والدولة  
وتعودُ لتعمل كالنحالة  
فلتأتِ بزواج والطفالة  
لتراجع أحوال العلالة  
أمرٌ أذهل أهل الحلالة  
لا يتصورُ عقلٌ حله!  
أسقاماً ما كانت سهلة  
أطلقها مولانا جمالة  
وبها كانت أحلى نقالة  
ما بقيتُ في الأرض الملة!

جاء الفقيرُ بها باذالة  
سألتها (نظالة) في عجب  
فيم المكثُ بدار خلاء؟  
فأجابتُ إنني مرضعة  
تشكوني في (أندونيسيا)  
تاركة بنتي في أهلي  
فبكتُ (نظالة) لما علمتُ  
قالت: غودي يا خادمتي  
وحبثها أجرة خادمتها  
فيها من ورق وعقيق  
والخادمة مضت لحماها  
تُهي عاميها مرضعة  
لا تاتُ الودار بمفردها  
وأنت (نظالة) مستشفاهما  
في التحليل النسبة صفر!  
قالوا: كيف؟ وأصبح لغزاً  
قالت: داويتُ بأموالي  
داؤوا بالصدقة مرضاكم  
لم أدرك معنَى تحمله  
فعلية صلاة وسلام

## الخاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الخالق بقدرته ما دب ودرج ، الفائق بصنعتة ما التأم وارتتج ، الرائق بحكمته ما افترق وانفرج ، الدال على وحدانيته بالبراهين والحجج ، أنشأ الأبدان من النطف وحفظ فيها المهج ، ونور العيون فأحسن في تركيبها الدعج ، وأنطق اللسان فأبان سبل المراد ونهج ، وعلم الإنسان البيان فإذا خاصم فلج ، بقدرته سكن المتحرك فما زال ولا اختلج ، ولهيبته تحرك الساكن فتغير وانزعج ، طوى اللطف في تكاليف الخلائق ودرج ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، خلق البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومرج ، واستخرج بدائع الودائع من بواطن اللجج ، وعلم ما ظهر في الأرض ورأى ما فيها ولج ، بصير يرى جريان الدماء في باطن الودج ، سميع يدرك بسمعه صوت الباكي إذا نشج ، لا يخفى على بصره في سواد الليل سواد الشج ، ولا يعزب عن سمعه أنين المدنف يرجو الفرج ، أنزل كلاماً قديماً من ورد بحره ارتوى وابتهج ، قرأنا عربياً غير ذي عوج ، أحمدته سبحانه حمد من جمع المحامد في حمده ودرج ، وأشهد أنه العظيم القدر الرفيع الدرج ، وأصلي على رسوله محمد الذي إلى قاب قوسين عرج ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي لا يبغضه إلا الرعاع الروافض والعلمانيون الهمج ، وعلى عمر الذي يفوح من ذكره أذكي الأرج ، وعلى عثمان الذي جمع الإنفاق إلى الصهر فازدوج ، وعلى علي المجمع على حبه فإن خرج شخص من الإجماع خرج ، وعلى عمه العباس الذي افتخر به بيت الخلافة وابتهج! وعلى أصحابه الذين فدوه بالأرواح والمهج ، وعلى التابعين له بإحسان في العسر واليسر وفي الضيق والفرج! أيها المعرض عن شكر الإفضال والنعم ، زاحمت على حوض الغفلة النعم ، تمد يد الجهل بالإنعام إلى أخذه واقتباسه! أيها العاصي هل تقبل على الدنيا والمعاصي وتنسى عقوبة ما قد جنيته في وقت باسه؟ أين الهرب بخطاك عجباً منك وعين الله تراك؟ والله يقول لك: تستحي من غيري ومني لا تراك؟ من الذي ستر على القبيح فيما مضى؟ من الذي لطف بك في دين دينه إذا اقتضى؟ يا هذا إن وجدت من يصلح لك غيرنا فإذهب ، وإن رأيت مشرباً يلذ غير حِلْمنا فاشرب ، لو أعلمت أباك ما نعلم منك أباك ، ولو أريت أخاك ما أريتنا جفاك ، نعمنا عليك قديمة ، كم نبعث لك ديمة لطف بعد ديمة ، أتراك تحن إلى ودنا أو تراعي عهد عهدنا؟ يا هذا جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، فواجباً ممن لم ير محسناً سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه؟! يا منعماً عليه بالعافية بنس ما أنفقت فيه رأس المال ، كم ذنب لك فعله غيرك فهتك ذاك وسترت ، ويحك احذر نفار النعم ، فما كل شارذ بمرود ، إذا وصلت إليك أطرافها فلا تنفر أقصاها بقلّة الشكر! أيها المتفكر في القبور الدوارس ، الباكي على من كان به يستانس ، ابك مطلقاً ما يرعوى بنقل أهل المحابس ، تيقظ للخلاص فإلى كم أنت ناعس ، وقم مبادراً للفتوت فإلى كم أنت جالس ، ليت شعري متى تنزود ومتى تبيض القلب الأسود ، أين الفرار والرقيب بالمرصد؟ إلى متى مع الزلل والإسراف؟ إلى كم مع الخطايا والاقتراف؟ أين الندم؟ وأين الاعتراف؟ لقد سمعت من الوعظ كل شاف كاف ، أنت فيما ينفعك قاعد ، وفيما يضر ناهض ، تتوب بلسانك وتضر بحناك ، أتناقض الشر في باطنك داخل ، في الغوامض أسد الشرى في البيع والشرا ، فإذا يرى الخديعة خلا المرابض ، يا غافلاً عما قد أعد له أمكر هذا أم بله ، ما عُد من تعثر في ظلمات العيب بعد إضاءة نور الشيب ، يا أسفى من للمحتضر إذا علم من قد حضر ، وقلب الطرف متحيراً ، ونظر ورأى العجائب وقلب البصر ، وندم على إغفاله زاد السفر وجرى دمع الأسى ثم انهمر ، واحتاج إلى قليل من الزاد وافتقر ، ولم ينفعه كل مستور مدخر ، وتقطع فؤاده أسفاً وانفطر ، إن هذا لعبرة لمن اعتبر ، إن كان قد سبقك

الغير فأنت على الأثر ، يا هذا الحساب شديد والطريق بعيد ، وقد خاف من لا خوف عليه فكيف سكن من لا أمن له ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في صدر مؤمن! وقال كذلك: ليتني كنت جُزوراً فأذبح! لله در أقوام تلمحوا العواقب ، فعملوا حقاً عمل مراقب ، وجاوزوا الفرائض إلى طلب المناقب ، علت همهم عن الدنيا ، وارتفعت وكفت الأكف عن الأذايا ، وامتنعت ووسعت خطاها إلى الفضائل ، وسعت من يحب العز يدأب إليه ، وكذا من طلب الدر غاص عليه ، كانوا إذا ابتلاهم مولاهم يصبرون ، وإذا أعطاهم مناهم يشكرون ، وإذا استراح البطالون يدأبون ، فلو رأيتهم يوم يقول: (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، زال الخوف عنهم واندفع ، فأفادهم حزنهم في الدنيا ونفع ، وتم السرور لهم واجتمع ، وزال الحجاب بينهم وبينه وارتفع ، فهم إلى وجه الكريم ينظرون ، (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ، قطعوا بوحدانيته واجتمعوا على طاعته ، وامتنعوا من مخالفته ، وارتبضوا في رياض معرفته ، واضطبعوا بأردية خدمته ، واطلعوا بالعلوم على هيئته ، فيا بشراهم يوم يحضرون ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ، امتثلوا ما أمرهم به مولاهم ، واجتنبوا ما عنه نهاهم ، فإذا أخرجهم من الدنيا وتوفاهم ، استقبلوا الروح والريحان وتلقاهم ، فإذا حضروا لديه أكرم مثواهم ، وكشف الحجاب فأشهدهم وأراهم ، وهذا غاية ما كانوا يأملون ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون) كانوا يتقون الشرك والمعاصي ، ويجتمعون على الأمر بالخير والتواصي ، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي ، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي ، قبل أن تبغتك المنون ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون)! متى تفيق من هذا المرض المراض؟ متى تستترك هذه الأيام الطوال العراض؟ يا غافلاً عن سهام الموت الحداد المواض ، تالله لقد أصاب السهم من قبل الإنباض ، ولقد آن لجمع الحياة الشتات والانفضاض ، وحن لبنيان السلامة الخراب والانتقاض ، وحق للمقرض أن يطالب المقرض بالإقراض ، ودنا من مبسوط الآمال الاجتماع والانتقاض ، أما الأعمار كل يوم في انقراض ، لقد نهت قبل شكة السهم صكة المقرض ، أما ترى الراحلين ماضياً خلف ماض ، كم بنيات ما تم حتى تم مآتم وهذا قد استفاض ، كم حظ ذو خفض على رغام في رغام وانخفاض ، انهض بجذك والعائل ناهض قبل الإنهاض ، إن الموت إليك كما كان لأبويك في ارتكاض ، إن لم تقدر على مشاريع الصالحين رد باقي الحياض ، إن لم تكن بنت لبون فلتكن بنت مخاض ، إلى متى أو حتى أتعبت الرواض ، أمالك أنفة من هذا التوبيخ ولا امتعاض ، كما بنى نصيحتك نقضت وما يعلو بناء مع نقاض ، يا من باع نفسه بلذة ساعة بيعاً عن تراض ، لبئس ما لبست أتدري ما تعتاض ، يا علة لا كالعلل ويا مرضاً لا كالأمراض ، إنما تجزى بقدر عملك عند عدل قاض! إن ديوان: (يا عباد الله فاحكموا!) وهو يمثل الجزء الثلاثين من ديوان (الأعمال الكاملة): (السليمانيات) يعكس بصراحة أغلب ما عشته في عصري هذا الذي قل خيرته والخيرين فيه ، وكثر بلاؤه وشره والشريرين فيه! ومن هنا تبدو أهمية الكتابة بوجه عام والشعر بوجه خاص! ومن هنا يكون تضييق الظالمين عليه وعلى صاحبه! والله المستعان! وإذا كان ولا بد من كلمة فهي الدعاء لهذا الشعر بالنصر والتمكين والانتشار! فأسأل الله تعالى الذي أعان على كتابته وصفه وإخراجه أن يعين على طبعه ونشره وتوزيعه! وكنت قد عنونته له ب: (يا عباد الله فاحكموا!) لأترك الفرضة للجمهور الكريم في الحكم على حقائق وصفتها وجئت بالبراهين والأدلة عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً! والله الموفق والمستعان!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (يا عباد الله فاحكموا!!)

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
7	دء			الإه
9	ة			الم
13	ة			الإف
15	الشجارا	الخفيف	اخدمى أم زوجك!	1
17	ودرب فتون	الكامل	ارجعن فقد آديثن! (للقارئات والمنشدات)	2
25	أبطلا	البسيط	إقبال شاعر الزهد!	3
30	النفس	الطويل	التيس المحظوظ!	4
34	الأرياف	الكامل	الرجولة لها معانها!	5
37	بعض مالك	الوافر	اللقمة تزيج النعمة!	6
39	مرثية الوهن	البسيط	المقابر تتكلم 9 ميت يعزي نفسه! (محاكاة لزين العابدين)	7
57	تكاليف البقا	الكامل	انتهت صلاحيتك يا زيد!	8
60	(قافية متنوعة)	الكامل (سطر)	بدعية المولد النبوي! (أرجوزة)	9
87	المأمولا	الكامل	بين البهلول والرشيد!	10
89	مدارا	البسيط	تأبين محمد العيد آل خليفة!	11
97	والتردي	الخفيف	تعذد الأزواج في الهند!	12
105	والتليخا	الكامل	جميل يرد على هناء! (محاكاة لنص العبيدي)	13
108	عملا	البسيط	حب الخير عبادة!	14
110	ضلالك	الوافر	رسالة إلى المفسدين!	15
112	روح صفت	المتقارب	عروس في غير زمانها!	16
114	الغالية	المتقارب	كفى يا عذماء الحياء!	17
128	والدواها	الطويل	لا تعرفني ولكنى أعرفها!	18
130	مفقود	البسيط	لا عطر بعد عروس!	19
132	أسى	البسيط	لقد استرجلت النساء!	20
139	جثمانه	الكامل	وداعاً عبد المنعم العزي!	21
143	قليل التوهم	الطويل	يا عباد الله فاحكموا! (محاكمة نزار قباني)	22
155	رحب الفضا	المتقارب	يتيمة أب حي!	23

158	من أقوال	الخفيف	احتفالاً أم سُنّة يا لكاع؟! 24
161	عيواظ	الكامل	عيواظ محتجاً على العبيدي! 25
163	المناديا	الطويل	براءة ابن عبد الوهاب! 26
193	والهذيان	الكامل	أغاني قرآنية لمن؟! 27
196	الشقا	الرمل	الغربة ألم وأمل! 28
198	أكلوا	البيسيط	ابن تيمية وخصومه! 29
220	الطغيان	الكامل	المساكنة - زواج التجربة! 30
228	من يعتبر	المتقارب	أن تصيبوا قوماً بجهالة! 31
231	بالإيلام	البيسيط	أيقظيهم ، فصلاتهم أولى! 32
233	تختضب	الوافر	حرامي بالوكالة! 33
235	ما اعتبرت	المتقارب	سارق مال أبيه؟ 34
237	والصفا	الرمل	سرقة المنشورات! 35
241	يسبق	الخفيف	عواد باع أرضه! 36
243	الأوغاد	البيسيط	لقد عدنا يا قاضيينا! 37
245	يطمعُ الذهب	المتقارب	لماذا يا بخاري؟ (محاكاة للإمام الجرجاني) 38
268	الضلال	الوافر	الكتاب الملعون (شمس المعارف) 39
271	للطف	المتدارك	هل يأجوج ومأجوج أحياء؟! 40
275	بثباتي	الكامل	أتظن أنك حينما أخرجتني؟ (محاكاة لنص مهذل الصقور) 41
278	عرفوا	البيسيط	المتنبي لم يبلغ شأواً! 42
282	معتقد	البيسيط	المنتقبة والمختمرة سواء! 43
287	ميلادي	مجزوء الوافر	أو ولد صالح يدعو له! 44
290	أفعالي	مجزوء الوافر	بين الجوسقي وبونابرت! 45
292	أنا وحدي	البيسيط	حسن طوبار! 46
298	والسمز	المتقارب	حل مشكلة الغلاء! 47
300	وغرامي	الكامل	زوجتي أحييتي وماتت! 48
302	الوافي	الكامل	سفينة وسفينة! 49
308	بداية	الخفيف	طبع القط أن يخمش! 50
310	صائنة	الرمل	عجوز مباركة! 51

312	في زماني	الخفيف	فرعون وملاه وجنده!	52
320	بالتحري	الوافر	لماذا نُخجلنا الحقيقة؟	53
322	عزي ومجدي	الخفيف	مصر تتحدث عن نفسها! (معارضة لحافظ)	54
346	الصنديد	الخفيف	ميت لا قبر له! (الشيخ العربي التبسي)	55
348	المديح	الخفيف	هنري فورد والطموح!	56
351	ثورق	الكامل	يكفيني حب الأولاد!	57
353	دون ميزان	البسيط	شققنا عن أفلامه!	58
362	نظلة	المتدارك	داووا مرضاكم بالصدقة!	59
365	_____ة	_____م	_____ات	_____خ
367	_____رس	_____	_____ه	_____ال

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (يا عباد الله فاحكموا!)